

مكتبة

المجمع العلمي العربي

« جزء خاص بذكرى البدء بإصدار المجلد الأول »



كانون الثاني « يناير » سنة ١٩٦٥ م

شعبان سنة ١٣٨٤ هـ

مجلة
المجمع العلمي العربي
دمشق

انشرت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

نصدر أربعة أجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي } في جميع البلاد العربية ١٠٠٠ قرش سوري
وفي سائر الاقطار ١٢٠٠ قرش سوري
وإذا طلب إرسال المجلة بالبريد الجوي تضاف أجرته إلى قيمة الاشتراك

(تدفع قيمة الاشتراك عند طلبه)

البحوث والمصطلحات التي ينشرها الكتاب في هذه المجلة تعبر عن
آرائهم الشخصية .

جزء خاص بذكرى البدء بإصدار المجلد الأربعين
وقد تفضل فشارك في دراسات هذا الجزء وبحوثه جملة من
الأدباء والعلماء المشهورين في البلاد العربية

المجمع العلمي العربي بدمشق

هذه خلاصة جد موجزة في تأسيس المجمع العلمي العربي ، وفي أهم الأعمال التي اضطلع بها ^(١) . ومن أراد زيادة في ذلك ، حتى سنة ١٩٥٦ ، عليه بمراجعة الكتاب الذي أصدره المجمع في السنة المذكورة بعنوان « تاريخ المجمع العلمي العربي » لمؤلفه الأستاذ أحمد القتيح .

نبذة تاريخية . — قلت في كتاب القومية العربية (ص ٢٩٦) :

« . . . أما عهد الأتراك العثمانيين ، منذ احتلالهم للديار العربية في القرن العاشر للهجرة حتى خروجهم منها عقب الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨ للميلاد ، فقد كان في الجملة أسوأ عهد مرّ على العربية وآدابها ؛ ذلك بأن المماليك من أتراك وشراكسة كانوا قبل الأتراك العثمانيين يسكنون مصر والشام ، ويتعلمون العربية ، وكانت لغتنا في أيامهم هي لغة الحكومة الرسمية . أما الأتراك العثمانيون فقد اتخذوا اسطنبول عاصمة لهم ، وجعلوا التركية وحدها لغة حكومتهم الرسمية حتى في بلادنا العربية . وكان ذلك ضربة أصابت لغة القرآن في الصميم . . ولم تشف لغتنا الضادية من تأثير هذه

(١) عندما توحدت مصر وسورية في أول شباط « يوفية » سنة ١٩٥٨ وجد المجمع العلمي العربي في دمشق ونجم اللغة العربية في القاهرة قائمة في دمج الجمعين في مجمع واحد على أن يكون له فرعان فرع في دمشق وفرع في القاهرة ، وعلى أن تظل أعمال كل من الفرعين تدير كما كانت تسير عليه في السابق . وبذلك أوجد تماون وثيق بينهما واختصاص في بعض الأعمال . وصار اسم المجمع اللغة العربية بدمشق . ولكن مجلته ظلت محتفظة باسمها السابق لشهرته .

الضربة إلا بعد أن انفصلت مصر عن الدولة العثمانية في القرن الماضي ،
وانفصلت عنها الشام والعراق واليمن وأجزاء المملكة العربية السعودية عقب
الحرب العالمية الأولى .

ولم يكن من المقبول أن تهتم حكومات الدولة العثمانية باللغة العربية
إلا بمقدار ما كانت تحتاج إليه منها في تعليم لغتها التركية العثمانية . فقد
كانت ألوف من ألفاظ الحضارة ولا سيما من المصطلحات العلمية العربية
قد أدخلت في اللغة التركية . ولكن علماء الترك ما كانوا حريصين على
صحة الألفاظ العربية التي ينقلونها الى لسانهم ، وكانوا يحورون بعض تلك
الألفاظ على هوامم أحياناً .

ويتضح من ذلك أنه عندما ظهرت طلائع النهضة الحديثة في الشام
في القرن الماضي ، وأخذت تمتد وترسخ في أواقل القرن الحاضر ، لم يكن
لتعليم العربية حظ يذكر إلا في المدارس الأهلية والمدارس الأجنبية التابعة
للإرساليات الدينية . وكانت مضى اتخاذ اللغة التركية لغة رسمية في دوائر
الحكومة وفي المحاكم والمدارس الحكومية أن صار معظم موظفي الحكومة
ضماقاً في العربية ، وصار كتاب الصحف العربية القليلة يكثر من
استعمال الكلمات المغلوطة فيها .

وتلك عندما انفصلت ديار الشام وغيرها عن الدولة العثمانية في خريف
سنة ١٩١٨ ، وقامت في سورية الحكومة العربية السورية ، برزت فيها حركة
قومية قوية ترمي الى نقل سجلات الحكومة وقوانينها وأنظمتها الى العربية ،
والى نشر التعليم بلساننا ، والى تأليف كتب مدرسية عربية لتدريس مختلف العلوم
العصرية في مدارس الحكومة ، وفي الجيش العربي الذي كان نشأ قسم منه
في الثورة العربية في الحجاز ، ونشأ القسم الثاني بعد دخول القسم الأول
الشام في الطليعة مع سائر جيوش الحلفاء سنة ١٩١٨ للبلاد .

وكانت الحكومة العربية السورية في تلك السنة حكومة عسكرية مرعان ما أدركت أن الحاجة ماسة إلى رهنط من الأدباء والعلماء واللغويين العرب يعملون على تصحيح لغة الموظفين في الحكومة ، ويشرفون على لغة الكتب المدرسية في المدارس العسكرية والمدنية ، ويضعون المصطلحات العلمية العربية أو يحققونها ، فألفت في جملة ما ألفته شعبة حكومية سميتها « شعبة الترجمة والتأليف » أخذت على عاتقها تحقيق هذه الأغراض ، مستعينة بمن كان لهم نصيب من إتقان اللغة العربية ، ولهم معرفة بالمصطلحات العربية لكتب التدريس التي كان يجب أن تُنقل من التركية إلى العربية .

ولم يدم استقلال هذه الشعبة إلا بضعة أشهر^(١) فقد رأت الحكومة العسكرية أن تجمع شؤون التعليم والتربية والثقافة واللغة والآثار والمكتبات العامة في ديوان واحد سمته « ديوان المعارف » . ولذلك أدمجت الشعبة فيه^(٢) . ولكن الحكومة عادت ففصلتها عن ديوان المعارف ، بأمر من حاكم سورية العسكري العام^(٣) عندما ازدادت أعمال التربية والتعليم من جهة ، وأعمال اللغة والمكتبات والترجمات والآثار من جهة ثانية .

والأمر المذكور مؤرخ في الثامن من حزيران سنة ١٩١٩ ، وهو يقضي بقيام المجمع العلمي ، ولهذا يُعتبر تاريخ الأمر تاريخ تأسيس المجمع العلمي العربي بدمشق . وقد جاء في الأمر إلى جانب « المجمع العلمي » كلمة (أقاده مي) كذا بين قوسين ؛ ويتبين من ذلك أن المجمع ليس مجمعا للعلوم^(٤)

(١) من الثامن والعشرين من تشرين الثاني « نوفمبر » سنة ١٩١٨ م حتى الثاني عشر من شباط « فبراير » سنة ١٩١٩ .

(٢) ظلت مندجّة فيه من الثاني عشر من شباط « فبراير » سنة ١٩١٩ حتى الثامن من حزيران « يونيو » سنة ١٩١٩ .

(٣) وكان الفريق علي رضا الركابي .

(٤) Académie des sciences

على حسب الاصطلاح الأوربي الحديث ، بل هو مجمع للعلوم اللغوية والأدبية خاصة على حسب ما كان مألوفاً عند العرب في مثل هذه التسمية . أما كلمة العربي التي أضيفت الى « المجمع العلمي » فقد كانت صفة له ، لأن الدولة العربية التي قامت بدمشق في ذلك الزمن كانت تعتبر نفسها دولة جميع العرب المنفصلين عن الدولة العثمانية ، وكانت تنعت مؤسساتها الحديثة بهذا النعت في مثل قولها دار الآثار العربية ودار الكتب العربية وهكذا .

وتولى الأستاذ محمد كرد علي رئاسة المجمع ، وهو يعد صاحب الفضل في تأسيسه . وكان أعضاؤه في سنة ١٩١٩ فريقين : أعضاء عاملين ، وأعضاء شرف مؤازرين . فأما العاملون فكانوا الأساتذة سعيد الكرمي ، وأمين سويد ، وأنيس سلوم ، وعبد القادر المغربي ، وعيسى مكندر الملعوف ، وماتري قندلفت ، وعز الدين علم الدين التنوخي . ثم انضم اليهم الشيخ طاهر الجزائري بعد أن عاد من مصر في تشرين الأول « أكتوبر » سنة ١٩١٩ م . وأما أعضاء الشرف المؤازرون الذين انتخبهم الأعضاء العاملون في أول جلسة عقدوها في ٣٠ من تموز « يوليو » سنة ١٩١٩ فهم : المطران ميخائيل بخاش (مطران السريان الكاثوليك) ، وعبد القادر المبارك ، ورشيد بققدونس ، ومحمد الخضر التونسي ، ومحسن الأمين العاملي ، وسليم المنحوري ، وفارمن الخوري ، والطبيب عبد الرحمن الشهبندر ، والطبيب مرشد خاطر وحسين عوني القضايني (١) .

وفي العشرين من ايلول « سبتمبر » سنة ١٩١٩ أذاع رئيس المجمع بالعربية والفرنسية بياناً وجهه إلى الجامعات والمجلات المشهورة أنبأهم فيه بتأليف المجمع العلمي العربي ، وذلهم التي سيضطلع بها ، وخلاصتها على ما جاء في ذلك البيان :

(١) لم يبق على قيد الحياة ، من جميع الأعضاء الأولين المذكورين . سوى زميلنا اللغوي عز الدين التنوخي ، مد الله في عمره ، وكان في سنة ١٩١٩ أصغر الأعضاء سناً .

١ - النظر في اللغة العربية وأوضاعها المعاصرة ، ونشر آدابها ، وإحياء مخطوطاتها ، وتعمير ما ينقص فيها من كتب العلوم والصناعات والفنون عن اللغات الأوربية ، وتأليف ما نحتاج إليه من الكتب ، في موضوعات مختلفة ، وعلى أساليب حديثة .

٢ - جمع الآثار القديمة من تماثيل وأدوات وأوانٍ ونقود وكتابات وما شاكل ذلك ، ولا سيما ما كان منها عربياً ، على أن يؤسس متحف يشتمل عليها .

٣ - جمع المخطوطات القديمة الشرقية والمطبوعات العربية والإفريقية على اختلاف موضوعاتها ، وتأسيس مكتبة عامة وغرف للمطالعة .

٤ - إصدار مجلة اسمها « مجلة المجمع العلمي العربي » تنشر فيها أعمال المجمع وأفكاره ، وتكون رابطة بينه وبين الجامعات العلمية ، والجامعات ، ودور الآثار ، ودور الكتب ، وأمّهات المجلات في الغرب والشرق .

واتخذ المجمع مقره في المدرسة العادلية بعد أن أصلحها . وهي تقع على مقربة من الجامع الأموي الكبير . وتعد من أشهر مدارس دمشق القديمة . بناها الملك العادل ودفن فيها سنة ٦١٥ هـ في قبة كبيرة . والملك العادل هو شقيق الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي . وما يرح المجمع مقبلاً في بناء هذه المدرسة حتى يومنا هذا .

وأمام بناء المدرسة العادلية يقوم بناء أثري كان شيده الملك الظاهر بيبرس البندقداري واتخذته مدرسة . وبعد وفاته سنة ٦٧٦ هـ دفن فيه في قبة جدرانها محلاة بالفسيفساء والنقوش العربية الجميلة . وقد أصلح المجمع هذا البناء واتخذته مكتبة عامة وغرفاً للمطالعة . وظل اسمه المكتبة الظاهرية على ما كان معروفاً منذ زمن الشيخ طاهر الجزائري .

نشاط المجمع وأهم أعماله . — من أهم أعمال المجمع أولاً السهر على صحة

اللغة وعلى نموها ، ثانياً جمع الآثار القديمة في متحف . ثالثاً بث الثقافة العربية والثقافة العامة ، وذلك بإلقاء محاضرات عامة في ردهة المجمع ، وبتحقيق المخطوطات العربية وطبعها ، وإدارة مكتبة المجمع والمكتبة الظاهرية ، وإقامة الحفلات والمهرجانات والمؤتمرات اللغوية والأدبية والعلمية ، وإصدار مجلة المجمع .
وماكم كلمات موجزات في أهم الأعمال التي اضطلع بها المجمع في الماضي والتي ما برح يضطلع بها في الحاضر .

موضوع اللغة والمصطلحات . — لم يكد المجمع يباشر عمله في خريف

سنة ١٩١٨ باسم « شعبة الترجمة والتأليف » حتى شرع في وضع جملة من المصطلحات العربية للجيش العربي في سورية . وكان لهذه المصطلحات تأثيرها الفعال في نقل التعليم في الجيش وفي المدارس العسكرية من التركية إلى العربية . ولما احتل الجيش الفرنسي سورية في صيف سنة ١٩٢٠ ، نُقلت هذه المصطلحات إلى العراق ، فكانت نواة للقاموس العسكري الذي وُضع بعدئذ للجيش العراقي .

وعندما أخذت دوائر الحكومة العربية السورية تنقل القوانين والأنظمة والتعليمات من التركية إلى العربية ، بين أواخر سنة ١٩١٨ وأواسط سنة ١٩٢٠ ، كانت تبعث إلى المجمع بقوائم من الألفاظ التركية ، والألفاظ العربية المحرفة والمغلوط فيها ، فيضع الألفاظ العربية المقابلة للألفاظ التركية ، ويصحح الألفاظ العربية غير الصحيحة ، ويعيدّها جميعاً إلى مرسلها . فمن الأمثلة على ذلك أن معظم الموظفين العرب في الدولة العثمانية كانوا يحملون استعمال ألفاظ الشرطة والدرك والمفوض والآذن والتسليك والطابع والفراس والحزاة والحاشية والإحصاء والتقرير والإنبارة والتقويم الخ . ويستعملون بدلاً منها الألفاظ

المتداولة في التركية العثمانية وهي على التتابع : البوليس والجندرية والكوميسيير والنوبتجي والطابو والبول والأوطهجي والقاصة والدركنار والإستاتستيق والراپور والدوسية والروزنامه وهكذا .

وعاشت الألفاظ التي وضعها أو حققها المجمع ، وتغلّبت على ألفاظ الدولة العثمانية إلا قليلا ، مثل كلمة الدورية القديمة فلم تترجمها كلمة العسس التي وضعها المجمع ، ومثل قوائم المزداد فلم تحمل محلها جرائد المزداد .

وقد ارتقت لغة دوائر الحكومة السورية منذ ذلك الزمن ، وعُدّت في الجملة أصلح من أشباهها في سائر الدول العربية .

ولم يقتصر المجمع على النهوض بلغة الدواوين والموظفين بل تجاوز ذلك ، في أول حياته ، إلى مراقبة لغة الكتب المدرسية ، فما كان يُطبع منها كتاب ما لم يوافق المجمع على لغته وعلى موضوعه . وقد صحح المجمع لغة بعض القوانين كقانون التعليم الابتدائي وقانون الصحة العامة وقانون الحجر الصحي وعدد من القوانين المالية .

ولعل أهم عمل أتاحه المجمع في خدمة اللغة العربية إصداره مجلته هذه ، لما اشتملت عليه من البحوث في فقه اللغة ، وعثرات الكتاب ، وشؤون المصطلحات وغير ذلك مما سيجيء ذكره .

تأسيس متحف الآثار . — كانت آثار الشام في زمن الدولة العثمانية

نهباً مقسماً بينها وبين بعثات التنقيب والتجار واللصوص . ولم تفكر تلك الدولة قط في تأسيس متحف واحد في ديار الشام كلها . وكانت البعثات الأجنبية للآثار والعاديات تنقب عنها في أنحاء مختلفة من بلادنا ، فتبعث بقسم مما تعثر عليه منها إلى متحف إسطنبول ، وتبعث بقسم آخر أي بحصتها إلى متاحف بلادها . وكانت تجارة الآثار رائجة في ذلك الزمن ، ولذلك غصت متاحف أوروبا بآثار الشام .

فلما قام المجمع العلمي العربي سنة ١٩١٩ اهتم بموضوع الآثار ، وخاله انتقلها بشق الرسائل الى البلاد الأجنبية ، فراجع الحكومة العربية السورية في أمرها ، واستصدر منها قراراً يقضي بإنشاء متحف في دمشق تابع للمجمع ، فأنشأ المجمع في السنة المذكورة وراح يجمع فيه مختلف الآثار الحجرية والخشبية والزجاجية والنقدية والأسلحة والقاشاني وغيرها ، إما شراء ، أو استهداء ، أو مصادرة ، أو اتفاقاً مع بعثات التنقيب .

وظل المجمع يحد في عمله هذا إلى أن كبر المتحف ، فاستقل عن المجمع في سنة ١٩٢٨ م ومع هذا ظلت الآثار في غرف المجمع ، وظل رئيس المجمع رئيساً لمجلس إدارة دار الآثار أي المتحف حتى سنة ١٩٣٧ ، وهي السنة التي شُيد فيها بناء المتحف الحالي ، واستقلت فيها مديرية الآثار العامة مالياً وإدارياً .

بث الثقافة العربية والثقافة العامة

(١) المحاضرات العامة . — بدأ أعضاء المجمع وغيرهم ، في ربيع سنة ١٩٢١ ، يلقون محاضرات عامة على الجمهور ، في قاعة المجمع للمحاضرات . ودام عملهم هذا حتى ربيع سنة ١٩٤٦ ، مع انقطاع دام تسع سنوات لأسباب شتى ، فبلغ مجموع تلك المحاضرات قرابة أربعمائة محاضرة في مختلف الموضوعات الثقافية .

وقد كف المجمع عن هذا العمل التثقيفي المفيد بعد أن كثرت الأندية والجمعيات الأدبية في دمشق ، وأصبحت المحاضرات العامة تُلقى فيها وفي قاعة المحاضرات التابعة للجامعة السورية ، وعندئذ رأى المجمع أن يقصر نشاطه على عمله الأساسي وهو خدمة اللغة وآدابها ونشر تراث الأجداد .

وكانت محاضرات المجمع تلقى على الجمهور مرة في كل أسبوعين . ولما ازداد الإقبال عليها صارت تلقى مرة في كل أسبوع .

وكان معظم المحاضرين من أعضاء المجمع . ولكنه لم يكن محظوراً على المعروفين من غير أعضائه أن يلقيوا محاضرات في ردهته سواء على الرجال أو على النساء . ومن الطبيعي أن تكون درجات المحاضرين والمحاضرات متفاوتة في ذلك الزمن . ومع هذا استطاع المجمع أن يصدر ثلاث مجلدات من المحاضرات في كل مجلدة بحوث ثمينة لعلماء وأدباء مشهورين ، منهم المتوفون مثل الرئيس محمد كرد علي ، والشيخ عبد القادر المغربي وعيسى اسكندر المعلوف والأمير شكيب أرسلان و خليل مطران وأحمد أمين والدكتور مرشد خاطر ومحمد اسعاف النشاشيبي وغيرهم ، ومنهم الأحياء من أعضاء المجمع وغير الأعضاء ولهم جميعاً في المجلدات الثلاث المذكورة محاضرات كثيرة في الأدب واللغة والفلسفة والتاريخ والرحلات وغيرها .

وكانت المحاضرات كافة تعرض قبل إلقيائها على لجنة تنظر في موضوعاتها ، وكانت هذه اللجنة تتألف من الأساتذة فارس الخوري ومسعود الكواكبي وعارف النكدي وكاتب هذه السطور . أما لغة المحاضرات فكان ينظر فيها الأساتذة عبد القادر المبارك وسليم الجندي و خليل مردم بك .

ومن الأمور المعروفة أنه كان لمحاضرات المجمع ، على اختلاف موضوعاتها ، تأثير ثقافي يذكر ، في زمن كانت قاعة المجمع المكان الوحيد الذي تلقى فيه أمثال تلك المحاضرات .

(٢) تحقيق المخطوطات العربية وطبعها . — كلنا نعرف أن تراث الأجداد من المخطوطات يعد كنزاً ثميناً ، وأن في جملة هذه المخطوطات ، التي فقدنا الكثير منها ، نفائس يجب العمل على تحقيقها ونشرها . فالمجمع لم يتمكن ، في بدء حياته ، من القيام بهذه المهمة لصغر ميزانيته

وضرورة إنفاق المال على الشؤون التأسيسية كترميم الأبنية الأثرية ، وشراء الكتب والمخطوطات والآثار ، وإصدار المجلة ؛ ولذلك اقتصر عمله ، في هذه الناحية ، حتى سنة ١٩٤٤ ، على طبع رسائل مستتة من المجلة أو طبع كتب صغيرة . ومنذ السنة المذكورة أخذ نشر المخطوطات يزداد فاستطاع المجمع أن ينشر حتى سنة ١٩٥٦ نحو ثلاثين كتاباً منها ديوان الوليد بن يزيد ، ورسالة الملائكة للعربي ، وتاريخ حكماء الإسلام للبيهقي ، والمستجدات من فعلات الأجواد للمحسن ابن علي التنوخي ، وكتاب الأشربة لابن قتيبة ، والمدارس في تاريخ المدارس للنعماني ، وديوان علي بن الجهم ، وديوان الوأواء الدمشقي ، وديوان ابن حَيَّوس ، وديوان ابن أبي حصينة ، ومجلدتان من تاريخ ابن عساكر ، والرسالة الجامعة للمجريطي ، والجزء الثاني والثامن من كتاب جامع التواريخ المسمى بكتاب «نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة» للقاضي المحسن بن علي التنوخي ، وكتاب بحر العوام فيما أصاب فيه العوام لابن الحنبلي الحلبي ، وفضائل الشام ودمشق لعلي بن محمد الربيعي المالكي ، وجزء من خريدة القصر وجريدة العصر لمعاد الدين القرشي الأصفهاني ، وهو في شعراء الشام ، وتكملة إصلاح ما تغلط به العامة للجواليقي النخ .

وفي بضع السنوات الأخيرة أي بعد سنة ١٩٥٦ ازداد تحقيق المخطوطات ونشرها حتى أربى عددها فيها على خمسين كتاباً ورسالة . ومن أهمها كتاب الإبدال في جزئين ، وكتاب الإقباع ، وكتاب الأضداد في جزئين ، وكتاب المثق وكلها لأبي الطيب اللغوي . ومنها كتاب النوادر لأبي مسحل عبد الوهاب بن حريش الأعرابي وهو جزءان . ومنها إعتاب الكتاب لابن الأثير ، وأخبار البحري لأبي بكر الصولي ، وأسرار العربية لأبي البركات الأنباري ، وصفة القيث والسحاب لابن دريد ، وجزءان من تراجم الأعيان من أبناء الزمان للبوري ، وجزءان من خريدة القصر لمعاد الأصفهاني

(أحدهما في فضلاء الحجاز واليمن) ، ومجلدة من تاريخ دمشق لابن عساكر ، وكتاب الإبدال والمعاقبة والنظائر للزجاجي ، وكتاب الحيدة لعبد العزيز الكناني الخ .

ومن الكتب الحديثة التي نشرها المجمع في السنوات الأخيرة : حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر للشيخ عبد الرزاق البيطار ، وهو في ثلاثة أجزاء كبار ، ومنها الجامع في أخبار أبي العلاء وآثاره لسليم الجندي وهو أيضاً في ثلاثة أجزاء كبار يوشك طبع الثالث منها أن ينتهي ، ومنها معجم المصطلحات الحراجية (بالإنكليزية والفرنسية والعربية) لكاتب هذه السطور ، وفيه نحو ألف مصطلح عُرفت بالعربية تعريفاً علمياً موجزاً . ومنها ثلاثة أجزاء كبار لقهارس مجلة المجمع جاءت في ٢٤٠ صفحة .

(٣) المكتبة الظاهرية ومكتبة المجمع . — من أهم الأعمال التي يقوم بها المجمع إدارة شؤون المكتبة الظاهرية في دمشق . ويعود الفضل الأكبر في تأسيس هذه المكتبة إلى الشيخ طاهر الجزائري . فقد استطاع أن يجمع فيها ، في سنة ١٢٩٨ للهجرة ، ٢٤٥٣ كتاباً في علوم مختلفة ، معظمها مخطوطات كانت مبعثرة في المدارس القديمة التابعة للأوقاف كالعربية وغيرها ، أما اليوم ففي المكتبة الظاهرية ٩٥٠٠ من المخطوطات و ٧٨٩٢١ من الكتب المطبوعة والمجلات العربية والأجنبية .

أما غرف المطالعة في المكتبة فقد بلغ معدل القراء فيها مائة قارئ في كل يوم وذلك في موسم الشتاء الماضي . أما في موسم الصيف فلم يزد معدلهم على ثلاثين قارئاً .

وأنشأ المجمع لأعضائه وللأساتذة مكتبة كبيرة فيها كثير من المراجع التي يحتاجون إليها في تهيئة بحوثهم ودراساتهم .

(٤) الحفلات والمهرجانات والمؤتمرات . — من تقاليد المجمع أن يقيم بين حين وآخر حفلة أو مهرجاناً أو مؤتمراً لغوياً أو أدبياً أو علمياً . فمن كرمهم المجمع مثلاً أحمد شوقي وحافظ إبراهيم . ومن أبنهم الشيخ طاهر الجزائري ، وأحمد كمال باشا الأثري ، ومحمود شكيري الآلوسي ، ومصطفى لطفي المنفلوطي ، وأحمد شوقي ، وحافظ إبراهيم ، ومحمد رشيد رضا ، وجميعهم من أعضائه المشهورين .

وأقام المجمع مهرجاناً كبيراً لمرور ألف سنة هجرية على وفاة المتنبي ، ومهرجاناً كبيراً أيضاً لمرور ألف سنة على مولد أبي العلاء المعري . والقيت في المهرجانيين محاضرات وبحوث وقصائد كثيرة .

وفي خريف سنة ١٩٥٦ أقيم في المجمع مؤتمر ضم ممثلين عن المجمع العلمي العربي والمجمع العلمي العراقي وجمع اللغة العربية في القاهرة ، وممثلين عن بعض الدول العربية التي ليس فيها مجامع . وأصدر مجعنا عدداً خاصاً من مجلته (الجزء الأول من المجلد الثاني والثلاثين) يشتمل على برنامج المؤتمر وبحوثه وقراراته .

(٥) مجلة المجمع . — لعل من أكثر أعمال المجمع فائدة إصدار مجلته هذه . فقد ظهرت للملأ في أول سنة ١٩٢١ لليلاد الموافق للراحد والمشرين من ربيع الثاني سنة ١٣٣٩ للهجرة . وكان المجمع يصدر جزءاً منها في كل شهر . ومنذ سنة ١٩٣١ صار يصدر جزءاً كبيراً في كل شهرين ، ثم منذ سنة ١٩٤٨ أخذ يصدر جزءاً أكبر في كل ثلاثة أشهر ، وصار المجلد السنوي مؤلفاً من أربعة أجزاء تصدر في انتظام بدءاً من أول السنة الميلادية .

ولم تتوقف المجلة عن الصدور منذ إنشائها الى اليوم إلا مرتين مرة من ربيع سنة ١٩٣٣ الى ربيع سنة ١٩٣٥ ، وذلك لأسباب إدارية ومالية ، ومرة من بدء سنة ١٩٣٨ الى بدء سنة ١٩٤١ ، وذلك لأسباب شتى منها قيام الحرب العالمية الثانية .

وجملة ما صدر منها حتى الآن تسع وثلاثون مجلدة ، وهذه هي المجلدة الأربعون التي قرر مجلس الجمع أن يكون جزؤها الأول هذا ذكرى لصدور ذلك العدد الكبير من المجلدات .

وتشتمل المجلة على بحوث ودراسات كثيرة في اللغة العربية وآدابها ومصطلحاتها العلمية ، وعثرات الأقلام ، والأخطاء الشائعة ، وفي تاريخ العرب وتراث الأجداد من المخطوطات ومن الخلفات الأثرية ، الى غير ذلك مما له صلة بلساننا وحضارتنا وثقافتنا في القديم والحديث . ومعظم كتاب المجلة من أعضاء الجمع المشهورين عرباً كانوا أو مستشرقين . ولغير الأعضاء أيضاً بحوث كثيرة مفيدة .

ومن خطط الجمع نشر محاضرات الأعضاء النفيسة في مجلته ، والتعريف بالكتب الثمينة التي تهدي الى مكتبته ، ومبادلة مجلة الجمع بمجلات الجامعات والجامعات العربية والأجنبية .

وقد أصدر الجمع لمجلدات المجلة فهرساً في ثلاثة أجزاء كل جزء منها لعشر سنين من حياة المجلة ، ويصدر الجزء الرابع من الفهرس في انتهاء هذه السنة .

الخاتمة . — الجمع العلمي العربي بدمشق هو أقدم الجامعات الحديثة في البلاد العربية . أعضاؤه العاملون عشرون . وأعضاؤه المرسلون من عرب ومستشرقين لا حد لعددهم . والجمع شخصية معنوية واستقلال مالي وإداري . وهو منذ سنة ١٩١٩ الى اليوم يعالج علوم لغتنا العربية ، ويحرص على سلامة هذه اللغة ، وعلى جعلها قسماً للعلوم والفنون والمخترعات الحديثة . وهو أيضاً يتناول بالبحث تاريخ العرب ومدنياتهم وتراثهم العلمي والأدبي وثقافتهم في القديم والحديث وصلة هذه الثقافة بالثقافات العالمية .

مصطفى الشهابي



لغة العلم

أداة البحث ، وسيلة الشرح ، ولا حياة لعلم بدونها . يلتقي عندها العلماء ، ويعول عليها الطلاب ، وعلى أساسها يقوم التأليف والنشر . تسير بسير العلم ، وتقف بوقوفه . وهي لغة الوضوح والدقة ، والبيان والسرعة . يصطلح عليها العلماء ، فتصبح لغتهم الخاصة . ولكل علم مصطلحاته ، وكلها تقدم البحث فيه نمت وتباينت وتحدت . يبدأ المصطلح هزيراً متردداً ، ثم لا يلبث أن يقوى ويستقر ، وتاريخ العلوم إلى حد ما تاريخ لمصطلحاتها .



ولو رجعنا إلى تاريخ العلم اليوناني لوجدنا أن لغته بدأت تتكون معه منذ القرن السادس قبل الميلاد ، ثم أخذت تنمو وتتضح في القرنين الخامس والرابع . فغذاها فيثاغورس برياضياته ، وأمدّها أبقراط بطبه ، وأقام أرسطو دعائم لغة العلوم الطبيعية . والعلوم الفلسفية والإنسانية لغتها ومصطلحاتها التي ساهم فيها أمثال سقراط وأفلاطون وأرسطو وزينون وأبيقور . وقد انتقل قدر غير قليل من لغة العلم اليونانية إلى الثقافات اللاتينية والسريانية والعربية ، ولا تزال بعض آثارها باقية إلى اليوم في اللغات الأوروبية الحديثة .

ولم تنشأ لغة العلم في الإسلام دفعة واحدة ، بل نمت وتنوعت بنمو العلوم وتقدمها . فبدأت العلوم الدينية منذ القرن الأول للهجرة في تكوين لغتها ، وظهرت مصطلحات في الفقه والتفسير والكلام ، وتلتها أخرى في الأخلاق والسياسة ، والطب والكيمياء ، والفلك والطبيعة . وخضع المصطلح العربي القديم لسنة النشوء والارتقاء ، فنا وتطور على مر الزمن . وعول

واضعوه على النقل والاشتقاق ، ولم يبالوا بأن يكون عربياً أصيلاً أو معرباً دخيلاً ، وربما آثروا المعرب إذا كان أدخل في المعنى وأكمل في الأداء . وكثيراً ما يحمل التعريب شارة الأصل الذي نُقل عنه ، فتلاحظ الألفاظ الفارسية في مستحدثات الإدارة والحضارة ، واليونانية والسريانية في العلوم الفلسفية والطبيعية . وإذا ما لوحظ أن مصطلحاً لا يزدى معناه أداء كاملاً عدل عنه إلى ما هو أدق وأضبط .

وما إن حل القرن الرابع الهجري حتى اكتملت لغة العلوم في الإسلام ، واستقرت مصطلحاتها ، بحيث تنومي معناها الأول ، ولا يكاد يفهم منها إلا مدلولها العلمي الخاص . وتداولها الباحثون في المشرق والمغرب ، ولم تختلف من قطر إلى قطر ، فكانت لغة العلم واحدة في قرطبة والقيروان . والفسطاط ودمشق ، وبغداد وأصفهان . وبدىء بتسجيلها في معجمات خاصة تحت اسم « مفردات » أو « تعريفات » ، ومن أوائلها « مفاتيح العلوم » للخوارزمي الذي ظهر في النصف الثاني من القرن الرابع . ومن المصطلحات العربية ما انتقل إلى الفارسية والتركية ، ومنها ما سرى إلى اللاتينية بل وإلى بعض اللغات الأوربية الحديثة كالإنجليزية والفرنسية .

ويوم أن ركذ البحث العلمي في الإسلام ، ركذت لغته معه فجمدت المصطلحات ، وأضحت ولا تجديد فيها ولا ابتكار ، وكان هم الخلف أن يردد ألفاظاً وصيغاً قال بها السلف ، وأصبحت اللغة العلمية ركيكة ممقدة . ثم جاءت النهضة العلمية العربية الحديثة في القرن الماضي على فترة من البحث والدرس ، وسارلت أن تتدارك بعض ما فات . ولكن رجالها الأول — فيا يظهر — لم يكونوا على علم بماضيهم ولا على صلة وثيقة بعلومهم ومصطلحاتهم القديمة . فلم يفيدوا كثيراً من هذا التراث ، وأخذوا يؤردون الحقائق العلمية أداء لا يتخلو من تعجل أو خطأ .

وكان على أبناء القرن العشرين أن يتداركوا هذا النقص ، ويصلحوا هذا الخطأ . وكان عليهم خاصة أن يتابعوا سير العلم في العصر الحاضر ، ولم تستحث خطاد قط بقدر ما تستحث اليوم . وأضحت المصطلحات العلمية في نور مطرد ، وتجديد لا ينقطع ، ولها في اللغات الأوروبية معجبات خاصة تزداد وتستكمل عاماً بعد عام . ونستطيع أن نقرر أن العلوم العربية الحديثة قد خطت في نصف القرن الأخير خطوات فسيحة ، أحيت بها مجد الماضي ، وتابعت سير الزمن . وأخذت تكون من جديد لغتها الخاصة مستعينة بالدراسات الجامعية من جانب ، وبالجامع اللغوية والعلمية من جانب آخر .



وللعالم أن يختار اللفظ الذي يرتضيه لأداء الحقيقة العلمية ، وحقه في وضع مصطلحاته لا يصح أن ينازع ، وحريته ينبغي أن تكون مكفولة . ولكن هذا الحق ليس على إطلاقه ، وهذه الحرية لا تخلو من قيود . وقد يشكو العلماء من قصور اللغة عن أداء ما يريدون ، فيلجئون إلى الرمز والإشارات ، كما صنعوا في الرياضة والكيمياء . وللغويين شكواهم من تهجم العلماء على اللغة ، فيشتقون على غير قاعدة ، وينحثون في غير ماداع ، ويسرقون في التعريب واستعمال الألفاظ الدخيلة . وما أجدر الطرفين أن يلتقيا عند كلمة سواء .

فعلى العلماء أن يحيدوا أولاً كل ما يمكن إحياؤه من المصطلحات القديمة ، فإن لم يجدوا فعليهم أن يقيسوا ويشتقوا من العربية . ولم يبق محل للتشكك فيما ترخص فيه اللغويون من جواز الاشتقاق من أسماء الأعيان والجواهر ، فيقال مكهرب وممغنط ، كما قال العرب قديماً مذهب ومفضض ولا للتشكك في قياسية المصدر الصناعي فيقال المثالية والكانطية ، كما قيل

قديماً الجبرية والقدرية . ولنا أن نقيس فيما لم يقل بالقياس فيه لأداء دلالات خاصة ، فنستحدث أوزاناً جديدة لاسم الآلة ، أو للدلالة على الحرفة أو الداء . ونجيز النسب إلى جمع التكسير كأحيائي ، وكان يقصر في الماضي على المفرد . وكل تلك أمور أقزها بجمع اللغة العربية منذ ربع قرن أو يزيد . وإن لغة تيسر القياس والاشتقاق على نحو العربية ، لا يعز عليها أن تجد من الألفاظ كل ما تدعو الحاجة إليه .

وفي العامية قدر غير قليل يرجع إلى أصل فصيح ، وفي وسع العالم أن يفيد منه لوضع مصطلحه ، وبذا يرد إلى الفصحى ما أخذ عنها . فإن لم تسد العامية ولا الفصحى حاجته ، فله أن يلجأ إلى التعريب . وقد عرب العرب قديماً فأخذوا عن اليونانية والهندية ، والسريانية والعبرية ، والفارسية والتركية . وعرب المحدثون عن الإسبانية والإيطالية ، والإنجليزية والفرنسية . غير أنه يحذر بنا أن نقف بالتعريب عند أضيق الحدود الممكنة ، فيعرب خاصة ما يدل على أسماء الأعيان وأعلام الجنس كأكسيجين وهيدروجين ، أو ما يدل على تصنيف عام من أجناس وأنواع في النبات والحيوان^(١) ، أو على سلسلة مواد متشابهة في الكيمياء ، أو ما ينسب إلى علم من اسم شخص أو اسم مكان . أما ما رراء ذلك من الألفاظ المأخوذة من اللغة الدارجة فالأولى به أن يترجم . ويحتفظ في التعريب بالأصل ، مع تقريبه من النطق العربي ما أمكن ، ويحسن أن يضبط المصطلح المعرب تيسيراً لنطقه ، إلى أن يدخل صلب اللغة ويصبح جزءاً منها .

(١) لقد أوضح الأمير مصطفى الشهابي « مدى التعريب في ألفاظ تصنيف اللوايد » في بحثه الذي أقره مجمع القاهرة ونشره في مجموعة البحوث والمحاضرات لدورة مؤتمر المجمع السادسة والعشرين ص ١٣١ ثم ص ١٤٣ . ونعبر أيضاً في المجلد ٣٥ من هذه المجلة . (لجنة المجلة)

وقيمة المصطلح في انتشاره والأخذ به ، وبذا يصبح جزءاً من اللغة العلمية . أما أن يختلف من باحث إلى آخر ، ومن قطر إلى قطر ، فإنه يبقى عملة غير متداولة ، ولا يجدي في تعاون العلماء وتقاسمهم ، وكم من مصطلحات ولدت ، ثم لم تلبث أن ماتت . وتوحيد المصطلح العلمي ليس بما يلزم به قانون ، أو تفرضه سلطة قاهرة . وسيله الطبيعي إنسا دو الكتابة والتأليف ، ونشر المصطلحات لكي تذاع وتعرف . وينبغي أن يلتقي العلماء من حين لآخر في مؤتمرات منظمة ، أو في لجان أو مجالس ليتبادلوا الرأي في لغتهم ، ويتداركوا ما فيها من قصور أو خلل .

ولقد كان لليونان لغة علمية مسلّمة ، ومن بعدهم الرومان ، وبقيت اللاتينية لغة العلم وحدها في أوربا طوال القرون الوسطى . وأشرنا من قبل إلى أنه كانت هناك لغة موحدة للعلم في العالم العربي شرقاً وغرباً . ويوم أن اضطربت الألسن في أوربا ، وأحس لينتر في القرن السابع عشر بانكماش اللاتينية ، شاء أن يحل محلها لغة علمية عالمية ، وأساسها حصر الأفكار الإنسانية ووضع رمز لكل واحدة منها . وإذا كان لم ينجح في محاولته ، فإنه وجه النظر إلى اللغة العالمية التي لا تزال محتاج كثيرين . وفي وسع العربية على كل حال أن تكون اليوم ، كما كانت بالأمس ، لغة علمية مشتركة بين أبناء العرب على السواء ، مهما تباعدت أوطانهم وتنوعت لهجاتهم .



ولغة العلم وثيقة الصلة بلغة الأدب ، فتعارفان وتتفاعلان ، ولا تكاد توجد نهضة أدبية إلا وتصاحبها نهضة علمية ، وكم من علماء وفلاسفة هم في الوقت نفسه أدباء . ويوم أن ازدهر العلم اليوناني ، ازدهر معه الأدب ، ووجدنا

في أثينا إبان القرنين الرابع والخامس قبل الميلاد حركة علمية وأدبية زاهرة ، وأفلاطون بين اليونان رمز للأدب الرفيع وصاحب الأكاديمية . وفي القرن التاسع والعشر الميلادي ، اقترنت في بغداد النهضة الأدبية بالنهضة العلمية ، ورأينا أئمة في العلم والأدب معاً ، مثال النظام والجاحظ . وفي القرنين السادس عشر والسابع عشر ، وصل الأدب الفرنسي الى قمته ، واتسعت آفاق البحث والدراسة العلمية ، وبسكال مثلاً رياضي وأديب في آن واحد . وأدب اليوم ذو طابع علمي واضح ، ويحرص العلم بدوره على أن يعرض في ثوب أدبي قشيب ، ويكفي أن نشير الى برجسون شيخ الفلسفة الفرنسية المعاصرة الذي يعد بين كبار الأدباء .

وفي العالم العربي نهضة أدبية وعلمية لاشك فيها ، وقد بدأت تؤتي أكلها . وسيؤدي العلم فيها رسالته ، ويساهم في كشف المجهول إلى جانب الجهود التي تبذل شرقاً وغرباً . وعلينا أن نوفر له كل وسائله ، وفي مقدمتها لغة دقيقة واضحة حية متحركة .

الدكتور ابراهيم مذكور



لم ينصفوا صاحب الأغاني

أهدى اليّ من سنين السيد « بلاشير » الأستاذ في كلية « باريز » كتابه : تاريخ الأدب العربي ، وفيه أتمكن من تصفح هذا التاريخ الاّ في الصيف الماضي . ليس غرضي في هذا المقام الكلام على كتاب الأستاذ « بلاشير » وانما كنت أطرح فيه بصري من هنا ومن هنا فوقعت عرضاً على فصل يتعلق بكتاب الأغاني لصاحبه أبي الفرج الأصبهاني . لا يتسع المجال لتلخيص هذا الفصل بمخذاً فريد ، وحسبنا أن نعرف ان « بلاشير » يرى أن كتاب الأغاني قد غطّي على كل ما تقدّمه من تراجم الشعراء ، فهو في نظره من الطراز الأول . تسكّتم المؤلف على شخصية صاحب الأغاني المزدوجة فقال في جملة ما قال : انه ينتخب موادّه انتخاباً حتى لا يدخل التعب على القارئ ، انه ينتخل هذه المواد فيصطفي منها ما يشير التطلع في ذهن القارئ ، فقد يحذف من بعض منتخباته الشعرية فلا يذكر قصيدة بأجمعها ، وما هذا إلاّ لرغبته في الإيجاز من جهة وفي تقديم الأفضل من جهة ثانية ، فلم يكن أبو الفرج صاحب ذوق ليس غير ، وانما كان عمله عمل الرجل العالم لا عمل الرجل المسلي .

كل هذا لا يخالف فيه الأستاذ « بلاشير » ، على أننا نشكر له كلّ الشكر فضله في التنويه بكتاب الأغاني الذي ننزله منا بمنزلة كتبنا الأدبية الفريدة ، فقد يكون أضخم ميراث في أدبنا ، وانما الذي أدهشنا في قول « بلاشير » في خلال كلامه على كتاب الأغاني أن أبا الفرج الأصبهاني لا أسلوب له في

هذا الكتاب لأنه جمعه جمعاً ، أذهمتنا قوله : لقد تكلّموا أحياناً على أسلوب أبي الفرج ، وهذا من باب الهزل ... فالأستاذ « بلاشير » يعتقد أن الذين يرون لأبي الفرج الأصبهاني أسلوباً في كتاب الأغاني إنسا هم يهزلون ولا يحدّثون ، لأن كل ما عمله أبو الفرج في كتابه الضخم إنما هو في رأيه جمع روايات مختلفة ، ثم المطابقة بينها وقد تكون له أشباه لمحات في أضعاف ما يوجزه من الكلام ، نتيجة هذا كله أن الأصبهاني ليس له أسلوب في كتابه العظيم ، هذا هو الموضوع الذي بعيننا أمره .

إن لفظة الأسلوب في الأدب الفرنسي مشتقة من لفظة لاطينية معناها ريشة من معدن كان المتقدمون يستخدمونها في النقش على ألواح من خشب مشتملة ، أمّا الأسلوب في مصطلح الأدب في عصرنا هذا فإنه يطلق على مذهب الرجل في الإفصاح عن أفكاره وعواطفه بالكلام ، ولا حاجة بنا إلى التبسط في وصف الأسلوب والخوض في محاسنه وعيوبه .

أصحح أن أبا الفرج الأصبهاني ليس له مذهب خاص في كتابه الأغاني يعتبر به عما يزدحم في صدره من الأفكار ويختلج في قلبه من العواطف ؟ لقد ظلموا أبا الفرج الأصبهاني في القديم فقال فيه النوبختي إنه أكذب الناس لأنه كان يدخل سوق الوراقين وهي عامرة ، والدكاكين مملوءة بالكتب فيشتري شيئاً كثيراً من الصحف ويحملها إلى بيته ثم تكون رواياته كلها منه . وما كانوا أهون ظلماً له في الحديث لما قالوا إن من باب الهزل أن يكون له أسلوب في كتاب الأغاني .

لقد غرّنا ما قاله أبو الفرج في صدر مقدمته : هذا كتاب ألفه علي بن الحسين بن محمد القرشي الكاتب المعروف بالأصبهاني وجمع فيه ما حفره وأمكنه جمعه من الأغاني العربية ، قديماً وحديثاً ... غرّنا هذا الجمع فقال بنا إلى الاعتقاد أن كتاب الأغاني كتبه جمع ، فليس لصاحبه فيه إلا جمع

الروايات المختلفة والمطابقة بينها ، أو ليس له فيه إلا بعض لمحات في أثناء كلامه الوجيز ، فصاحبه لا أسلوب له .

أما الذين ظلموه في القديم فنسبوه الى الكذب بعد أن سلخ خمسين سنة في تأليف كتابه الفريد فأرجو أن أكون قد أرشدني الله تعالى إلى تخطئة رأيهم بتوضيح صدقه وشدة توقيه في كتابي « دراسة الأغاني » ، فلا أرى بي حاجة إلى إعادة ما قلته في هذا الباب .

وأما الذين يرون ان كتاب الأغاني انما هو جمع وأن صاحبه لا أسلوب له فيه فلاني أحاول أن أبين في هذا المقام أن الذين يرون لأبي الفرج أسلوباً في كتابه انما هم يبدئون ولا يهزلون .

يلزمنا قبل كل شيء أن نعرف كيف ألفت أبو الفرج الأصبهاني كتابه الأغاني . إننا نرى في تضاعيف كتابه بطوائف كثيرة من العبارات تدلنا على هذا التأليف ، فقد يقول : أخبرني فلان وروى فلان وحدثني فلان ، وقد يقول : نسخت من بعض الكتب أو جمعت منها ...

فإذا قال : نسخت من كتاب كذا أو جمعت من كتاب كذا فلا يبقى لنا مجال في الشك في طريقة التأليف ، ولا يبقى لنا مجال في المجادلة في هذا الباب .

وإنما مجالنا يتسع إذا قال : أخبرني فلان أو روى فلان أو حدثني فلان ، فإنا كثيراً مانجد بعد هذه الأخبار والروايات والأحاديث المباركات الآتية : كذا أكبر حفظي ، ان فلاناً حدثني به فلاني كتبت عن حفظي ... أو قوله : هذا حفظه عن فلان وأنا حديث السن ، فكنته من حفظي ، واللفظ يزيد ويتقص ، وهذا ممناه ... أو قوله : وقد سمعت خبره من جهات عدة ، إلا أنه لم يحضرني وقت كتبت هذا الخبر غيره ، وهو وإن لم يكن من أقوالها على مذهب أهل الحديث

اسناداً فهو من أتمها ... أو قوله : فإن الحكاية تريد أن تنقص ...
أو قوله : وقد جمعت أخبارهم على اختلاف ألفاظهم ... أو فجمعت
معاني ما ذكرود في ذلك كراهة الإطالة ... أو : فجمعت من رواياتهم
ما احتيج إلى ذكره ، مختصر اللفظ ، كامل المعنى ...

هذه نماذج مختلفة من طريقة أخباره ورواياته وأحاديثه ، على أي
شيء قدلتنا هذه النماذج ، أفلا قدلتنا دلالة قاطعة على أن صاحبها قد
تصرف في مواطن من أخباره ورواياته وأحاديثه بعض التصرف في الألفاظ
وانصرف إلى المعاني وحدها ؟ فإذا كان قد اهتم في معظم ما سمعه بالمعاني
وحدها وقل اهتمامه بالألفاظ أفلا نستطيع أن نستخرج من ذلك أنه
عبر عن هذه المعاني بالألفاظ ، أي أنه لجأ في الإفصاح عنها إلى طريقته
الخاصة ، إلى أسلوبه ، فكيف يجوز لنا بعد ذلك أن نجرده من الأسلوب
في كتاب الأغاني ؟ كيف يجوز لنا أن نقطع أنه جمع كل كتابه جمعاً
أو نسخه نسخاً دون أن يكون له باع طويل أو قصير في التعبير عما
اتصل بسمعه من الأخبار والروايات والأحاديث ؟

كثيراً ما نسمع في حياتنا خبراً من الأخبار أو حديثاً من الأحاديث
أو رواية من الروايات ، ثم نحاول أن ننقل إلى مجالسنا ما اتصل بنا سمعه
منها ، أفلا نلاحظ أننا في نقل ما سمعناه قد تزيد في الألفاظ أو قد ننقص
منها ، أفلا نلاحظ أننا نروي المسموعات بمذهب خاص يختلف كل الاختلاف
عن المذهب الذي رويت لنا به ، أفلا نلاحظ أن كل واحد منا يروي
ما سمعه بأسلوبه الخاص ، مهتماً بالمعاني وحدها ، بروحها ، دون الانصراف
إلى ألفاظها ، لأن هذه الألفاظ قد ينسأما الذهن في بعض الأوقات ،
فيستعين على المعاني بالألفاظ من أشكالها وأنواعها ، وهذا ما أشار إليه
أبو الفرج في بعض أماكن من كلامه لما قال : فكتبته من حفظي ، واللفظ

يزيد أو ينقص ، وهذا معناه ، فأبو الفرج الأصبهاني في قوله هذا مثله كمثل بعض الناس الذين يعيدون ما سمعوه من الأخبار والروايات والأحاديث بألفاظها ذاتها ، فلا مندوحة لهم عن التعريف في هذه الألفاظ إما ببعض الزيادة وإما ببعض النقصان ، فالأخبار والروايات والأحاديث في كتاب الأغاني معظمها شفهي وقد اعترف « بلاشير » نفسه بهذا الأمر ، ولا شك في أن الروايات الشفهية إذا انتقلت من شخص إلى شخص فلا بد فيها من بعض الزيادة أو النقصان ، لا بد فيها في هذا الانتقال من أسلوب خاص ، ان صاحب كتاب الأغاني لم يجمع كتابه كله جمعاً ولا نسخه كله نسخاً ، وإنما كان يخلو إلى نفسه بعد أن تتصل بسمعه الأخبار والروايات والأحاديث فيشئ ما سمعه من هذا القبيل بأسلوب خاص ، لو كان كتاب الأغاني كله جمعاً أو كله نسخاً لما احتاج صاحبه على ما نظن إلى سلع خمسين سنة في تأليفه . اني أعتقد بعد هذا كله أن الذين جردوا أبا الفرج من الأسلوب لم يتعمقوا كل التعمق في كتاب الأغاني ، وإنما اكتفوا بظاهر الكلام دون باطنه ، اكتفوا بقول صاحبه : أخبرني فلان أو روى لي فلان أو حدثني فلان دون التفكير في الكشف عما وراء هذا الخبر أو هذه الرواية أو هذا الحديث من صيغة خاصة بأبي الفرج الأصبهاني ، من أسلوب يمتزج بلحمه ودمه وروحه . وما أظن بي حاجة إلى التوسع في هذا الباب ، ما أظن بي حاجة إلى زيادة الإيمان بأسلوب أبي الفرج الأصبهاني في كتاب الأغاني . وأرجو أن لا يكون في هذا الإيمان شيء من الهزل ، أرجو أن يكون فيه جد كل الجد .

بقي عليّ بعد كل ما تقدم أن أدلّ على خصائص يسيرة من هذا الأسلوب . لو لم يكن لأبي الفرج الأصبهاني في كتاب الأغاني إلا المقدمة لكان لنا في هذه المقدمة وحدها دليل واضح على أسلوبه ، فإن فيها

خصائص كثيرة من تنسيق الألفاظ ومن التعبير عن الأفكار من وراء هذا التنسيق ؛ ولكنني لن ألبأ الى المقدمة في المجيء بالبرهان على أسلوب أبي الفرج فان لي في كتاب الأغاني الضخم مجالاً ذا سعة في الدلالة على هذا الأسلوب ، من هذا النحر مثلاً دفاعه البليغ عن ابن المعتز ، ولولا اني ونسحت في كتابي « دراسة الأغاني » خصائص صاحبه في فنه ولغته لأفضت في هذا المقام في السير من هذه الخصائص ، على أني إذا أعفيت نفسي في مقالي الوجيز من تكرار ما قلته في الكتاب المذكور فلا أعفيا من إعادة ما اختتمت به هذا الكتاب ، فقد قلت :

إذا خلد كاتب لفظته الى روح الألفاظ وأمرارها ، ولصبت هذه الألفاظ في قوالها ، ولحفت لفته على القلوب والأفهام ، ولإرسال قلمه على سجيته وطبعه دون شيء من التصنع ، واصفاً ما يذكره من الأشخاص والأشياء بحقائق الصفات ، وازناً كل صفة من هذه الصفات بموازينها دون شطط ولا سرف ، اذا خلد كاتب لهذه الخصائص كلها فأبر الفرج الأصهباني على رأس الخالدين .

شفيق جبري



اختلاف المبرد مع سيبويه

لم يستهل القرن الثالث حق كان كتاب سيبويه موضوع درس وبحث ،
وعمل نقد وتمحيص ، بما تلاحق عليه طيلة القرن الثاني من عناية علماء
العربية : البصريين والكوفيين ، على السواء . ففي حين اتخذ البصريون
اماماً لهم وحجة ، يتعصبون له ، وينصرونه ، ويستدلون لقواعده ، ويقصرون
عليه ، فعل الأخفش الأوسط والجرمي والمازني ،^(١) كان الكوفيون محتفلين
بالكتاب ، يدرسونه ، ويستكشفون مذاهبه ، ويقلبون مناحي أدلته ،
ليتبيئوا - في تعصبهم عليه - ما اختلف فيه طريقه عن طريقهم : صوغاً
للقواعد ، وتحريراً للأدلة ، حتى يهدوا بذلك مسلك الاختصار لمذهبهم بالرد
على سيبويه ، ومعارضة ، فعل الكسائي والفراء وثعلب^(٢) . فتكونت
لكتاب سيبويه ، من صنيع هؤلاء وهؤلاء ، حالة من التعاليق والشرح
والبحوث والردود ، كانت ثروة للدارسين ، ومادة للمصنفين .

وعلى تكامل هذه الثروة ، وتوافر تلك المادة ، نشأ أبو العباس المبرد ،
أوائل القرن الثالث بالبصرة ، ثم دخل الى بغداد . فكانت نشأته بالبصرة
على كتاب سيبويه ، وصلته بالبصريين أنصار سيبويه ورواة كتابه : من
الزيادي والرياشي^(٣) واضرابها ، ثم رحلته الى بغداد ، وصلته بالبصريين ،
من رواة كتاب سيبويه أيضاً ودارسيه ، مثل الجرمي والمازني ، وبالكوفيين

(١) كتاب أخبار النحويين للبرقي ص ٥٠ و ٧٢ و ١٠١ ط كرنكر .

(٢) ص ٥١ سيرا في ونية الوعاة (ترجمة الفراء بنجي) والتعريف بكتاب سيبويه
في نسخة الرياشي ص XXIV ٢٤ الطبعة الباربية .

(٣) ص ١٩ وما بعدها سيرا في .

المتبعين لأخطائه المتعصبين عليه ، مثل ثعلب^(١) ، قد مكنت له أسباب الإحاطة بما كان حول « الكتاب » من تعاليق مفصلة ، من كلام المادحين والقادحين .

فكان المبرد ، من جهة ، عظيم الإكبار لسيبويه وكتابه ، ثم القيام عليه ، حريصاً على روايته وضبطه ، وكان ، من جهة أخرى ، مدركاً مأخذ فيه ومقارن ، بدا بعضها من ردود كوفية لم يجد لها مدافع ، مثل ردود الفراء ، وبعضها من نقود بصرية وجد من نفسه اقتناعاً باتجاهها ، مثل نكت كانت للزيادي^(٢) ، ومخالفات المازني ، أو للجرمي ، أو للأخفش نفسه ، وهو راوي الكتاب ومبلغه للأجيال^(٣) ، رقيه يقول الكسائي مستخفاً بالبصريين : إن الأخفش نبهم على عوار الكتاب وتركهم^(٤) . من هذا يتبين أن ما كان مجتمعاً في نفس المبرد : من إكبار لكتاب سيبويه ، واقتناع بنقود ومخالفات معلقة عليه ، من شأنه أن يجعله شديد الاحتفال بتلك النقود ، عظيم الحرص على تتبعها ، وعلى استنباط نقود مثلاً ؛ ليقينه بأن ادراك غور سيبويه ، والتمكن من الانتقاد عليه أمر لا يتاح إلا لعظيم . بهذا برز أبو العباس المبرد بين علماء العربية في بغداد ، فكان بصرياً متعصباً للبصريين ، معدوداً عليهم ، خصماً للكوفيين ، مبغوضاً منهم ، يتمثل النزاع المستحكم بين البصريين والكوفيين في ما بينه وبين أبي العباس ثعلب من تنافس وشنآن^(٥) .

(١) ١٠٢ سيراقي .

(٢) ٨٨ سيراقي .

(٣) يوجد كثير من هذه المخالفات في كتاب الإصناف لابن الأنباري وفي الطرر التي على النسخ القديمة من كتاب سيبويه ، مثل النسخة الزيتونية التي يأتي الكلام عليها .

(٤) مراتب النحويين لأبي الطيب ط أبو الفضل .

(٥) ١٠٢ سيراقي .

على أنه كان ينتهج نهج الزيادي والرياني والجرمي والمازني ، في الانفراد عن جمهور البصريين بمقالات في مسائل ، ثم تكن لتخرجه عن بصريته ، ولا لترفع ما بينه وبين الكوفيين من إحن ، كما لم يخرج أبو يوسف ولا ابن القاسم ولا المزني عن كونه حنفياً أو مالكياً أو شافعيّاً لمقالات خالف فيها جمهور أهل مذهبه .

فالمنهج النحوي الذي تكون في بغداد ، في القرن الثالث ، هو منهج لم يترج فيه المذهبان : الكوفي والبصري ، ولا تكون منه مذهب جديد مستقل ، بل لم يكن إلا اتصالاً وتلاقياً بين الراجحتين : الكوفية والبصرية ، عرف به أهل كل من المذاهب مقالات المذهب الآخر بصورة أتم وأوضح ، واقترن ذلك بانفراد رجال من الكوفيين أو من البصريين بمقالات خالفوا بها أئمة مصرهم ، ووافقت أقوالاً لأئمة مصر الآخر ، بدون أن يخرج واحداً منهم عن عصبية مصره ، وتلحقه بالعصبية الأخرى ، وإنا لنجد برهان ذلك جلياً في مسائل الخلاف التي أوردها أبو البركات الأنباري في كتابه « الإنصاف » حيث يذكر مذهب الكوفيين ويقول : ووافقهم المازني أو المبرد من البصريين ، ويذكر البصريين ويقول : ووافقهم القراء أو ثعلب من الكوفيين .

كذلك كان وضع علم النحو في بغداد في القرن الثالث : مذهبان يتناظران ويتجادلان وينفرد عن كل من المذهبين أحد أتباعه في مسائل بدون أن يخرج عن أصول مذهبه . وكذلك نرى أن أثر هذا في القرن الرابع ، الموالي ، يؤيد ما يذهب إليه صديقنا العزيز الدكتور مازن المبارك (١) من أن علماء بغداد بسطوا المذهبين ، واختاروا منها ، وأنه إذا كان لبعض هؤلاء العلماء أقوال تفردوا بها من دون المذهبين ، فإن ذلك لا يعني قيام مذهب

(١) ص ٣٤ كتاب الرماني النحوي ط الجامعة دمشق .

جديد ، ولا يعني نشوء مدرسة بغدادية . وإذا كنا نذهب مع الدكتور الصديقي مذهبه في عدم اندماج المدرستين البصرية والكوفية ، حتى في القرن الرابع ، قرن ابن كيسان ومن بعده من قال فيهم السيرافي انهم يخلطون المذهبين ، فإن القول الثالث ، الذي هو موضوعنا ، أجدر بذلك المعنى من القرن الذي والاد ، ما دامت العصبيتان : البصرية والكوفية ، جليتين في مثل المبرد وثعلب ، وان خالف كل منها مقالات للبصريين أو للكوفيين . وعلى ذلك نتصور أن أبا العباس المبرد قد كان ، في نظر طلاب العربية وعلمائها في بغداد ، بصرياً ، له على مذهب أسلافه ، وعلى كتاب إمامهم : سيبويه انتقادات وما أخذ لا تخرجه عن كونه بصرياً ، ولا تبعد به عن أن يكون كتاب سيبويه عنده هو « الكتاب » كما هو عند البصريين جميعهم ، أو هو « البحر » كما كان يقوّن أبو العباس لمن يريد أن يقرأ عليه كتاب سيبويه^(١) . كان أبو العباس يتيه بكتاب سيبويه ، وبضبطه له ، وقيامه عليه . قرأه على الجرمي والمازني^(٢) وقرأه المازني على الأخفش وهو الذي رواه عن سيبويه^(٣) .

وكان المبرد قد كتب الكتاب بخط يده وضبطه^(٤) فكان يعتز بذلك الأصل الذي كتبه ولا يمكن منه أحداً ، ويضن به ضنة شديدة . وان جميع النسخ المعتمدة ، المنسوبة ، التي تعرف اليوم من كتاب سيبويه ، راجعة الى نسخة المبرد (في الزيتونة وباريس والاسكوريال والروسيا) . ومن شديد اعتناؤه بكتاب سيبويه : أنه خدمه بكتب كثيرة ، ذكرها ياقوت في المعجم ، منها : المدخل لكتاب سيبويه ، ومنها شرح شواهد ،

(١) سيرافي ص ٥٠ .

(٢) ١٠١ سيرافي وارشاد الأريب لياقوت (ترجمة محمد بن يزيد المبرد) .

(٣) ٥٠ سيرافي .

(٤) ياقوت ومقدمة الطبعة الباريسية XXVI.VI . م (٣)

ومنها كتاب الزيادة المنتزعة من كتاب سيبويه ، ومنها معنى كتاب سيبويه ، مما يوجب أن يكون معدوداً في شراح الكتاب في القرن الثالث ، ويقتضي ادماجه في الجريدة التي رتبها الدكتور مازن المبارك^(١) بعد المازني وقبل الأخفش الأصغر .

وإلى ذلك كله كان المبرد مشهوراً باختلاف عن سيبويه : في مسائل كثيرة ، قرئت لها الطنابيب منذ القرن الثالث . فالسيرا في ، في شرحه على كتاب سيبويه ، ذكر مسائل عديدة ، خالف فيها المبرد سيبويه وخطأه تخطئة : منها قوله أن علامات الاضمار كلها مبهمة ، خلافاً لسيبويه إذ قسم الأسماء المضمرة إلى مبهمة وغير مبهمة (ص ٢٥٦ ج ١ هامش الكتاب ط بولاق) ومنها تخطئته سيبويه في اعراب « خزا » حالا من « هذه جبتك خزا » وقوله إنما هو تمييز (٢٧٤ ، ١) ومنها اختياره النصب في مثل « يا زيد والرجل » خلافاً لاختيار سيبويه - تبعاً للخليل - الرفع (٣٠٥ ج ١) ومنها جملة « سراويل » جمعاً خلافاً لسيبويه في اعتباره مفرداً (١٦ ، ٢) ومنها ادعاؤه أن سدوس اسم امرأة و « تغليطه » سيبويه في جملة اسم رجل (٢٦ ، ٢) ومنها « تخطئة » سيبويه في عدل قرقار وعرعار واعتبارهما حكاية صوت (٤٠ ، ٢) ومنها اعتباره التنوين في « جوار » اسم رجل تنوين عوض لا كما اعتبره سيبويه - تبعاً للخليل - تنوين توكيد (٥٧ ، ٢) ومنها قوله أن تصغير ابراهيم واسماعيل : ابريه واسميع ورده على سيبويه في القول بتصغيرهما على يريم وسميعيل (١٢٠ ، ٢) .

وأبو البركات ابن الأنباري في كتاب « الانصاف » أورد مسائل كثيرة خالف فيها المبرد اجماع البصريين أو قول جمهورهم ، موافقاً للكوفيين^(٢)

(١) الرماني ١٣٤ .

(٢) كتاب الانصاف لابن الأنباري ط ليدن المسألة ٦٤ .

أو متوسطاً بين الطائفتين^(١) أو منفرداً بقول دون الطائفتين معاً^(٢) .
وأبو الفتح ابن جني ، في الخصائص^(٣) أشار إلى ما كان أبو العباس
يتبع به كلام سيبويه ، وسماه « مسائل الغلط » وحدث عن أبي علي
الفارسي عن أبي بكر ابن السراج أن المبرد رجع فيه وكان يعتذر عنه .
والمبرد نفسه ، في كتاب الكامل - على قلة ماهتم بمسائل النحو -
أورد كلام سيبويه في معرض الرد والتغليط غير مرة : فمن ذلك قوله
في تفسير آيات وردت أثناء أخبار الخوارج : « سيبويه يزعم أن لولا
تخفيض المضمر ويرتفع بعدها الظاهر بالابتداء فيقال له الضمير في
موضع ظاهره فكيف يكون مختلفاً قال أبو العباس والذي أقوله
ان هذا خطأ »^(٤) .

وفي قول زمير :

وإن أتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم
قال : « فسيبويه يذهب إلى أنه على التقديم والتأخير وهو عندي على
إرادة القاء »^(٥) كما شاع ، في كتب النحو المتداولة ، ذكر خلاف المبرد
لسيبويه بموافقة الكوفيين أحياناً : كما في مسألة تقديم خبر ليس^(٦)
أو خلافاً للجميع : كما في مسألة بدل الغلط^(٧) .

(١) المسألة ٣٧ .

(٢) المسألة ٢٤ .

(٣) ص ٢١٣ ج ١ ط الهلال .

(٤) الكامل ج ١ ص ٢٠٨ ط الخيرية بمصر .

(٥) ص ١٧٨ ج ١ .

(٦) الأشمواي ج ١ ص ٣٣٩ هامش السبان ط الوحيية .

(٧) الأشموني ص ٢٠٩ ج ٣ .

فإذا بان أن المبرد كثير الخلاف لسيبويه ، شديد الاحتفال بإيراد مخالفاته له في القواعد وفي التخاريج ، وأن شراح الكتاب ، ومصنفي الخلاف ، وعلماء النحو ، أوردوا من ذلك كثيراً ، فهل لهذا الخلاف مادة يغترف منها ، ونصاب يرجع إليه ؟ إن ياقوتاً ، في معجم الأدباء ، عند ترجمة المبرد ، هو الذي يفيدنا أن مادة خاصة بهذا الاختلاف هي المصدر الأصلي لما ينقل المؤلفون منه . وفي كتاب من وضع المبرد سماه « كتاب الرد على سيبويه » وإن كان السيرافي لم يذكر هذا الكتاب في ترجمة المبرد ، مع أنه نقل في شرحه لكتاب سيبويه كثيراً من تلك الاختلافات . واطرد ذكر هذا الكتاب ، بعد ياقوت عند الذين ذكروا كتب المبرد ويتصل خبر هذا الكتاب بأخبار صلة المبرد بابن ولاد .

وذلك أن بيت علم ، في مصر ، كانت سلسلة مجده منتظم أربعة رجال هم :

ترجم ثلاثتهم في معجم ياقوت وفي بقية الوعاة	{	ولاد أو الوليد بن محمد التميمي المتوفى سنة ٢٣٠
		ابنه أبو الحسين محمد المتوفى سنة ٢٩٨
		ابن الابن أبو العباس أحمد المتوفى سنة ٣٠٢

ابن الابن أيضاً أبو القاسم ابن أبي الحسين لم نقف على ترجمته ، وورد ذكره في سند رواية كتاب سيبويه عن والده عن المبرد من طريق محمد بن يحيى الرباحي الأندلسي .

فكان ثاني الثلاثة : أبو الحسين محمد ابن ولاد ، رحل من مصر الى العراق وأخذ عن المبرد^(١) . وكان المبرد لا يمكن أحداً من نسخ كتاب سيبويه من عنده فكلّم ابن ولاد المبرد في نسخه على شيء سماه له ، فأجابته ، فأكمل نسخه ، وأبى أن يعطيه شيئاً حتى يقرأه ، فغضب المبرد ، رضى به الى بعض خدم السلطان ليعاقبه على ذلك ، فالتجأ ابن ولاد

(١) ياقوت ج ١٩ ص ١٠٦ ط دار الآمون . مقدمة الطبعة الباربية XXVI (٢٦) .

الى صاحب الخراج ببغداد ، وكان يؤدب ولده ، فأجابه ، ثم ألح على المبرد حتى أقرأه الكتاب . « (١)

وبرواية محمد بن ولاد عن المبرد فقل كتاب سيبويه ، من بعد ، في مصر : من طريقني نقله : (١) طريق ابن النحاس عن أبي اسحاق الزجاج عن المبرد ، (٢) طريق أبي القاسم ابن ولاد عن أبيه أبي الحسين عن المبرد ، وجمع الطريقين بالرواية عنهما محمد بن يحيى الرباحي (٢) الذي ترجع اليه روايات الكتاب بالأندلس ، حسب النسخ الأندلسية الأصلية من كتاب سيبويه التي بالزيتونة ، وهي عن نسخة ابن خروف عن أصل الرباحي ، والتي بالاسكوريال ، وهي نسخة حسن بن أحمد بن علي بن يبقى عن نسخة أبي نصر هارون بن موسى المقرئ على الرباحي (٣) . فيكون الثاني من الأربعة ، محمد بن ولاد ، هو الذي قرأ الكتاب على المبرد وقابله بأصله ، ويكون الرابع ، أبو القاسم ، هو الذي قرأه عليه الكتاب بمصر على نحو ما قرأه هو على أبيه .

ويبقى لنا مع الثالث ، وهو أبو العباس شأن في ما يرجع الى رد المبرد على سيبويه : فقد ذكر الذين ترجموا لأبي العباس أحمد بن ولاد أنه تلميذ أبي اسحق الزجاج ، سافر للطلب عليه في بغداد ونوهموا ببراعته في النحو - على عكس ما غصوا من منزلة أبيه - ولم يذكروا له قراءة ولا رواية (٤) ، فيظهر انه كان بالنظر والدراية أشد اعتناء ، بخلاف أخيه أبي القاسم ، وذكروا له من تأليفه « كتاب الانتصار لسيبويه في ما ذكره المبرد » أو « انتصار سيبويه على المبرد » .

(١) ياثوت ومقدمة الطبعة الباريسية وبينهما اختلاف في تفصيل القيمة .

(٢) انظر ترجمته في بنية الرواة .

(٣) مقدمة الطبعة الباريسية .

(٤) ياثوت وبنية الرواة .

ولم تقف على عين ولا أثر للكتابين : كتاب المبرد في الرد على سيبويه ، وكتاب ابن ولاد في الانتصار لسيبويه ، الا في ما ظفرنا من كنز خفي في النسخة الزيتونية من كتاب سيبويه . وهي أصل عظيم من أصول نسخ الكتاب ، فانت الأستاذ المستشرق درنبرغ الذي نشر كتاب سيبويه ، لذلك نرى أن نقدمها في جملتها قبل أن نذكر محل الحاجة منها لموضوعنا . هي نسخة أندلسية بديعة الخط ، أصيلة التحقيق والضبط ، مكتوبة بخط عالم من أعيان علماء العربية ، هو ابن الحاج الأزدي الاشبيلي ثم التونسي ، وهو : أحمد بن محمد بن أحمد ابن الحاج ، من أصحاب أبي علي الشلوبين والدباج ، انتقل الى تونس ومات بها سنة ٦٤٧ أو سنة ٦٥١ ترجمه السيموطي في بغية الرعاة ، نقلا عن البلغة للفيروزآبادي ، وترجمه ابن رشيد في رحلته ملء العيبة ^(١) وكان صاحب تصانيف في النحو منها املاء على كتاب سيبويه .

وهذه النسخة كتبت سنة ٦٢٣ وتمت مقابلاتها سنة ٦٢٤ وتمتاز بأمر - زيادة على صحتها وضبطها وبديع خطها واتقان مقابلاتها - : فهي مكتوبة ومقابلة على نسخة أبي الحسن ابن خروف الاشبيلي شارح كتاب سيبويه المتوفى سنة ٦٠٦ ^(٢) التي كانت لشيخه أبي بكر محمد بن أحمد بن طاهر الحيدب ^(٣) ثم آلت الى أبي علي الشلوبين ومن عنده نقل عنها صاحبنا ابن الحاج ، وقابل بها .

وقد اهتم ابن الحاج بتلخيص شرح شواهد الكتاب للاعلام ^(٤) وكتب

(١) مخطوط الأسكوريال .

(٢) البنية .

(٣) البنية .

(٤) طبع بديل الكتاب يولاى .

ذلك في مقابلة كل شاهد : على الموامش وبين السطور وقال في آخرها :
 « قال ناسخ هذا الكتاب لنفسه أحمد بن الحاج كتبت في حواشي كتابي
 هذا تأليف أبي الحاج يوسف بن سليمان الشنمري المشهور بالاعلم على الأبيات ،
 وهو الذي سماه تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات
 العرب ، وتحريت في ذلك حذف ما لا يخل حذفه من تفسير لا يضطر إليه
 ولا يقف تفهم البيت عليه أو كلام في وجه الاستشهاد بالبيت هو باد من
 كلام سيديوه غير محتاج الى بسط ولا زيادة بيان ، وما عدا ذلك نقلته
 على حسب ما وجدته في النسخة التي نقلت من أصل المؤلف وقوبلت بحضرة
 وهي التي أقامها هو لآبي بكر بن زيدون رحمها الله ، فربما نقلت كلامه
 نقلاً فأثبت لفظه وربما حذف التطويل وآثرت الإيجاز فنقلته بلفظي على
 حسب فهمي ؛ وكل ذلك بحسب ضيق هذه الحواشي في بعض المواضع
 وبحسب السأمة والنشاط ، فإن وقع الناظر فيها على سهو وغلط فلا ينسبته
 لآبي الحاج رحمة الله عليه حتى يتبين أن ذلك لفظه ويحقق أنه قاله أو
 ما في معناه ، وعلى الجملة فأنما عملته لنفسي وبقصد أن يحضرنى مع كتابي
 هذا والله المسدد سبحانه لا رب غيره .

وقد أُلصقت فوق ظهر الورقة الأولى من هذه النسخة ورقة حديثة :
 كتب بها وقف الكتاب على خزافة جامع الزيتونة الأعظم من المشير أحمد باشا
 الحسيني سنة ١٢٥٦ ، وكان والذي - حفظه الله وأبقاه - قد اهتم بقراءة
 ما يبدو تحت الورقة الملتصقة ، فتبين أنها تبثديء بأربعة أسطر فيها حديث
 أخذ ابن ولاد الكتاب عن المبرد ، على ما مر عن ياقوت وكا هو مثبت
 في نسخة الاسكوريال .

وأعجب من ذلك كله أن سياق كلام سيديوه ، في العشرين ورقة الأولى
 من الكتاب ، التي تقابل الثانية والثمانين صفحة الأولى من الكتاب في طبعة

باريس ، تتخلله تعاليق بالرد والاستظهار وقاويل التخريج معزوة الى شراح الكتاب : الأخفش والمازني والجرمي والمبرد والزجاج ، يعقب بحكاية قول القائل على كلام سيبويه ثم يكتب « رجع » ويعاود كلام سيبويه . وقد انقطع هذا من الورقة العشرين فأصبح الكلام بعدها خالصاً لكتاب سيبويه مطابقاً لعموم نسخ الكتاب بدون زيادة ، كما هو في الطبعة الباريسية والطبعة البولاقية ، إلا كلمة واحدة هي تفسير وجيز عن أبي الحسن في باب ما ينصرف وما لا ينصرف . فالأظهر أن هذه المدرجات كانت حواشي في بعض الأصول فأدرجت عن قصد بدليل ابتدائها بمثل « قال أبو الحسن » وانتهائها بكلمة « رجع » ؛ ويقرب هذا ما أفاده درنبرغ في مقدمة الطبعة الباريسية : من أن النسخة الغزنوية التي كانت بين يديه ، وهي نسخة سان بطرسبرغ من البلاد الروسية . تشتمل أحياناً على كلام شراح الكتاب مدرج في الصلب ، وعلى ابتدائه علامة « لا » وعلى انتهائه علامة « الى » وقد أورد درنبرغ نصوص تلك الزيادات في تعليقه على نص الكتاب في الطبعة الباريسية ، فإذا هي التي في النسخة الزيتونية ، مطابقة لبعضها مطابقة تامة ، إلا أن زيادات النسخة الغزنوية تستمر ، الفينة بعد الفينة ، الى آخر الكتاب ، ولا تنقطع كما تنقطع زيادات النسخة الزيتونية ، ولعل ذلك راجع الى أن النسخة التي نقلت النسخة الزيتونية عنها كانت مؤلفة من أجزاء كما أفاد ذلك ناسخها ابن الحاج ، عند ذكر المقابلة في آخر النسخة ، فيكون بعض الأجزاء أدرجت فيه الشروح فأدرجها ، والبعض بقيت فيه على الهوامش فتركها لأن هوامش نسخته كانت مشغولة بشرح الشواهد ، وإن كانت النفس لا تطمئن إلى هذا الفرض تمام الاطمئنان .

والأمر الأعظم من كل ما تقدم في شأن هذه النسخة العجيبة أنها مذيلة بتلخيص لردود المبرد على سيبويه ، وانتصار ابن ولاد لسيبويه على المبرد .

وهذا التلخيص مكتوب بخط ابن الحاج فاسخ الكتاب ، كتابة دقيقة جدا ، ضيقة ، متراكمة ، ليست كالتى نسخ بها الكتاب ، تملأ فيها الكتابة كامل الورقة ، من الطرف إلى الطرف فلا تبقي لها هوامش أصلاً ، وتستغرق ، على هذا الضيق ، سبع صفحات أي ثلاث ورقات ونصف ورقة تقريباً . يضع في ابتداء الكلام علامة (م) ويذكر انتقاد المبرد ، ثم يضع علامة (و) فيذكر رد ابن ولاد ، ويختصر اسم سيبويه في كلام المبرد بعلامة (س) . فكانت جملة ما أورده من المباحث مائة وخمسة عشر مبحثاً ، في كل واحد منها كلام المبرد وكلام ابن ولاد في رده ؛ ويطول الكلام ويقصر باختلاف المسائل ، على أن الأطول بإطراد إنما هو كلام ابن ولاد . وقد تبرأ الكاتب من عهدة النقل ، فبين في آخر كلامه أنه لم يتحرر النقل باللفظ ، ولا التزم الاستيعاب ، إذ ختم تلخيصه بهذه الجملة : « كمل الغرض من تلخيص رد المبرد على سيبويه وانتصار ابن ولاد له كتبه لنفسه وعلى قدر فهمه أحمد بن الحاج وفقه الله » . فهو يصرح بأنه تلخيص ، وإن ما أورده فيه هو ما تعلق فرضه بإيراده ، بحيث أن لغرضه دخلاً في الإثبات والحذف ، والنقل والترك ، وأنه صاغ العبارات على مقتضى مقام « التلخيص » و « بحسب فهمه » غير منقح للعبارة ، ولا مراعى للاحتياط في الإيضاح ، أو في التحرير ، لأنه « كتبه لنفسه » .

ولا ندري هل هذا التلخيص ، الذي هو غرضه ، قد كان مشتملاً على جميع البحوث وردودها ، بحيث لخص كل بحث باختصار عبارته وتحصيل معناه ، وذلك ما يتبادر من كلمة « التلخيص » أو أنه ترك بعض البحوث التي لم يتعلق غرضه بتلخيصها فيصير التلخيص مراداً به معنى الاختصار تقريباً ؟ وأياً ما كان فإن الذي أسداه إلينا ابن الحاج يعطينا صورة من الكتابين

المفقودين ، كيفما تكون رافية ، فلن تكون كافية ، لأنها إن 'فرض أنها لم تترك بحثاً دار بين الكتابين فانها لا محالة لم تورد الكلام بنصومه التي ورد بها في أصل الكتابين .

على أن الذي لا يتتبع نص كلام سيبويه ، المعلق عليه ، حتى يرجع كل فقرة إلى الحل المعلقة به ، لا يستطيع أن يبلغ من الفائدة في مطالعة الكلام مبلغاً ذا بال . لذلك أصبح العمل في استخراج هذه النقود والردود عملاً شاقاً ، لصعوبة قراءة النص ، بما في خطه من دقة وخفاء ، وفي مداده من انطماس ، وعلى ما أصابه في مواضع من محو أو بتر ، ثم للزوم العود بكل بحث إلى محله من كلام سيبويه في الكتاب ، أو ما نقل عن المبرد ، في الشروح أو غيرها من الكتب ، ليتبين بذلك من المعنى ما يعين على فك الخط الحائل أو المطموس . وذلك ما أنا بصدد معاناته ، الآن ، حتى أتوصل بحول الله ، إلى تحقيق نسخة من هذا التلخيص ونشرها .

ولذلك يلوح باديء ذي بدء أن ردود المبرد غير مستوفاة ، بدليل أن كل رد من ردوده معقب برد ابن ولاد عليه ، حتى أن المخلص ، ابن الحاج ، لما ذكر اعتراض المبرد على سيبويه ادخال حذف تاء التأنيث في مبحث الترخيم لأنه كله نكرة قال : « وفساد قوله هنا واضح لا يحتاج فيه إلى ما ذكره ابن ولاد » ولما أورد اعتراض المبرد على سيبويه في استشهاده على أن « يهود » مؤنث ولذلك منع من العرف ، قال عقبه : « ولم يرد عليه و » (ابن ولاد) بأكثر من أن بين أنه لا أثر للعلمة الثالثة وقد استقلت الاثنتان . « . والأقرب أن ابن ولاد لم يتناول جميع الردود ، وانما أخذ ما وجد له مدفعاً منها ، أو وجد فيه مساعاً لنكتة ، كقوله مرة بعد الزام

المبرد سيبويه في لبيك أن يقال لباك لأنه قرنها بسلام عليك (١) : « لا يليق مثل هذا بمنصب أبي العباس » .

والذي يؤيد هذا الاستظهار أن كثيراً من النقود التي هي تخطئة صريحة لسيبويه ، ورد منقولاً في بعض شروح الكتاب ، أو كتاب الكامل للمبرد ، أو كتب أخرى ، ومع ذلك فإنه لا يوجد في التلخيص الذي بين أيدينا ، من ذلك ما نقل في تفسير القرطبي (٢) عن ابن النحاس من اعتراض المبرد على قول سيبويه في قوله تعالى « وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً » أنه بمعنى تسليماً منكم لا خير ولا شر بيننا وبينكم : « أخطأ سيبويه في هذا وأساء العبارة » .

هذا مع أن المفروض أن المبرد لما انتصب بضم كتاباً في الرد على سيبويه قد استقصى كل ما له من خلاف وتخطئة ، وتبع كتاب سيبويه تتبع استيفاء ، وهو الذي كان قام القيام عليه فلا يصح أن يكون المبرد اعترض على سيبويه ذكره هو بنفسه في الكامل ، أو نقل عنه في الكتب ، غير مدرج في كتابه المصنف لجمع تلك الردود .

فالذي نستخلصه من هذا هو أن الذي كان بين يدي ابن الحاج يلخص منه ، إنما هو كتاب ابن ولاد ، ولم يكن لديه كتاب المبرد ، فلم يكن ينظر إلا إلى ما أورده ابن ولاد في معرض رد الرد ، وأنه كان ينقل كل مبحث نقلاً بالمعنى لا باللفظ ، يلخص ما فيه من النقد والدفع بحسب ما يبدو له من أهمية ، وبحسب ما يكون له بالموضوع من اعتناء ، كما قال هو بنفسه في تلخيص شرح الشواهد « بحسب السأمة والنشاط » فالذي يكون عندنا ،

(١) ص ١٤٧ ج ١ باريسية .

(٢) ج ١٣ ص ٧٠ دار الكتب .

حينئذ ، من كتاب المبرد هو تلخيص من تلخيص واختصار ، والذي عندنا من كتاب ابن ولاد : هو تلخيص مباشر بدون اختصار .

وهذا يفيدنا ، على كل حال ، نوع المسائل التي دار البحث حولها ، حتى ننتهي من ذلك الى تصور موقف المبرد مع سيبويه : هل كان موقف اختلاف في المذهب والأصول ، أو موقف اختلاف في البحث والتخريج ؟ فإذا صنفنا المائة وخمسة عشر مبحثاً التي اشتمل عليها الكتاب ، نجد منها أربعة وثلاثين مبحثاً متعلقاً بالقدح في الأمثلة والشواهد أو إبداء أوجه في تحريمها غير الذي خرج عليه سيبويه .

وتسعة وثلاثين مبحثاً متعلقاً بالتوجيه والتعليل والاحتجاج وما يلزم أدلة سيبويه من لوازم غير صحيحة .

وخمسة عشر مبحثاً متعلقاً بانتقاد التعبير أو فساد الترتيب أو تناقض الكلام وثنائية مباحث تتعلق بالقدح في قياس أو فساد تنظير . وأربعة مباحث تتعلق بالخالف في اختيار وجه من وجهين أو وجوه جائزة . وخمسة عشر مبحثاً تتعلق بالأحكام النحوية بما يشمل الخلاف في الجواز والمنع ، والخلاف في اثبات لغة وإنكارها ، والخلاف في الصرف والمنع .

وهذا يوضح لنا أن نسبة الخلاف في الأحكام النحوية من جملة ما ذكر لنا من خلاف المبرد مع سيبويه ، نسبة ضئيلة جداً ، لأنها خمسة عشر في مقابلة مائة ، زيادة على أن منها التافه الجزئي الذي لا يكاد يؤثر للخلاف فيه ، ومنها ما كان اختلاف المبرد مع سيبويه فيه تبعاً لاختلاف غيره ، من قبل ، من أئمة البصريين مع سيبويه ، مثل الصور التي يرجع فيها المبرد ماقاله الأخفش أو الجرمي أو المازني .

وهذا ينتهي بنا إلى نتيجة موضوعية وهي أن أكثر مخالفات أبي العباس

المبرد لسبويه إنما هي من باب الأبحاث الجدلية ، والمراجعات ، والتحقيقات التفصيلية الجزئية ، التي يسلكها مقتدر مع مقتدى به ، وليست من المخالفات الأصلية ، والمناظرات المذهبية ، التي يسلكها ذو مذهب مع ذي مذهب مباين له . فلا يصح أن يقال في المبرد : إنه ذو مذهب نحوي ، وإنما هو أحد أعلام البصرة ، القائلين بدراسة المذهب وبجته ، وتحقيق كتابه الذي هو كتاب سبويه . ولم يفتح المبرد بذلك طريقاً جديداً في النحو البصري لأنه درج على مسلك مشى فيه من قبله المتقدمون من أتباع سبويه ومراح كتابه .

محمد الفاضل ابن عاشور



أبو الطيب يعثر على موضوعه

كل كاتب يمتاز أو شاعر أو قصصي ، بل كل فنان أياً كان فنه لا يستطيع أن يبدع إلا إذا كان ينطلق في إنتاجه عما نسميه (الإلهام) . قد يكون كل من هؤلاء مالكاً ناصية صناعته متحكماً في أدواتها - سواء أكانت أدواته لفظية أو لونية أو تصويرية - . وقد يستطيع أن يبلغ ذروة البراعة في صناعته ، ولكن الإبداع مرتبة أعلى من ذلك علواً كبيراً . إنه لا يستطيع أن يبلغ مرتبة الإبداع إلا إذا كان إنتاجه نابضاً بالحياة والصدق وكان موحياً مشعاً بالشاعر القوية . إنه يكون في هذه الحالة جامعاً بين التحكم في أساليب الصناعة وشحن إنتاجه بالقوة الحيوية التي تحمل إلى الناس حرارة نفسه وقوة شعوره فيجعلهم يشاركونه في شعوره العميق . وهذا هو السر في أننا نصطدم في بعض الأحيان - أو في كثير من الأحيان - بإنتاج تافه لأديب مشهور معروف بالإبداع . فالأديب أو الفنان قد يكون صادراً في بعض حالاته عن إلهام قوي غامر ، وقد يكون في حالات أخرى صادراً عن تكلف وتعمد . قد نجد الشاعر في بعض حالاته مليئاً بالمعنى متدفقاً في البيان قدقاً طبيعياً مشبعاً بالحرارة موحياً بالحياة والجمال ؛ وقد نجده في حالات أخرى باهتاً لا نكاد نعرفه . وفحول شعرائنا العرب من الأمثلة الدالة على ذلك ، فهم يختلفون في الإجابة اختلافاً كبيراً بين الإبداع الذي يبلغ بهم الذروة ، وبين الهبوط والجمود والآلية التي قد تنزل بهم إلى مستوى (السخف) . ومن أمثلة هؤلاء الفحول من اعتدنا أن نحلهم بأعلى مراتب الإبداع مثل أبي تمام والبحتري والمتنبي ، فكل منهم

يسمو حتى يخلق في أعلى الآفاق ، وقد ينف حق يقع في النفوس الاشتراز والأسف . وليس شعراء العربية هم الوحيدون في ذلك الاختلاف . فالشاعر الانجليزي (شكسبير) الذي اعتبره الانجليز يوماً من الأيام نبي شعركم وعبقري زمانه ، هبط في بعض إنتاجه حتى بلغ عندهم مبلغ السهافة والجفاف . والقصصي (هنري جيمس) قد وصل إلى ذروة الإبداع في قصصه حتى اعتبره قومه معبود الأدب ، وهبط أحياناً حتى أن النقاد لم يجدوا سبيلاً إلى تعليل هبوطه إلا بأن قالوا إنه قد خلا من الإلهام . فما السر في هذا الإلهام الذي يشبه في الأدب مر الحياة عند الأحياء في غموضه وخفائه ؟ فلنقتبس بعض ما قيل في محاولة تفسير ذلك السر الخفي : (١)

« إن كلاً منا يشتمل في نفسه على شيء من الشاعر وشيء من المثال وشيء من الموسيقي ومن المصور والكاتب . ولكن الذي نشتمل عليه من هؤلاء جميعاً قليل جداً بالقياس إلى ما عند الفنانين الموهوبين . فإن هؤلاء الموهوبين يملكون من المقدرات البشرية ما يسمو بهم إلى درجات العلا . فليس لنا نحن إلا المقدرات التي يمكن أن نسميها انطباعات أو مشاعر بما لا يصل إلى مرتبة (الإدراك الكلبي الشامل) أو الإدراك (الذوقي الإلهامي) ، وهي المرتبة التي تجعل الأديب أو الفنان يستوعب الصورة النفسية الشاملة للموضوع الذي يعالجه . وذلك على شرط أن يتوفر له (الموضوع) الذي يحمله يتوفر على استيعاب صورته النفسية الشاملة .

إن المصور إنما هو مصور مبدع لأنه يرى موضوعه فيرى فيه ما يحسه الآخرون أو يلحونه وإن كانوا لا يرونه ولا يستوعبون صورته النفسية الشاملة . إننا نظن أننا نرى ابتسامة على وجهه ولكننا لا نرى في الحقيقة سوى أثر ميم من الابتسامة . نحن لا ندرك كل خصائص تلك الابتسامة

(١) خلاصة من أنوال فيلسوف الجمال (بنديتو كروثي) .

كما يدركها المصور المبدع بعد أن يستوعبها بروحه ويكون قادراً على إثبات خصائصها على لوحته . إننا لاندرک من الناس - حتى من أقرب الناس إلينا - أكثر من ملاحظهم الجسمانية الظاهرة على أكثر تقدير حتى ولو كان ذلك الصديق بمن يكون معنا في كل يوم وكل ساعة . وأما الجواهر الذي يكمن في هذه الملامح الجسمانية فهو الذي يكثنا من تمييزه عن سواه فالمعرفة الإلهامية التي ندركها بالروح هي المعرفة الشاملة الحقيقية .

وهذه المعرفة أثر روحاني لا يحدث عند الفنان إلا إذا استغرق استغراقاً كاملاً صادقاً في الموضوع الذي يختاره وينصرف إليه انصرافاً تاماً فيهب له كل قوى روحه .

فإذا ما تحقق ذلك للفنان وأخذ في التعبير عن موضوعه بطريقة المادية التي اعتادها وبأسلوبه الذي تمكن منه في صناعته - سواء أكانت لفظية أو غير لفظية - أمكنه أن ينتقل إلى الناس صورة صادقة طبيعية تمثل كل الخصائص الروحية التي شحن بها نفسه ، فيمكنه أن يطلع الناس على ما استوعبه في روحه من تافذته السحرية .

والأدب أو الفنان لا يعتمد اختيار الموضوع الذي يمكن أن يملأ روحه فإن ذلك الاختيار لا يتأتى له بالبحث عنه بالعقل بحثاً مقصوداً . فالأدب مثلاً لا يقدر أن يختار لنفسه موضوعاً ليستغرق فيه بروحه بأن يجلس إلى مكتبه ويستعرض الموضوعات أو الأشخاص الذين يريد أن يتخذ منهم موضوعات للتعبير عنها بفنّه ، ثم يختار بعقله ما يظن أنه يستطيع أن يستغرق بروحه فيه من هذه الموضوعات .

الاختيار الموفق إنما يحدث بالطبع من غير عمد . التجربة وحدها هي التي تستطيع أن تتيح للفنان أو الأديب فرصة الاختيار الموفق الذي يسادف هوى في نفسه . التجربة وحدها هي التي تعرض على الأديب أو الفنان

ما يستطيع أن يقتفيه حين يندفع نحوه بروحه من تلقاء نفسه . ان الإنسان لا يمكن أن يشعر بالحب نحو شخص إذا بحث عن صورة يحبها بعقله . ولا يمكنه أن يشعر بالحب نحوه وإن رأى صورته الفوتوغرافية . ليس غير التجربة ما يتيح للإنسان أن يهتدي إلى الشخص الجدير بحبه . التجربة وحدها هي التي تحرك الروح وتجعلها تتأثر فتحب أو تكره وتُشعر بالاعجاب أو النفور . وهكذا تكون الحال في اختيار الأديب أو الفنان للموضوع الذي يحرك نفسه ويجعله يستغرق فيه ويستوعبه بكل خصائصه في روحه . ومن هنا يحدث الإلهام وتحدث قدرة الفنان على الإبداع والتصرف فيما لديه من أساليب الصناعة . فما الإبداع والجمال وحسن التصرف الموفق في أساليب الصناعة الا نتائج للإلهام الذي يقع في روحه من الموضوع الذي احتدى إليه فيمكنه ابلاغ ما في نفسه من الشاعر إلى الناس بطريقة بسيطة سهلة متدفقة تحمل كل ما في روحه من الشاعر الصادقة الموحية . وهنا سر الإبداع والجمال في الإنتاج الأدبي أو الفني .

ونكتفي في هذه الكلمة الموجزة بالحديث عن الشاعر العربي الكبير أبي الطيب المتنبي وكيف قضى شطراً من حياته هائماً مضطرباً ضالاً كأنه يبحث عن موضوع جدير بأن يستغرق فيه ويستوعبه بروحه كي يبلغ ذروة الإبداع في فنه ، وكيف استمر هائماً ضالاً مجذباً نائساً حتى امتدى آخر الأمر إلى الموضوع الذي يستطيع أن يبدع فيه .

بدأ المتنبي حياته كما هو معروف - في عصر مجذب ليس فيه الكثير مما يحرك الروح من جلال أو بطولة أو من عدالة ترقح اليها النفوس في الحياة السياسية أو الاجتماعية . لم يكن في ذلك العصر ما يحرك الشعور سوى مواطن محدودة شخصية كانت قد تشعرت بحركة محدودة من حب أو كره ومن اعجاب أو نفور لا يبلغ مبلغ العمق المبدع الذي يحرك الروح .

كان الأديب قد يشعر بدافع جنسي نحو امرأة لا يرى منها سوى جسمها وهي في العادة جارية تحترف الحب . ولم يكن في مجال الحياة الاجتماعية مجال لبطولة تدفع إلى الإعجاب أو عدالة اجتماعية تدفع إلى الارتياح والسعادة . كان العصر مجدياً اجذاباً محزنًا . فلتأ أبو الطيب في البادية ، ولستنا نلمح في حياته ما يدل على أن البادية أشعرت به بشيء من تلك الحركة الشعرية المحدودة التي ذكرناها . ولم يجد أبو الطيب في الحياة الاجتماعية في البادية فرصة تتيح له أن يجد لنفسه مكانة اجتماعية يرضاها . فحزن وسخط وقلق ومجر البادية إلى الحضر لعله يجد فيه مكاناً يرضاه لنفسه في مجتمع أو في كنف أمير سياسي أو عظيم سري يستطيع أن يلجأ إليه ويستند عليه في محاربة بلوغ المكانة التي يتوق إليها ، ولكنه كان حيث يذهب لا يجد إلا خيبة وراء خيبة تصدمه . وحاول أن يصل إلى المكانة التي يطمح إليها عن طريق الشعر ولكنه خاب أيضاً في ذلك كان يشعر في نفسه بكبرياء واعتزاز فضاقت بما يتطلبه التقرب إلى الأمراء والرؤساء من المدح والتزلف لأنه كان يشعر بالجذب من الدافع النفسي إلى الإبداع الذي يطمح إليه ليصل إلى مكانة الشاعر الذي تلتفت إليه الأنظار وتعلي مكانته .

فهو في هذه الفترة من حياته لا يعبر في شعره - وهو صادق - إلا عن شعور وحيد أجاد في التعبير عنه وهو الشعور بالخيبة والضيق بالحياة واليأس منها . وكان أحياناً يندفع في تعبيره مع حلم من أحلام اليقظة ، فيعبر عن رغبته في التحطيم والثورة وغوص الدماء في سبيل طموحه .

فيقول حائقاً قصيدته المعروفة التي مطلعها :

ما مقامي بأرض نخلة إلا كقمام المسيح بين اليهود

وفيها يتحدث عن شعوره بفضله نفسه ويلوم نفسه قائلاً :

أبن فضلي إذا قنعت من الدهر بعيش معجل التنكيد
ضاق صدري وطال في طلب الرزق قى قيامي وقل عنه قعودي
أبدأ أقطع البلاد ونجمي في نخوس وهمي في نسعود
فهو في هذه القصيدة وأمثالها يعبر تعبيراً صادقاً عن خيقه بالبلاد وما فيها
ومن فيها ، ويعبر عن طموحه أو غروره بنفسه التي ضاقت بالحياة
وضاقت بها الحياة .

وكان يندفع أحياناً كما قلت مع أحلام يقظته إلى ثورة دموية لا يستطيعها
في اليقظة فيخاطب نفسه قائلاً :

عش عزيزاً أو مت رانت كريم بين طعن القنا وخفق البنود
فرؤوس الرماح أذهب للفيظ وأشفى لغل صدر الحقود
ولكن تلك الثورة لم تكن إلا في الخيال مع أحد الأحلام التي كانت
لا يلبث أن يراها بعيدة عن الواقع ، فلو كان يريد أن يجد له مكاناً في عالم
القنا والبنود لوجد ذلك المكان ، لو كانت له موهبة الطعن والضرب .
ولكنه لم يكن سوى شاعر موهوب لم يجد بعد فرصة في اظهار موهبته
الحقيقية لأنه لم يجد وسيلة بعد إلى الإلهام .

كانت الحروب في ذلك العصر جديرة بأن تبلغ المتنبئ ما يصبو اليه لو
كانت موهبته الحربية تؤهله إلى التبريز في ميادينها ، ولكنه كان ثائراً غاضباً
ولم يكن محارباً . لم يكن سوى شاعر موهوب ولكنه مغرور بمقدراته
التي لم يهبها الله له .

ومع هذا فهو يقول مدعياً :

إن أكن معجباً فعجب عجب لم يجد فوق نفسه من مزيد

وهذه نظرة المعجب بنفسه لا نظرة من كانوا يرونه في زمانه .

وأما سبيله إلى المكانة الاجتماعية عن طريق التقرب إلى الرؤساء والأمراء

في عصره فقد كانت مغلفة أمامه لأنه كان يشعر في أعماقه باحتقار هؤلاء جميعاً . وكان احتقاره لهم يحول بينه وبين الإبداع فالشاعر لا يبدع إلا إذا كان يمتلك بموضوع شعره مؤمناً به مستغرقاً فيه بروحه كي يواتيه الإلهام والإبداع .

فكان لا يجد ما يملأ به فراغ مدائحه الزائفة التي كان يشعر في أعماقه بخنوها من التصديق إلا بأن يخلع عليها لوناً من البريق الزائف ، ببلاغات متكلفة من صناعة الأسلوب الشعري المعروف في زمانه ، وبعبارات لفظية متأنقة وإن كانت خالية من الروح . ونشير هنا إلى أمثلة من تلك الألفاظ الجوفاء :

فيقول في أحد ممدوحيه :

لو كان فيض يديه ماءً غادية عز القطا في الغيا في موضع اليدس

ويقول في ممدوح آخر :

لم يخلق الرحمن مثل محمد أحداً وظني أنه لا يخلق

أمطر عليّ سحاب جودك ثرةً وانظر اليّ برحمة لا أغرق

كذب ابن فاعلة يقول يحمله «مات الكرام» وأنت حي ترزق

ويقول في آخر من ممدوحيه :

فتى الف جزء رأيه في زمانه أقلُ بُجزّي بعضه الرأي أجمع

وقد يغلو في المبالغة الجوفاء كما قال في أحد ممدوحيه :

إذا خلت منك حمص - لا خلت أبداً - فلا سقاها من الوسمي باكره

من قال « لست بخير الناس كلهم » فجعله بك عند الناس عاذره

أو شك أنك فرد في زمانهم بلا نظير قفي روعي أخطره

وقد يهبط في مبالغاته إلى الخط من كرامة نفسه مع كبريائه ،

والزراية بالكرامة الإنسانية نفسها في مثل قوله :

الى سيد لو بشر الله أمة بغير نبي بشرتنا به الرسل
الى القابض الأرواح والضعيف الذي تحدث عن وقعاة الخيل والرجل
وما تنقم الأيام من وجوهها لأخضه في كل نائبة نعل
وما عنده فيها مراد أراد وإن عز ، إلا أن يكون له مثل
وقد تلجئه هذه المبالغات الحايبة إلى وصف فاتر لا تخلع على قوله جمالاً
صناعياً بل تخلع عليه قبحاً مجوجاً ، مثل قوله :

بشر تصور غاية في آيه تنفي الظنوت وتفسد التيسا
وبه يُضن على البرية - لا بها - وعليه منها - لا عليها - يوسى
ومثل قوله :

مضى ما يشر نحو السماء بوجهه نخر له الشعرى وينكسف البدر
ترى القمر الأرضي والملك الذي له الملك بعمد الله والمجد والذكر
هذه أمثلة من شعره الفاتر في أول حياته من قصائده التي تسمى
«الشامية الأولى» والعراقية الأولى وهي جميعاً لا تتجاوز معنى واحداً
مكرراً في صور شتى من العبارات المتأنقة وهو قوله : «إنك أيها المدوح
السيد الواحد الذي يفوق الناس جميعاً ، والناس جميعاً فداء لك وهم
لا يستحقون أن يكونوا فداء لك .»

والسر في هذا الإجداب الأدبي في الشعر عامة وفي شعر أبي الطيب
أيضاً هو الإجداب الشامل من سيامي واجتماعي في العصر كله . كان العالم
العربي في ذلك الوقت مجذباً الى حد اليأس من كل ما يحرك النفوس من
مثال بطولة أو مثال أمل . الأمراء أراكثرهم الأكثر طائفة من الأثانيين
مع كل منهم طائفة من السادة المزيفين الذين لا هم لهم الا الابتزاز من
الشعب التي يسيطرون عليها . الأمراء لا هم لأكثرهم إلا النظر إلى مصالحهم
الخاصة في أفق ضيق ، يتنازعون ويتنافسون ويتحاربون حروباً صغيرة ،

وكل منهم يريد أن ينفذ سياسة موضوعة له من الدولتين الكبيرتين المحيطتين بهن . فبعض الأمراء يشترك في مؤامرة يدبرها لهم المسيطرون على سياسة الدولة العباسية بالعراق ، وبعضهم يشترك في مؤامرة أخرى يدبرها لهم المسيطرون على سياسة الدولة الفاطمية بمصر . إمارات كلها قصيرة النظر ضحلة الأهمية يدفعها دافع الجشع الشخصي والمطمح المادي . والسادة المتصنون بالأمراء ينسجون على منوال أمرائهم ، فكل منهم يشترك في حزب مناصر لإحدى الدولتين الكبيرتين . فكانت الأحوال السياسية والاجتماعية مصطبغة بالوان الجشع الشخصي والمطامح المادية الخسيسة . وهذه الحالة العامة هي مقدمة محتومة للنتائج المحتومة التي ترتبت عليها فيما بعد حين أغار الصليبيون على الحدود الشمالية في حملاتهم المعروفة في أواخر القرن الحادي عشر بعد الميلاد . مجتمع متفكك وفي داخله السوس وعوامل القناء تعمل فيه من أعلاه في الطبقة المسيطرة سواء كانت سياسية أو اجتماعية . فاذا أراد أديب في ذلك العصر أن يكون صادقاً في تعبيره عن شعوره فلا مجال له في الصدق إلا أن يندب حظه وحظ قومه العرب لما آلت اليه أمور العرب من الفساد والاضمحلال . واذا أراد أحدهم أن يمدح أميراً أو سيداً من السادة ذوي السيطرة في المجتمع فليس له من وسيلة إلى مدحه إلا أن يكذب وأن يمزج أكاذيبه بأسلوب لفظي أو وسيله بلاغية برفافة تخدع الناس عن الحقيقة البشعة الماثلة في حياتهم ، وتحاول أن تخلع على المرح الأجوف غشاء من التمويه يستثير فيهم الإعجاب بالعبارات الجوفاء . لهذا كان كل ما قيل في النقد الأدبي في ذلك العصر لا يزيد على نقد الأساليب البلاغية اللفظية البعيدة عن المعنى وعن الروح الأدبي نفسه .

ولكن من حسن حظ الأدب العربي أن كانت في ذلك العصر قلقة من الفلتات بين أمراء ذلك الوقت المجدب وهو الفارس الحقيقي والبطل العربي

سيف الدولة - أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان الذي وقف حياته لتحقيق غاية جليلة بالتصدي للدفاع عن الحدود العربية برغم ما كان يسود أمراء العصر والسادة في الأمة العربية من أثرة وتحاسد وتناحر في سبيل مصالحهم الخاصة . فحين رأى أبو الطيب ذلك الفارس البطل - وأغلب الظن أنه رآه بغتة عن غير انتظار - أدرك بفطرته أنه حيال أمير فارس من نوع آخر غير الأمراء الذين اتصل بهم . فتعلق قلب أبي الطيب بذلك الفارس تعلقاً تلقائياً يشبه تعلق الحب بمحبوبه من أول نظرة . وكان بغير شك قد سمع عن بطولته وحروبه مع الدولة البيزنطية التي كانت منذ ابتداء تكوين الدولة العربية هي العدو والمنافس الخطير لها . وكان سيف الدولة في زيارة لأنطاكية بعد انصرافه منتصراً عن حصن برزونة وهو أحد الثغور الأمامية بين العرب والروم . فلما رآه المنتهي عائداً بالنصر والفتح أحس بهزة دفعته تلقائياً الى التعبير عن إعجابه فأنشد قصيدته التي قال في مطلعها :

وفأوكا كالربيع أشجاء طاسمه بأن تسعدا والدمع أشفاه ساجه
فهذا المطلع على ما فيه من غموض وتعقيد وتكلف يتصدر قصيدة فيها
تعبير صادق عن إعجابه بالبطل العربي إذ يقول مستمراً بعد المطلع :
وما أنا إلا عاشق - كل عاشق أعق خليليه الصفيين لانه
وقد يتزيا بأهوى غير أهله ويستصحب الانسان من لا يلائمه
وفي هذين البيتين يقول أبو الطيب في صراحة بأن كثيراً من المدح
يسدر عن شعراء يقولون الشعر فيمن لا يستحق المدح وان انبطل الحقيقي
قد يتصل بشاعر يندحه وهو شاعر مزيف لا يلائم مجده .

ومعنى في مدح سيف الدولة قائلاً :

سلكت صروف الدهر حتى لقيته على ظهر عزم مؤيدات قوائمه

فأبصرت بدرأ لا يرى البدر مثله وخاطبت بحراً لا يرى العبر عاقه
غضبت له لما رأيت صفاته بلا واصف والشعر تهذي طهاطه

ففي هذه الأبيات يعلن المتنبي في صراحة أنه سلك صروف الدهر حتى امتدى إلى البطل الجدير بشعره وإلى الموضوع الجدير بأن يهب له عبقريته في فقهه ، ويملن أيضاً أنه قد وجد البطل الذي يملأ قلبه وبصره ، ذلك البطل الذي جعله يغضب حين رأى صفاته الجليلة تخفى عن الإعلان بين الناس لأنها لا تجد واصفاً جديراً بالإعلان عنها على أن الشعر الزائف تهذي طهاطه في مدح أمراء لا يصدق فيهم المدح ولا يصدر عن الشعراء فيه إلا هذيان من الفاظ طنانة جوفاء لا تنطوي على روح أو صدق .

لقد أحس أبو الطيب في ذلك الموقف أنه قد امتدى إلى البطل الذي يصلح أن يكون موضوعاً لشعره ، وأنه يستطيع أن يبدع في وصف هذا الفارس وفي تخليد فضله ، وإعلانه بين الناس ، لأنه سيجد الإلهام القوي الصادق في فروسيته وكرم خلاله . وقد صدقت فراسة أبي الطيب في ذلك الموقف فإن شعره في الفارس الحمداني هو الذي خلده على صفحات التاريخ وهو الذي أعلن عن فضله وأغنى اللغة العربية بمدحه الصادق الملمهم الموحى بالحياة والجمال .

وحين أراد سيف الدولة أن يغادر أنطاكية أحس أبو الطيب بانزعاج أشد من انزعاج الحب حين يؤذن محبوبه بفراقه ، فهو يقول له عند ذلك :
أين أزمعت أيها الهمام نحن نبت الربى وأنت القمام
نحن من ضايق الزمان له فيك وخاتمه قريبك الأيام

فهي صيحة عالية تعبر عن مدى فزع الشاعر وانزعاجه لأن البطل الذي امتدى إليه بعد طول اضطرابه في الأرض فامتدى إلى الموضوع الذي يلهمه فجأة ، وعلى غير قصد يزعم أن يفارقه فيدعه يعود إلى حيرته واضطرابه

واجداً به . إنه كان يبحث عن موضوع يتيح له الإلهام ويمكنه من الإبداع في فنه ؟ وما كان أشد فجيعة حين أزمع هذا البطل أن يفارقه فيحرمه من الفرصة التي تتيح له الإلهام . انها فجيعة تشبه إلى حد بعيد ما يشعر به الموحى إليه حين يوشك الوحي أن ينقطع عنه . فأبو الطيب يخاطب سيف الدولة قائلاً :

« أين تريد الذهاب بعيداً عنا مع أنك قد بعثت إلى قلوبنا من الحماسة لبطولتك والاعجاب بشخصك النبيل ما بدأ يحرك فينا نشوة الشعور الصادق الذي يحرك إلى الإبداع . اننا قد وجدنا فيك ما يروي في قلوبنا ما فيها من التعطش إلى البطولة في عصر قد عرفناه وجربناه إجدابه وحاجته إلى بطولتك وعلو نفسك . لقد كنا مجدين فأدركنا بلقائك من كان بالنسبة إلينا صوب الغمام فصرنا به نبأ فوق الربى .

لم يكن سيف الدولة محارباً فارساً فحسب ، بل كان مع شجاعته يمثل معنى آخر لم يشاركه فيه غيره من الفرسان . كان يحارب من أجل غاية سامية ومقصد عال . أعلى جلالاً من الانتصار في الحرب . فيقول أبو الطيب لسيف الدولة :

في سبيل العلى قتالك والطمع وهذا المقام والإجدام
ليت أننا إذا ارتحلت لك الخيل وأثنا إذا نزلت الخيام
كل يوم لك احتمال جديد ومير للمجد فيه مقام

فهو بذلك يخاطب الأمير العربي الذي وقف حياته على الدفاع عن الحدود العربية في وجه الدولة البيزنطية التي استمرت في حربها منذ قبيل الإسلام إلى العصر الذي عاش فيه أبو الطيب . فكان مثلاً عالياً لسلسلة من أبطال العرب الذين جمعوا بين الشجاعة في الحرب والتمسك بالمثل العليا في الشهامة التي حارت تقليداً للفارم النبيل منذ أيام خالد بن الوليد وسار على مثاله

مسلة بن عبد الملك فالمعتصم العباسي . كان أبو الطيب يراه في حالة من البطولة العربية في عصر طالما ضاق به الشاعر إذ كانت السيادة فيه وقفاً على الأمراء غير العرب الذين كانوا يبيعون سيوفهم لسادة العرب لقاء اخضاع شعوبهم لسيطرتهم واذلالهم لها .

ففي هذا الموقف يعلن أبو الطيب أنه قد اهتدى الى ضالته ويحمر بشعور الفزع الذي اعتراه حين رأى ان ضالته توشك أن تفارقه . فقد وجد في هذا الأمير الشاب والفارس العربي النبيل موضوعاً يستطيع أن يلهمه بكل معنى جليل صادق يغنيه عن التماس الجمال في أسلوب التعبير الصناعي والعبارات البلاغية اللفظية التي يملأها فراغ شعره من الصدق والعاطفة . وكان أبو الطيب منذ بدء حياته يحاول أن يجد لنفسه مكاناً في الحياة بالتقرب إلى أمير أو إلى سري من ذوي الجاه والسيطرة يستند إليه وبقيم في ظله . ولكنه كان كلما وجد ما يظنه ظلاً وارفاً لا يزيد في حقيقته على ظل باهت خادع يكلفه أن يكون مرتزقاً بشعره لا مزيكاً في انشودة مجيدة ؛ فيبدأ قصائده بقطع من الغزل الكاذب ، وقد يدخل فيها بعض الشعر الصادق في شكوى زمانه ووصف بؤسه وشقائه في الحياة وثورته عليها . فحين خيل إليه أنه قد وجد موضوعه في الفارس النبيل الذي يستطيع أن ينصرف بعتة إليه والتغني ببطولته أخذ يتجه بفته إلى أسلوبه الجديد فيما نسميه « السيفيات » التي يمتاز شعره فيها بالصدق والسهولة والبساطة الطبيعية في تصويره . فيقول في أسلوبه الجديد يخاطب سيف الدولة خطاباً مباشراً .

كلما قيل قد تنامى أرافاً	كرماً ما اهتدت إليه الكرام
وكفاحاً تكبح عنه الأعادي	وارتياحاً يحار فيه الأنام
انفاهية المؤمل سيف الدو	له الملك في القلوب ، حسام
فكثير من الشجاع التوقي	وكثير من البليغ السلام

فالصدق وحده كفيل بتصوير البطولة والشهامة لأن الشاعر كان ينبعث فيه عن مثال حي صادق أمامه .

ويعترف بهذا في انشاده حين يقول :

فلو قدّر السنان على لسان لقال لك السنان كما أقول

فيعترف بأن الشعر الذي يقوله في مدح سيف الدولة لا يزيد على حكاية ما يقوله السنان عنه ولا يزيد عليه شيئاً من مخترعات القول المنمقة الزائفة .

وحسبنا في الإشارة إلى طريقة المتنبي الجديدة في شعره أن نذكر قصيدته التي يقول في مطلعها :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

فهو لم يقدم لقصيدته بمدخل متكلف يقضي به إلى انشاده بل ابتداءً بالابتداء الطبيعي الذي يدل على ما امتلأ به قلبه من شعور الإكبار نحو سيف الدولة ، ثم مضى يتدفق بما يوحيه ذلك الإكبار ، فلا نجد في قصيدته بيتاً متكلفاً ، ولا نلمح في بيت من أبياتها تعمد تجميل الأسلوب برصيلة براقه مصطنعة . وفيها يصور منظر البطل وهو في ساحة القتال كأنما هو مصور بارع يلتقط منظراً يعبر فيه بروشته عن الروح الذي يسري في المنظر كله ولا يزيد على تسجيل الحقيقة شيئاً إلا بمقدار ما يشعنها بشعوره :

وقفت وما في الموت شك لواقف كأنك في جفن الردى وهو نائم

تمر بك الأبطال كأمى هزيمة ووجهك واضح وثغرك باسم

تجاوزت مقدار الشجاعة والنهى إلى حد قول أنت بالغيب عالم

وقد أقام المتنبي مع سيف الدولة ما أقام فكان في كل قصيدة ينشدها

له يتدفق مع شعوره الصادق ويعبر فيها عن إعجابه واستغراقه في موضوعه ،

وقد يصف في ثنايا شعره ما يخامر من الألم إذا شعر بألم من إغفاءة غير

مقصودة من الأمير أو من لفظة غاضبة غير مقصودة أيضاً . فهو في ذلك كله يعبر عن أعظم وجدانه صادقاً بليغاً متدفقاً مبدعاً . ولم يكن شعور أبي الطيب نحو سيف الدولة مقتصر على بعث الحياة في أشعاره السيفية وحدها ، فإن صورة الفارس البطل وشعور الإعجاب به والمحبة له لم يفارقه حين غضب غضبته من الأمير وفارقه وذهب ينشد شعوره الى آخرين من الأمراء والملوك الذين كانوا يتنافسون على الاستئثار بفنه ، فكانت صورة سيف الدولة تبدو له كلما وقف ينشد بين يدي أمير أو ملك آخر . وكانت الصورة تهمس له وتثير نفسه برغمة فيأخذ في مناجاتها والانشاد ذا . فهو في انشاده لكافور في مصر ينسى أنه يخاطب ذلك الملك ويبدأ قصيدته بالتعبير عن حزنه لفراق صديقه وبطله . فيخاطب قلبه قائلاً :

أقيل اشتياقاً أيها القلب ربما رأيتك تصفي الود من ليس جازيا
ثم ينتقل بعد حين الى مدح كافور فيغير أسلوبه من الصدق الطبيعي المملوء حرارة الى أسلوبه القديم المتكلف الذي يتصيد فيه المعاني الحارية ليملاؤها فراغ معانيه بالمعارات البلاغية السكاذبة فيقول :

قواصد كافور توارك غيره ومن قصد البحر استقل السواقيا
فجاءت بنا انسان عين زمانه وخلصت بياضاً خلفها وماقيا
ويخاطب الملك الأسود - انسان عين زمانه - قائلاً :

أيا المسك ذا الوجه الذي كنت تأثقا اليه وذا الوجه الذي كنت راجيا
أبا كل طيب لا أبا المسك وحده وكل سحاب لا أخص الغراديا
يدل بمعنى واحد كل فاخر وقد جمع الرحمن فيك المعانيا

فلما نزع الشاعر عن مصر كارهاً بعد أن أمضه فيها ألم الجسم والروح معاً وذهب الى العراق لم تفارقه صورة سيف الدولة ولازمه أسفه على فراقه

فيكون في انشاده لمضد الدولة معبراً عن شدة حزنه لفقد صداقة بطله
الكريم لا مادحاً للأمير الذي وقف بين يديه فيقول :

أوه بديل من قولتي واهما لمن نأت والبديل ذكراهما
أوه من آلا أرى محاسنها وأصل واهما وأوه مرآها
شامية طالما خلوت بها تبصر في ناظري محباها
فقبلت ناظري تغالطني وإنما قبلت به فاهما

ولولا خوف الإطالة لأفقت في بيان ما تدل عليه هذه الصورة من
الشعور القوي نحو سيف الدولة الذي فارقه الشاعر مع كل إعجابه به
وحبه له .

لقد كانت صورة البطل لا تفارق الشاعر وهو بعيد عنه ، وكانت
تملي عليه الشعر في كل موقف وقفه بعد فراقه له . فلا يبدو الصدق في
شعر المتنبي بعد فراق سيف الدولة إلا حين كان يعبر عن أسفه لذلك الفراق
أو كان يعبر عن مقتنه لأصحاب السلطان الآخرين في الأمة العربية الذين
كان أبو الطيب يؤمن بأنهم قد اختلسوا السيادة في هذه الأمة وهم غير
جديرين بها .

محمد فريد أبو حديد



مخطوطة معاني الشعر للأشنانداني

كانت جمعية الرابطة الأدبية^(١) في السنة التي عاشتها مجلتها التي كنت مديراً لها ، ونشرت من تراث السلف كتاب معاني الشعر للأشنانداني من مخطوطة صحيحة نفيسة من مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، وقد نشرت الجمعية من هذه المخطوطة ما أملاه الأشنانداني ، وبقي في المخطوطة بما رواه أبو بكر ابن دريد وأبو حاتم السجستاني وغيرهما من أئمة اللغة كثير من أبيات المعاني لم تنشر ، وقد نفذت النسخ التي طبعتها جمعية الرابطة الأدبية ، وظلت الحاجة الى هذا الكتاب حاقة لهم أبيات المعاني ، وسألني كثير من الاخوان عن المانع للمجمع الذي يعمل على احياء تراث السلف من اعادة نشر الجزء الأول النافذ مع الجزء الثاني الباقي ومن هؤلاء العلماء والأدباء الراغبين في هذا العمل العلامة عبد العزيز الميني الراجكوتي وقد عزم المجمع على نشر معاني الشعر نشرة صحيحة كاملة بعد استحضار نسخ أخرى .

وجاء في آخر المخطوطة الدمشقية لمعاني الشعر العنوان التالي (في كتاب الترجمان المنفجع في باب أنواع من الاعراب) وبعد هذا الباب (أبيات معاني مما غلط الاعراب فيها الأصمعي) ثم (أبيات خطأ فيها

(١) اول جمعية أدبية عربية بدمشق تأسست سنة ١٩٢١ من الأدباء المعروفين وأنشأت مجلة أدبية لها ، وكانت الجمعية والمجلة طليعة النهضة الأدبية الحية بروحها القومية ، وقد قاومتها القوة افرنية المحتلة ، فعلت الجمعية ومنعت إصدار المجلة ، ولو بقيت لأتتبع ما أتتبعه أدباء الرابطة القلمية في المهجر من روائع الأدب العربي الحديث .

أبو نصر صاحب الأصمعي* ابن الأعرابي (فوجدت من خدمة الأدب ولغة العرب نشر هذه الصحائف المفيدة مع التعليق عليها :

أما كتاب الترجمان الذي ألفه المفجع فهو في معاني الشعر ولم نعثر له على أثر ، وهو شبيه بكتاب معاني الشعر للاثنانداني ، وقد ذكر صاحب الفهرست ابن النديم (المفجع) بأنه أبو عبد الله المفجع محمد بن عبد الله الكاتب البصري^(١) وأنه لقي ثعلباً وأخذ عنه وعن غيره ، وكان بينه وبين أبي بكر ابن دريد مهاجرة وذكر له كتباً كثيرة أولها كتاب (الترجمان) في معاني الشعر ومن كتبه حدة الإعراب ، وحدة المديح ، وحدة البخل ، والرأي ، والمهجاء ، والمطايا ، والشجر والنبات ، والأعراب ، واللغز ، والمنقذ في الإيمان وأشعار الحرب ، وعرائس المجالس ، وكتاب غريب شعر زيد الخيل .

وهذه الصفحات التي نشرها ، ولعلها من كتاب الترجمان هذا المفقود ، تدلنا على مسائل هذا الكتاب ونمط تأليفه ، وعسى أن نظفر به وننشره ، وما أكثر الكنوز العلمية الضائعة من الكتب التي ذكرها في الفهرست محمد بن اسحق النديم .

التشرفي



(١) وفي الأعلام للزركلي : هو محمد بن أحمد بن عبيد الله البصري أبو عبد الله وله ترجمة في بنية الوعاة ١٣ وارشاد الأريب ٣١٤/٦ وبتيمة الزهر ١٢٩/٢ ، وعرفه بأبي عبد الله الكاتب ، والرزبال ٤٦٤ والوافي بالوفيات ١٢٩/١ وهو فيه محمد ابن محمد ، وهو في الفهرست لابن النديم في الفن الثالث من المقالة الثانية .

في كتاب الترجمان للمفجع

في باب أنواع من الإعراب

وحكى أبو العباس أحمد بن يحيى قال قال الأصمعي في

قول الفرزدق :

إلى ملك ما أُمّه من محارب أبوه ولا كانت كليب تصاهره^(١)

قال : معناه أبوه ما أُمّه من محارب فأخره ، وقال

الفرزدق أيضاً :

وما مثله في الناس إلا مملّكا أبواته حي أبوه يقاربه^(٢)

مدح هشام بن اسماعيل^(٣) بن هشام بن الوليد أبا أم هشام

(١) من البحر الطويل .

(٢) من الطويل أيضاً .

(٣) في الإيضاح للجلال القزويني الذي هذّبناه ما نصه : كان حقه أن يقول : وما مثله في الناس حي يقاربه إلا (مملّكا) أبو أمه أبوه ، فانه مدح ابراهيم بن هشام بن اسماعيل الخزومي خال هشام بن عبد الملك ، (وما مثله) يعني ابراهيم المدوح في الناس (حي يقاربه) أي أحد يشبهه في الفضائل (إلا مملّكا) يعني هشاما (أبو أمه) أي أبو أم هشام أبوه أي أبو المدوح ، فالضير في (أمّه) للملك وفي (أبوه) للمدوح .

قلت فهذا التقديم والتأخير والفصل والإضمار قد أدّى الى التعقيد اللفظي وهو بما يخل بفصاحة الكلام لمخالفته للقانون النحوي المعروف .

ابن عبد الملك فقال : ما مثله (إلا مملكاً) يعني هشام بن عبد الملك ، أبو أم هشام بن عبد الملك حيّ أبو الممدوح يقاربه ، يعني إن بني أمية وبني مخزوم جميعاً من قريش .

وقال الأُخفش أبو الحسن سعيد بن مسعدة نصب (مملكاً) لأنه استثناء عنده^(١) : ما مثله في الناس حيّ يقاربه إلا مملكاً أبو أمه أبوه ، يعني خال هشام والمملك هشام بن عبد الملك .

هذه أبيات معانٍ

مما غلط الأعرابُ فيها الأصمعيّ

أملأها أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب رحمه الله رواها أبو بكر ابن الخطّاط ، وجدتها في كتب أبي سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي .

قال الأصمعيّ في قول الراعي :

(١) (إلا مملكا) مستثنى من (حيّ) تقدم على المستثنى منه فانتصب ، ولو كان مؤخرأ عنه لكان المختار فيه الرفع على البدلية من (حيّ) وهو المستثنى منه .
م (٥)

إذا ما دعت شيباً بجَنِيْ عُنِيزَةٍ مشافِرُها في ماء مُزَنٍ وباقل^(١)
 قال : حكى أصوات مشافرها بقوله (شيبا) كقوله : (والبحر
 يدعو هَيْقَمًا وَهَيْقَمًا) حكى صوت البحر ، قال : و (باقل) يريد
 البقل ، قال الصَّقِيلُ : أخطأ ، حَرَبَهُ اللهُ ! إذا أكل البقلَ
 ما يصنعُ بالماء ، يا سُبْحانَ اللهِ ! أما يَعْلَمُ الجاهل أنها إذا
 أكلت البقلَ لم تطعم الماء ، ولكن (باقل) الرَّمْث والغضا
 والإخريط من الحمض إذا أكلته أحرقت أجوافها فشربت الماء
 شرباً شديداً وأنشد :

حَرَّقَهَا الحمضُ فما تَقِيلُ وما يَقيِلُ تحتَها فَصِيلُ
 إلا فَصِيلُ راسه ما كُولُ

وأنشد (حَرَّقَهَا من النَجِيلِ أَشْهَبُهُ) .

وقال أيضاً في قول الراعي :

يَظَلُّ يَغْنِيهِنَّ حَمَشٌ أُوْفُهُ وَهَنٌ قِيَامٌ ما يُحَرِّكُنَّ إَصْبَعًا^(٢)

(١) من البحر الطويل . وجاء في لسان العرب (شيب) : والشيب
 بالكسر حكاية صوت مشافر الإبل عند الشرب ، قال ذو الرمة ووصف
 ابلاً تشرب في حوض مثلم وأصوات مشافرها (شيب شيب) :
 تداءين باسم الشيب في مثلم جوائبه من بصرة وسيلام

(٢) من البحر الطويل .

يعني أنه حمش القوائم ، وأنه يتألف بهن المرعى .

قال أبو الخضر وغيره من الأعراب : هذا باطل إنها يعني
ذباب الروض ، وقوله (أنوفه) لأنه يأكل من كل أنواره
يتأنفها^(١) : يأكل أنفها وأنشد^(٢) :

كأن الذباب الأزرق الحمش وسطها إذا ما تغنى بالعشيات شارب^(٣)
عقار أسبتمها التجر من خمر عانة لها سورة في رأسه ذات صالب^(٤)
وأنشد آخر :

حريقاً زهاه النبت حتى ذبابه ومكاؤه عند الضحى غردان
كأنهما من قرقف أزريّة سباها قطار الشام، منتشيان^(٥)

(١) الأنوف والمتأنف الذي لا يرعى إلا أنف المرعى الذي لم يرعه
أحد ، والمؤنفة والمؤنفة من الإبل التي يتبع بها أنف المرعى أي أوله .
(٢) أنشده اللحياني أيضاً .

(٣) الحمش والحماشة والحموشة : الدقة ، وهو حمش الساقين
والذراعين بالتسكين وحيشها وأحمشها دقيقتها وحمش القوائم دقيقتها ، وكان
عبد الله بن مسعود حمش الساقين ، وقال الشاعر يصف براغيث :
وحمش القوائم حذب الظهور طرقت بليد فارقني
وذباب الروض كالبراغيث حمش القوائم .

(٤) (عقاراً) مفعول به لشارب ، والتجر التجار ، ويقال :
سار الشراب في رأسه إذا رثب وهاج وله سورة (ذات صالب) أي
حمى صالب يقال أخذته الصالب .

(٥) أي كأن الذباب وطير المكاء منتشيان وثلان من خمرة إزرع الشامية .

وأنشد لحاجب بن ذيان المازني يصف راعياً :
 إِذَا تَوَجَّسَ لَمْ تَرْجَعْ مَسَامِعُهُ مِنْ صَوْتِ عَجَمٍ وَلَا فُصْحٍ تُؤَدِّيهَِا
 إِلَّا مَقَامَ طَلِيٍّ أَوْ صَوْتِ ذِي هَزَجٍ حَمَشِ الْقَوَائِمِ فِي رَوْضٍ يُغْنِيهَا
 ومنه قول عنتره :

هَزَجًا كَصَوْتِ الشَّارِبِ الْمَتَرِّ ثُمَّ
 هَزَجًا يَحْكُ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ قَدَحَ الْمُكَبِّ عَلَى الزَّنَادِ الْأَجْذَمِ
 وقال في قول ذي الرِّمَّة :

يَجْلُو بِهَا اللَّيْلَ عَنَّا فِي مُلْمَعَةٍ مِثْلَ الْأَدِيمِ لَهَا مِنْ هَبْوِهِ نَيْمٌ^(١)
 قال : النِّيم : الفرو القصير^(٢) ، وإنَّها هُوَ بِالْفَارْسِيَةِ لِلنَّصْفِ
 قال أبو الخضر : أخطأ ، إِنَّا أَرَادَ بِقَوْلِهِ (نَيْم) كَسْوَةٌ مِنْ

(١) من البحر البسيط .

ورواية الصحاح (حتى انجلي الليل ...) وفي التكملة (يجلي بها
 الليل عنا ...) وقوله (في ملعة) قال ابن بري : من فتح الميم أراد
 يلمع فيها السراب ، ومن كسر أراد تلمع بالسراب قال : وفسر النيم في
 هذا البيت بالفرو (كما قال الأصمعي) وأنشد ابن بري للمرار بن سعيد :
 فِي لَيْلَةٍ مِنْ لِيَالِي الْقُرَى شَاتِيَةٍ لَا يُدْفِئُ الشَّيْخَ مِنْ صُرِّ أَدَاهَا نَيْمٌ

(٢) وفي اللسان (نوم) الفرو القصير إلى الصدر ، وقيل له نيم
 أي نصف فرو بالفارسية .

الهبوة^(١) لينة ، وكلّ لين من الثياب وغيرها نيم وأنشد :
 وقد كانت الدنيا على عهد رابعٍ تلين لنا من قرّة العين نيمها
 أي من عيش لين ، وأنشدته قول العجاج^(٢) :
 (يُكسَيْنَ من لين الشباب نيا)

قال : هذا مما قلتُ لك .

وقال في قول أبي النجم :

تَزِينُ لَحْيِي لَاهِجٍ مَخْلَلٍ^(٣)
 عن ذي قراميص لها مُحَجَّلٍ

(القراميص) مَفْحَصُ الناقة في الرَّمْل لئلا يثقل عليها

(١) الهبوة : النعامة ، فكأنها من ريش النعام على الجاز ، ولذلك
 فر بعضهم (النيم) بفرو يدوي من جلود الأرانب ، وهو غالي
 الثمن ، وبالقطيفة .

(٢) ونسب ابن برّي هذا الرجز لأبي النجم ، وقيل (وقد أرى
 ذاك فلن يدوما) .

(٣) من الرجز و (اللاهج) الفصيلُ يمتنعُ ضرع أمه ، و (المخلّل)
 الذي يُجمِل في فيه خيلاً فشده لكيلا يرضع .

ضرعها فتخضده^(١) فتدخله في الرمل فتجعله كالقرموص ، وإنما أراد بهذا ضخَمَ الضرع وثقله لأنها لا تقدر أن تتجافى عنه ولا بد لها من أن تحفر له .

قال الصقيل : كذب الأصمعي ، إنما القراميص قراميصُ الضرة^(٢) التي يجعل الله فيها اللبن وهي أفن في جوف الضرة وأبين ما تكون القراميص إذا دفعت وضخمت قُبيل الولد أو بعده ، وكيف يفحص بضرعها الرمل^(٣) .

وقال في قوله :

لا تَرِدُ الماءَ بِعَظْمٍ تَكْدِمُهُ تُجَارِفُ الحَوْضَ وَلَا تَشْمَمُهُ^(٤)

(١) تخضده : تثنيه وتكسره ، قال أبو الهيثم بعد أن أنشد الرجز : قراميص ضرعها بواطن أفخاذها ، وإنما أراد أنها تؤثر لعظم ضرعها إذا بركت مثل قرموص القطة إذا جثت .

(٢) الغرة : أصل الفرع الذي لا يخلو من اللبن .

(٣) قوله (وكيف يفحص بضرعها الرمل ؟) إذا بركت الناقة بعد أن تكون دفعت وضخمت ضرعها بغزارة اللبن فيه ، أثرت بثقل ضرعها في الرمل وتركت تحته حفرة كالقرموص ، والرمل سريع التأثر والانهيار بالثقل يوضع عليه ، وهذا شرح كلام أبي الهيثم الذي يزيّد كلام الأصمعي .

(٤) من الرجز .

يريد أن الإبل إذا وردت الماء أُلقيت لها العظام النَّخِرَة
لتشرب الماء وتلوّكها لتملّح بها ليكون أكثر شربها وأحرصَ
لها على الماء ، وهذه تشرب شرباً لا تحتاج معه إلى العظام ؛
فقال بهدل الأسديّ وعجربة وغيره من الفُصحاء : ليس
كما قال ، الإبل إذا لم ترعَ الحمض وفقدته اختلت إليه ^(١)
واعتلّت فتمرّ بالديران فتكدم ما وجدت من عظم وتعجمه ،
والكدم بمقدّم الفم . والعجم بالأضراس والفم كله ، يقول :
فهي لا تحتاج إلى ذلك لا صَبَعَه ^(٢) عليها ، ولحسن قيامه عليها ،
ورعيته إِيّاها ، وإمكانه إِيّاها من الحمض . وتقول إذا اشتقتَ
إلى صاحبك : قد اختلّتُ إلى فلان وإلى لقائه فأنا مختلّة إليه
فأما أن يحمل الراعي العظام إلى الماء فلم ترَ ذلك ولا سمعنا
به . وإِنّما يرتّم من الإبل ما كان في العذاة ^(٣) كل أرضٍ ليس

(١) احتاجت واشتقت إليه و (الديران) الديار جمع دار .

(٢) أي لحسن رعيته وقيامه عليها كقول الراعي :

ضعيفُ العصا بادي العُروق تَرى له عليها إذا ما أجَدَّب الناس إصْبَما

(٣) العذاة الأرض الطيبة البعيدة من الماء والوعم ، و (ترتّم) (ترتّم)

تأكل وتتضم الرمم .

فيها حمض فتتبع العظام وترتمُّ بها : أي تقضم الرَّمَمَ ، فإذا
كانت في حمضٍ لم تفعل ذلك .
وقال في قول حميد :

وخاضت بأيديها النطاف وذعدت بأقيادها إلا وظيفاً مُخَدِّماً^(١)

خضخضت بأيديها ماء السماء من الخصب وقطعت أقيادها
عنها من السمن والمرح إلا أن يبقى على الوظيف خَدَمَةٌ^(٢)
والوظيف ما بين الرُّسْغ والرُّكْبَة ، وما بين الرُّسْغ وعرقوب
الرجل ، وهي أيضاً في اليد ، والقِيُون واحدها قَيْن قال
ذو الرُّمَّة^(٣) :

(قَيْنِه وانحسرت عنه الأناعم)

قالت الأعراب : كيف تُخْضِخُضُ بأيديها النطاف ، وقد

(١) من البحر الطويل .

(٢) الخَدَمَةُ : السير الغليظ المحكم مثل الحلقة تشد في رسغ البعير
فيشد إليها سرائح نعلها ، والخلخال أيضا .

(٣) من البسيط وصدره :

(دانتى له القيد في ديمومه قذف قَيْنِه وانحسرت عنه الأناعم)

جمع انعام .

وصف قبل هذا أنه قد تجرّم^(١) الربيعُ وسمين^(٢) حتى عاد
مدّماها كُميّتا، إنّما أراد أنه نشّت^(٣) الغُدران فلم يبقَ من الماء
إلا ما تخوضه بأيديها كما قال ذو الرّمة :

وخاض القطّام من مكرع الحيّ باللوّى نطافاً بقاياهنّ مطروقةً كدُرّ
أي نشّت الغُدران والمواضع التي يكرع فيها القوم حتى
خاضها القطّاء .

وقال في قول عمرو بن قعاس المرادي :

وصادرة معاً والوردُ شتّى على أدبارها أصلًا حدوت^(٤)
قال : يعني قصيدة من الشعر، واحتجّ بقول الخطيئة حيث
سُئل عن أشعر أهل زمانه ؟ فقال : كفالك بي إذا حدوت في
آثار القوافي .

(١) انقضى وانصرم واصله من الجرّم وهو للقطع .

(٢) وسمين ويمكن قراءتها (تيمّن) ، أما وجه (سمين) فلعل الأصل
(سمن السرح) فحذف الناصخ الفاعل ، وأما (تيمّن) فقد تكون بمعنى
مات لأن التيمّن من معانيه الموت : أي انقضى الربيع ومات .

(٣) نشّت الغُدران : أخذ ماؤها في النضوب

(٤) من البحر الوافر .

قالت العرب : فما قوله (أُصْلًا) ، وقول الشعر بالغداة
والعشي سواء ؟ ؛ ولكنه أراد إيلاَ أغار عليها وردت الماء شتَّى
فلما اجتمعت معاً ساقها وسحدا في آثارها ، وقالت الأعراب :
كفى بي إذا وضعتُ إحدى رجلي على الأخرى ورفعت غريدتي^(١)
بالركبانية جارياً منهم ، وقال آخر : (جاءت معاً وصدرت شتيتا)
فهذا خلاف قوله (وصادرة معاً ...) ومثل (وصادرة معاً ...)
قول مرقش :

فلم يشعُر الحيُّ حتى رأوا بريقَ القوانسِ فوقَ الغَرَرِ
ففرقتُهُمْ ثم جمعتُهُمْ وأصدرتهم قبلَ حينِ الصَّدَرِ
قال : تفرقت الإبل من الفزع ثم جمعوها وضمّوها وساقوها
وقت صَدَرها ومثله للجعدي :

ففرقتُهُ ثم جمعتُهُ ولم تكُ غارتُهُن اختلاسا
آخر الأبيات

(١) غريدتي أي تغريدتي أو أغرودتي ، أو مصحفة عن عقيرتي ،
(الركبانية) لم تذكرها كتب اللغة فلملها أغاني الركبان بغرب
من الألحان .

هذه أبيات

خطأً فيهما أبو نصر^(١) صامب الأصمعي ابن الأعرابي

عن أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد رحمه الله :
سُئِلَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ عَنْ قَوْلِ طَفِيلِ الْغَنَوِيِّ :

« ١ »

تَتَايَعَنَ حَتَّى لَمْ تَكُنْ لِي رِيْبَةً وَلَمْ يَكْ عَمَّا خَبَرُوا مُتَعَقِّبٌ^(٢)
سألوه عن تفسيره وما معنى قوله (مُتَعَقِّبٌ) ؟ فقال :
متعقب : تكذيب . قال أبو نصر الباهلي : هذا خطأ ، قوله
(متعقب) : أي لم أسل عن الخبر ثانية ، والعرب تقول :
« تَعَقَّبْتُ الْخَبَرَ » إِذَا سَأَلْتَ عَنْهُ غَيْرَ مَنْ سَأَلْتَ عَنْهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ،

(١) أبو نصر هو أحمد بن حاتم الباهلي راويته روى عنه كُتِبَ ، ويقال
هو ابن أخته ، وذكر البغدادي في تاريخه أنه أوثق من روى عن الأصمعي ،
وكان ثعلب يروي عن أبي نصر كتب الأصمعي . قال الزبيدي توفي
سنة ٢٣١ هـ .

(٢) من البحر الطويل .

وقوله (تتايعن) التتايع التهاقت في الشر واللجاج فيه من غير روية
ولا يكون في الخبر .

ومنه يقال : عَقَبَتْ في الغزو : إذا غزوتَ ثمَّ ثَمَّيتَ^(١) ، ومنه وأنشد لطفيّل مثل هذا البيت أيضاً :

وأطنا به أرسانُ جُرْدٍ كأنها صدورُ القنّامن باديءٍ ومُعَقَّبٍ

أي أطناب البيت أرسانُ الخيل ، و (جُرْدٌ) قصار الشعور

كأنها صدور القنا في الطول ، والمعنى كأنها القنا ، يُقال : جاء

فلان على صدر راحلته أي جاء على راحلته ، ومنه قول الأعشى^(٢) :

الواطئين على صدور نعالهم يمشون في الدَّفْنِيِّ والأبرادِ

(الدفني) ثياب نسبت الى الدفنة وهي من اليمن^(٣) ، أراد :

الواطئين على نعالهم .

(١) وهو التعقيب أن يغزو الرجل ثم يثني من سنته ، وقال طفيّل

أيضاً يصف الخيل :

طوال الهواذي والمتون صليبةٌ مفاويرٌ فيها للأمير مُعَقَّبٌ

(٢) وقبله يفتخر بقومه بني قيس بن ثعلبة :

إني امرؤ من عَصَبِ قَيْسِيَّةٍ ثُمَّ الْأَنْفِ غَرائِقِ أَحْشَادِ

(٣) وهي ثياب مخططة كما جاء في لسان العرب ولم يذكر نسبتها

إلى الدفنة .

وُسئِلَ عن قول طَفِيل :

« ٢ »

كَأَنَّهُ بَعْدَ مَا صَدَّرْنَ مِنْ عَرَقٍ سَيِّدٌ تَمَطَّرَ جُنْحَ اللَّيْلِ مَبْلُولٌ^(١)

قال ابن الأعرابي : بعد ماسال العرق من صدورهن سيدٌ ،

والسيد الذئب .

قال أبو نصر : هذا خطأ ، إنها التفسير : كأن الفرس بعدما تقدمت الخيل بصدورها من عَرَقِ الصَّفِّ صفَّ الخيل ذئب أصابه مطر فهو ينجو . (تمطر) أسرع يقال : تمطر في العدو^(٢) ، ومنه يقال : عَرَقَةٌ من قطاً ومن خيل ، وكل سطر وصف عَرَقَةٌ^(٣) .

(١) من بحر البسيط ، وروي في اللسان (مطر) و (عرق) : كأنهن وقد صدرن . . .

(٢) واستشهد ابن منظور بالبيت على أن (تمطر) أسرع في عدوه ، وقيل (ولعله تفسير ابن الأعرابي) تمطر برز للمطر وبرده ، وأبو نصر فسره بمعنى أسرع في العدو ، وفهم أنه أصابه مطر من قوله (جنح الليل مبلول) .
(٣) وفي اللسان (عرق) والعَرَقُ السطر من الخيل والطير الواحد منها عَرَقَةٌ وهو الصف واستشهد بيت طفيل ، وقال ابن بري في شرحه : العرق جمع عَرَقَةٌ وهو السطر من الخيل (وصدر الفرس فهو مصدر إذا سبق الخيل بصدوره ، و (صدرن) أخرجن صدورهن من الصف ، وذكر اللسان تفسير ابن الأعرابي بأنه (صدرن بعد ما عرقن) من العرق ، ولم يذكر تخطئة أبي نصر له في تفسيره .

وُسِّيلَ عَنْ بَيْتِ طُفِيلٍ :

« ٣ »

كَأَنَّ عَلَى أَعْرَاقِهِ وَلِجَامِهِ تَسْنَا ضَرَمَ مِنْ عَرْفَجٍ يَتَلَهَّبُ^(١)

فقال : كأن الفرس في سُقْرَتِهِ نار .

قال أبو نصر : هذا خطأ ، إِنَّا معناه . كأن حفيفَ تجريه

لهبُ نار ، وحفيفها^(٢) (صوت لهبها) ، واستشهد بيت أوس :

إِذَا اجْتَهَدَا شَدًّا حَسِبْتَ عَلَيْهِمَا عَرِشًا عَلَيْهِ النَّارُ فَهُوَ مُحَرَّقُ^(٣)

وقال العجاج :

كَأَنَّمَا يَسْتَضْرِمَانِ الْعَرْفَجَا فَوْقَ الْجَلَّازِيِّ إِذَا مَا أَمَحَجَا^(٤)

(١) من البحر الطويل .

(٢) التعبير ناقص ، ولعل الأصل (وحفيفها صوب لهبها) لأن الحفيف صوت الشيء تسمعه كالرنة أو طيران الطائر أو التهاب النار أو حركة أوراق الأشجار .

(٣) من الطويل .

(٤) من الرجز ، والجلّاذي جمع جِلْدَاء أو جُلْدِيَّة عن ابن شميل ، وهي المكان الحشن القليظ من القف المرتفع يقطع أخفاف الإبل وقلتها ينقاد ، و (أمحج) أسرع .

وقال رؤبة :

كَأَنَّ أَيْدِيهَا تَهَاوَى فِي الزَّهَقِ مِنْ كَفَّتْهَا شِدًّا كَأِضْرَامِ الْحَرَقِ^(١)

وقال امرؤ القيس :

جَمُوحًا سَبُوحًا وَإِحْضَارُهَا كَمَغْمَعَةِ السَّعْفِ الْمَوْقِدِ

وُسِّئِلَ عَنْ بَيْتٍ لِعُرْوَةَ بْنِ الْوَرْدِ :

« ٤ »

مُطِيلًا عَلَى أَعْدَائِهِ يُزْجِرُونَهُ بِسَاحَتِهِمْ زَجْرَ الْمَنِيحِ الْمَشْهَرِ^(٢)

فقال : (المنيح) الذي لانصيب له في القِداح ، وإنما
تَكَثَّرَ بِهِ الْقِدَاحُ .

قال أبو نصر : هذا خطأ ، إذا كان خاملاً^(٣) لانصيب له
فَلِمَ يُزْجَرُ ، ولم قال (المشهر) ؟ وقال أبو نصر : المنيح
القِدَحُ المعروف بالفوز فيستعار لأنه يُتَبَرَّكُ بِهِ لكَثْرَةِ فَوْزِهِ^(٤) ،

(١) الزَّهَقُ عَرَكَةٌ : المَطْمِنُ مِنَ الْأَرْضِ وَفَجَّ الْجَبَلُ الْمَشْرِفُ ،
وَالْكَفْتُ الْإِسْرَاعُ .

(٢) مِنَ الْبَعْرِ الطَّوِيلِ .

(٣) سَاقِطًا لَا نِبَاهَةَ لَهُ

(٤) قَالَ اللَّحْيَانِيُّ : وَالْمَنِيحُ قَدَحٌ مِنْ أَقْدَاحِ الْمَيْسَرِ يُوْثِرُ بِفَوْزِهِ فَيَسْتَعَارُ
يُنْتَمِنُ بِفَوْزِهِ .

ومنه الناقة المنيحة لأنها تُعار فيُشرب لبنها ثم تُردّ ، يقال ،
مَنحت فلانا ناقةً إذا أعرته إياها وأنشد ^(١) .

مُفَدَّى مُؤَدَّى باليدين ملعَنٌ خَلِيعُ لجامٍ فَائِزٌ مُتَمَنِّحٌ
إِذَا امْتَنَحْتَهُ مِنْ قَرِيشٍ عَصَابَةٌ غَدَارَةٌ قَبْلَ الْمُفِيزِينَ يَقْدَحُ
وقال عمرو بن قميئة :

بأيديهم مقرومة ومغالقٌ يُشِيرُ بِأَرْزَاقِ الْعِبَادِ مَنِيخُهَا ^(٢)
قال فهل يشير الرزق مالا نصيب له ؟ وأنشد لليد :

ذَعَرْتُ قِلاصَ الثَّلَجِ تَحْتَ ظِلَالِهِ بِمَشْيِ الْأَيْدِي وَالْمَنِيحِ الْمُعَقَّبِ ^(٣)

(١) لابن مقبل من الطويل (الديوان « نشر وزارة الثقافة » ص ٣٠) ،
ورواية اللسان لبنته الثاني (إذا امتنحته من مَعَدِّي . . .) وبعده جاء شرحه
في اللسان بقوله : يقول إذا استعاروا هذا القيد غداً صاحبُه يقْدَحُ النارَ
لثقتِه بفوزه ، وهذا هو المنيح المستعار ، وهذا يؤيد ما ذهب إليه
أبو نصر ، على أنه قد يطلق المنيح على مالا نصيب له كقوله :

(فَمَهْلًا يَأْقُضَاعُ فَلَ تَكُونِي مَنِيحًا فِي قِدَاحِ يَدَيَّ مُجِيلِ)
فانه أراد بالمنيح في هذا البيت الذي لا غم له ولا غرم عليه ، قال الجوهري :
والمنيح سهم من سهام الميسر ، لا نصيب له إلا أن يمنح صاحبه شيئاً ،
فهذا ما أراد ابن الأعرابي وإنما أخطأ في تفسير (المنيح) الوارد في بيت
عروة بن الورد فإنه كثير الفوز يتبرك به ويستعار .

(٢) مقرومة مقشورة وهي القداح ، (والمغالق) من نعوت القداح التي
يكون بها الفوز وليست من أسمائها .

(٣) من الطويل و (المعقب) من عقبه تعقيباً جاء بعقبه .

وأنشد لدريد بن الصُّمَّة :

وأصفرَ من قِداحِ النَّبْعِ فرعٌ به عَلمانِ من عَقَبٍ وَضُرْسٍ
وُسَيْلٍ عن بيت لأبي داود .

« ٥ »

وتدلّت بها المغارِضُ فوقَ أَلْ أرض ما إِنْ يُعِلُّهُنَّ السَّنامُ^(١)
فقال ابن الأعرابي : المعارِضُ بالعين .

قال أبو نصر : (المغارِضُ) بالغين معجمةً الواحد مَغْرَضَةٌ
وهو موضع الغَرَضِ من الناقة ، والغَرَضُ حِزام الرّاحل .

وُسَيْلٍ عن بيت الراعي :

« ٦ »

تَكسُو المِفارِقَ واللُّبَّاتِ ذَا أَرَجٍ من قُصْبٍ مُعتَلِفٍ الكافورِ دَرَجٍ^(٢)
فقال : (من قُصْبٍ) بالضاد معجمة .

فقال أبو نصر : صَحَّفَتَ إنها هو بالصاد أراد المسك من
قُصْبٍ مُعتَلِفَةٍ الكافور ، والقُصْبُ المَعْيُ والجمع أَقْصَابٌ ،

(١) من البحر الحقيق .

(٢) من البحر البسيط ، وقد استشهد اللسان ببيت الراعي على القصب

ثم قال أبو نصر : الست تقول : ليته بحوض الثعلب ؟ وإنما هو
 بخوض الثعلب ^(١) فقال أقول : بحوض وبخوض وقال : ألسنت
 تقول : بلغ فيه الشيبُ بالغين المعجمة ؟ فقال نعم أقول :
 بلغ وبلغ ^(٢) .

تمت الآيات

قرأه عليّ إلى آخره . أبو نصر شاكر بن عبد الله وسمع
 بقراءته أبو محمد وأبو الحسن وأبو الفضل في ذي الحجة سنة
 عشر وأربعمائة .

وكتب محمد بن علي بن اسحق الكاتب بيده ^(٣) .

عز الدين التروضي



(١) وفي اللسان : وخوض الثعلب موضع بالياء حكاة ثعلب .
 (٢) بلغ الشيبُ في رأسه : ظهر أول ما يظهر ، وفي اللسان (بلغ)
 وزعم البصريون أن ابن الاعرابي صحف في نوادره فقال مكان بلغ بلغ
 الشيب فلما قيل له انه تصحيف قال : بلغ وبلغ ، قال أبو بكر الصولي
 وقرئ يوماً على أبي العباس ثعلب ، وأنا حاضر هذا ، فقال : الذي أكتب
 (بلغ) كذا قال بالغين معجمة .

(٣) عبارة القراءة والسماع الأخيرة كتبت بخط غير خط ناسخ الكتاب
 فلا شك في أن تاريخ نسخه متقدم على تاريخ كتابة محمد بن علي الكاتب
 فقد يكون في أواخر القرن الرابع أو قبل ذلك والله أعلم .

ابن بطوطة

هو الرحالة العالمي الشهير أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن يوسف اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة ، بفتح الباء وضم الطاء الأولى مع التخفيف ، وبعضهم يشددونها والجاري على الألسنة خلافه .

ولتوانة التي ينسب إليها هي بفتح اللام قبيلة مغربية منازلها الأصلية ببرقة من أرض طرابلس وتوطن منها يجهات المغرب المختلفة أقوام نبغ منهم بطنجة قبل المترجم أمرة بني سمجون الفقهاء الأعلام وبسببته الفقيه المشاور أبو جعفر اللواتي المعروف بابن القابسي شيخ القاضي عياض وغير هؤلاء . على أن أسرة ابن بطوطة نفسها كانت أسرة علمية ظهر فيها القضاء ومشاخ العلم على ما أخبر هو عنها في الرحلة لما خيره ملك الهند في وظائف الوزارة والكتابة والإمارة والقضاء والتدريس فقال : « أما الوزارة والكتابة فليست شغلي ، وأما القضاء والشيخة فشغلي وشغل آبائي » . وذكر في الرحلة أيضاً أنه لما قدم إلى رندة في رحلته إلى الأندلس كان القاضي بها هو ابن عمه الفقيه أبو القاسم محمد بن يحيى بن بطوطة . فهذا بيت ثان من لوانة نبغ بطنجة وإن لم نخط بأفراده علماء لسكوت المؤرخين وكتاب التراجم عن ذكرهم . ولولا هذه الإشارة العابرة من رحالتنا إلى ما كان لأهل من مجد علمي لما عرفنا عنه شيئاً من ذلك .

وكانت ولادة ابن بطوطة في مدينة طنجة يوم الاثنين ١٧ رجب عام ٧٠٣ (٢٤ شباط « فبراير » ١٣٠٤) والدولة المرينية في عنفوان

القوة ، والشعب المغربي في أوج تقدمه العلمي والأدبي ، فمن الطبيعي أن ينشأ ابن بطوطة وهو سليل أسرة علمية عريقة ، على طلب العلم وينبت في حجر والديه نبأً حسناً ، وانظاهر أنه إنما درس على مشائخ بلده ، إذ لا نعلم له رحلة في هذا الصدد قبل رحلته الكبرى .

أما طلبه العلم وتحصيله طرفاً منه فمما لا شك فيه ، ويدلنا على ذلك أنه في أثناء رحلته لم يكن يخالط إلا أهل العلم ولا يمنح إلا إليهم ، وإذا لقي أحداً من كبار المشائخ ، ومشاهير العلماء حرص على الأخذ عنه والقراءة عليه ، واختير هذا لشيخ الرواية هو وحده دليل على نزعة علمية أصيلة فيه .

ولا ننس أنه لما كان بالبصرة وشهد صلاة الجمعة فيها بمسجد عليّ ، لاحظ أن الخطيب يلحن لحناً كثيراً جلياً على حد تعبيره ، فعجب من ذلك وذكره للقاضي فقال القاضي له : « إن هذا البلد لم يبق به من يعرف شيئاً من علم النحو » . وهذا الأمر حمله على أن يسجل هذه الملاحظة للاعتبار فيقول : « وهذه عبرة لمن تفكر فيها ، سبحانه مغير الأشياء ومقلب الأمور ! هذه البصرة التي إلى أهلها انتهت رئاسة النحو وفيها أصله وفرعه ، ومن أهلها إمامه الذي لا ينكر سبقه ، لا يقيم خطيباً خطبة الجمعة على دؤوبه عليها » .

ثم لا ننس أنه ولي منصب القضاء على المذهب المالكي في مدينة دهلي بالهند مدة تُنَيَّف على سبع سنين ثم يحزيرة ذبية المل أيضاً ما يقرب من سنة ونصف ، كما ولي قضاء الركب التونسي للحج فوراً انفصاله عن المغرب ، ومات وهو قاض ببعض جهات المغرب كما يأتينا عن ابن مرزوق . فهذان الأمران ، وهما ملاحظة اللحن على خطيب البصرة وولايته للقضاء في بلاد عديدة ، زمناً طويلاً ، يرشداننا إلى ما كان عليه من ثقافة لغوية وفقهية لا يستهان بها .

أضف إلى أنه كان ينظم شعراً وسطاً على عادة العلماء المتفنين ، وقد أعطانا نموذجاً منه في الرحلة ، وهو سبعة أبيات من قصيدة مدح بها ملك الهند ، فهذا أيضاً دليل على ثقافته الأدبية .

ولم يشر في الرحلة على طولها إلى أنه تلقى شيئاً من الدراسات المباشرة لما ذكر عن أحد من العلماء الذين لقيهم في البلاد المختلفة ، وإنما ذكر سماعه لبعض كتب الحديث على بعض كبار العلماء وإجازتهم له ، وأخذه للعهد عن بعض مشائخ الصوفية على ما كان عليه الحال في الزمن الماضي ، وتلك طريقة العلماء الذين يحرصون على سعة الرواية وعنو السند ، فلا يقال إنه درس أثناء رحلته ، لأن ذلك لا يفهم منه بحال .

وعليه فهو قد درس ببild « طنجة » وزارل دراسته في فجر حياته لأنه لما شد رحله كان ابن اثنين وعشرين عاماً ، وفي الوقت نفسه كان قد انتهى من الدراسة ، وإذا دل هذا على شيء فعلى أن طنجة كانت غنية بعلماؤها في ذلك الوقت ، وهم من الصنف الذي يستغني به الطالب في دراسته الكاملة فلا يحتاج إلى الهجرة في طلب العلم . والغريب أنه لم يُسم لنا أحداً من شيوخه هؤلاء ، ولم يذكر شيئاً عن أوليته في الطلب ، وإنما المرجح أن يكون من بين شيوخه بعض أئاربه الذين قال عنهم ما قال . هذا استنتاجنا بالنسبة إلى تكوينه العلمي ، وأما بالنسبة إلى تكوينه الخلقي فيظهر أن والديه اللذين لم يفتأ يحن اليها أشد الحنين طرأ رحلته ، قد ربياه تربية دينية متينة . فكان قوي العقيدة ، محافظاً على أداء الشعائر الدينية ، صبوراً ، صدوقاً ، واثقاً بالعناية الإلهية ، لاسياً عند الشدائد . وذلك ما جعله يخاطر بالتوغل في أقاصي البلاد والرحلة إلى أقطار العالم في زمن كانت المواصلات فيه شاقة جداً ، والطرق غير مأمونة ، وأكثر الشعوب والأمم على عداه متصل فيما بينها . ومن الدليل على شدة

تدينه أن باعته الأول على الرحلة كان هو ارادة الحج وأداء هذه الفريضة التي لا تجب على الفور ، وهو لم يزل بعد في عنقوان الشباب وطراوة الإهاب .

وفي أثناء رحلته الطويلة كان لا يسمع بوجل من الصالحين في بلد من البلدان وإن لم يكن على طريقه إلا عرج عليه وزاره وتبرك به وطلب منه الدعاء له ولوالديه . وكذلك كان لا يمنح إلا لأفاضل الناس ولا يصحب إلا ذوي المروءات منهم . وشيء آخر هو أنه منذ ابتداء رحلته ، جرى على الاستفادة من سماحة الشريعة الغراء فكان يتزوج في كل بلد يحل به وينوي الإقامة فيه ، وربما تزوج في الطريق ويصطحب معه زوجته ولا يفارقها حتى تكون هي الراغبة في الفراق ، يتحاشى بذلك عن الوقوع في العنت وهتك حرمت أهل البلد الذي ينزله ، وكل ذلك مما يدل على قوة دينه وتقائه عرضه .

ومن أخلاقه الأصيلة أنه كان سريع التأقلم إن صح هذا التعبير (١) ، ونعني به التكيف بطبيعة الإقليم الذي يستقر به ، والاندماج في أهله ومواطنهم على عاداتهم ومألوفاتهم حتى يصبح كأنه واحد منهم وكأنما ولد بين ظهرانيهم وعاش معهم زمناً طويلاً ، ولعل لبلده طنجة التي هي طريق رئيسي بين الشرق والغرب وطبيعة أهلها المرححة المنشرحة دخلاً في ذلك ، وهذا على ما نظن مما كان له أثر كبير في تغلقه في الأوساط الاجتماعية المختلفة للبلاد التي زارها ، أضف الى ذلك ما كان عليه من شدة الملاحظة وقوة الذاكرة ، فلا جرم أن تمتاز رحلته بكونها سجلاً مهما للحياة الاجتماعية حتى والسياسية والاقتصادية في أقطار لم نكن لنعرف عنها شيئاً في الوقت الذي زارها فيه لولا انطباعاته هذه التي سجلها بكل دقة وأمانة .

وإلى هنا نكون قد ألمنا بالعناصر الأولية التي كونت هذه الشخصية القوية ، ولعل عنصراً آخر مادياً يكون ضروري الإضافة إلى هذه العناصر

(١) الأقلية والتأقلم من المصطلحات العلمية الشائعة التي أقرها مجمع القاهرة . (لجنة المجلة)

المعنوية ، وهو متانة بنية الرجل وشدة أمره ، ولا نعدم في الرحلة ما يدلنا على ذلك من المشاق والمتاعب حتى والمعارك المسلحة التي اشترك فيها وواجهها بثبات وشجاعة . وبهذا تتم الصفات التي كان يتوفر عليها الرحالة الإسلامي الأكبر ، والتي هي بتوفيق الله سبب نجاحه المنقطع النظير .

وإذا قلنا الرحالة الإسلامي الأكبر فاننا نعني ما نقول ، لأنه لم يقم من بين المسلمين على كثرة الرحالين فيهم من جاب هذه البلاد العديدة التي جابها ابن بطوطة في الشرق والغرب والشمال والجنوب ، ودون مشاهداته فيها وترك لنا مثل هذا الأثر الجغرافي الممتع الذي يقلُّ له الكفاء ، على أنه حتى بين الأوروبيين لم يقيم رحالة يَفْهَمُ قَرِيْبَهُ قبل العصر الحديث . ولهذا نجد مثل سيتزن (Seetzen) الرحالة الألماني يقول :

« أي مسافر أوروبي في هذا العصر يمكنه الاقتخار بأنه خصص قدر الزمن الذي يبلغ نصف حياة الإنسان في سبيل التفتيش عن مثل هذا العدد من البلدان السحيقة وذلك بشجاعة لا يزعمها شيء ، وبتحمل المشقات العديدة ؟ بل أنة أمة أوروبية كان يمكنها لخمة قرون خلت إيجاد مسافر يجوب المناطق الأجنبية بمثل هذا الاستقلال في الحكم ، وبمثل هذه القدرة على المراقبة ، وبمثل هذه الدقة في كتابة الملاحظات ، مما اتصف به هذا الشيخ المراكشي المشهور في المجلدين من كتابه ؟ ان معلوماته عن الكثير من المقاطعات الإفريقية المجهولة وعن نهر النيجر وعن بلاد الزنج (زنجبار) الخ لا تقل فائدة عن معلومات لارن الإفريقي . أما جغرافية بلاد العرب وبخارى وكابل وقتندهار فانها تستفيد كثيراً من كتابه ، حتى أخباره عن الهند وسيلان وسومطرة والصين فانه من الواجب على انكليز الهند^(١) أن يقرأوها باهتمام خاص . »

(١) يقول هذا لما كان للانكليز هند .

واذ قد عرفنا قيمة الرجل وأهمية الرحلة التي قام بها ، فلتتأثر خطاه لمعرفة البلاد التي زارها والطرق التي سلكها ، من غير أن نقف معه في بلد أو طريق ، إلا نادراً جداً حين نمر بخبر طريف أو نكتة حارة أو وصف لشيء غريب يحسن الوقوف عنده . ولا نستوعب في ذلك أيضاً وإنما نعطي أمثلة قليلة منها لعلها تكون حافزاً لمطالعة أخبار الرحلة كلها في كتاب تحفة النظار .

وقد رحل صاحبنا ثلاث رحلات ، أولاها وهي أطولهن بدأها في يوم الخميس الثاني من رجب سنة ٧٢٥ هـ (١٣٢٥ م) وانتهى منها يوم الجمعة أواخر شعبان عام ٧٥٠ ، ومعلوم أن قصده الأول كان هو الحج إلى بيت الله الحرام وأن خروجه كان من طنجة ، وأنه كان له من العمر حين ابتداء الرحلة اثنان وعشرون عاماً ، وذلك في أيام السلطان أبي سعيد المريني الأكبر . وقد مر في طريقه بتلمسان وسلطانها يومئذ أبو تاشفين بن أبي حمور ، ولم يمكث بها طويلاً لأنه رغب في صحبة رسولتي ملك تونس إلى بلاط تلمسان ، وهما القاضي أبو عبد الله النقزاري والشيخ أبو عبد الله الزبيدي ، وكانا قد انفصلا عنها يوم وصوله إليها فلحق بهما ، وتوفي القاضي في الطريق فتأخر هذا الوفد لأجل دفن الميت . وارتحل صاحبنا مع رفقة من التجار ، ومات أحدهم أيضاً وترك مالا فسطا عليه عامل بجاية ، قال : « وهذا أول ما شاهدته من ظلم عمال الموحدين » ، يعني الحفصيين أصحاب تونس . ثم مرض صاحبنا بالحمى ولكنه تحامل على نفسه . وكان قد لقي ثانياً الشيخ أبا عبد الله الزبيدي فساعدته كثيراً ، وبعد لأي وصل إلى تونس ، قال : « فبرز أهلها للقاء الشيخ أبي عبد الله الزبيدي ولقاء أبي الطيب بن القاضي أبي عبد الله النقزاري (المتوفى) فأقبل بعضهم على بعض بالسلام والسؤال ، ولم يسل عليّ أحد لعدم معرفتي بهم فوجدت من ذلك في النفس ما لم أملك

معه سوابق العبرة واشتد بكائي ، فشعر بحالي بعض الحجاج فأقبل علي بالسلام والإيناس وما زال يؤنسني بحديثه حتى دخلت المدينة .

وهذا الضعف الذي بدا من صاحبنا في هذا الموقف هو مما يستغرب من رجل سيجوب فيما بعد أكثر المعمور وينقطع عن موطنه وأهله خمسا وعشرين سنة ، الا أنه كان الأول والآخر فلم نعد نراه شاكيا ولا باكيا ، وقد برهن بما بدا منه بعد ذلك في غير موقف من التجلد وعدم المبالاة بالأخطار مها عظمت ، أنه إنما انفجر عند أبواب تونس لوداع المغرب ، وأن ذلك الضعف ثم يكن له خلقا أصيلا كما حارل أن يلصقه به كل من كتب عنه من الكتاب المحدثين .

وعلى كل حال فقد دخل تونس ونزل بمدرسة الكتبيين منها ، وكان سلطانها يومئذ هو أبو يحيى بن أبي زكريا الحفصي ، ومن أعلامها حينئذ ابن الغماز وابن عبد الرقيع وابن قداح الهواري ، قال : « ومن عوائده أنه يستند كل جمعة بعد صلاتها الى بعض اساطين الجامع الأعظم المعروف بجامع الزيتونة ، ويستفتيه الناس في المسائل ، فإذا أفنى في أربعين مسألة انصرف » . وقد حضر صلاة عيد المطر بها ، ورأى بروز السلطان الى الصلاة ، ثم خرج في ركب الحاج التونسي إلى الحجاز ، وكان أكثره من المصامدة ، قال : « فقدموني قاضيا بينهم » . وولايته هذه للقضاء في فور انفصاله عن المغرب مما يدل على انه كان يتوفر على مؤهلات علمية كافية .

وخرج الركب من تونس في أواخر ذي القعدة سالكا طريق الساحل فوصل الى طرابلس في ١٣ من ذي الحجة وتزوج صاحبنا بنت لأحد التونسيين ، ثم انفصل عن الركب الذي أقام بطرابلس خوفاً من البرد والمطر وغادرها هو أواخر محرم سنة ٧٢٦ هـ في جماعة من المصامدة وتقدم عليهم ، وفي أثناء الطريق وقع بينه وبين صهره التونسي مشاجرة أدت

الى فراق بنته ، ثم تزوج بنتاً لبعض طلبة فاس ، وأولم وليمة حبس لها
الركب الذي تلاحق بهم بعدما كان قد تخلف في طرابلس .

وفي أول جمادى الأولى وصل الركب الى مدينة الاسكندرية ، ويخسها
الرحالة بوقفة طويلة وصف فيها عجائبها وذكر بعض علماءها ، منهم قاضيا
عماد الدين الكندي « إمام من أئمة علم اللسان ، وكان يعتم بعمامة خرقت
المعتاد للعلماء ، لم أر في مشارق الأرض ومقاربها عمامة أعظم منها ،
رأيت يوماً قاعداً في صدر محراب وقد كادت عمامته أن تملأ المحراب » .

وذكر أنه وجد في الإسكندرية ملك تونس المخلوع أبا يحيى زكرياء
ابن أحمد بن أبي حفص المعروف بالبحاني ومعه أولاده وصاحبه ووزيره .

وتجول في الأقاليم المصرية قصداً لزيارة بعض الصالحين ، وفي إحدى
القرى جرى بينه وبين ناظر القرية حديث عن مبلغ جباية بلده طنجة
فأخبره أنها اثنا عشر ألف دينار ذهب فعجب الناظر وقال له : « رأيت
هذه القرية ؟ فان مجيها اثنا وسبعون ألف دينار ذهباً » . قال :
« وإنما عظمت مجاي ديار مصر لأن جميع أملاكها لبيت المال » . وفي
مدينة أبيار حضر عند قاضيا يوم الركبة وهو يوم ارتقاب هلال شهر
رمضان ، وفي مدينة دمياط شاهد عجباً وهو أنه « اذا دخلها أحد لم يكن له
سبيل الخروج منها إلا بطابع الرالي ، فمن كان من الناس معتبراً طبع له
في قطعة كاغد يستظهر به لحراس بابها ، وغيرهم يطبع على ذراعه فيستظهر به » ،
وهذا الإجراء الذي كان يوحى به - ولا شك - موقع المدينة الحربي ،
يشبه ما نسميه اليوم بتأشيرة السفر ، ولم يقل صاحبنا ما كان حظه بالنسبة
الى هذا الإجراء ، هل الطبع في الكاغد أر على ذراعه فكان من أصحاب
الأذرع الممدودة للكشف عنها عند الخروج ؟

وركب الرحالة النيل من مدينة سنود مصعداً الى مصر « ما بين مدائن
رقري منتظمة متصل بعضها ببعض » قال : « ولا يقتقر راكب النيل الى

استصحب الزاد ، لأنه مهيا أراد النزول بالشاطئ نزل للوضوء والصلاة
 وشراء الزاد وغير ذلك . والأسواق متصلة من مدينة الإسكندرية الى مصر ،
 ومن مصر الى مدينة أسوان من الصعيد . ووصل الى مصر فبهرته بعظمتها ،
 ووصف مشاهدها ومعالمها ، وذكر أشياء من أخبار أمراءها وأخلاق أهلها ،
 وكان سلطانها يومئذ محمد الناصر بن قلاوون ، وقد أثنى عليه وحمد سيرته ،
 وأعجب بالزاوية التي عمرها خارج القاهرة ، لكنه استطرد ففضل عليها
 الزاوية التي أنشأها السلطان أبو عنان بخارج فاس الجديد . ثم ذكر قضاة
 مصر فقال إن أعلام منزلة وأكبرهم قدراً هو القاضي الشافعي ، وكان
 إذ ذاك هو العالم بدر الدين بن جماعة الشهير . وذكر العلماء أيضاً فكان
 من بينهم النحوي الأندلسي المعروف أبو حيان ، وسافر من مصر متوجهاً
 الى الحجاز بطريق الصعيد ، وفي قوص عاصمة هذا الإقليم ، رأى العالم
 فتح الدين بن دقيق العيد ، وكان هو الخطيب بها ، فآثى عليه بالفصاحة
 والبلاغة والسبق في هذا المضمار وقال : « لم أر من يماثله إلا خطيب
 المسجد الحرام بهاء الدين الطبري وخطيب مدينة خوارزم حسام الدين
 الشاطي ، وواصل صاحبنا سفره في صعيد مصر الى مدينة أدفو ثم ركب
 النيل الى مدينة العطواني ومنها امتطى ظهر الجبال ودخل الصحراء مع
 جماعة من الأعراب الى مدينة عيذاب فوصلها بعد خمسة عشر يوماً . قال
 وأهلها البجاة وهم سود الألوان ، وأميرهم يعرف بالحدربي وكان تحت السيطرة
 الاسمية للناصر بن قلاوون . ولقي صاحبنا فيها مشائخ منهم الشيخ المسن
 محمد المراكشي « زعم أنه ابن المرتضى ملك مراکش (يعني الموحد)
 وإن سنه خمس وتسعون سنة . »

ولم يأت لصاحبنا أن يبحر من عيذاب الى جدة كما كان يؤمل لأنه
 وجد صاحبها في حالة حرب مع الناصر ، وقد خرق المراكب وتعطلت
 طريق البحر ، فرجع عوده على بدنه مع قافلة الأعراب وقطع الصحراء

ثانيةً إلى الصعيد ثم إلى قوص ، وانحدر منها في النيل الى مصر ، وكان أوان مده ، فوصلها بعد مسيرة ثمان ، ولم يلبث فيها إلا ليلة واحدة وقصد الشام فاخترق شمال مصر كما اخترق جنوبها وذلك في منتصف شعبان سنة ٧٢٦ هـ ، وفي مركز على الحدود يسمى قطيا وجد صاحبنا ديواناً للتفتيش أهم من الذي حكى عنه بدمياط ، يوجد به العمال والكتاب والشهود فتفتش فيه أمتعة التجار ويبحث عما لديهم أعظم البحث ، ويؤخذ منهم الأعشار ، ولا يجاوزه أحد إلى الشام إلا بإراءة من مصر ولا إلى مصر إلا بإراءة من الشام ، احتياطاً على أموال الناس وتوقياً من الجواسيس العراقيين . وذلك يدل على أن العلاقات السياسية بين ملوك مصر والمغول الحاكمين بالعراق لم تكن على ما يرام ، ويقول الرحالة إن الطريق الفاصل بين البلدين كان في زمان العرب قد ركّوا بحفظه ، فإذا كان الليل مسحوا على الرمل حتى لا يبقى به أثر ، ثم يأتي الأمير في الصباح فينظر الى الرمل فإن وجد به أثراً طالب العرب باحضار مؤثره فيذهبون في طلبه فلا يفوتهم فيأتون به الأمير فيعاقبه بما شاء ، ويُعفي الأمير صاحبنا ومن معه من الرسوم الواجبة والاجراءات اللازمة ، حيث يتحقق أنه مغربي ، لأن المغاربة لا يتعرض لهم في هذا المركز ، ويوجد عند الأمير موظف مغربي يسمى عبد الجليل هو الذي يقوم بهمة التحقق من مغربية المسافرين . وبذلك لا يختلف هذا المركز عن أي مركز تفتيشي على الحدود بين بلدين مختلفين في هذا العصر حتى في تنصيب الخبراء من الأشخاص . .

ويصل صاحبنا إلى غزة من بلاد الشام وينتقل منها الى الخليل ثم الى القدس فيزور كل ما يربيه من المعاهد والمشاهد ، ويصف المسجد الأقصى ، وقبة الصخرة ، ويذكر أسماء مشائخ القدس ، وقد أخذ عن بعضهم العهد ثم يغادرها متنقلاً بين عدة مدن الى أن يصل الى صور قال : « وهي خراب

وبخارجها قرية معمورة وأكثر أهلها أرفاض ، ولقد نزلت بها مرة على بعض الميامه أريد الرضوء ، فأتى بعض أهل القرية يتوضأ ، فبدأ بغسل رجله ، ثم غسل وجهه ، ولم يتمضمض ولا استنشق ، ثم مسح بعض رأسه ، فأخذت عليه في فعله ، فقال لي إن البناء يكون ابتداءه من الأساس . . ويواصل السير إلى أن يصل بيروت ويقصد منها لزيارة قبر أبي يعقوب يوسف الذي يزعمون أنه من ملوك المغرب ، قال : « وهو بموضع يعرف بكرك نوح من بقاع العزيز ، وعليه زاوية يطعم بها الوارد والصادر » . ثم يذكر حكايته في الفرار من الملك وما نسجه العوام حول ذلك من عناكب الخيال . والمعروف أن أبا يوسف يعقوب المنصور الموحدي هو الذي راجت حوله هذه الأسطورة (١) ، وابن بطوطة يجعله أبا يعقوب يوسف فلهذا أخطأ في اسمه إن لم يكن ذلك من قصص النساخ .

ويضي صاحبنا في طريقه إلى طرابلس فيصفها ويذكر من وجد بها من العلماء ومنهم شمس الدين بن النقيب . وما يزال ينتقل من بلدة إلى أخرى حتى يصل مدينة حلب فينوه بها كثيراً ، ويغلط في تسمية نهرها بالعاصي ظناً منه أنه النهر الذي يمر بحماة ، واسمه الصحيح القوَيْق ، على أنه يشرح لنا سبب تسمية النهر بالعاصي شرحاً طريفاً فيقول : « قيل انه سمي بذلك لأنه يُخَيَّلُ لناظره أن جريانه من أسفل إلى علو . ولا ينبغي أن يذكر من وجد بها من العلماء ومنهم ابن الزمكاني ، ويمر بعد ذلك بأنطاكية ثم بخصون الإسماعيلية : « ويقال لهم الغداوية ولا يدخل عليهم أحد من غيرهم ، وهم سهام الملك الناصر ، بهم يصيب من بعد عنه من أعدائه بالعراق وغيرها » الخ . كلامه عنهم ثم يمر بمنازل المسيرية ، الطائفة المعروفة ، فيتحدث عنهم وعن هوسهم ، ويحبل لبنان فيصفه بخصب التربة

(١) انظر الاستقما ج ١ ص ١٨٤ .

وجمال الطبيعة وبأنه لا يخلو من المنقطعين الى الله تعالى ، ومن لبنان يصل الى بعلبك فيذكر من خيراتها ومصنوعاتها الشيء الكثير ومن ذلك صحاف الخشب وملاعقه التي لا نظير لها في البلاد ، يصنعون منها دسوتا ، يحمل بعضها في جوف بعض ، فيكون الدست يحتوي على عشر صحاف أو ملاحق ، واحدة منها أصغر من الأخرى الى النهاية ، ويصنعون لها غشاء من جلد تمسك به . وفي ٩ من رمضان سنة ٧٢٦ هـ وصل صاحبنا الى دمشق ، وكان عظيم الاشتياق اليها ، فنزل منها بمدرسة المائكية التي تعرف بالشرابية . ووصفها فقال : « ودمشق هي التي تفضل جميع بلاد الدنيا حسناً ، وتتقدمها جمالاً ، وكل وصف وان طال فهو قاصر عن محاسنها » .

ويجول فيها جولته فيحدث عن الجامع الأموي بأسباب ، وعن غيره من المعاهد والمدارس والمزارات ، وعن الأوقاف الخيرية التي أوقفها أهل دمشق على السابلة والمحتاجين وتجهيز البنات الفقيرات إلى أزواجهن ، وإعانة العاجزين عن الحاج ، وفكاك الأسرى ، وإصلاح الطرق ، ويذكر ان لطرق دمشق رصيفين في جنبها يمر عليهما المترجلون ويمر الركبان في وسطها ، ويحكى هذه الحكاية الطريفة بما يتعلق بالأوقاف الخيرية قال : « مررت يوماً ببعض أزقة دمشق فرأيت مملوكاً صغيراً قد سقطت من يده صحيفة من الفخار الصيني وهم يسومونها الصحن فتكسرت واجتمع عليه الناس فقال له بعضهم اجمع شقفها واحملها معك لصاحب أوقاف الأواني ، فجمعها وذهب الرجل معه اليه فأراه إياها فدفع له ما اشترى به مثل ذلك الصحن . وهذا من أحسن الأعمال ، فإن سيد الغلام لا بد له ان يضربه على كسر الصحن او ينهره ، وهو ايضاً ينكسر قلبه ويتغير لأجل ذلك ، فكان هذا الوقف جبراً للقلوب ، جزى الله خيراً من تسامت دمه في الخير الى مثل هذا » .

وبالجملة فهو ينوه كثيراً بأخلاق أهل دمشق وبحسن معاملتهم للغريب وكرم ضيافتهم ، ومن كلامه يعلم أن دمشق في ذلك العصر كانت لا تزال

عظيمة العمران برغم ما مر عليها من أحداث وأن المجتمع الإسلامي بها كان أرقى ما يكون . ثم يذكر من لقي بها من العلماء وهم جماعة كثيرة ومنهم ابن الشحنة سمع عليه البخاري في أربعة عشر مجلساً بقراءة البرزالي وأجازده إجازة عامة كما أجازده غيره من أعلامها . ولم يأخذ عن ابن تيمية وإن قال انه رآه (١) .

وفي مستهل شوال السنة خرج من دمشق مع الركب الحجازي قاصداً معان ، ومنها دخل الصحراء « التي يقال إن داخلها مفقود وخارجها مولود » على حد تمييزه ، فوصل المدينة المشرفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام . وبعد قيامه بزيارة الروضة الشريفة وشفاء غليبه من تلك المعاهد المنيفة توجه إلى مكة المكرمة على الطريق المعتاد ، فأدى الفريضة على أتم وجه كما كان يؤمل ، وطاف بجميع المشاعر ، وزار كل المشاهد ، ووصف البيت الحرام والحياة في مكة ، وأثنى على أخلاق أهلها أحسن الثناء .

وفي ٢٠ من ذي الحجة خرج من مكة صحبة الركب العراقي ، وكان ركباً حافلاً يحتوي على جمع من العراقيين والخراسانيين والفارسيين والأعاجم « لا يحصى عددهم ، تموج بهم الأرض موجاً ، ويسيرون سير السحاب المتراكم فمن خرج حاجة ولم تكن له علامة يستدل بها على موضعه ضل عنه لكثرة الناس » . أما تجهيز هذا الركب بالمواد والمؤن والأدوية والأشربة ووسائل الراحة فحدث عنه ولا حرج ، وكان أميره يدعى الیهلوان وهو من أهل الموصل ، وجميع ما يتوفر عليه هذا الركب من الاستعداد الكامل هو من حسنات ملك العراق أبي سعيد ، وقد قرب أمير الركب صاحبنا وأكرمه

(١) الصحيح أنه لم يره لأن ابن تيمية قد دخل سجن دمشق في شهر شعبان (عام ٧٢٦ هـ) وبقي فيه إلى أن توفاه الله تعالى ، وأما ابن بطوطة فقد دخل دمشق في رمضان من (سنة ٧٢٦ هـ) وبهذا يزوم الاشتباه . (لجنة المحلة)

ويعجبك حديث الرحالة عن الطريق بين الحجاز والعراق عبر نجد وخاصة عن مصانع الماء في الصحراء القاحلة ، وسير الركب ليلاً ، وقد أوقدت المشاعل أمام القطار والمحارات فتري الأرض تتلألأ نوراً والليل قد عاد نهراً ، وبالجملة فإن ركب الحج العراقي فيما يحدث صاحبنا لا يضاهيه ركب ، وهو يتأخر بمكة عن الركبين الشامي والمصري أربعة أيام تفتح فيها الكعبة الشريفة فيدخلها هو ومن ينضوي تحت لوائه ، ويكثر أفراد من الصدقة والعطاءات لأهل مكة حتى أنهم « ربما وجدوا إنساناً ثامناً فجعلوا في فيه الذهب والقضة إلى أن يفيق » . وتؤثر نفقاتهم السخية في سعر الذهب بمكة فيرخص سومه . وذكر الرحالة أنه لما عاد إلى مكة في سنة ٧٢٨ هـ بصحبة هذا الركب وقع التنويه بأمر ملك العراق أبي سعيد على المنبر في الحرم . وما ذلك إلا لأن الشهر تفتح الله كما يقولون .

ويترك صاحبنا الركب العراقي في النجف ، بعد ما يزور مشاهد آل البيت ، فيقصد البصرة عن طريق واسط ، ويصف المدينة العربية الشهيرة ، ويقص حكاية خطيبها اللحانة التي تقدمت ، ثم يحوب شط العرب ويخترق بلاد فارس . وفي عبادان يلتقي بأحد العباد فيدعو له بقوله : « بلغك الله مرادك في الدنيا والآخرة » . ويعقب هو بهذه العبارة : « فقد بلغت بحمد الله مرادي في الدنيا ، وهو السياحة في الأرض ، وبلغت من ذلك ما لم يبلغه غيري فيما أعلم ، وبقيت الأخرى ، والرجاء قوي في رحمة الله وتجاوزه وبلوغ المراد من دخول الجنة » . وهنا أعرب عن أن مراده كان هو السياحة في الأرض فقط ، ولم يكن قبل يذكر إلا الحج ، كما أنه ذكر هنا عادته في سفره ، وهي أنه لا يعود من طريق سلكها ما أمكنه ذلك ، وأنه كان يريد زيارة بغداد ولكن بعض أهل البصرة أشار عليه بالسفر صوب بلاد العجم فعلم بإشارته لما كانت موافقة لعادته . وزار في هذه البلاد مدينة تستر وأقام في ضيافة شيخها صدر الدين من ذرية سهل بن

عبد الله التستري الشهير ١٦ يوماً ، قال : فلم أر أعجب من تربيته ولا أرغد من طعامه . . . وهذا الشيخ من أحسن الناس صورة وأقومهم سيرة ، وهو يعظ الناس بعد صلاة الجمعة بالمسجد الجامع ، ولما شاهدت مجالسه في الوعظ صغر لدي كل راعظ رأيته قبله بالحجاز والشام ومصر ولم ألق قيسن لقيتهم مثله .

وزار أيضاً مدينته أصفهان ووصف من ترف أهلها ما يقضى منه العجب وأخذ المهد عن بعض شيوخها وذلك في ٢٤ من جمادى الآخرة سنة ٥٧٢٧ هـ . ثم زار شيراز وأثنى عليها كثيراً وجعلها نظيرة دمشق في كثير من الأوصاف ، وذكر من غريب أمورها أن النساء يجتمعن بها لسماع الوعظ كل يوم اثنين وخميس وجمعة في المسجد الأعظم ، وربما اجتمع منهن الألف والألفان بأيديهن المراوح يروحن بها على أنفسهن من شدة الحر ، قال : « ولم أر اجتماع النساء في مثل عددهن في بلدة من البلاد » . ولاحظ شدة تعظيم الأعاجم للعلم والعلماء حتى أن سلاطينهم ربما سمو أبناءهم بأسماء مشيخة العلم ، كسلطان شيراز أبي اسحق بن محمد شاه الذي سماه أبوه باسم الشيخ أبي اسحق الكازروني ، قال : « والفقهاء ببلاد الأعاجم كلها إنما يخاطب بمولانا » . ومن لقي بشيراز الشيخ مجد الدين اسماعيل بن محمد بن خداد إذ سمع عليه مسند الإمام الشافعي ، ومشارك الأنوار للصاغاني ، ومن المشاهد التي زارها هناك قبر الشاعر سمدي المشهور ، قال : « وكان أشعر أهل زمانه باللسان الفارسي وربما ألمع في كلامه بالعربي » .

ثم دخل البرية بعد ذلك قاصداً الكوفة ، ومنها توجه إلى بغداد دار السلام وحاضرة الإسلام كما قال ، وكان يوجد بها في رجب السنة حين سمع مسند الدارمي على الشيخ سراج الدين القزويني . ولم يطل الكلام عليها ، لأنها كانت في إدار من أمرها ، لكنه تبسط في الكلام على ملكها أبي سعيد بهادر وموكبه العظيم ، وكان قد سافر بعينته أياماً ، ثم زار تبريز فأعجب

بسوقها الجامعة وخاصةً بسوق الجوهريين ، حيث حار بصره مما رأى من أنواع الجواهر وهي بأيدي ممالك حسان الصور عليهم الثياب الفاخرة ، وأوساطهم مشدودة بتناديل الحرير ، وهم بين أيدي التجار يعرضون الجواهر على نساء الأتراك ، ومن يشترينه كثيراً ويتنافسن فيه ، قال : « فرأيت من ذلك كله فتنة ينعوذ بالله منها » .

وكان ملك العراق أبو سعيد عرف أنه يريد الحج إلى بيت الله الحرام ، فأمر له بالزاد والركوب في السبيل مع الحمل ، إلا أنه رأى الموسم لا يزال بعيداً فسافر إلى الموصل وديار بكر ثم عاد فلحق بركب العراق ، وكان أميره هو الإيلوان سابق الذكر فأظهر من الاعتناء بصاحبنا ما لا مزيد عليه . . . ووصل مكة وحج ثانية عام ٧٢٧ هـ . ولما كان قد اختار المجاورة بالحرم الشريف ، فقد حج ثالثة في العام المرالي ، وحضر في هذه الحجة أناس من بلده طنجة ومن قصر الجاز ومن القصر الكبير ، جلهم من الفقهاء ، فتعرف منهم أخبار المغرب ، ثم أنه أقام مجاوراً بمكة أيضاً إلى سنة ٧٢٩ هـ ، وحج للمرة الرابعة ، وفي السنة التي بعدها وقعت فتنة بمكة فخرج منها إلى جدة وركب البحر لأول مرة إلى اليمن عبر سواكن ، فطاف بأرجاء القطر العربي العريق ، ولم ينس أن يسجل التشابه بين اليمنيين والمغاربة في كثير من الأحوال « مما يقوي القول بأن صنهاجة وسواهم من قبائل المغرب أصلهم من حمير » . وأبحر من عدن إلى مدينة زولع بالصومال ، ولاحظ عليها شدة القذارة بحيث أنه لم يستطع المبيت بها ، ففضل النوم بالركب مع اضطراب البحر . ثم توجه إلى مقدشو عاصمة تلك البلاد ولقي سلطانها وهو يلقب بالشيخ ، ومن غريب ما ذكر من أحوالها أنه عندما تصدح الموسيقى الرسمية ، لا يتحرك أحد ولا يتزحزح من مقامه ، ومن كان ماشياً وقف كما يجري الآن تماماً في بعض البلاد ذات الحكم العسكري ، وعاد إلى اليمن عبر ظفار ، ثم عرج على هرمز وسيراف والبحرين ،

ووصف مغاص اللؤلؤ فيما بين تلك البلاد ، ورجع أدراجه فعبّر الى القطيف مجتازاً باليامة قصد مكة فحج للمرة الخامسة وذلك سنة ٧٣٢ هـ وذكر أن الملك الناصر بن قلاوون حج في تلك السنة ، ولكنه لم يتصل به على ما يظهر كما لم يتصل به في مصر .

وهنا يكون ابن بطوطة قد قضى في الرحلة سبع سنين ونصفاً وحج خمس مرات ، وطاف العالم العربي كله وجانباً مهماً من العالم الإسلامي ، ومع ذلك فإن القسم الأكبر من رحلته كان لا يزال أمامه . ولنتأثره مسرعين فقد أتى جدة وأراد أن يبحر الى اليمن قصد الهند ، ولكنه لم يجد مركباً ولا رفيقاً ، فعاد الى مصر بطريق الصعيد ثم الى الشام عن طريق بلبيس وركب البحر الى العلایا بجنوبي آسيا الصغرى قال : « وهي أول بلاد الروم ، فجاس خلالها وتحدث عن أمرائها ، وكانت الأتراك حينذاك لم يستثموا وحدتهم بعد ، فحديثه عنهم في هذه الفترة من تاريخهم السيامي له أهمية كبيرة ، وما يلفت النظر في حديثه عن هذه البلاد منظمات القتبان المسماة بالأخيّة التي كان يلتقي بها في طول البلاد وعرضها ، وهي منظمات شبيهة بالنقابات والكشفية وتغلب عليها الصبغة الدينية والخلقية فتنتظم فيها جماعات من الشباب ينتسبون الى مهنة معينة ، ويتخذون مقراً لهم يجتمعون فيه كل ليلة ويأكلون ويشربون ويغنون ويرقصون ، مع المحافظة على الشعائر الإسلامية ، والاعتناء باكرام الضيف وتسليّة الغريب وإعانتته على قضاء مآربه ، ولهم في هذه الطريقة التي يسمونها الفتوة سند يتصل بالإمام علي كرم الله وجهه ، وشعارهم فيها لبس السراويل كما تلبس الصوفية الخرقه ، ولعلمهم إنما اتخذوا السراويل شعاراً لما يهدفون اليه من التزام الصيانة والعفاف .

وانتقل صاحبنا الى شبه جزيرة القسريم من ثغر صنوب بشمالی آسيا الصغرى ، ثم الى أزاق فبلاد البلغار التي وصلها في رمضان ، قال :

« فلما صلينا المغرب أقمنا وأذن بالعشاء في أثناء إفطارنا فصليناها
وصلينا التراويح والشفع والوتر وطلع الفجر اثر ذلك ، وكذلك يقصر النهار
بها في فصله » وفي هذه البلاد الفسيحة ركب العربات لأول مرة وأكل
لحم الخيل وذائق البرزة وهي نوع من النبيذ ، وبما أن أهل البلاد أحناف
فإنهم لم يكونوا يتخرجون من شربها . ولاحظ كثرة الخيل بها وانخفاض
ثمنها بحيث يكون إصدارها إلى الهند تجارة رابحة جدا ، واتصل بالسلطان
محمد أزيك خان في بلاطه المتنقل ، وهو « مدينة عظيمة تسير بأهلها فيها
المساجد والأسواق » ، وقد حظي عند هذا السلطان حق أرسله بعية إحدى
زوجاته الأربع إلى القسطنطينية ، وكانت تقصد زيارة أبيها ملك الروم ،
فأتيحت له فرصة زيارة العاصمة البيزنطية الشهيرة ولم تكن فتحت بعد .
وعاد إلى مدينة السرا عاصمة السلطان أوزبك ، ثم اخترق طريق خوارزم
قبخارى وسمرقند وترمد فخراسان فأفغانستان إلى الهند ، ويطول بنا الأمر
لو وقفنا معه في أي بلد من هذه البلاد وتبعنا ملاحظاته الدقيقة وأحاديثه
الطليبة عن البلاد وأهلها .

وقد وصل إلى الهند في محرم سنة ٧٣٤ هـ ، وفي الحين أخبر به ملك
الهند محمد شاه بن قنلق ، إذ كان ذلك هو النظام المتبع في هذه البلاد
لا يجاوز أحد حدودها حتى يرفع به إلى الملك ، فصدر الأمر بإكرامه
والاعتناء به ، ثم اتصل به بعد ذلك في الرابع من شوال السنة ، وحظي
عنده ، وخيره في مناصب الدولة على ما سبقت الإشارة إليه فاختار القضاء
لأنه منصب آبائه ، وقملاً ولي القضاء المالكي بعاصمة الهند دهملي إلى سنة
٧٤٢ هـ أي ما ينيف على سبعة أعوام ، وبذلك أمكنه أن يذكر من أحوال
هذا الملك وبلاطه وحاشيته الشيء الكثير ، وخاصة عن كرمه وأعطياته
الخيالية التي لا يفوت صاحبنا أن يصرفها بالعملة المغربية ليدل على أهميتها ،

وكذلك ذكر فتكاته التي تغطي على إحصائه ، والحقيقة أن كتابته عن الهند وعن أمرائها وعن أحوالها الاجتماعية ، وهي تكاد تستبد بالجزء الثاني من الرحلة ، هي من خير ما كتب ابن بطرطة تعريفاً بالبلاد التي زارها ، وستبقى مرجعاً هاماً للمؤرخين والباحثين في شؤون الهند وحضارة أهلها تحت الحكم الإسلامي .

وفي جمادى الآخرة من عام ٧٤٢ هـ ترك الهند على رأس سفارة عظيمة إلى الصين وبرغم الاستعدادات الفائقة ، فإن هذه السفارة قد تعوقت عن الوصول إلى غايتها ، وطوحت الأقدار بصاحبنا إلى جزائر ذببة المهل بالمحيط الهندي حيث أقام عاماً ونصفاً ، وولي القضاء من طرف سلطانتها خديجة بنت جلال الدين وهو يحكي غرائب عن حياة أهل هذه الجزائر لأنه بحكم إقامته هذه المدة بين أظهرهم وتولية السلطة في بلادهم تعرف على كثير من أحوالهم .

ثم غادر هذه الجزائر متوجهاً إلى الصين عن طريق سيلان فبنغالة فالملايو فسومطرة فالزيتون التي هي ميناء صينية على المحيط الهادي تعرف الآن بتسيوان تشو . وتوغل صاحبنا في داخل البلاد التي تقع على مقربة من ساحل المحيط الأعظم حتى وصل خان بالق التي هي بكين عاصمة الصين اليوم ، ومع أنه لم يجب الصين كما جاب الهند فإنه لم يخل رحلته من أخبار مهمة عن هذه البلاد ولا سيما أحوال المسلمين بها ، وتحدث عن براعة الصيدين في فن التصوير وصناعة الفخار ، وعن تعاملهم بأوراق النقد وادخارهم الذهب والفضة بشكل سبائك كما يعمل مصرف أبي دولة في هذا العصر . واستمع إلى حديثه عنهم في التصوير : « ومن عجيب ما شاهدت لهم من ذلك أنني ما دخلت قط مدينة من مدنها ثم عدت إليها إلا ورأيت صورتي وصور أصحابي منقوشة في الحيطان والكواغد موضوعة في الأسواق » الخ . وما ندري هل اصطنح معه صورة منها أم لا ؟

أما حديثه عن أمن الطرق والتحفظ على أموال الناس وسهولة المواصلات وتنظيم الملاحة التجارية فشيء لا يقل عما لدى أرقب الدول العصرية اليوم ، وفي الشرق على العموم كانت الطرق حسبا يروي صاحبنا ، مأمونة ومقسمة إلى مراحل يجد فيها المسافر كل ما يحتاج إليه وبعضها كما في بلاد المليبار ، كان مكتنفاً من الجانبين في أكثره بدكاكين التجار وبعضها كالطريق بين دهلي ومدينة ظفار كانت عليها النصب فيها عدد الأميال التي قطعها المسافر والتي بقيت له ، فالأمر كما يقال لا جديد تحت الشمس .

ومن الصين ينكفيء صاحبنا راجعاً عن طريق سومطرة فالهند فاليمن فبلاد المعجم فالعراق فالشام فمصر إلى أن يصل مكة في ٢٢ شعبان ٧٤٩ هـ فيقيم بها إلى موسم الحج ويحج للمرة السادسة ثم يسافر إلى المدينة المنورة ومنها إلى القدس ثم إلى مصر ويثني عائداً إلى المغرب بعد أن غاب عنه ٢٥ سنة فيدخل فاساً في أواخر شعبان عام ٧٥٠ هـ (١٣٤٩ م) ويمثل بين يدي السلطان أبي عنان المريني فيغمره بإحسانه كما قال ويثني عليه أحسن الثناء بل يعمل مقارنة بينه وبين من شاهد من ملوك الدنيا فيفضله عليهم .

لم تستقر النوى بصاحبنا بعد رحلته الأولى هذه ، حتى عاد فبدأ رحلته الثانية في مملكة غرناطة بالأندلس وذلك لثلا يفوته هذا القسم من العالم الإسلامي مع أنه يؤثية منه ومستمع ، فقد أصبح الآن حريصاً على استيعاب البلاد الإسلامية بالزيارة ليتأنى له أن يقول مقتخراً على السائح المصري الذي لقيه بمدينة برصى (وهو من الصالحين جال الأرض إلا أنه لم يدخل الصين ولا جزيرة سرنديب ولا المغرب ولا الأندلس ولا بلاد السودان وقد زدت عليه بدخول هذه الأقاليم) ، وليصبح بعد ذلك (مسافر العرب والمعجم) كما قال له الشيخ جلال الدين التبريزي في بنغالة .

وقد خرج صاحبنا في هذه الرحلة من بلدة طنجة فر بسبته وجبل طارق ، وكان ملكها حينئذ أبو الحجاج يوسف بن اسماعيل بن نصر ، ولقي بها من الأعلام أبا القاسم الشريف وأبا سعيد بن لب وأبا البركات ابن الحاج وأبا القاسم بن عاصم . وقد ذكره ابن الخطيب في الإحاطة ولم يزد على تسميته شيئاً غير ما نقله من خط شيخه أبي البركات تبيناً لحاله ونصه : (هذا رجل لديه مشاركة يسيرة في الطلب ، رحل من بلاده إلى بلاد الشرق يوم الخميس الثاني من رجب عام خمسة وعشرين وسبعمائة ، فدخل بلاد مصر والشام وعراق المعجم وبلاد الهند والسند والصين وصين الصين وبلاد اليمن ، وحج عام ستة وعشرين وسبعمائة ولقي من الملوك والمشائخ عالماً ، وجاور بمكة ، واستقر عند ملك الهند فحظي لديه وولاه القضاء ، وأفاد مالا جسيماً وكانت رحلته على رسم الصوفية زياً وسجية ، ثم قفل إلى بلاد المغرب ودخل جزيرة الأندلس فحكى بها أحوال المشرق وما استفاد من أهله فكذب) .

وقال : « لقيته بقرطبة وبتنا معه ببستان أبي القاسم بن عاصم بقرية نبلة ، وحدثنا في تلك الليلة وفي اليوم قبلها عن البلاد المشرقية وغيرها فأخبر أنه دخل الكنيسة العظمى بالقسطنطينية العظمى وهي على قدر مدينة مسقة كلها ، وفيها اثنا عشر ألف أسقف » (١) .

وقد عقب ابن الخطيب على هذه الفذلكة بقوله : « قلت وأحاديثه في القرابة أبعد غوراً من هذا . وانتقل إلى العدو فدخل بلاد السودان ثم إن ملك المغرب استدعاه فلحق به وأمره بتدوين رحلته » . وهذا الاجتماع الذي كان في بستان ابن عاصم أشار له صاحبنا في الرحلة وحكى أنهم أقاموا فيه يومين وليلة . وزاد كاتب الرحلة أبو عبد الله بن

(١) هذا يخالف لما في الرحلة فانظرها .

جزى فقال : « كنت معهم في ذلك البستان ومتعنا الشيخ أبو عبد الله (يعني ابن بطوطة) بأخبار رحلته وقيدت عنه أسماء الأعلام الذين لقيهم واستفدنا منه الفوائد العجيبة » .

وعاد صاحبنا الى فاس ، فلم ينشب أن شرع في رحلته الثالثة الى بلاد السودان . وفي سجلهاسة أخذ أهميته لهذه الرحلة والتحق برفقة يرأسها أحد رجال مسوفة ، وذلك في غرة محرم فاتح ٧٥٣ هـ ، فبعد ٢٥ يوماً وصل الى تغازي ، وهي قرية الملح بناؤها من أحجار الملح المسقفة يجلود الجمال ، وتجارها في الملح مع السوادين تجارة عظيمة . وبعد استراحة عشرة أيام ، استأنف الرحلة عبر الصحراء ، وكانت رحلة شاقة ومحفوفة بالمخاطر ، وأخيراً وصل الى مدينة ايالات أول عمالة السودان وهي مدينة أكثر سكانها من مسوفة ، وهم مع محافظتهم على الصلاة وقراءة القرآن وطلب العلم ، لا غيرة لهم على أزواجهم ، وللنساء هنالك حياة اجتماعية منحرفة من كل القيود .

وخرج صاحبنا من ايالات متوجهاً صوب مالي عاصمة البلاد فلقى سلطانها منسى سليمان ، ولم ينل منه خيراً ، غير أنه وصفه بالعدل والاستقامة وأتى بوصف معجب لبلاطه ولخروجه إلى صلاة العيد ، ثم توجه إلى تمبكتو ومنها إلى تكدا ، ووصل في تنقلاته بين هذه المدن إلى نهر النيجر ، فظنه النيل ، ورأى التمساح في بعض ضفافه « كأنه قارب صغير » كما رأى فرس البحر في بعض خلجانه ، ومن المحقق أنه جاب في هذه الرحلة أماكن لم يصل اليها سائح من قبله ، ووصفها وصفاً معجباً . فلهذا القسم من رحلته أهميته التي لا تقل عن أقسامها الأخرى .

وبينما هو في تكدا وافاه أمر السلطان أبي عنان بالرجوع إلى المغرب ، فكر راجعاً إلى سجلماسة عن طريق نوات . وفي نهاية عام ٧٥٤ هـ وصل إلى فاس بعد أن قضى في هذه الرحلة عامين كاملين ، وبإضافتها مع الزمن الذي قضاه في رحلة الأندلس يكون قد صرف زهاء ثمانية وعشرين عاماً في التنقل والترحال ، فما أعظمها من مهمة وهكذا تكون الرجال .

وأمره السلطان بإملاء رحلته على الكاتب أبي عبد الله بن جزري ، وهو أحد أولاد العالم أبي القاسم بن جزري ، فقام هذا بما كلف به من ضم أطراف الرحلة وترتيبها ، وتصنيفها وتهذيبها وسماها تحفة النظائر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ؛ وانتهى من ذلك في ٣ من ذي الحجة عام ٧٥٦ هـ وكان السلطان أبا عنان لما وفد عليه ابن بطوطة أولاً في عام خمسين غفل عن أمره بتدوين رحلته ، والعذر له ، فقد كان مشغلاً بتثبيت دعائم ملكه ، ومصارعة أعدائه . ثم تنبه للأمر بعد ذلك فنفته كما رأيت ، باستدعاء ابن بطوطة من أقصى بلاد السودان ، على أنه قد قيل إنه كان موفداً من قبله إلى تلك الديار في مهمة ، ولا يظهر ذلك من سياق الخبر في الرحلة .

✱ ✱ ✱

وبعد انتهاء الرحلة ينسدل حجاب كفيف على حياة ابن بطوطة التي وإن طالت بعد ذلك أكثر من عقدين من السنين فإننا لم نعد نعرف عنها شيئاً بعد أن لا بسناها وصاحبناها في أفراحها وأتراسها مدة ثمان وعشرين سنة ، غير أن ابن حجر في « الدرر الكامنة » نقل من خط ابن مرزوق : « أنه بقي إلى سنة سبع وسبعين ومات وهو متولي القضاء ببعض البلاد » فيرشد هذا الكلام إلى أنه حظي عند بني مرين وولوه منصب القضاء الذي قال عنه « أنه شغل وشغل آباءه » .

وزيد ابن مرزوق فيقول فيما قرأه ابن حجر بخطه : « ولا أعلم أحداً جال في البلاد كرحلته ، وكان مع ذلك جواداً حسناً » ، وهي شهادة لرحالتنا من العلامة ابن مرزوق تعضدها قراءة الرحلة . على أن ابن حجر أشار أيضاً الى دفاع ابن مرزوق عن الرحالة فيما كان من اتهام أبي البركات ابن الحاج له فقال : « وكان البليقي رماداً بالكذب فبرأه ابن مرزوق » ، والبليقي هو أبو البركات بن الحاج . وقد سبق نقل كلامه عن الإحاطة .

ولم يبين ابن مرزوق الجهة التي كان ابن بطوطة يتولى بها القضاء ، ولكن ابن الخطيب في « نفاضة الجراب » أثبت نص كتاب وجهه إلى صاحبنا بصقته قاضي تامسنا ، يرجو منه المساعدة على شراء قطعة أرض يجواره ، يعدها للفلاحة عند الحاجة ، وذلك لما قرر الاستقرار بالمغرب ، فمن هذا نعرف مكان ولايته للامضاء الذي كان هو محل وفاته .

وعلى ظاهر كلام ابن مرزوق ، فإن ابن بطوطة توفي سنة ٧٧٧ هـ ، وفي دائرة المعارف الإسلامية أنه توفي سنة ٧٧٩ هـ (١٣٧٧ م) وعليه كثير من الكتاب المحدثين .

ومن هنا يعلم أنه لم يتوف بطنجة ، وإن كان يوجد بها ضريح ينسب إليه ، ويفقد الرحالة من كل جنس إذا قدموا طنجة عليه . لكننا نستريب في أن يكون ذلك هو مرقد الرحالة الحقيقي . أولاً - لأن وفاته لم تكن بطنجة .

ثانياً - لأن اسم الضريح في السنة الناس أحمد بن علال وليس هو اسم بطوطة .

ثالثاً - لأن طنجة خضعت للاحتلال الأجنبي ، البرتغالي ثم الإنجليزي ما ينيف على قرنين من الزمن بعد موت ابن بطوطة فيبعد أن يبقى قبره محفوظاً ومروفاً بعد هذه المدة الطويلة التي تغيرت فيها معالم المدينة من

جميع الوجوه . وعلى كل حال فهو وإن يكن ذا صفة رمزية ، ضريح متواضع جداً لا يتناسب وعظمة الرجل الذي طبقت سمعته الآفاق .

وقبل أن نختم هذه الترجمة لا بد أن ننقل ما كتبه ابن خلدون في مقدمته عن رحلة صاحبنا ، لأن فيه رداً على ما سبق عن ابن الخطيب من الاستراية بأخبار الرحالة الصدوق ، قال ابن خلدون : « ورد على المغرب لعهد السلطان أبي عنان من ملوك بني مرين ، رجل من مشيخة طنجة يعرف بابن بطوطة ، وكان قد رحل منذ عشرين سنة قبلها إلى المشرق وتقلب في بلاد العراق واليمن والهند ، ودخل مدينة دهلي حاضرة ملك الهند ، واتصل بملكها لذلك العهد ، وهو السلطان محمد شاه ، وكان له منه مكان واستعمله في خطة القضاء بذهب المالكية في عمله ، ثم انقلب إلى المغرب واتصل بالسلطان أبي عنان ، وكان يحدث عن شأن رحلته ، وما رأى من العجائب بممالك الأرض ، وأكثر ما كان يحدث عن دولة صاحب الهند ويأتي من أحواله بما يستغربه السامعون ، مثل أن ملك الهند إذا خرج للسفر أحضر أهل مدينته من الرجال والنساء والولدان وفرض لهم رزق ستة أشهر يدفع لهم من عطائه ، وأنه عند رجوعه من سفره يدخل في يوم مشهود يبرز فيه الناس كافة إلى صحراء البلد ريطوفون به وينصب امامه في ذلك الحفل منجنقات على الظهر يرمي بها شكاثر الدراهم والدنانير على الناس إلى أن يدخل ديوانه ، وامثال هذه الحكايات ، فتناجي الناس في الدولة بتكذيبه ، ولقيت أنا يومئذ في بعض الأيام وزير السلطان فارس بن ودرار البعيد الصيت ، ففارضته في هذا الشأن وأريته انكار أخبار ذلك الرجل ، لما استفاض في الناس من تكذيبه فقال الوزير فارس : إياك أن تستنكر مثل هذا في أحوال الدول بما أنك لم تره فتكون كابن الوزير الناشئ في السجن ، وذلك أن وزيراً اعتقله سلطانه فمكث في السجن سنين ربي فيها ابنه في ذلك الحبس ،

عبد الله كنوه



مفعول - مفاعيل

هل يُجمع (مفعول) جمعاً مكسراً على (مفاعيل) ؟

يقول ابن هشام ^(١) في شرحه (بانت سعاد) :

« والصفة المبدوء بالميم ، كمضروب ، يمتنع جمعها جمع تكسير . وشذ نحو (ملاعين) و (مشائم) . »

ونقل الحصري في حاشيته على ابن عقيل ، على ابن مالك :

ما قاله الحريري في جمع التكسير : (من ان هذا الجمع لم تتعرض له طائفة من النحاة ، لفساد السنة العامة ، إلا في الجموع . فلم يُحتج للتنبيه عليها ، لأن النحر انما وضع لإصلاح ما فسد) وقيل : (لأن كل الجموع مرجعها السماع ، فالأولى بها كتب اللغة ، التي تنبه عقيب كل مفرد على جمعه) .

وقال بعض المتأخرين : (أكثر الجموع سماعي ، لكن منها ما يغلب فنحتاج الى ذكره ليُحمل عليه ما لم يُسمع جمعه) .

ويوم أصدر رفیق العظم كتابه (أشهر مشاهير الإسلام) أخذ عليه الشقيطي الكبير : أن جمع مشهور على مشاهير .

وفي هذا ، كتب الشيخ رشيد رضا ^(٢) الى الأمير شكيب أرسلان ، كأنه يحيبه عن فتوى استفتاه فيها : (وأما جمع « مكتوب » على مكاتيب ،

(١) ابن هشام : صاحب السيرة النبوية ، ومن كبار أئمة النحو .

(٢) الشيخ رشيد من بنائى برأيه في اللغة وفي النحو .

فلا يثبت الا بالسمع ، ولا أعرف فيه سماعاً . فاجمعه على « مكتوبات » -
لأنه قياسي) .

ثم قال : (وكان الشنقيطي الكبير ، انتقد رفيق بك المعظم تسمية
تاريخه : « أشهر مشاهير الإسلام » هذه العلة . وهي « مفعول لا تجمع على
مفاعيل قياساً » ولكن لفظ مشاهير استعمله المتقدمون ، ومنهم صاحب
القاموس في غير مادته .) اهـ

وقد نستخلص مما تقدم :

١ - ان مفعول لا يجمع جمع تكسير على « مفاعيل » إلا - مثوذاً
وفي كلمات معدودات .

٢ - ان الجمع من خصائص كتب اللغة لا كتب النحو . فهذه يستحيل
عليها أن تذكر لكل مفرد جمعه . وانما تضع القاعدة العامة ،
وكتب اللغة هي التي تذكر بعد كل مفرد جمعه .

٣ - ما لم يرد له في كتب اللغة جمع ، يحمل على غيره .

١ - قول ابن هشام ان مفعول لا يكسر إلا في ماشد ، وضرب
مثلاً (ملاعين) و (مشائم)^(١) جمع (ملعون) و (مشؤوم) .
يرد عليه : ان هذا الجمع المكسر ذكرت كتب اللغة كثيراً من أمثله ،
ففي لسان العرب :

(ميامين) جمع (ميسون) و (مكافيف) جمع (مكفوف) و (مجانين)

(١) وللأحوس البربوعي :

مشائم ليوا مسلمين عشيرة ولا قاعياً إلا بشؤم غرابها

تهذيب اصلاح المنطق ج ٢ ص ٢٣٦

جمع (مجنون) و (ممالك) جمع (مملوك) و (مراجيع) جمع (مرجوع)^(١) و (متابع)^(٢) جمع (متبوع) .

ومن تتبع اللسان ، وسائر كتب اللغة ، وجد العشرات من جمع (مفعول) جمعاً مكسراً على (مفاعيل) .

وجاءت (مجاهيد) جمعاً لـ (مجهود) في كلام لعروة ابن الزبير يصف فيه مصر .

قال : (فرأيت أعلاماً مجاهيد ، قد جعل عليهم فوق طاقتهم) !

رُجمت (مشغول) على (مشاغل) في قول ابن أبي حفصة ، من قصيدة

يمدح بها الخليفة المأمون :

أضحى إمام الهدى المأمون مشغلاً في الدين والناس في الدنيا مشاغلاً^(٣)

(١) وقول زهير :

« مراجيع وشم في نواشر يجمع »

مراجع جمع (مرجوع) وهو الذي أعيد سواده .

(لسان العرب مادة رجم)

(٢) وقول المرار يصف إبلاً :

« متابع بط مثبات رواج »

(اللسان مادة رجع)

(٣) ومن حق الأدب أن نشير إلى قصة اتصلت بهذا البيت :

قال عمار بن عقيل : قال لي ابن أبي حفصة الشاعر :

أعلمت أن للمأمون لا يبصر الشعر ؟

قلت : ومن يكون أفرس منه ؟ والله إذاً لنشد أول البيت ، فيسبق إلى آخره ، من غير أن يكون معه .

قال : أتيت بيتاً أجبت فيه ، فلم أدركه تحرك له . وهو :

أنحى إمام الهدى للمأمون مشغلاً في الدين والناس في الدنيا مشاغلاً

فقلت له : ما زدت على أن جعلته مجوزاً في بحرانيا ، في يدها سبعة . فمن

يقوم بأمر الدنيا إذا كان هو مشغول عنها ، وهو المظنون لها . ألا قلت كما قال

تمك في الوليد :

فلا هو في الدنيا يُضيق نصيبه رلا عرض الدنيا عن الدين شاغلاً

قال : الآن عرفت أنني أخطأت .

وكذلك جاءت في كتاب بعث به المؤمنون من مصر - وكان يومئذ فيها -
إلى نائبه على بغداد : اسحق بن ابراهيم الخزاعي ، في المحنة بخلق القرآن :
(.. وأما ابن نوح ، وابن حاتم ، فاعلمهم : أنهم (مشاغيل) بأكل
الربا عن الوقوف على التوحيد . وان أمير المؤمنين لو لم يستحل محاربتهم
في الله إلا لإربابهم ، وما نزل به كتاب الله في أمثالهم ، لاستحل ذلك ،
فكيف بهم وقد جمعوا مع الإرباء غير كما .
وجاءت (مناكيد) جمع (منكود) في قصيدة للمتنبي هجا فيها
كافوراً الاخشيدي :

لا تشتر العبد إلا والعصا معه إن العبيد لأنجاس مناكيد

ويسمى النحاة المفعول به واخواته : المفاعيل الخمسة .

وسمى ابن حيان البسقي - وهو من علماء القرن الرابع الهجري - كتاباً له :
(مشاهير علماء الأمصار) ذلك قبل ان سمى العظم كتابه (مشاهير الإسلام)
بنات من الأعوام .

٢ - ان كتب اللغة :

(آ) في الكثير من صيغ (مفعول) لم تذكر له جمعاً مع الحاجة اليه ،
لصعوبة الجري على القاعدة العامة فيها . هذا في القديم من المعاجم وقد
جارأها الحديث في أغلب هذه الصيغ .

(ب) استعملت في العصرين : الحديث والمعاصر ، ألفاظ على صيغة
(المفعول) كان لا بد من استعمالها - على تجوز في بعضها - كما كانت
لا بد من جمعها .

من ذلك :

الرسوم : من (رسم) ورسم على كذا إذا كتب . والرواسم في ما قيل -
كتب كانت في الجاهلية .

استعمل المتأخرون (المرسوم) لما يأمر به الأمير أو الحاكم أو يكتب به . وحصره المتأخرون بما يصدر عن رئيس الدولة بما له قوة القانون . وجمعوها على (مراسيم) خلافاً لما نص عليه ابن هشام .

فاللغة صحيحة الأصل ، محدثة الاستعمال ، لاغنى عنها مفردة " ومجموعة " ، جمعاً مكسراً على ما وردت في الوسيط ^(١) ، وفي المنجد ^(٢) ، وفي متن اللغة ^(٣) .

المشروع : لغة : ما سوغه الشرع . استعاروه لما يهيا من تدبير يُراد النظر فيه قبل اصداره مرسوماً أو قانوناً . وهو من هذه الناحية من طائفة المرسوم ، وهو في بعض حالاته مقدمة له . فهو بهذا لاغنى عنه مفرداً ولا بد له من جمع .

جمعه المنجد على (مشاريع) جمعه (مرسوم) على (مراسيم) .

وجمه الوسيط على (مشروعات) جمعاً قياسياً .

وقد يكون في جمعه على (مشاريع) مطابقة لجمع (مراسيم) ولما جرت عليه أكثر الحكومات العربية .

ولا يمنع هذا الجمع من أن يجمع (مشروع) جمعاً قياسياً على (مشروعات) في معنى آخر . فيقال (مشاريع) لما يقدم للدراسة القانونية ، على ما تقدم و (مشروعات) لما تقوم به الحكومة أو غيرها من الشركات والهيئات العامة من أعمال انشائية أو عمرانية ، ومن سائر الأعمال الحضارية .

المنشور : عرفه (الوسيط) بأنه : (بيان يذاع بين الناس ليعلموه) وكذلك عرفه (المنجد) فقال : (المنشور ما كان غير مختوم من كتب الملوك والرؤساء) ولم يجمعاه .

(١) المعجم الوسيط : هو للمعجم الذي أخرجه مجمع اللغة العربية بدمشق .

(٢) المنجد : معجم اليوسفين .

(٣) متن اللغة معجم أحمد رضا الساملي .

وعُرِّفَ (متن اللغة) تمرّيفاً يقرب من تعريفها ، وزاد عليها : (وهو المعروف عند الأتراك بـ الفَرَّمان (بفتح الراء) وجمعه على (مناشير) .
أما ان المنشور : هو الفَرَّمان ففيه نظر . اذ المنشور وهو بيان أو اعلان يختلف عن الفَرَّمان الذي هو عهد من السلطان بالولاية أو بما هو في حكمها إلى الولاية أو من هم في حكمهم .

والفَرَّمان ساكن الراء ، لا كما جاء خطأ في (المنجد) وفي (متن اللغة) .
ويقال في (المنشور) ما قيل في المشروع من أنه يجوز أن يكون له جمان جمع تكسير (مناشير) لما يصدر عن أمير أو حاكم أو رئيس ، وجمع سلامة (منشورات) لما تصدره المطابع ودور الكتب .

الموضوع : هو مصدر وضع ، واسم مفعول منه ، جمعه المنجد على مواضع وموضوعات . أما الوسيط فلم يورد له جمعاً .

وعُرِّفَ (الموضوع) فيها بأنه : « المادة التي يبنى عليها الكلام - ومن الأحاديث : المُتَخَلِّقَة . أفلا يجوز أن نستعمل الجمع في معنيين مختلفين ؟ : فنستعمل (الموضوعات) للأحاديث المُتَخَلِّقَة ، و (المواضع) للمادة التي يبنى عليها العلم أو الكلام ؟

المجرور : ومثل ذلك المجرور . جمعه النحاة في كلامهم عن الأعراب جمعاً قياسياً . فقالوا (المرفوعات) جمع (مرفوع) و (المنصوبات) جمع (منصوب) و (المجرورات) جمع (مجرور) واستعمل المعاصرون (المجرور) لجرى من الماء ، يغلب أن يكون الماء المِلْح ، ولما هو تحت سطح الأرض وهو استعمال مرفق لفظاً ومعنى ، وجمعوا هذا (المجرور) على (مجارير) ففرقوا بذلك بين المعنيين . والتفريق بين الجمع لاختلاف في المعنى ، معروف في العربية .

والمجروق لفظ لم يرد له ذكر في المعاجم العصرية التي راجعها مفرداً ولا مجموعاً . ومن صيغ (المفعول) التي وردت بمجموعة على (مفاعيل) المزامير جمع (مزموور) والمياسير جمع (ميسور) جاءت في الوسيط ^(١) وفي المنجد . وأما مجموع ، ومجروح ، ومركوب ، ومسعود ، ومستور ، ومكتوب ، فلم تجمع إلا في المنجد جمعاً جمع تكسير ، على (مفاعيل) . وأملت الفاظ كثيرة من هذه الصيغة يحتاج الى نص على جمعها .

٣ - من هذا الذي قدمناه ، نرى : أن القول بأن صيغة (مفعول) لا تجمع على (مفاعيل) إلا " شذوذاً ، قول تنقضه ، - بن هر قد نقضت عدداً كبيراً منه - الأمثلة التي ضربناها من قديمة ومن حديثة ، لا بد من الأخذ بها . ومن الألفاظ التي يلفت إليها النظر (المطمورة) فقد جاءت بمجموعة على (مطامير) في قول المتنبي :

ودون سيماسط المطامير والملا وأودية مجسولة وهجول
فقد ذهبت الشراح إلى أن (المطامير) جمع (مطمورة) وهي الحفرة تحت الأرض .

ومكذا جاء جمعها في اللسان ، وفي المتن ، وفي المنجد . وفي اللسان (المطمور) العالي . و (المطمور) الأسفل ولم يورد لها جمعاً . فإذا جرينا على القياس جمعنا ، (مطمور) على (مطمورات) . أفلا يكون غريباً . أن تجمع (مطمورة) على (مطامير) و (مطمور) على مطمورات . وكان من الأولى أن يعكس الأمر ، فتجمع (مطمورة) على (مطمورات) و (مطمور) على مطامير .

(١) جمع (الوسيط) ميسور على (مياسير) غير أنه جملة مصدرية على وزن مفعول . وكذلك نمل (متن اللغة) وهو رأي سبويه في المصور والميسور .

وبعد ، فهذه كلمة نريد أن نلّفيت إليها نظر المجامع العلمية - وهو موضوع من خصائصها - لتنظر فيه نظرة امعان ، مبعثها الضرورة والتسهيل ، فتقرر ما يجب اقراره ، ليأخذ طريقه إلى دواوين اللغة ، فلا يظل الأمر لا ضابط له ولا وازع . كل معجم يجمع على ما يحلو له ، فما القول بعد بالخاصة ؟ فضلاً عن العامة ؟ التي كان الحريري قال فيها : ان ألسنتها لم تفسد بعد ...

عارف السكري

ملاحظة : لا مشاحة ان هذا الجمع المكسر (مفاعيل) هو في كثير من ألفاظه أخف من الجمع السالم (مفعولون) و (مفعولات) . فقولنا مواليد سنة كذا ، كذا هو مصطلح عليه اليوم ، أخف من القول (مولود) أو (مولودي) سنة كذا . واستعمال (المفاهيم) على ما جرى عليه الكتاب اليوم ، ألطف من (المفهومات) وأدل على المعنى المراد .

(ع)



قاضي قضاة بغداد

وأثره في الفقه الإسلامي

كانت العراق منذ القديم ، لاسيما في الكوفة ، مركزاً لمدرسة أهل الرأي ، التي أسسها وانتمى اليها ونشرها كثيرون ، أمثال الصحابي عبد الله ابن مسعود (المتوفى سنة ٣٢ هـ) ، وحامد بن أبي سليمان (المتوفى سنة ١٢٠ هـ) ، والإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان (المتوفى سنة ١٥٠ هـ) ، وصاحبه أبي يوسف ، موضوع هذه الكلمة ، ومحمد بن الحسن الشيباني ، وغيرهم .

أبو يوسف وآثاره :

أبو يوسف هو يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد الأنصاري ، من أهل الكوفة . ولد سنة ١١٣ هـ ، وتوفي سنة ١٨٢ هـ . وكان عالماً كبيراً ، مجاهداً في العلم منذ طفولته ، شغوفاً به وداعياً له . فقد روي عنه انه قال : « العلم شيء لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك » . وكان فقيهاً حافظاً ، ومن أكثر أهل العراق اتباعاً للحديث ، جالس منذ صغره الإمام الأعظم أبا حنيفة ، وجالس القاضي محمد بن عبد الرحمن ابن أبي ليلى (المتوفى سنة ١٤٨ هـ) ، وقال فيها : « ما كان في الدنيا أحب إلي من مجلس أجلسه مع أبي حنيفة وابن أبي ليلى ، فإني ما رأيت فقيهاً أفقه من أبي حنيفة ولا قاضياً خيراً من ابن أبي ليلى » . وفي الواقع تأثر أبو يوسف بفقه أبي حنيفة كثيراً ، ولازمه ، وشاركه في تدقيق المسائل وتقدير المذهب ونشره . وخالفه أحياناً في المسألة بعد

المسألة من مسائل الأصول والفروع ، حتى عدّه بعضهم ، أمثال الكوثري وغيره ، مجتهداً مطلقاً . ولكن أبا يوسف حافظ على انتسابه لأبي حنيفة اعترافاً بحميلة . وعدّه معظم المؤرخين ، مع محمد بن الحسن الشيباني ، من أشهر أصحابه ، على اعتبار أن فقه الإمام الأعظم وأصحابه فقه جماعة عن جماعة ، لا فقه مجتهد واحد .

وكذلك أخذ أبو يوسف بعض أساليب فن القضاء ونهجه عن ابن أبي ليلى ، الذي أخذها بدوره عن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعن القاضي شريح . وكان بوجه خاص يعتمد على قضاء الإمام علي ، لا سيما في مسائل الفرائض ، لقول النبي (ﷺ) : « أقضاكم علي » .

وروي عن عمار بن أبي مالك أنه قال : « لولا أبو يوسف ما ذكر أبو حنيفة ولا ابن أبي ليلى ، ولكنه هو نشر قولهما ، وبث علمهما » . وهذا القول ، على ما فيه من مبالغة ، يدل على الأثر البارز الذي كان لأبي يوسف في تاريخ الفقه الإسلامي .

وقد ساعده على ذلك قدومه الى بغداد ، وتوليّه القضاء لثلاثة من الخلفاء ، وهم المهدي وموئى الهادي ثم هارون الرشيد . وهو أول من دعي بقاضي القضاة في الإسلام ، وأول من خص العلماء بما هم عليه من لباس خاص . فاشتهر في القضاء ، ثم أورثه ابنه يوسف الذي ولاّه في حياته قضاء الجانب الغربي من بغداد ، وأقره الرشيد على هذا التعيين .

وبذلك لم ينقر أبو يوسف من القضاء ، كما نقر منه أبو حنيفة ، إذ رفض أن يتولى منصب القضاء عندما عرضه عليه ابن هبيرة ثم أبو جعفر المنصور . ولكن روي عن أبي يوسف أنه قال قيل وفاته : « ياليتني مت على ما كنت عليه من الفقر راني لم أدخل في القضاء ، على أني ما تعمدت بحمد الله ونعمته تجوراً ولا حايت خصماً على خصم من سلطان أرسوقة » .

وروي أنه قال : « اللهم إنك تعلم أنني لم أجُز في حكم حكمت به بين عبادك متعمداً ، ولقد اجتهدت في الحكم بما وافق كتابك وسنة نبيك . وكل ما أشكل عليّ جعلت أبا حنيفة بيني وبينك ، وكان عندي والله من يعرف أمرك ولا يخرج عن الحق وهو يعلمه » .

وكان للقضايا العملية التي عرضت على أبي يوسف في القضاء أثر كبير في اجتهاده ، وفي تفريع المسائل والتوسع بأعمال الرأي ، والتيسير على الناس ، وذلك كله بطريق الأدلة الشرعية النقلية من قرآن كريم وحديث ، أو الأدلة العقلية من إجماع وقياس ، وأحياناً أيضاً بطريق الاستحسان والمخارج وما أشبهه .

وكذلك فتح منصب القضاء لأبي يوسف المجال لأجل تطبيق المذهب الحنفي ، والتأثير في نشره الواسع ، فقاضي القضاء بالإضافة إلى إشرافه على الأحكام ، كان مشرفاً على الحكم وعلى توليتهم في مختلف أقاليم الدولة . وكان إلى ذلك مقرباً إلى الخليفة وإلى أولى الأمر في الحكم والإدارة ، فكان يشير عليهم ويقتهم في مشاكلهم وواقعاتهم .

وعلى الجملة ، توصل أبو يوسف الفقيه والقاضي والمشاوَر والمفتي إلى الاشتراك الفعلي البارز في تأسيس المذهب الحنفي ، وفي بنائه وإغنائه بما اشترك فيه من تعديل وإضافة اقتضاها اطلاعه على بعض الأحاديث التي صحت عنده ، وخبرته التي اكتسبها في فصل المنازعات القضائية . وهكذا ساعد أبو يوسف على نشر المذهب الحنفي وإشاعته علماً وعملياً ، حتى أصبح اليوم أوسع المذاهب الإسلامية انتشاراً .

وأقوال أبي يوسف في الفقه مشهورة في كتب المذهب الحنفي . وله مؤلفات عديدة . وصل إلينا منها بوجه خاص كتاب الخراج ، وكتاب

الرد على سير الاوزاعي ، وكتاب اختلاف أبي حنيفة وابن أبي ليلى .
فكتاب الخراج سنشير إليه فيما بعد .

أما كتاب الرد على سير الاوزاعي ، فيبحث في أمور الجهاد والغنائم
وأحكام السلم والحرب . ويتطرق إلى بيان أقوال الإمام الاوزاعي فيها ،
ثم يقارنها ويرد عليها بما جاء عن أئمة المذهب الحنفي . وهذا الكتاب نشرته
لجنة إحياء المعارف النعمانية بحيدر آباد . وكذلك نشر الكتاب في الجزء
الآخر من كتاب الأم للشافعي ، مع تعليقات هذا الإمام عليه .

وأما كتاب اختلاف أبي حنيفة وابن أبي ليلى ، فإنه طبع أيضاً في
آخر كتاب الأم ، مع تعليقات الشافعي عليه . ففي هذا الكتاب يذكر
أبو يوسف الخلاف بين أستاذه في أبواب الفقه المختلفة - وهو خير من
اطلع على هذا الخلاف - ثم يقارن ذلك بما قاله بعض أئمة السلف كالإمام
علي وابن عباس والقاضي شريح وغيرهم ، وينتهي إلى ما يراه صواباً ، وهو
غالباً ما يكون مع أبي حنيفة . وعلى كل ، فهذا النوع من الكتابة
والتصنيف يدل على التدقيق العلمي العميق ، وعلى الخبرة الواقعية والدراية
العملية . وهو مساهمة ثمينة فيما عرف باختلاف الفقهاء ، أو بحث مقارنة
المذاهب والشرائع .

نهج أبي يوسف الفقهي :

كان نهج أبي يوسف في أصول الفقه نهج مدرسة العراق ومدرسة أهل
الرأي على العموم . ولكنه قبل بكثير من الأحاديث النبوية التي صحت
عنده ، والتي لم يقبل بها سائر أصحابه . فلذا كان يميل أحياناً إلى أهل
الحديث وإلى الأدلة الثقلية من كتاب وسنة ، إذ روي عنه أنه قال عند

وفاته : « كل ما أفتيت به فقد رجعت عنه ، إلا ما وافق كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ » .

وكذلك روي عن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال : « أول ما طلبت الحديث ذهبت إلى أبي يوسف القاضي » . ولكنه لم يحدث عنه لا هو ولا معظم المحدثين الثقات في صحاحهم وسننهم .

وعلى الرغم من ذلك ، فقد كانت طريقة أبي يوسف طريقة أهل الرأي اجمالا . فلذا توسع مثلهم في الاجتهاد واعمال الرأي ، بطريق الأدلة العقلية من اجماع وقياس واستحسان . لا بل رويت عنه أقضية كان فيها أكثر تحمراً من سائر أصحابه في المذهب ، كما ترى من الأمثلة التي نعرضها فيما بعد .

ولا يسمح لنا المجال بتفصيل هذه الأدلة جميعاً . ولكن لا بأس بتوضيح وجيز لدليل الاستحسان ، بالنظر لتأثيره في بعض أقوال أبي يوسف بوجه خاص .

فالاستحسان ، كما عرّفه السرخسي صاحب كتاب المبسوط في شرح كتب ظاهر الرواية في المذهب الحنفي ، هو « ترك القياس والأخذ بما هو أوفق للناس ... وترك العسر اليسر » . وقد أسنده إلى الآية الكريمة « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » ، وإلى الحديث الشريف : « خير دينكم اليسر » ، وإلى أمثال ذلك من الأدلة والمباينات . وبكلمة أخرى ، الاستحسان هو دليل شرعي معناه ترك القياس واتباع ما يقتضيه العرف أو المصلحة أو الضرورة أو الحاجة . مثاله : جواز الحنفية بيع الوفاء لحاجة الناس إليه ، وذلك بطريق الاستحسان وخلافاً للقياس .

وقد برز أثر الاستحسان الفقهي وأثر منصب القضاء والمشاورات الإدارية في مواضيع عديدة من أبواب الفقه التي عالجها أبو يوسف . منها عنايته بالخراج وأمور الادارة ومسؤولية الولاة . ومنها توسعه في الخارج أو الحيل الشرعية ،

وتغير الاجتهاد وفق تغير الحاجات والعادات ، والتيسير للضرورة وعموم البلوى ، ومنع التعسف في استعمال الحقوق ، وبعض الأقضية الخاصة . ونحن نذكر بعض الأمثلة من هذه المسائل جميعا .

الخراج والإدارة :

من الكتب التي صنفها أبو يوسف ووصلت إلينا كتابه المشهور في الخراج . وهو رسالة قيمة كتبها إلى الخليفة هارون الرشيد ، تبحث بوجه أصلي في الغنائم والخراج والصدقات والجزية والعشور وسائر أمور الدولة الضرائبية والمالية ، كما تبحث بإيجاز في بعض أحكام الضمان وما أشبه .

والرسالة مصدرة بمقدمة كلها عظات وحكم ، تنوّه بفضائل العمل والتقوى ، وتؤكد على أهمية العدل والمساواة بين الرعية . ومن هذه الحكم ما سار مثلا بين الناس وتواتر على الألسنة . نذكر ببعضها ان نفعت الذكرى .

قال أبو يوسف للرشيد في العمل والإصلاح : « لا تؤخر عمل اليوم إلى غد ... وليس شيء أحب إلى الله من الإصلاح ولا أبغض إليه من الفساد » .

وقال له في التآني والتقوى والمساواة : « واجعل الناس عندك في أمر الله سواء القريب والبعيد ، ولا تخف في الله لومة لائم ، واحذر فان الخوف بالقلب وليس باللسان ، واتق الله فانما التقوى بالتوقي ومن يتق الله يققه » .

أما في العدل ، فقد أكثر النصيح ، وحذر من الجور وذكر بالمسؤولية ، حيث قال : « ان الرعاة مؤدون إلى ربهم ما يؤدي الراعي إلى ربه ، فأقم الحق فيما ولاك الله وقلدك ولو ساعة من نهار ... وجور الراعي هلاك للرعية ، واستعانت به غير أهل الثقة والخير هلاك للعامة ... ويحزي الله كل نفس بما كسبت إن الله سريع الحساب » .

ثم تعرض أبو يوسف في كتابه إلى مسألة خطيرة ، ألا وهي مسؤولية الدولة في المحافظة على حقوق الرعية . فقال : « ليس للإمام أن يخرج شيئاً من يد أحد إلا بحق ثابت معروف » . وروى عن عمر بن عبد العزيز كيف عوّض رجلاً من إفساد زرعه بسبب مرور الجيش عليه .

وهذا مثل رائع عن مسؤولية الإدارة عن ولائها وعمالها ، وتركيب لفكرة المصلحة العامة وواجب الدولة في رعايتها وفي خدمة الرعية ، مصداقاً لقوله ﷺ : « الإمام راع ومسؤول عن رعيته » . وهذه لعمري قاعدة عادلة ، توافق أحدث النظريات في مسؤولية الدولة في العلم الإداري اليوم . ومعناها أن الدولة وموظفيها ، كباراً كانوا أم صغاراً ، هم خدام الرعية وحماة حقوقهم ، لا أسيادهم وظلّاتهم . وقد صدق المعري حيث انتقد من تناسى هذه القاعدة بقوله :

ظلموا الرعية واستجازوا كيدها فعدّوا مصالحها وهم أجراؤها
ولم يكتف أبو يوسف بتنبية الرشيد الى هذه القاعدة فحسب ، بل أشار عليه بالإشراف الفعلي على تطبيقها ، وذلك باقتراحه عليه : « أنا أرى أن تبث قوماً من أهل الصلاح والعفاف بمن يوثق بدينه وأمانته ، يسألون عن سيرة العمال وما عملوا به في البلاد ، وكيف جبوا الخراج على ما أمروا به وعلى ما وظف على أهل الخراج واستقر . فإذا ثبت ذلك عندك وصح ، أخذوا بما استفضلوا من ذلك أشد الأخذ ، حتى يؤديه بعد العقوبة الموجبة والنكال ... » . فهذا والله من أحسن الإشراف ، وأحزم الرقابة ، وأصوب النظر الى مصلحة الرعية ، وأصح المحافظة على الولاية العامة كما يجب أن تكون . ثم بعناه أشار أبو يوسف على هارون الرشيد بوجوب أمر القضاة أن يضعوا في بيت مال المسلمين ما يقع في أيديهم من مال الغرباء وليس لذلك طالب ولا وارث ، أو ما وجد مع اللصوص بما ليس له طالب ولا مدع . وهذا كله حرص على مال الرعية ومال الدولة جميعاً .

أما بحث الخراج وسائر الضرائب ، فهو بحث قيم ، يلقي نوراً واضحاً على أحكام هذه المسائل ، من الناحيتين التاريخية والفقهية . ولم يكتف أبو يوسف بتوضيح ذلك ، بل دقق فيما جرى عليه أئمة السلف من تعديل لأحكام الخراج ، وذكر أدلتهم بروح علمية انتقادية .

مثالة ذكر أبو يوسف كيف كان مقدار ضريبة الخراج في أيام عمر ابن الخطاب (ض) ، ثم كيف تغير في أيامه وفقاً للمصلحة . وكذلك ذكر كيف كان العمل قبل عمر ان تقسم الأرضون بين الفاتحين كما توزع الغنائم بعد حسم خمسها ليصرف في مصارفه الشرعية وفقاً للآية الكريمة في سورة الأنفال ، ثم كيف عدل عمر عن هذا النهج بعد فتح الشام والعراق ومصر وخراسان ، إذ رفض توزيع الأرضين بين الفاتحين ، بل أبقاها بيد أهلها بعد أن وضع عليها الخراج ورضع عليهم الجزية ، ولذلك لأجل تأمين موارد دائمة للدولة .

وكذلك وردت في كتاب الخراج أحكام أخرى كثيرة في فروع الفقه ، لاسيما في مسألة الضمان في التصرفات الفعلية والجنايات . وسنرى بعض الأمثلة منها فيما بعد .

الخارج والحيل الشرعية :

اختلف الفقهاء كثيراً في جواز الحيل والخارج في مسائل الفقه . فجمهورهم ، ومنهم الأئمة مالك والشافعي وابن حنبل ، حرموا الحيل جميعاً على اعتبار أنها ذرائع تفوت مقاصد الشريعة ، وإنه يجب سد كل الذرائع لإحياء هذه المقاصد وقطبها .

ومنهم من أجاز الحيل بشروط معلومة ، كما نرى ذلك في كتب بعض الحنفية ، أمثال كتاب أبي بكر الخصاص في الحيل . وقد نسب إلى

الإمام أبي يوسف أنه ألف كتاباً في الحيل . ولكنه لم يصل إلينا ، بل نقلت إلينا بعض الأمثلة منه .

وخلاصة طريقة الحيل أو الخارج المشروعة ، التي جوزها أبو يوسف وأمثاله ، انها - بمبارتهم - تدابير لطيفة لا تصطدم مع النصوص ، ويقصد منها التخلص من المآزق والمآثم والحرام ، والخروج إلى الحلال من غير إبطال حق أو إحقاق باطل أو الدخول في التعويذ والشبهة .

مثال ذلك ما روي عن أهل الرأي من انهم اعتبروا اليمين على نية الخالف ان كان مظلوماً ، على حين أن الأصل في اليمين أن تكون على نية المستحلف لتعلق حقه به . وما هذا الاعتبار إلا للخروج من الظلم من دون إبطال حق الغير .

وكذلك روى الخطيب عن أبي يوسف أن أمير المؤمنين هارون الرشيد استدعاه مرة إلى داره ليلاً ، وأخبره أن عيسى بن جعفر ، الذي كان يجلس إلى جانبه ، رفض أن يهبه جاريته أو ان يبيعها منه ، متعللاً بأنه كان قد حلف يميناً بالطلاق والعناق وصدقة ما يملك أن لا يبيع تلك الجارية ولا يهبها . وطلب الرشيد إلى أبي يوسف أن يجد له مخرجاً من ذلك . فأجابه : « يهب لك نصفها ويبيعك نصفها » ، على اعتبار أن اليمين كانت على البيع الكامل أو الهبة الكاملة لا على بيع البعض أو هبته . وهكذا انتهى الأمر بحسب فتوى أبي يوسف ، وأخرجت حيلته الاثنين من المآزق من غير إبطال حق ولا إحقاق باطل .

ولا شك في أن المجال لا يسمح هنا بإطالة شرح هذا الموضوع ، ولا التبسط في أمثاله العديدة ، التي مردها واقترضها الفقهاء الحنفية ، الذين صنفوا في الخارج والحيل .

تغير الأحكام :

من أهم القواعد التي أفتى بها أبو يوسف بطريق الاستحسان قاعدة تغير الأحكام . فهذه القاعدة قد نوه بها كثير من الفقهاء ، أمثال العز بن عبد السلام وابن قيم الجوزية وشهاب الدين القرافي ونجم الدين الطوفي وغيرهم . ومعناها تغير الاجتهاد والفتاوى والأحكام بتغير الأزمنة والأمكنة والأحوال ، تبعاً لتغير العلة أو العادة أو لاقضاء الضرورة أو المصلحة ، وذلك وفق الضوابط والشروط التي وضعها الفقهاء .

ومن أمثلة تطبيق هذه القاعدة ، التي رواها أبو يوسف في كتاب الخراج والتي أشرنا إليها آنفاً ، تنقيص ضريبة الخراج في أيامه عما كانت عليه في أيام عمر بن الخطاب (ض) ، بسبب تغير الأمصار والأحوال .

ولا بد من الإشارة إلى أن الرأي السائد عند جمهور الفقهاء وأئمة المذاهب ، ومنهم أبو حنيفة وصاحبه محمد بن الحسن الشيباني ، يمحصر قاعدة تغير الأحكام في المسائل التي لا نص عليها في أدلة الشرع المنقولة . أما إذا كان في المسألة نص شرعي ، فالأصل اتباع النص والتزامه وعدم الخروج عنه ، ولو تغيرت الحاجات والعادات والأعراف ، لأن « النص أقوى من العرف والعادة والاجتهاد » ولأنه « لا مساغ للاجتهاد في مورد النص » كما جاء في القواعد الكلية .

أما قاضي قضاة بغداد أبو يوسف ، فقد قال بأنه إذا كان النص الشرعي مبنياً على العرف والعادة ، ثم تغيرت العادة ، فيجوز اتباع العادة استحساناً لأنها « كانت هي المنظور إليها » في النص الشرعي نفسه . وهذا ، كما نرى ، تطبيق واسع للقاعدة الكلية الأصولية : « إن الحكم الشرعي المبني على علة يدرر مع علته وجوداً وعدماً » .

مثاله كان البر والشعير في أيام النبي (ﷺ) من المكيلات ، أي كانا يباعان بالكيل . وهكذا ورد الحديث الشريف باعتبارهما كذلك . ولكن العادة كانت تغيرت في أيام أبي يوسف ، وأصبحت هذه الأشياء من الموزونات أي أصبحت تباع بالوزن . فأقر أبو يوسف العادة الجديدة ، على الرغم من النص الشرعي ، وذلك باعتبار أن العادة كانت هي علة النص وشرط تطبيقه ، وإن تغير العلة ينفي شرط تطبيق الحكم المبني عليها .

وبعبارة أخرى ، كما نقل ابن عابدين ، « إنما أراد (أبو يوسف) تعليل النص بالعادة ، بمعنى أنه إنما نص على البر والشعير والتمر والملح بأنها مكيلة وعلى الذهب والفضة بأنها موزونة لكونها كانا في ذلك الوقت كذلك . فالنص في ذلك الوقت إنما كان للعادة ، حتى لو كانت العادة في ذلك الوقت وزن البر وكيل الذهب لورد النص على وفقها . فحيث كانت العلة للنص على الكيل في البعض والوزن في البعض هي العادة ، تكون العادة هي المنظور إليها . فإن تغيرت تغير الحكم . فليس في اعتبار العادة المتغيرة الحادثة مخالفة للنص ، بل فيه اتباع النص » .

وبعبارة أخرى ، فاستحسان أبي يوسف في قاعدة تغيير الأحكام لا يعني تغيير النص لا سمح الله . فالنص الشرعي مقدس عنده وعند غيره ، لا يجوز مسه بحال من الأحوال . ولكن معنى هذا الاستحسان هو اتباع النص نفسه ، لأنه مبني على عادة ظاهرة ، فيستوجب استيفاء شرط تطبيقه ، وهو بقاء علة أي العادة التي بني عليها .

ومثل آخر طريف رواه الخطيب عن استحسان أبي يوسف . وهو أن أم جعفر كتبت إليه تستفتيه في قضية ، فأفتاها بما أحببت ، فبعثت إليه بهدية ثمينة تحوي الفضة والطيب والدرام والدنانير . فرآه جليس له ، فرري له عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « من أهديت له هدية فجلساؤه

شركاء فيها» . فأجابه أبو يوسف : « كان ذلك حين كانت هدايا الناس التمر واللبن » . وبكلمة أخرى ، تخلص أبو يوسف من الحكم الشرعي الوارد في الحديث ، بتغيير العادة التي بني عليها ذلك الحديث ، والتي اعتبر أنها كانت المنظور اليها فيه .

وبرأي أبي يوسف أخذت مجلة الأحكام العدلية العثمانية ، اذ نصت على انه « لا يتكرر تغير الأحكام بتغير الأزمان » (المادة ٣٩) . وهي قاعدة من قواعد كتاب الجامع المعروف . وقد أوضحت لجنة المجلة هذه المادة ، بقولها في تقريرها ، الذي رفعته بشأنها إلى الصدر الأعظم : « انه بتبدل الأعصار تتبدل المسائل التي يلزم بناؤها على العرف والعادة » .

وهذا ، كما نرى ، قول وجيه . يدل على تعمق تفكير أبي يوسف وأمثاله ، وعلى تأثرهم بمطالب القضاء العملية ، وعلى فائدة الاستحسان في التيسير على الناس ، وفي تطوير معاملاتهم وفق مقتضيات الحضارة والتقدم والفلاح .

قاعدة التيسير للضرورة :

من نظائر قاعدة تغير الأحكام قاعدة أخرى ، هي التيسير في المعاملات بسبب الضرورة ولرفع المشقة والحرج . وقد وردت هذه القاعدة في كتب الفقه بعبارات عديدة . منها : « المشقة تجلب التيسير » . والأمر إذا ضاق اتسع . والضرورات تبيح المحظورات » .

ومن الأمثلة على تطبيق هذه القاعدة ، بجواز القتل دفاعاً عن النفس ، والترخيص في حالة خوف هلاك النفس بأكل لحم الميتة للجوعان عند عدم الطعام ، أو شرب الخمر للعطشان عند عدم الماء ، وترخيص الخنفة بشرب الخمر للتداوي استعصاناً ، والتيسير أحياناً بسبب العسر وغموم البلوى ، استناداً إلى الآية الكريمة : « وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة » .

وقد قيد جمهور الفقهاء هذه القاعدة بضابط هو : « ان المشقة والخرج
انما يعتبر في موضع لا نص فيه » . ومن هؤلاء الإمامان أبو حنيفة وصاحبه
محمد بن الحسن الشيباني ، أما قاضي القضاة أبو يوسف ، فإنه قال استحساناً
باعتبار المشقة والخرج حتى في مواضع النص :

وقول أبي يوسف في هذا المعرض يستند إلى سابقات مروية عن عمر
ابن الخطاب وغيره ، وإلى أدلة شرعية أخرى لا مجال لتفصيلها في هذا
المقال . وعلى كل ، فهذا القول منسجم مع قول أبي يوسف الذي مر معنا
بمناسبة قاعدة تغير الأحكام .

التعسف في استعمال الحقوق :

من أفضية أبي يوسف ، التي خالف فيها القياس ، راتب الاستحسان
مسألة التعسف في استعمال الحقوق .

فمن المعلوم ان استعمال الحق جائز ، وانه لا يوجب الضمان بمحد ذاته .
لذا جاء في القاعدة الكلية الواردة في الجامع وفي مجلة الأحكام العدلية ان :
« الجواز الشرعي يتأني الضمان . مثلاً لو حفر انسان في ملكه بشراً ، فوقع
فيها حيوان وهلك ، لا يضمن حافر البشر شيئاً » (المادة ٩١) . وسببه
ان حافر البشر فعل ما هو جائز شرعاً ، وان الجواز الشرعي هذا يرفع
عن الفاعل مسؤولية الضرر الذي لحق بالحيوان ، بسبب وقوعه وهلاكه
في البشر المحفورة .

غير انه في بعض الأحوال قد يسبب استعمال الحق أضراراً جسيمة
للغير ، وقد يكون حاصلًا بطريق التعسف . فهل يتمتع هذا الاستعمال المضر
أو يكون سبباً للضمان ؟ اختلفت المذاهب والقوانين في ذلك ، ولا مجال
هنا لتفصيل الخلاف .

ولكن المهم ان الأئمة الحنفية اختلفوا فيما بينهم في الجواب عن هذا السؤال الدقيق ، لاسيما في قضية المعاملات الجوارية . فقال أبو حنيفة ، كما روي في فتاوى قاضيخان ، ان : « من تصرف في ملكه لا يمنع عنه وان كان يتضرر جاره به » . وبهذا الرأي أخذ المذهب الحنفي في ظاهر الرواية عملاً بالقياس .

أما أبو يوسف ، فإنه ترك القياس ، وقال بعكس ذلك استصحاباً . وبرأيه أخذت مجلة الأحكام العدلية ، حيث جاء فيها أنه « لا يمنع أحد من التصرف في ملكه أبداً إلا إذا كان ضرره لغيره فاحشاً » (المادة ١١٩٧) . وانه « يدفع الضرر الفاحش بأي وجه كان ... » (المادة ١٢٠٠) .

وهذا الاستحسان مبني على القاعدة الكلية في كتب الأشباه والنظائر وفي المجلة . وهي : « درء المفسد أولى من جلب المنافع » (المادة ٣٠) . ومعنى ذلك ان المرء يمنع من استعمال حقه إذا نتج عنه ضرر فاحش لجاره ، لأن منع الضرر الفاحش عن الجار أولى من ابقاء المنفعة لصاحب الحق . وهو قول وجيه ، يوافق فكرة العدالة الاجتماعية ، التي لا تنظر إلى الحقوق نظرة فردية مطلقة ، بل تعتبرها نسبية مقيدة بالمصالح التي ترتكز عليها . وهذه المصالح يقيد بعضها بعضاً ، لأجل ايجاد التوازن بين الحقوق المتضاربة ، ولأجل سعادة أصحابها في الحياة الاجتماعية .

ونظرية التعسف في استعمال الحقوق تعد اليوم من أهم النظريات العصرية . وهي بوجه عام مبنية على فكرة نية الضرر ، التي سبق ونوتها بها أحد فقهاء المالكية في القرن الثامن الهجري ، ابراهيم اللخمي الغرناطي المعروف بأبي اسحق الشاطبي ، في كتابه الموافقات في أصول الشريعة . ولا مجال في هذا المقال للتوسع في تفصيل معنى هذه النظرية .

أقضية وفتاوى خاصة :

أقضية أبي يوسف القاضي ، وفتاوى أبي يوسف الفقيه ، واجتهادات أبي يوسف المجتهد - كلها أكثر من أن تحصى . وهي متفرقة في كتب الفقه الحنفي العديدة ، وفي غيرها من كتب المقارنات الفقهية . فلا مجال إذن لحصرها في مقال أو في كتاب .

غير أن لبعض هذه الأقضية والفتاوى والأقوال اتجاهًا خاصًا ، يصور لنا تعمق أبي يوسف ودرايته وتدقيقه وعدالته ، ويعطينا دليلًا على تأثيره بمنصب القضاء وبصعوبات المنازعات القضائية التي عاناها .

ونحن نذكر بعض الأمثلة البارزة منها ، وقد وردت في معرض أبحاث البيئة ، وحماية النية والإرادة في العقود والتصرفات ، وتوثيق الحقوق بالكفالة ، وتسهيل المعاملات وتيسيرها . ووردت بوجه خاص في باب الضمان في التصرفات الفعلية ، أو ما نسميه بالمسؤولية الجرمية المدنية في الاصطلاح الحديث .

أولا - البيئة .

قال النبي العربي (ﷺ) : « لو يعطى الناس بدعواهم لادعى ثاس دماء رجال وأموالهم ... » . لذلك كان للآبات والبيئات أهمية كبرى ، وكان من اللازم التحوط في تدقيقها وقبولها .

فمن الضوابط الأساسية في المسألة أن البيئة لا تقبل على عكس الإقرار ، لأن الإقرار أقوى البيئات ، ولأن المرء مؤاخذ بإقراره . ولكن بعض الفقهاء ، ومنهم أبو يوسف ، قالوا بأن المقرر أن يخلف المقر له اليمين في مثل هذه الحالة . وبقولهم أخذت مجلة الأحكام العدلية (المادة ١٥٨٩) . ومثل آخر : على الرغم من أن الأصل أن لا يخلف أحد اليمين إلا بطلب خصمه ، فقد ذكر بعض الأئمة أحوالاً أعطوا فيها الحاكم الحق بأن يخلف

المدعي اليمين بلا طلب ، توثيقاً لدعواه وحرصاً على احقاق الحق . من ذلك ما قضى به أبو يوسف من أنه إذا طالبت المرأة بفرض نفقة على زوجها الغائب ، تحلف بالله انه ما خلف لها زوجها شيئاً ولا أعطاها النفقة . وبقوله أخذ المذهب الحنفي .

ثانياً - حماية النية والإرادة في العقود والتصرفات .

من تعمق أبي يوسف في مقاصد الأحكام ومعاني الأشياء ، ومن حرصه على احياء تعامل الناس وفق عاداتهم انه خالف أبا حنيفة أيضاً في تفسير نية المتعاقدين أحياناً . مثاله إذا تعارض المعنى الحقيقي والمعنى المجازي في قضية ما ، وكان استعمال المعنى الثاني غالباً ومستمراً في العرف ، فان أبا يوسف يفضل على المعنى الحقيقي ، باعتباره يمثل نية المتعاقدين . وبقوله أخذت مجلة الأحكام العدلية العثمانية في القاعدة السكّية أن « الحقيقة تترك بدلالة العادة » (المادة ٤٠) .

ومن أمثلة حماية الإرادة مسألة الحجر على السفه ، أي على المبذر والمصرف والمغفل . فأبو حنيفة منع هذا الحجر ، لأنه تصرف على النفس ، والنفس أعظم خطراً من المال ، فلا يجوز عنده تضييق حرية المرء الشخصية للحفاظ على ماله . ولكن أبا يوسف وجمهور فقهاء المذاهب خالفوه في ذلك ، وجوزوا الحجر على السفه ، بالاستناد الى أدلة عديدة من المنقول والمعقول . وقول أبي يوسف وأتباعه قول عملي يوافق عادات الناس في معاملاتهم الاجتماعية ، لأن السفه ضعيف الإرادة ، والحجر عليه حماية له من استئثار المحتالين ، وحفاظة على نفسه وماله جميعاً .

وكذلك جواز أبا يوسف الحجر على المدين المفلس أو الماطل بناء على طلب الغرماء ، وذلك خلافاً لأبي حنيفة أيضاً .

وقريب من ذلك مخالفة أبي يوسف لظاهر الرواية في المذهب الحنفي في مسألة الولاية على الممتود ، إذ خصمها بالحاكم عملاً بولايته العامة ، وكذلك

خالف ظاهر الرواية بقوله يجوز تخصيص وصاية الوصي المختار في الولاية على المال .

ثالثاً - توثيق الحقوق بالكفالة القضائية .

للزوجة حق النفقة في ذمة زوجها . فإذا خيف سفره ، أجاز أبو يوسف للزوجة استحساناً أن تأخذ الكفيل من الزوج قبل سفره تأميناً لنفقتها مدة شهر . وقوله هو المفق به في المذهب الحنفي .

وكذلك إذا كان بين الورثة حمل ، وأراد هؤلاء اقتسام التركة قبل ولادته ، فقد اشترط عليهم أبو يوسف ، علاوة على توقيف حصة ولد واحد ، أن يقدموا كفيلًا يضمن حصة الحمل إذا ولد متعددًا .

رابعاً - تسهيل المعاملات .

مسائل الفقه معقدة عويصة ، ولا يعرف قدر ذلك إلا من خبرها وعانها من ولاية القضاء . فلذا نراهم يسعون ما أمكن إلى تبسيطها وتيسيرها ، تصحيحاً للعقود والمعاملات ، وتسهيلاً لفصل الخصومات ، ورفعاً للمثقة والخرج . ومن ذلك أقضية أبي يوسف في أعمال الفضولي ، والتوسع في إحيائها بطريق الاستحسان . مثاله : إذا باع الفضولي ثوباً بلا إذن صاحبه ، فخاطبه المشتري قيصاً ، فأجاز المالك البيع ، كان هذا البيع جائزاً عند أبي يوسف .

وكذلك إذا اقتسم الشركاء التركة وبعضهم غائب ، توقف نفاذ القسمة على إجازة الغائب . ولكن إذا مات الشريك الغائب قبل الإجازة ، ثم أجاز ورثته عنه ، فلا تصح الإجازة عند الإمام محمد بن الحسن عملاً بالقياس ، ولكنها تصح استحساناً عند الإمام أبي يوسف .

ومن أقضية أبي يوسف العملية قوله في الوقف انه يلزم بمجرد صدور صيغته مستوفية شروطه ، ولا يتوقف لزوم الوقف عنده على حكم أو تسليم ،

على حين ان ذلك يتوقف على حكم القاضي عند أبي حنيفة ويتوقف على التسليم عند محمد بن الحسن .

ومن باب تسهيل فصل القضايا في الإرث توزيع التركة بين الورثة المعروفين بنذوي الأرحام . فأبو يوسف قال بقسمة التركة بينهم أحياناً بالنظر إلى صفة رؤوس الفروع ، لاصفة أصولهم كما قال محمد بن الحسن ، حسباً هو مفصل في كتب الموارث .

ومثل أخير : أجاز أبو يوسف البيع والشراء بثن المثل بين المريض بمرض الموت وأحد ورثته ، وذلك خلافاً لقول أبي حنيفة ، الذي اعتبر مثل هذا البيع مشبوهاً وموقوفاً على اجازة الورثة بعد وفاة المريض .
خامساً - الضمان في التصرفات الفعلية .

لا شك في ان ميدان التصرفات الفعلية كان من أخصب ميادين الفقه والقضاء . ففيه يبرز علم القاضي ودرايته وخبرته ، ويظهر تفهمه لحقائق الأمور وحاجات المجتمع . وهذه التصرفات ، كما هو معلوم ، تتعلق بأعمال المرء غير المشروعة وبالجرائم التي يرتكبها وينجم عنها ضرر للغير .

ففي هذا الميدان ، كان لقاضي القضاة أبي يوسف أفضية نادرة وأحكام طريفة ، نذكر بعضاً منها على سبيل المثال ، لا على سبيل الحصر أو الإسهاب .
ففي مسألة غصب الصبي والتقصير في حفظه ، لو قتل الصبي نفسه أو رمى نفسه من الدابة بسبب هذا التقصير ، فإن الغاصب يضمن الضرر في قول أبي يوسف .

وكذلك في مسألة الضرب أو الجراح التي لا تترك أثراً بعد برئها ، قال أبو يوسف بأن للمضروب أو المجرّح ان يطالب الجاني بما أنفقه من ثمن الدواء وأجرة الأطباء .

ومن أطرف الأقضية والقضايا ما روي عن أبي يوسف في مسألة حفر
البئر في الطريق العام . فإذا عثر رجل بحجر فوقع فيها ، فالضمان على
واضع الحجر كأنه دفعه بيده . فإن لم يعرف للحجر واضع ، فالضمان واجب
على صاحب البئر . وإذا زلق رجل بقاء ضبه رجل آخر في الطريق فوقع
في البئر ، فيلتزم واضع الماء بالضمان . فإن كان الماء ماء سماء فزلق به
رجل فوقع في البئر فعطب ، فالضمان واجب على صاحب البئر . أما إذا أمر
أحد أجيره بحفر البئر في الطريق العام ، فوقع فيها رجل ومات ، كان
الضمان على قبيلة (عاقلة) المستأجر الأمر ، وذلك بطريق الاستحسان .
وكذلك لو حفر أحد بئراً بلا إذن أولى الأمر ، فوقع فيها إنسان ومات
جوعاً أو غماً ، فأبو حنيفة نفى الضمان عن صاحب البئر ، ومحمد بن الحسن
أوجب عليه . أما أبو يوسف ، فإنه أوجب الضمان في حالة الموت غماً ، لا في
حالة الموت جوعاً .

وأيضاً في مسألة بيع الكلب العقور ، فقد منعه أبو يوسف لعدم المنفعة
منه ، خلافاً في ذلك لسائر أئمة المذهب الحنفي .



ونحن في هذا المقال الوجيز ، وفي هذا المجال اليسير ، نكتفي بما ذكرنا
من الأمثلة . ففيها الدلالة الكافية على أن أبا يوسف ، الذي كان أول من
أفاد بقاضي القضاء في بغداد وفي العالم العربي والإسلامي ، وأول من ارتدى
زِي العلماء الخاص اجلاً للعلم والقضاء ، أن أبا يوسف جمع إلى التبحر العلمي
الصحيح التفرس العملي الدقيق . وقد اكتسب مبادئ الفقه من أبي حنيفة ،
ومبادئ القضاء من ابن أبي ليلى ، ولكنه زاد على ما اكتسب ، يجده
واجتهاده ، كثيراً من قواعد علم الفقه وضوابط فن القضاء .

وان فوز أبي يوسف في جمعه ثلعم مع العمل ، وللقه مع القضاء بأن واحد ، يفسر لنا كيف تمكن هذا الفقيه القاضي من أن يوفق بين كونه أشد عداقة من أصحابه في المذهب من ناحية ميله إلى أهل الحديث من جهة ، وبين كونه أكثر منهم تحملاً وتوسلاً في الرأي من جهة ثانية ، على ما أوضحنا في تطبيقه الاستحسان في مسائل تغير الأحكام ، والتيسير للضرورة ، ومنع التعسف في استعمال الحقوق .

فالتطبيق العملي لا يتقيد بنهج واحد ، بل يرتكز على أساس العدالة الثابت ، ثم يتفرع منه توسلاً وتحملاً حسب متطلبات الحياة وحاجات العمومية . وهذا أثبت أبو يوسف ، كما أثبت غيره قبله وبعده ، أن الشريعة الفراء كانت تماثي الحضارة في جميع الأمصار والأعصار ، لا بل كانت تمثيها وتوجهها تبعاً لسنة التطور والتقدم .

صبي المحمدي



حقائق التاريخ وقواعد البناء

جاء في مقدمة تاريخ البابليين ومريعة حمورابي (أن التاريخ بمعناه الصحيح ، دراسة الحياة البشرية وما انتهت إليه مظاهر فعاليتها من وقائع وتجارب ، واحداث ، ونتائج ، ومعرفة الأسباب التي أدت إليها وما هي غاياتها ، وأهميتها لا بالنسبة للماضي والحاضر فحسب ، بل بالنسبة للمستقبل).
ويشرح الكاتب الغاية فيقول : (وهدفنا ونحن ندرس التاريخ أن تكون دراستنا لا لتمجيد الأشخاص ، ولا لبيان محاسن الأمم ، ومساوي الشعوب ، ولا لسرد الوقائع الحربية من فتوحات ، وقتل ونهب وغيرها ، ولا لذكر الانتصارات ، والانكسارات وأسبابها ، ونتائجها ، بل لندرس ناحيتين مهمتين هما ارتباطهما الوثيق بالمسببات والغايات ، والنتائج . الناحية الانقلابية ، أي الثورات ، والانقلابات ونتائجها ، والناحية التطورية ، أي التحولات ونتائجها . لأن الثورات من شأنها ربط الماضي بالحاضر لتهيئة المستقبل)
ويمقب هذا ببيان وجيز عن ماهية الناحيتين فيقول :

(ولما كانت الثورات تلزم الهدم ، وتقوم به فجأة ، فلا تخلو عواقبها من الأخطار والوقوع بالخطأ ، وعدم الاستقرار . وليس من يستطيع أن يتنبأ تماماً عن نتائجها هل هي لصالح الحال والمستقبل أم لضررها) ؟ .
وأما التحول وهو التطور الذي إذا سار في خطواته الطبيعية وفقاً لقانون (النشوء ، والتقدم ، والارتقاء) القائم على (التغذية والنمو والوراثة ، والاستعداد ، وقابلية التكيف ، وحين الانتخاب) فإن عواقبه تكون مضمونة ، وتحفظ الحياة صالحة للبقاء ، وداعة الفعالية والنشاط ، والتقدم

والارتقاء ، مع سلامة الحاضر بما هو معلوم ، وصالح للمستقبل بما يمكن أن يكون) .

هذا ماورد في المقدمة لتاريخ بابل ، وشريعة وضعها حمورابي مؤسس أعظم دولة بين دول العالم القديم وكان وضعها في سنة (٢٠٨٤ - ٢٠٨٠) قبل الميلاد . ودامت أحكامها حتى بعد ظهور موسى بستماية سنة ، قد بين بها الأمم السامية في أقطارها المتعددة .

والآن ماذا تفيدنا هذه المقدمة ؟

إن الشعوب العربية بأقطارها ودولها تبرز في حياتها الحاضرة ثلاث ظواهر : (الأولى) ظاهرة الوعي القومي والسياسي ، (الثانية) ظاهرة الوعي الاجتماعي للتحرر من قيود الماضي وجمود الحاضر ، و (الثالثة) ظاهرة النضال والثورة ضد مايعوق انطلاقها للنهوض والبناء والتجدد .

وما هو الدافع لهذه الظواهر ؟

أما الدافع والحرك لها فكما يتراءى للعالم المدقق ليس عاملاً واحداً ، بل هي (القوى الوراثة ، والخلقية ، والفكرية والروحية) الكامنة في جوهرها النفسي وعنصرها القومي ، يضاف إليها (فعالية الحياة في التحرك والعمل لتأخذ مداها بالثورات في بعض الأقطار ، وبالتطور والتحول في أقطار أخرى) ، ثم [العاجات الزمنية الملحة والتيارات الخارجية الجارفة] .

ولكن أي الطريقين أصح لبلوغ الهدف والغاية ؟

للإجابة على أحد السؤالين يجب أن نعرف الواقع ، وأن نعطي لكل من الطريقين تقديره وحقه من العلم والتجرد ، والاستقصاء ، والانصاف مع اعتبار الضرورات الداعية لتفضيل واختيار أحدهما ، واعتبار الصراع القائم في العالم بين الشعوب والدول من المؤثرات التي لا يستهان بملاقاتها مع الواقع .

ولما كان هذا الواجب يشمل التعميم والتخصيص فلاختصار البحث نحصر الجواب في واقعنا السوري ونجيب عليه بما يلي :

إن البلاد السورية بما يجري في داخلها من تحولات وانطلاقات تكاد تشابه غيرها من الأقطار العربية ، وتماثل معها بدوافعها وقاسمها المشترك بينها في (الآمال ، والذهنية ، والتاريخ ، والتأخر الحضاري وفي العقائد ، والحاجات الزمنية ، وتسلط القوى المستعمرة ، وتغلب الطفرة ، والأنانيات المستحوذة على النفوس) ؟

إذا عرفنا هذا وعرفنا مخاطر الأغراض التي تحرك الثورات ، ومطامع الطبقات الأقلية ، فوضعنا يمكن وصفه ، بأن سورية نظراً للأحداث التي رافقت تاريخ نضالها ، لا يزال شعبها يعاني دور التجارب ويماني الأزمات والصعوبات في تطبيقها ، وتكتنف مجتمعاته ، وطبقاته ، في تفكيرهم وخطتهم ، وأعمالهم غيوم القلق ، وعدم الاستقرار ، والخوف من المصير ، لقساوة الظروف ، وتقلب الأحوال ، وقصور الامكانيات ، وحيرة اختيار أفضل الطرق ، لبلوغ الغايات ، ولتدارك مافات والتقدم في جميع المجالات الاقتصادية والاجتماعية ، والسياسية والصناعية .

وعليه إذا كان الواقع كما ذكر ، وكانت الظواهرات الثلاث تعني فيما تعني قلب الأوضاع السائدة والخلاص مما مر ، ومن تأثيرها المحسوس الخيف ، وإقامة وضع سليم على أنقاضها ، وأن يكون للثورة قيادة تعمل هي والشعب باخلاص لشعاراتها ؛ فالصواب والسلامة فيما تسعى إليه تكون باتباع مثل نتيجته نحوها ، وأهداف عملية تسعى لبلوغها ، ومبادئ سليمة تتبعها ، ودعائم قوية تستند عليها ؛ وإلا تمادى الهدم ، وتماادت الأزمات والصعوبات والموانع دون بناء .

وما هو العلاج ؟

يقول المقدم الفريد : ان اعرابياً دخل على عبد الملك بن مروان وقال له
(يا أمير المؤمنين اليك مني أربع نصائح إن عملت بها استقام ملكك)
فسأله مخاطباً . وما هي يا عبد الله ؟

فأجابه قائلاً أولاً (لا تمدنّ عدة لا تثق بنفسك من نجاحها) فقال له
عبد الملك أحسنت . وما هي الثانية ؟

فأجابه (لا يغرنك المرتقى ، وإن كان سهلاً ، اذا كان المنحدر وعراً) .
قال أحسنت . وما هي الثالثة ؟ فقال له (إن لكل شيء نهاية فاخش
العواقب) قال أحسنت ، وما هي الرابعة ؟

فأجابه أما الرابعة (فاعلم أن الأمور تأتي فجأة فكن على حذر) .
قال أحسنت ، ثم قال له عبد الملك (اطلب منا ما تريد نعطك إياه) .
فقال الأعرابي (يا أمير المؤمنين نحن ما جئناك لنطلب مالاً أو جاهاً ،
انما جئنا لنطلب منك عدلاً ، فان أعطيتنا إياه كفيتنا مؤنة ما سواه) .
فأثنى عليه عبد الملك ، وقال بعدئذ ما زلت أعمل بها حتى استقام ملكي .
هذا ما تفرضه التجارب وحقائق التاريخ وتفرضه قوى الوعي من المثل
لضمان السلامة . وأما المبادئ في بناء الحضارة التي تعمل لإشادتها وبنائها
صرحاً فيرشدنا إليها تاريخنا القومي عند الانطلاقة الأولى لأمتنا ، ولا يحصى
لنا عن اتباعها واتباع هديا . يقول فيلسوف تاريخ الحضارات (شبنغلر)
في كتابه عن تدهور الحضارة الغربية (إن لكل حضارة تاريخاً ، وإن
هذا التاريخ هو تاريخ النفس الأولية للأمة ذات الحضارة) .

وانه لا يمكن أن تكون هناك حضارتان متماثلتان كل التماثل ، وذلك
لأن كل حضارة هي تاريخ مستقل بذاته لا يتأثر بتاريخ أي حضارة أخرى .
واذا ما تأثر قائماً لا يعبر أبداً عن جوهره بل انما يمثل أشكالاً كاذبة تتناقى

وأصالة الحقيقة ، وينشأ تمثله هذا عن ظروف تحد من حرية عمل النفس الأولية للحضارة ، لكن هذه النفس الأولية المحدودة الحرية تسعى حتى في مثل هذه الظروف الى ضبح الحضارة المتأثرة بها بطابعها كما هو الواقع بالحضارة العربية التي تمكنت حتى في اعتمادها القواعد الكلاسيكية في الهندسة المعمارية أن تفرض ضباطها على المباني الرومانية ابتداء من عهد (هادريان أحد أباطرة روما) فالباثنتيون يعتبر أول مسجد اسلامي بني في التاريخ . وفي رأي شبنغلر (أن الحضارة تولد وهي تحمل معها صورة وجودها . وهي على صلة رمزية عميقة تكاد تكون صوفية بالمكان الذي فيه ، وبواسطته تريد أن تحقق وجودها وهي تصارع وتناضل داخل المكان الذي اختاره لها مصيرها ، لتنظم كل خليط فيه على صورتها) .

ومعنى ما تقدم (ان الحضارة التي هي من تراث أجدادنا وآبائنا لا يمكن أن يستعاد بنيناها بغير المبادئ التي قامت من أجلها . وبغير الأسس التي شيدت عليها صروحها . في دمشق وبغداد ، والقاهرة ، وفي القيروان ، والأندلس وفي القدس ، وحلب ، وفي المغرب الأقصى ، وفي السند ، وسمرقند ، وطاشكند ، وفي كل قطر أشرقت عليه شمسها بشعاراتها ، وشريعتها ، ومبادئها وأخلاقها وعلومها ، وروحها ، وآدابها ، وحناعاتها ، وفنونها . والعق لا يمكن فهم وتقدير أي ظاهرة سياسية أو اجتماعية ، أو اقتصادية أو علمية أو أدبية أو خلقية ، إلا بواسطة فهم كل ما للحضارات من مظاهر .

ويرى شبنغلر (ان فكرة الأمة - عند العرب - تقوم على أساس من الرابطة الروحية المجردة . ولذلك فالشعوب العربية في وحدتها تريد من زعيمها أن يتمتع بصفات النبي ومؤهلاته . لأن الأمة العربية ذات وجود روحي يكاد يكون مطلقاً في روحيته . وعليه فالعربي إذا أردت أن تستفزه وتدفع به إلى أقاصي الأرض فعليك أن تتوجه الى وجدانه لا إلى معدته ،

ولذا تلعب النخوة والمروءة والبطولة أدواراً هامة في السلوك الأخلاقي للفرد العربي ، كما ان الإيمان لا للعقل المركز الأول والممتاز لديهم) .

ويستشهد على دعواه بالكتاب الذي وجهه عمر بن الخطاب (ر. ض) في ارشاداته الاستراتيجية ، والتكتيكية ، إلى سعد بن أبي وقاص وهو يحارب في العراق جيوش الفرس فيقول له فيه : (أما بعد فأني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو وأقوى مكيدة في الحرب . وأمركم أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصي منكم من عدوكم . فان ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم واسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه العون على عدوكم) .

ومن هذا الكتاب وغيره استنتج شبنغلر الأدلة على معرفة (صرالحيتا التي دفعت بالحضارة العربية عندما انطلقت من قيودها لتلقي بظلالها على جميع البلدان التي تنتمي إليها باطنياً منذ قرون وقرون سبقت انطلاقتها الأولى) . ويضيف عليها (ان النفس العربية هي في عجلة دائمة من أمرها ، تلاحظ أعراض شيخوختها قبل بلوغ شبابها) . ويسوقه التقدير والاعجاب بهذه النفس المنطلقة الوثابة إلى تعداد أنها فتحت سورية وحررتها سنة ٦٣٤ م وفتحت دمشق عام ٦٣٧ م . واكتسحت جيوشها مصر عام ٦٤١ م وبلغ العرب الهند . وفتحوها سنة ٦٤٧ م وحرروا شمالي افريقية . وممرقند عام ٦٧٦ م ، وسقطت اسبانيا في أيديهم عام ٧٣٢ م وبعدها أخذوا يقرعون أبواب باريس .

ويستنتج أيضاً من سرعة هذه الفتوحات وسعتها (بأن هذه السنوات القلائل ، ضغطت جميع العواطف العربية المدخرة والآمال المؤجلة ، والأعمال المحفوظة وجعلتها تكفي لتملاً قروناً وقروناً من التاريخ) .

ثم أكد بأن الصليبيين أمام القدس ، وسلالة هوهنشاوفن في صقلية

والهانس في البلطيق ، والفرسان التوتيين في الشرق السلافي ، والاسبان في أمريكا ، والبرتغاليين في شرقي آسيا ، وامبراطورية شارل الخامس التي لاتغرب الشمس عنها ، وبداية عصر الاستعمار الانكليزي تحت رعاية كرومويل ، كل هذه الانطلاقات تعادل في زخمها ، زخم انطلاقة واحدة حملت العرب إلى اسبانيا وفرنسا ، والهند وتركستان ، وما وراء النهرين) ومن بعد هذا نستطيع الادعاء ونحمل المنصف على الاعتراف ، بأن النفس العربية الأولى ذات قومية متفتحة لاتسما إلا الإنسانية ، ولا تنتظمها إلا الأخلاق ، والأخلاق الحميدة ، والحميدة فقط على وجه التخصيص [الأخلاق التي تغلب الحق على المصلحة ، والوجدان على العقل ، والعدل على الظلم والروية على الاندفاع ، وانعطف على الفتك ، أخلاق تنبذ الميكيافية ، وتؤمن بأن الغاية الشريفة لايجوز أبداً أن يسلك إليها بوسائل غير شريفة] ، فالأخلاق العربية كقوة انسانية تسير وتتسامى فوق كل مذهب فلسفي ، أو سياسي ، أو اقتصادي ، أو اجتماعي ، أو عقائدي مهما تكن شعاراته ، وذلك لأن النفس العربية تسامت فيما مضى فوق كل الأعراف والمفاهيم ، وأعني بكلمتي فيما مضى ! عهد صاحب الرسالة وخلفائه الراشدين ، ولهذا كل الانطلاقات التي جاءت بعد عهدهم كما قال شبنغر تعادل في زخمها انطلاقة واحدة حملت العرب إلى اسبانيا وفرنسة وإيطاليا والهند وتركستان .

وإقراراً بالحقيقة إن لكل شعب خصائصه وتاريخه ومشاكله . وهي وليدة تطوره الحضاري عبر التاريخ وتطوره الاجتماعي ، والفكري ، والاقتصادي ، والروحي ، وكل شعب خصائص انسانية حصيلة تراثه الموروث وعلى هذا وإن كنا أممنا التاريخ عدة قرون قضيناها في سبات عميق ، وخلال قرون عشناها على هامش الحياة ، فما تم في العالم من تبدلات جذرية في الأفكار ، وفي الحاجات وفي وسائل العيش المادية يجبرنا أن

نتلمس حقائق الوقائع ونتكيف مع مقتضيات الزمن وقطلبات المدنية ،
والحضارة . والعصر عصر السرعة والذرة ، والصاروخ ، وغزو الفضاء .
ونحن كما قلنا نعمل لهدم ما أورثتنا إيراد ماضينا من الأوضاع التي أصبحت
لا تتلاءم مع انطلاقتنا وإقامة أوضاع سليمة للخلاص من القلق ، والحيرة ،
والخوف ، وعدم الاستقرار ، ومن العوز والحاجة والتبعية التي فرضها
الاستعمار ، وتناضل لاسترداد ما سلب من أجزاء وطننا ، وجمع ما تفرق من
شملنا ، والإصرار ببناء وحدتنا وحضارتنا ، ولكن لكي نبلغ الغاية وقصيب
الأهداف ، ماذا نتذكر ونعمل ؟

يجب أن لا ننسى إحياء النفس العربية وأن نعمل على تغذيتها وتنميتها
وتربيتها على المبادئ والفضائل التي تحلت بها نفوس أمتنا في فجر انطلاقتها
الأولى ، وترعرع بها وجدانها ، لتقدر مظاهر وعينا الثلاثة وبناء حضارتنا
الحالية في التأسيس والنهوض ، منبعثين عنها وعن مقدماتنا ذات الطاقات
المبدعة الخلاقة .

ومها تكن أنواع النظم وأشكال الحكم فلا يستقيم بنياننا ما لم يتحل
المسؤولون بالصفات والفضائل ، والمثل العليا ، والمبادئ التي تحلى بها
الأولون واتبعوا في حكمهم ومعاملاتهم وفي رعايتهم مصالح الشعب و (دستور
الخالد) ، ومن العدل ، والرحمة ، والصدق في الوعد والعهد ، والإقدام في
النضال ، والوفاء لكل ذي حق مشروع ، والنظر الى أفراد الرعية كافة
كأنهم أعضاء جسم واحد ، وأفراد عائلة واحدة ، أن يكونوا القدوة
المثلى فيما يأمررون وينهون وان يخططوا للأمة ما يقعها من الانحراف والفوضى ،
لأن أخطاء المسؤولين في إدارة الأمور ، وفي توجيه السياسة ، وتخطيط
العمل قد يكون عثرة لا تقال .

الدكتور عبد الرحمن الكيالي



العلم في العصر الأموي^(١)

... والذي يبدو أن العرب في العصر الأموي لم يكن لهم اهتمام بالعلوم الرياضية الطبيعية ، لأن اهتمامهم كله كان منصباً على العلوم العربية في اللغة والشعر والخطابة والرواية ثم على العلوم الدينية وعلم الكلام خاصة . أما ما ورد على لسان العرب ، في شعرهم ونثرهم ، في العصر الأموي ، من الكلام على السماء والنجوم والأرض فكان روايات نصفها ديني ونصفها من إرث الأمم القديمة . ولم يكن البحث العلمي هدفاً لهم في ذلك ، بل كانوا يرمون من ذكر تلك المظاهر الفلكية خاصة إلى ضرب المثل للعبارة أو للتحويل . من ذلك مثلاً (٢) ما روي من أن الشمس والقمر طولهما وعرضهما تسعمائة فرسخ في تسعمائة فرسخ ، وأن سعة الشمس مثل سعة الأرض وثلاثها ، وأن سعة القمر مثل الدنيا سواء . وشييه بذلك قولهم ان السماء كهيئة القبة وأن الكواكب معلقة فيها كالقناديل (٣) .

ويشذ عن هذا الاتجاه ، فيما قيل ، خالد بن يزيد بن معاوية . ولكن أمر خالد بن يزيد غامض ، ومنبسط القول فيه لأن الفصل في هذا الموضوع مهم جداً في تاريخ العلم عند العرب .

(١) المقال التالي فقرات من فصل في كتاب بدء الكاتب في « تاريخ العلم عند العرب » .
(٢) أولي كارلو نلاتينو (علم الفلك : تاريخه عند العرب في الصور الوسطى ، روما ١٩١١ ، ص ١٣٧ - ١٤٠) هذا الموضوع اهتماماً ، وإن كانت الأمثلة التي جاء بها ليست قاصرة على العصر الأموي وحده ، بل يمكن أن تكون سابقة عليه حيناً أو لاحقة له حيناً آخر .

(٣) القول بأن السماء قبة وأن النجوم معلقة (مثبتة) في هذه القبة قول أناكسيانس الملطي اليوناني (ت ٥٤٦ ق . م .) .

خالد بن يزيد بن معاوية :

تجمع المصادر والمراجع العربية ، في نقل بعضها عن بعض ، على أن اهتمام العرب بالعلوم اليونانية بدأ في العصر الأموي . وأصحاب تلك المصادر والمراجع يذكرون أن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان المُتَوَكِّفِي سنة ٨٥ للهجرة (٧٠٤ م) لما ينس من الفوز بالخلافة ، بعد انتقال الخلافة من الفرع السفلياني إلى الفرع المرواني ؛ انقلب إلى العلم ثم درس الكيمياء خاصة على راحب اسكندراني اسمه مريانوس . ثم إن خالد بن يزيد أمر مريانوس بنقل كتب الصنعة (الكيمياء) إلى اللغة العربية . ويبدو أن نقل الطب والفلك أيضاً قد بدأ في العصر الأموي ، ولكن لم يصل إلينا شيء مكتوب من العصر الأموي سوى ما ذكره نلّينو^(١) من أن كتاب عرض مفتاح النجوم المنسوب إلى هرمس قد نقل إلى اللغة العربية سنة ١٢٥ هـ (٧٤٣ م) ، قبل انتهاء العصر الأموي بسبع سنوات ؛ وأن هذا الكتاب اقتنته المكتبة الامبروسيانة في مدينة ميلانو في مطلع القرن الحالي . على أن اهتمام خالد بن يزيد بالعلوم اليونانية كان دائماً موضوع نقاش شديد . أما أن خالد بن يزيد شخصية تاريخية فأمر لا جدال فيه البتة ؛ وأما اشتغاله بالعلم الطبيعي في ذلك الدور المتقدم من حياة العرب السياسية فأمر بعيد عن الوضوح .

يذكر الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ = ٨٦٩ م) خالد بن يزيد فيقول : « كان خطيباً شاعراً وفصيلاً جامعاً وجيّد الرأي كثير الأدب ؛ وكان أول من ترجم كتب النجوم والطب والكيمياء^(٢) . على أننا نلح في

(١) علم الفلك لكارلو نلّينو ١٤٢ - ١٤٣ .

(٢) كتاب الحيوان للجاحظ (بتحقيق عبد السلام محمد هارون) القاهرة ١٣٥٦ هـ =

١٩٣٨ م ، ١ : ٣٢٨ .

قول الجاحظ نفسه أن عمل خالد بن يزيد كان الاشراف على نقل العلم لا نقل العلم ولا العلم ، ولذلك يقول (١) : « ومتى كان خالد مثل أفلاطون ! » وفي الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦ = ٩٦٧ م) إشارة الى خالد بن يزيد في هذا الشأن ، هي (٢) : « وكان قد شغل نفسه بطلب الكيمياء فأفنى بذلك عمره وأسقط نفسه » .

ثم يأتي ابن النديم (ت ٣٨٥ = ٩٩٥ م) فيقول (٣) : « كان خالد ابن يزيد بن معاوية يسمى حكيم آل مروان ، وكان فاضلاً في نفسه وله همّة ومحبّة للعلوم ، خطر بهالة الصنعة فأمر جماعة من فلاسفة اليونانيين من كان ينزل مدينة مصر ، وقد تفتّح بالعربية ، وأمرهم بنقل الكتب في الصنعة (٤) من اللسان اليوناني والقبطي الى اللسان العربي . وهذا (كان) أول نقل في الإسلام من لغة الى لغة » . ثم يذكر ابن النديم بعد صفحتين (٥) اصطفي بن القديم (٦) وأنه نقل لخالد بن يزيد بن معاوية كتب الصنعة وغيرها . ثم إن ابن النديم يذكر بعد ذلك خالد بن يزيد ويخصّه بترجمة موجزة (ص ٤٩٧ - ٤٩٨) يقول فيها نقلاً عن محمد بن اسحق :

(١) كتاب الحيوان ١ : ٧٦ .

(٢) الأغاني (طبعة بولاق) ١٦ : ٨٨ .

(٣) الفهرست لابن النديم (طبعة المكتبة التجارية الكبرى) ، مصر ١٣٤٨ هـ . ص ٣٣٨ .

(٤) الصنعة : الكيمياء القديمة (تحويل المعادن الخسيسة كالنحاس والرصاص الى معادن شريفة كالذهب والفضة) .

(٥) الفهرست ٢٤٠ .

(٦) راجع في اصطفي بن القديم مناقبة يوليوس روسكا .

Julius Ruska, Arabische Alchemistent I (Chālid Ibn Yazid Ibn Mu'āwiyā) . Heidelberg 1924.

« كان خالد بن يزيد بن معاوية ، خطيباً شاعراً فصيحاً حازماً ذا رأي . وهو أول من ترجم له كتب الطب والنجوم وكتب الكيمياء . . . ويقال - والله أعلم - إنه صح له عمل الصناعة ؛ وله في ذلك عدة كتب ورسائل . وله شعر كثير في هذا المعنى رأيت منه نحو خمسمائة ورقة ^(١) . ورأيت من كتبه : كتاب الحرات ، كتاب الصحيفة الكبيرة (في الفلك ؟) ، كتاب الصحيفة الصغيرة ، كتاب وصيته إلى ابنه في الصناعة » .

ويذكر صاعد الأندلسي (ت ٦٤٢ هـ = ١٠٧٠ م) خالد بن يزيد فيقول ^(٢) : « كان بصيراً بالطب والكيمياء . وله في الكيمياء رسائل وأشعار دالة على معرفته وبراعته فيها » .

وعقد ابن خلكان (ت ٦٨٠ هـ = ١٢٨١ م) ترجمة موجزة لخالد بن يزيد قال فيها ^(٣) : « كانت له صناعة الكيمياء والطب » ، وله رسائل دالة على معرفته وبراعته ؛ أخذ الصناعة من رجل من الرهبان يقال له مريانس ^(٤) المذكور الرومي ^(٥) .

وكذلك يذكر ابن الطقطقي (ت ٧٠٩ هـ = ١٣٠٩ م) في كتابه الموجز ^(٦) خالد بن يزيد بن معاوية فيقول : « وكان فصيحاً بليغاً ، وقيل أصاب عمل الكيمياء » .

(١) الورقة نحو عشرين سطراً .

(٢) طبقات الأمم (بيروت) ، ص ٤٨ .

(٣) وفيات الأعيان (مطبعة الوطن الجيدة في ثلاثة أجزاء ، ١٢٩٩) ، ١ ، ٣٠٠ ،

(٤) راجع في مريالوس مناقشة يوليوس روسكا في كتابه المذكور آنفاً ، ص ٨ ، ١١ ،

٢٦ ، ٣١ وما بعدها .

(٥) المذكور : انعمور (!) .

(٦) الضمري في الآداب السلطانية (عني بنصره محمود توفيق الكتبي ، المطبعة الرحمانية

بمصر) ، ص ٨٧ .

وينكر ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ = ١٤٠٥ م) أن يكون لخالد بن يزيد ابن معاوية شيء من العلم بالكيمياء فيقول في مقدمته (١) :

« ورتبنا نسبوا إليه بعض المذاهب والأقوال فيها (في الكيمياء) لخالد ابن يزيد بن معاوية ربيب مروان بن الحكم . ومن المعلوم اليقين أن خالداً من الجيل العربي ، والبدواة إليه أقرب ، فهو بعيد عن العلوم والصنائع بالجملة ؛ فكيف له بصناعة غريبة المنحى مبنية على معرفة طبائع المركبات وأمزجتها ! وكتب الناظرين في ذلك من الطبيعيات والطب لم تظهر بعد ولم تترجم ، اللهم إلا أن يكون خالد بن يزيد آخر ، من أهل المدارك الصناعية تشبه باسمه (٢) فمكن (٣) ، » .

أما المستشرق الذي أولى خالد بن يزيد عناية خاصة فهو يوليوس روسكا (١٨٦٧ - ١٩٤٩ م) الألماني (٤) قال (٥) :

(١) مقدمة ابن خلدون (دار الكتاب اللبناني ، الطبعة الثانية بيروت ١٩٦١ م ، ص ٩٧٧ - ٩٧٨) .

(٢) تسمى باسمه أو كان اسمها متعاقبين .

(٣) في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة (المطبعة الوهبة بمصر) ، الطبعة الأولى ١٢٩٩ هـ = ١٨٨٢ م ، ٢ : ٤١ خالد بن يزيد بن رومان النصراني كان من أهل قرطبة ، وكان معاصراً لنسطاس بن جريج المصري . وكان نسطاس هذا فدولة الاخشيدين (طبقات الأطباء ٢ : ٨٧ - ٨٦) ، في النصف الأول من القرن العاشر لليلاد) ، راجع أيضاً طبقات الأطباء والحكام لابن جنبل ٨٣ ، ٩٦ . - غير أن هذا لا يبدل شيئاً من رواية الجاحظ الذي سبق خالد بن يزيد بن رومان بقرن كامل من الدهر .

(٤) تلتقيت علم الجغرافية عند العرب على الأستاذ المستشرق يوليوس روسكا في جامعة برلين ، في الفصل الأول من العام الجامعي ١٩٣٥ - ١٩٣٦ .

(٥) راجع كتاب يوليوس روسكا المذكور قماً ١ : ٥٥ وما بعدها ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٤٨ - ٤٩ ، ثم قارن ذلك بما جدد في ص ٥٠ (أسفل الصفحة) ، ٥١ - ٥٢ .

ان كثيراً مما يروى عن خالد بن يزيد في شأن الصناعة (الكيمياء) وفيما يتعلق باتصاله براهب اسمه اصطفن أو هاريانوس أو مورفينوس، كما يذكر بعض المتأخرين كابن خلكان مثلاً، ليس بثبت. على أن هذا لا يعني أن خالد بن يزيد لم يشتغل بالكيمياء قط، أو لم يكن يميل إلى الاشتغال بها على الأقل. ولكن الذي نعي : أننا لا نستطيع، من مراجعة ما بين أيدينا من المصادر والمراجع، أن نثبت أو ننفي أنه عمل في الصناعة. وأما الكتب المنسوبة إليه في الصناعة فمنحولة كتبها وليست له. حتى اصطفن القديم الذي يقال إنه نقل كتب الكيمياء لخالد بن يزيد يجب أن يكون استفانوس الاسكندراني المنجسم الذي عاش في بلاط هرقل امبراطور الروم، وكانوا ينسبون إليه معرفة بالكيمياء. إلا أن استفانوس هذا قد توفي قبل أيام خالد بن يزيد بزمان غير قصير^(١).

إذن، ليس لنا دليل، كما يقول يوليوس روسكا، على أن خالد بن يزيد قد ألف كتباً في الكيمياء أو في غيرها، أو أنه أمر بنقل هذه الكتب إلى اللغة العربية، أو كان له عمل في الكيمياء، ذلك لأن العمل في الكيمياء يقتضي الإلمام بمعارف كثيرة لم تكن متوفرة لخالد بن يزيد أو لغيره من العرب في ذلك الطور الباكر من حياة العرب السياسية. وهذا هو رأي ابن خلدون، كما رأينا قبل قليل.

تفريخ الدجاج آلياً :

كانت سَكِينَةُ بنت الحسين تمزح أشعب الطمّاع فتأمره أحياناً بأن يجلس على سلة مملوءة بيضاً كأنه دجاجة تحتضن بيضها لتخرج منه فراخ.

(١) راجع فوق، قبل بضعة عشر سطراً : مقدمة ابن خلدون ٩٧٨، السطر الثاني وما بعده.

وأرادت يوماً أن تُخرج مزحماً هذا مخرج الجِدِّ « فصنعت ^(١) بيتاً كبيراً من خشب ووضعت فيه قنبلاً ومرجيناً ^(٢) ثم وضعت فيه بيضاً كثيراً وأمرت أشعب بأن يحضن ذلك البيض ^(٣) كأنه طائر يَفْقِسُ بيضه . فلم يزل (أشعب) يحضن ذلك (البيض) حتى فُقِّسَ وخرج منه الألوف من الفراريج . وربيت (تلك الفراريج) في دار سَكِينة ، فكانت سَكِينة تدسمن (تنسب تلك الفراريج) إليه وتقول : بنات أشعب .

وعرف العصر الأموي براءة في الطب على اختلاف أنواعه المألوفة يومذاك ، وفي الجراحة خاصة . جاء في الأغاني ^(٤) :

إن سَكِينة بنت الحسين خرجت لها سلعة ^(٥) في أسفل عينها فكبرت حتى أخذت وجهها وعينها ، ثم عَظُم شأنها . وكان بدراقس ^(٦) منقطعاً إليها في خدمتها ^(٧) . فقالت له (سَكِينة) : ألا ترى ما وقعت فيه : فقال لها : أَتَصْبِرِينَ على ما يَمَسُّكَ من الألم حتى أعالجك ؟ قالت : نعم !

(١) الأغاني ١٦ : ١٤٨ - ١٤٩ .

(٢) السرجين والسرقي (بكسر الهمزة) : الزيل ، روث الحيوان (راجع القاموس) .

(٣) يئس في جانب من ذاك البيت كأنه يحضن . . .

(٤) ١٦ : ١٦٠ .

(٥) السلعة بكسر الهمزة أو فتحها وسكون اللام ، وتكون ألبناً بفتح الهمزة واللام

أو تكون بكسر الهمزة وفتح اللام ، غدة (بالضم وتشديد الدال) أو خراج

(بضم الجيم من غير تشديد الزاء) أو زيادة في البدن تتحرك إذا حركت ، وتكون

من (مقدار) حمّة (بكسر الحاء وتشديد الميم المفتوحة أو المكسورة) إل

(مقدار) بطيخة (القاموس ٢ : ٢٩٩) .

(٦) لم أعتز على تفاصيل تتعلق بهذا الطبيب (بدراقس) .

(٧) منقطعاً إليها في خدمتها : طبيباً خاصاً لها .

فأضجعها وشقّ جلدة وجهها حتّى ظهرت السلعة ؛ ثم كشط الجلد عنها أجمع وسلخ اللحم من تحتها حتّى ظهرت عروق السلعة ، وكان منها شيء تحت الحدقة ، فرفع الحدقة عنه حتّى جعلها ناحية ، ثمّ سلّ عروق السلعة من تحتها فأخرجها أجمع وردّ العين إلى موضعها ، وسكينة مضطبعة لا تتحرك ولا تثنّ حتّى قرّغ بما أراد . فزال ذلك عنها وبرئت منها ، وبقي أثر تلك الجراحة في مؤخر عينها ، فكان أحسن شيء في وجهها ، وكان أحسن على وجهها من كلّ حلّي وزينة . ولم يؤثر ذلك في نظرها ولا في عينها .

الدكتور محمد فرّوخ



لغة عالمية

لسنا ممن يدعون إلى الاستشهاد بالنصوص المقدسة في مجال العلم ،
فلنبحث العلمي تطوراته أو زلاته ، ولا يصح لهذا أن ترتبط به العقيدة .
فليس يتسم البحث العلمي بالصحة المطلقة ، بل إن نظرياته ونتائجه قد
تعرض للتغير والتبدل عصرًا بعد عصر أو جيلًا بعد جيل . فبعض
ما عده « نيوتن » صحيحًا في وقت ما ، برهن « أينشتاين » وأمثاله على
خطئه ، وبعض ما عالج به ابن سينا مرضاه يسخر منه أطباؤنا في العصر
الحديث . وذلك لأن النظريات العلمية مهما سما قدرها لا تعدو أن تكون
جهوداً إنسانية ، اهتدى إليها الباحثون على قدر ما سمحت به عقولهم
وتجاربيهم ، فليس لها سمة الدوام أو الخلود .

في حين أن العقيدة عند المؤمنين بها عاطفة روحية سماوية ينزها أصحابها
عن تلك الهزات التي قد تعرض لمسائل العلم الدنيوي ، وليس دوام صحتها
محل خلاف أو شك عند المؤمنين ، بل توصف دائماً بأنها لا يأتها الباطل
من بين يديها ولا من خلفها . وربطها من أجل هذا بجهود الإنسان ،
وشطحاته في كثير من الأحيان ، يهبط بها من عليائها ويدع تعاليمها عرضة
للتغير والبطلان على توالي العصور والأجيال .

ومع هذا فلست أدري كيف وجدتنى أنساق إلى الحديث عن موقف
الديانات من اختلاف اللغات البشرية وأنا بصدد البحث في تاريخ اللغات
ودورها في الحياة الاجتماعية منذ عرفنا التاريخ إلى العصر الحديث ؟ ربما
لأنني وقد قرأت الكثير عن دور اللغة في تاريخ البشرية ، أحسست أن

انطباعاتي من تلك القراءة تتسقى إلى حد كبير مع فهمي للنصوص المقدسة ،
أو ما أستوحيه منها حين عرضت تلك النصوص لاختلاف اللغات وتنوعها
بعد أن كانت لغة واحدة .

فتحدثنا التوراة في الإصحاح الحادي عشر من سفر التكوين أن الأرض
كانت كلها لساناً واحداً ولغة واحدة . ثم إن الناس قال بعضهم لبعض
هلموا نبن لأنفسنا مدينة فيها برج يطارق السماء ، وهلموا نخلع على أنفسنا
شعاراً يوحد بيننا ، ويحول دون تبددنا وتشتتنا فوق ظهر البسيطة .
فلما رأى الرب ما هموا بصنعه ، وتبين حكمته أن وحدة اللغة ستدفعهم
إلى الطغيان والجبروت فلا يتمتع عليهم أن يعملوا كل ما ينوون عمله بلبل
ألسنتهم فلم يعد يفهم بعضهم بعضاً ، وبدد وحدتهم على وجه الأرض ،
فكانت لغات مختلفة لبني الإنسان بالرغم من أنهم أبناء أب واحد وأم واحدة .
وتلك هي لغة بابل التي كثيراً ما يشار إليها في كلام المفكرين من علماء أوربا .
فنصوص التوراة ولا ريب تجمل من اختلاف اللغات بين البشر مظهراً
من مظاهر ابتلاء الرب لعباده في الحياة الدنيا حين بدا لحكمته أن توحدهم
في لغة واحدة قد استغل في تحدّي ربوبيته .

فوحدة اللغة كانت في بدء الخليقة خيراً ، أو أريد بها أن تكون
خيراً للإنسان ، ولكنه أساء استقلالها ، وتحدّى عن طريقها خالقه .
فلولا لعنة بابل لكان الناس أمة واحدة أصحاب لسان واحد ، يتفاهمون
بعضهم مع بعض في سهولة ويسر ، ويقضون مصالحهم في الدنيا دون نزاع
أو شقاق .

هذا هو مبلغ فهمي لموقف التوراة من اختلاف اللغات ، فما موقف
القرآن الكريم ؟ جاء النص على اختلاف الألسنة مرة واحدة في القرآن
الكريم وبين آيات سورة الروم ، تلك السورة التي تتضمن بعض آياتها

صورة رائعة لقصة الحياة البشرية فوق الأرض . فيما ست آيات متواليات تبدأ بالآية التاسعة عشرة وتحكي في إيجاز قصة البشرية منذ الخلية إلى البعث وهي : (ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون ، ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ، ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين ، ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغائكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون ، ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ، ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون) . وهكذا نرى أن هذه الآيات الست تلخص لنا في إيجاز رائع قصة الحياة البشرية فوق الأرض ، وتبدأ كل هذه الآيات بعبارة « ومن آياته » أي من علاماته ومن دلائل قدرته وربوبيته وحكمته لعل الإنسان يتفكر ، لعله يسمع ويفهم ، لعله يعقل . فكلية الآية في الأسلوب القرآني تعني العلامة ، وهو المعنى الأسامي في أكثر ما استعملت فيه ، وعنه يتفرع معنى المعجزة أو الحكمة أو المشيئة ونحوها .

ثم إن كلمة الآية بمعنى العلامة قد توحى بنفع مباشر للإنسان ، مثل (وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا) ، وقد قدل في بعض النصوص القرآنية على الضرر المباشر ، وذلك حين يشاء سبحانه أن يبتلي الإنسان في دنياه ليظهره من ضروره وطغيانه . وأوضح مثل لهذا قوله تعالى في آل فرعون :

(فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات) ، فكل هذه المهن أصابتهم وكانت بمثابة آيات بينات من عند الله .

ولكن كلمة الآية في الأسلوب القرآني وفي أكثر حالاتها لا توحي بأكثر من أنها علامة على قدرة الخالق .

ونتساءل بعد هذا ، هل كان اختلاف الألسنة والألوان من مظاهر نفع الإنسان فوق الأرض كما يقول بعض المفسرين ، أو هو ابتلاء من الله خلقه في الحياة الدنيا ؟

أما اختلاف الألوان فما نراه الآن في بعض الشعوب من تعصب الإنسان وكرهيته لأخيه الإنسان بسبب اللون ، وبما نسمع عنه من مآسي التفرقة العنصرية لأكبر دليل على أن اختلاف الألوان مظهر ابتلاء للإنسان في الحياة الدنيا .

وكذلك الشأن في اختلاف الألسنة واللغات حين نتذكر المآسي التي كانت في كل عصور التاريخ بسبب اختلاف اللغات من حروب وثورات ليس لها من سبب حقيقي سوى أن المجتمعات البشرية قد عجزت عن فهم بعضها البعض حين افتقدت وسيلة موحدة للتفاهم لتنظيمهم جميعا .

أما بعد : فهل كتب على الإنسان أن يظل فوق سطح البسيطة أسير تلك الأصوات التي ركب منها ما يسمى باللغات ، والتي تنوعت وتباينت حتى أصبح منها الآن ما يجاوز ألفين من الألسنة تفرق بين الجنس البشري ، وتقيم بين الإنسان وأخيه الإنسان حصونا لم تستطع المدنية الحديثة بالرغم مما أوتيت من إمكانيات التغلب عليها أو اقتحامها ؟

فكم من مؤتمرات عالمية فشلت ولم تحقق هدفا لا شيء سوى أن المجتمعين بها كانوا يصطنعون لغات متباينة ، أو بعبارة أخرى يفكرون بعقليات متنافرة . ولا تزال للترجمة مشاكلها وزلاتها حتى في أرقى الأوساط العالمية كمنظمة الأمم المتحدة . .

وصفحات التاريخ زاخرة بالمآسي التي مرت بها الإنسان بسبب اختلاف اللغات . وأدركت الشعوب والأمم في عصور التاريخ ضرورة الوحدة اللغوية

بين الناس ، فكان أن نشأت في كل عصر تاريخي لغة مشتركة اصطفتها عدة شعوب حيناً من الدهر ثم بادت أو اندثرت . فاللغة الأكادية أو لغة بابل وأشور تلك التي سادت في حوض دجلة والفرات قد انتظمت العالم القديم فترة من الزمن ، ثم جاءت بعدها الآرامية والإغريقية ثم اللاتينية ثم العربية ، وأخيراً في العصور الحديثة الفرنسية والإنجليزية . وكل لغة من هذه اللغات حاولت ما وسعها المحاولة أن تصبح لغة الناس كافة .

وأحسن بعض المفكرين من اللغويين منذ القرن السابع عشر بضرورة عمل جدي لعلاج هذه الحال ، فقاموا بوضع لغات مصنوعة بلغ عددها عشرات من اللغات ، راجين أن يصبح أيّ منها لساناً للناس جميعاً يجمع شملهم ويلم شتاتهم ، وذلك بعد أن يسوا من تلك اللغات الطبيعية ، ورأوا أن أمثلة التاريخ لا تشجع على أن تصبح إحداها لغة عالمية . وأشهر هذه اللغات المصنوعة ما وضع في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين . ويكفي أن نشير هنا إلى ثلاث لغات مصنوعة : أولاها تلك التي وضعها مفكر من بافاريا سنة ١٨٧٩ وسماها « فلابيك » Volapük ، وهذا الاسم منعت من كلمتين معناهما « لغة العالم » . وقد قوبلت هذه اللغة المصنوعة في أول الأمر بحماس كبير ، غير أنه لم يكد يمر عليها أكثر من ثماني سنوات حتى وضع لغوي آخر من بولندا لغة مصنوعة أخرى ، فهجر معظم أنصار الأولى والمتحمسون لها تلك اللغة ، واتجهوا نحو اللغة المصنوعة الجديدة التي سميت « اسبرانتو » سنة ١٨٨٧ .

وقد تلس هذا اللغوي البولندي طريقه على حذر ، فأخذ يدعو إلى لغته الجديدة متذكراً تحت اسم « الدكتور اسبرانتو » أو الدكتور المتفائل ، حتى أقبل الكثيرون عليها وتكون لها أنصار ، وحينئذ كشف عن اسمه الحقيقي . وتلك هي المحاولة الثانية ، بل إن « الاسبرانتو » تعد الآن أشهر اللغات العالمية المصنوعة . وقد أسسها صاحبها على عناصر استمدتها من لغات

متباينة كاللاتينية والفرنسية والانجليزية والألمانية . واتخذت هذه اللغة أداة التفاهم في عدة مؤتمرات ، وآمن بها آلاف من الناس في شعوب مختلفة ، وذلك لأنها تتسم بالمرونة والاطراد . غير أنها لم تستطع منافسة أقل اللغات الطبيعية انتشاراً ، وتبين حق أنصارها أنه قد يكون من اليسير أن يتحدث بها الرومي مع الأمريكي في مسائل السياحة والطعام والشراب والملابس ، فإذا طرقوا إلى الحديث عن مسائل الدين والعلم والفلسفة لم تكف تلك اللغة لتحقيق الهدف من الحديث .

والغريب أنه في حياة واضع لغة الاسبرانتو قام جماعة من أنصارها بإدخال عدة تحسينات عليها جعلتها أكثر دقة وإحكاماً ، وكانت بهذا المحاولة الثالثة للغات المصنوعة ، وتلك هي التي سميت Ido « إيدو » سنة ١٩٠٧ ، ويرمز الحرفان الأولان من هذا الاسم إلى كلمتين هما International Delegation أي البعثة العالمية .

أما الحرف الأخير فهو علامة الاسم على حسب النظام الموضوع في الاسبرانتو .

ويشهد العالم الحديث وسائل للاتصال بين الشعوب لم يكن يحلم بها من قبل حتى أكثر الناس تفاؤلاً في مستقبل الإنسانية ، فلم تعد البحار أو الجبال أو الصحارى تحول بين الشعوب ، ولم يعد من الممكن لأحد هذه الشعوب أن ينزل عن العالم أو أن يعيش على الاكتفاء الذاتي . فحتمية الاتصال من أوضح مظاهر العصر الحديث . ولدينا الآن من الطائرات ما يفوق سرعة الصوت ، بل لدينا الإذاعة والتليفزيون وسفن الفضاء وغيرها من وسائل جعلت قول « الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك » أمراً قريب الاحتمال غير بعيد المثال .

وتحاول الشعوب الآن جاهدة زيادة الصلة بينها ، ونجحت حتى الآن في لغة الموسيقى ورموزها العالمية ، فأصبح الموسيقيون في العالم الآن يفهم بعضهم

بعضاً في سهولة ويسر ، كما نجحت في كثير من مصطلحات العلوم ورموزها ولا سيما في الكيمياء والرياضة ، ثم أخيراً تلك المنظمات العالمية كالبرونكو ومنظمة الأمم المتحدة .

ومع كل هذا لا يزال الاتصال قاصراً والتفاهم غير تام ، بسبب ما يعوز الإنسان فوق الأرض من وسيلة مشتركة يتخاطبون بها ويعبرون بها لا عن أفكارهم وآرائهم فحسب ، بل عن أحاسيسهم وعواطفهم أيضاً ، وتلك هي اللغة العالمية التي يتطلع إليها الآن كثير من المفكرين في العصر الحديث . والمفكرون بصدد هذه اللغة العالمية فريقان : فمنهم المتشائمون الذين يؤكدون لنا استحالة وجودها ، ويرون في أسئلة التاريخ ما يؤيد رأيهم ، وأن لعنة بابل ستظل تلاحق الإنسان في حياته الدنيا إلى أن تبدل الأرض غير الأرض والسعوات ، فهناك في رأيهم دورة لغوية حتمية تنلخص في أن لهجات اللغة الواحدة قد ينشأ بينها صراع ثم لا يلبث أن تغلب إحداها وأن تنشأ على أساسها لغة مشتركة تضم شعوباً مختلفة ، ثم يصيب الهرم أو الشيخوخة هذه اللغة المشتركة فتندثر حيناً ، أو تنحل إلى لهجات متباينة وتعود سيرتها الأولى . اللغات إذن في رأيهم تتنازعها الوحدة ثم الفرقة أو الاندثار ، ولن يكتب لإحداها الخلود أو انتظام كل المناطق ، وبين كل الشعوب ، سواء منها اللغة الطبيعية أو اللغة المصنوعة .

أما المتفائلون من علماء اللغة الحديثين فمتهم « لوبس » في كتابه اللغة في المجتمع ، و « ماريوباي » في كتابه قصة اللغة . ويرى هؤلاء المتفائلون أن مصير العالم إلى الوحدة اللغوية وأن كل الدلائل في العصر الحديث تشير إلى هذا . ذلك لأن انحلال اللغة إلى لهجات فيما مضى من عصور التاريخ إنما كان بسبب انزوال البيئات بعضها عن بعض ، وهو ما لا سبيل إلى تصور حدوثه في العصر الحديث . شبكة الاتصال بين شعوب العالم الآن وثيقة

محكمة الحلقات ، ولن يشهد عالم المستقبل ما كان يسمى في الماضي بالبيئة المنعزلة ، إذ تزيد الحاجة إلى توثيق الصلات بين بني البشر يوماً بعد يوم . وكل الذي يتطلبه تحقق هذا الحلم السعيد هو صدق العزيمة من جانب المسؤولين الحاكمين في كل شعب . فإذا اتفقت كلمتهم في منظمة الأمم المتحدة مثلاً ، وخلصت نواياهم ، وآمنوا أن كثيراً من شرور الدنيا ومآسيها مبعثه الحقيقي فقدان الوسيلة المشتركة للتفاهم بينهم جميعاً ، أمكن تحقيق ما يصبون إليه . وهؤلاء المتفائلون لا يتصورون مع هذا ان اللغات المحلية مقضي عليها بالفناء والاندثار ، بل كل الذي يطمح فيه ويطمح إليه من هو أكثرهم تفاؤلاً أن يصبح المرء ثنائي اللغة ، يحسن لغتين في آن واحد إحداهما تقتصر على بيئته المحلية والأخرى للناس كافة . أما الأولى فيلقنها في السنين الأولى من حياته ، وأما الأخرى فيبدأ تعلمها بعد هذا في المدارس ودور الحضارة . وتظل اللغتان تنموان معه حتى يستطيع السيطرة عليهما في دور المراهقة . وأياً كانت تلك اللغة العالمية التي ستستقر عليها إرادة الشعوب ، صعبة أو سهلة ، طبيعية أو مصنوعة ، واسعة الانتشار الآن أو ضيقة ، فكل هذه في رأيهم تفاصيل يمكن أن تدرس وأن تكون محل البحث بين مندوبي الشعوب في هذه المنظمة ، وإنما العامل الحاسم في هذا الأمر هو أن يحسن حكام الشعوب إحساساً صادقاً أن في اللغة العالمية خير للبشر وسعادته وهدوءه .

الدكتور إبراهيم أنيس



صفحات من تاريخ الاستشراق

- ١ -

ماذا يقصد بالشرق ؟

إن كلمة « الشرق » رغم كثرة استعمالها منذ ألفي سنة على الأقل ، ليس لها مفهوم واضح ، محدد ، ثابت . فهي تفيد أحيانا مجموعة معينة من البلاد في آسيا الغربية وإفريقيا الشمالية ؛ وهي أحيانا أخرى تشمل ، في نظر الأوروبيين ، جميع أقطار آسيا ما عدا (سيبيريا) . على أنه كثيراً ما يطلق على (الصين) و (اليابان) اسم خاص هو « الشرق الأقصى » بينما هناك اختلاف في تحديد البلاد التي يتضمنها مفهوم « الشرق الأوسط » و « الشرق الأدنى » .

وكلمة « الشرق » في الأصل من المصطلحات الفلكية . وهي لا تدل إلا على الجهة التي تشرق منها الشمس . فكل بقعة من الأرض هي شرق وغرب في وقت واحد حسبما يكون موقع الشخص الذي يتحدث عن هذه البقعة ، أما وصف قارة (آسيا) خاصة بأنها الشرق وقارة (أوربا) بأنها الغرب فيرجع الى زمن اليونان ، عندما كان الناس يعتقدون بأن الأرض مسطحة وأن القسم المعبر منها محدود .

وإذا تأملنا في كتاب (هيرودوت) تبين لنا أن مفهوم الشرق (آسيا) والغرب (أوربا) قد برزا لأول مرة خلال الحرب الفارسية . فإن الاصطدام بالفرس قد خلق الوعي الذاتي لدى اليونانيين الذين كانوا ينظرون الى جميع الشعوب الأخرى كبرابرة ، رغم اعتراف كتابهم بأن بعض هذه الشعوب ، كالمصريين والبابليين ، كانوا يتقدمونهم في الحضارة .

وكانت (أوربا) في نظر اليونانيين تقتصر على العالم الهيليني (أي بلاد اليونان وشواطئ آسيا الصغرى وصقلية وجنوب إيطاليا) ، بينما تعتبر بلاد السكيت والجرمن والملت والاسبان من عالم البرابرة .

وفي عهد الرومان ، عندما كانت (روما) تعتبر مركز المعمورة ، أطلقت كلمة (الشرق) على البلاد الواقعة في الجهة الشرقية من إيطاليا . إلا أن الرومان كانوا في بعض الحالات يقصدون بالشرق مملكة فارس القديمة ، وفي ظروف أخرى الامبراطورية المكدونية . ثم اكتسب اصطلاح (الشرق) مضمونا سياسيا محدودا في عهد (فيليب العربي) ، إذ صمى هذا الامبراطور أخاه (يوليوس بريسقوس) حاكما للشرق (Rector Orientis) . وكانت كلمة الشرق هنا تعني وحدة ادارية تشمل خمس ولايات من الامبراطورية الرومانية هي :

(١) الشرق بالمعنى الضيق (Oriens) ويتألف من مقاطعات (ليبيا) ومصر و (العربية) وفلسطين وفينيقية وسورية والفرات و (كيليكيا) وقبرص وما بين النهرين .

(٢) ولاية (بونتিকা) (الجزر) الممتدة من قبادوسيا حتى أرمينية .

(٣) (آسيانا) من فريجيا حتى الدردنيل .

(٤) (تراقيا) .

(٥) (موزيا) من رومانيا حتى اليونان وكريد .

وكانت عاصمة الولايات الشرقية كلها هي أنطاكية ، حيث كان يقيم

الحاكم العام (Praefectus praetoris) .

وقد ازداد الاختلاف السيامي بين الشرق والغرب منذ أن انقسمت

الامبراطورية الرومانية في سنة (٣٩٥) الى الامبراطورية الغربية والامبراطورية

الشرقية (التي كانت تسمى أيضا الشرق Oriens) . وبالإضافة الى ذلك

نشأ في العصور التالية الخلاف المذهبي بين البابوية في روما وبين البطريركية

في القسطنطينية ، الذي أدى الى الانفصال والى قيام الكنيسة الشرقية (الأرثوذكسية) .

ثم تبدل مفهوم (الشرق) بعد ظهور الإسلام وتأسيس الامبراطورية العربية ، فأصبح يطلق بوجه عام على البلاد الإسلامية . وفي أثناء الحروب الصليبية صار الدين الإسلامي رمزاً للشرق والديانة المسيحية رمزاً للغرب . ومرة أخرى حصل تحوير طفيف في مضمون كلمة (الشرق) بعد قيام الأتراك العثمانيين واتساع فتوحاتهم في أوربة ، فأصبح الشرق في نظر الأوربيين مرادفاً للدولة العثمانية . ولذلك أطلقوا اسم « المسألة الشرقية » على مجموعة المشاكل التي نجمت عن الاصطدام بين العثمانيين والأوربيين وعن التضارب في سياسة الدول الأوربية تجاه الامبراطورية العثمانية وتقرير مصيرها بعد ما ظهر عليها الانحطاط والتفكك والتفتت . تبعاً لهذه التقلبات التاريخية كان يتغير مدلول (الشرق) و (الغرب) ويختلف امتدادها الجغرافي . وبينما تقدمت حدود أوربة في عهد الإسكندر المكدوني حتى حوض (السند) وتوقفت في عهد الرومان عند حوض الفرات ، إذا بها تتقهقر بعد ظهور الإسلام وفتوحاته وترجع حتى أبواب (فيينا) سنة ١٥٢٩ في عهد العثمانيين . يتبين من ذلك أن كلمة (الشرق) عبارة عن اصطلاح سيامي - جغرافي - تاريخي يشير إلى النزاع بين الفرس واليونان في القديم ، وبين الإسلام والمسيحية في القرون الوسطى ، وإلى الاصطدام بين الدولة العثمانية والدول الأوربية في العصور الحديثة ، كما يتضمن شعوراً بالفروق في العقلية والثقافة والحضارة بين شعوب أوربا من جهة وشعوب آسيا وأفريقية من جهة ثانية . بسبب هذه النظرة الإجمالية السطحية غفل الكثيرون عن الفروق والتناقضات بين الشعوب الأوربية نفسها فشاعت مصطلحات مثل (الغرب) أو (الحضارة الغربية) أو (العقلية الغربية) . فهل يقصد بالغرب مثلاً القارة الأوربية

كلها بما في ذلك البلقان وروسيا ومآثر البلاد السلافية أم بعض أجزاء أوروبا فقط كفرنسا وإنكلترا وإيطاليا وبلجيكا وهولندا واسكتلندا ؟
وأخيراً ألم نشاهد في هذه السنوات تطوراً جديداً لمفهوم (الشرق) و (الغرب) إذ أصبحا يرمزان إلى الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية من جهة ثم إلى الولايات الأمريكية المتحدة ودول الحلف الأطلسي من جهة ثانية . فكلمة (الشرق) في الصحف والخطب السياسية إنما تعني اليوم الاتحاد السوفياتي وحلفاءه . أما البلاد التي كانت تطلق عليها هذه الكلمة في السابق فلا بد من تحديدها باصطلاحات خاصة مثل الشرق الأدنى أو الشرق الأوسط أو الشرق الأقصى أو جنوب شرقي آسيا أو الأقطار العربية أو العالم الإسلامي .

هكذا لا يمكننا ادراك المعاني التي تتضمنها كلمة (الشرق) إلا إذا لاحظنا تطور العلاقات بين الشعوب الأوروبية من جهة وشعوب آسيا وأفريقيا من جهة ثانية . بذلك تتضح لنا أيضاً العوامل التي أدت إلى نشأة « الاستشراق » واهتمام الأمم الغربية بهذه الدراسات .

العلاقة بين الشرق والغرب :

... ان العلاقات بين الشرق والغرب قديمة ومتشابكة جداً . فمنذ فجر التاريخ كانت شعوب القارات الثلاث : آسيا وأفريقيا وأوروبا - وهي التي كان يتألف منها العالم المعصور - يقتبس بعضها عن بعض ، ويؤثر أحدها في الآخر . ومن المعلوم أن قدماء اليونان قد أخذوا العناصر الأولى في حضارتهم عن المصريين والبابليين والفينيقيين ، وظلوا مدة عصور طويلة يعتبرون أنفسهم تلامذة لهذه الأمم الشرقية التي تقدمتهم في الحضارة والثقافة .

ولما نشبت الحروب الفارسية استولى الفراع على اليونانيين فقام شعراؤهم وكتابهم يلهمون المشاعر والمواطف في سبيل الدفاع عن كياناتهم القومية ،

واندفعوا ، في حماسهم الوطني يصفون الفرس والشعوب الأخرى الخاضعة
للامبراطورية الفارسية بالهمجية ويسمونهم « برابرة » ولا شك في أن مؤلفات
هؤلاء الشعراء والكتاب ، التي أصبحت في بعد أساساً لثقافة الغرب ، كان
لها بعض التأثير في تشويه صورة الشرق لدى الغربيين .

وعلى أثر فتوحات الاسكندر المكدوني ، الذي حاول توطيد حكمه
بالتقريب بين الشرقيين والغربيين . انتشرت الثقافة اليونانية في آسيا وإفريقيا ،
حيث امتزجت بالعقائد الدينية والنزعات الصوفية . ومن هذا التمازج نشأت
الحضارة « الهلنستية » ذات الصبغة العالمية .

وكان يبدو ، بعد قيام الامبراطورية الرومانية ، أن الغرب قد فرض
سيطرته على الشرق . ولكن سرعان ما تجدد الصراع بانقسام الامبراطورية
الرومانية الى شرقية وغربية ، وباستخدام الاختلافات المذهبية واستئناف
الحروب بين البزنطيين والساسانيين .

ثم جاء الإسلام . فتولى العرب قيادة الشرق وتوحيد كلمته . والمؤرخون
الغربيون لا يجدون تفسيراً للسرعة التي فتح بها العرب سورية ومصر (بين
سنة ٦٣٤ و ٦٤٣) الا رغبة السكان السريان والأقباط « الشرقيين » في
التخلص من الاضطهاد البزنطي « الغربي » . ولم يعترف الغربيون بأن الإسلام
إنما أراد إتمام ما بدأته الديانات السماوية السابقة ، ونسوا أن المسيحية نفسها
كانت قد جاءت إليهم من الشرق ، فاعتبروا الدين الجديد مظهراً للثورة
الكبرى تقوم بها آسيا ضد سيطرة اليونان والرومان ، وصاروا منذ ذلك
الوقت يصورون الاختلاف بين الشرق والغرب كصراع بين الإسلام والمسيحية .
هكذا يصفون صعود القسطنطينية لحصار العرب (سنة ٧١٧ - ٧١٨) ،
أو انتصار (شارل مارتيل) في بواتيه (سنة ٧٣٢) على أنها عمليتا انقاذ
للحضارة الغربية - المسيحية .

وقد بلغ النزاع بين الطرفين ذروته أثناء الحملات الصليبية التي قام بها الغرب فاستخدم العقيدة الدينية ستاراً ووسيلة لتحقيق مطامعه الاستعمارية . ولكن نجاح الصليبيين لم يستمر طويلاً واستطاع المسلمون أن يسترجعوا بعد مائتي سنة كل البلاد التي فقدوها . وعلى الرغم مما اتصفت به الحملات الصليبية من تعصب وحقد وما رافقها من أعمال العنف والتسوية فقد لاحظ الغربيون ، بعد الاحتكاك المباشر ، أن الشرقيين يفوقونهم في جميع نواحي الحضارة . وكان طبيعياً أن يمتزج الخوف والبغض لديهم بشيء من الإعجاب ثم بالرغبة في المعرفة والميل إلى الاقتباس . إلا أن الحضارة العربية - الإسلامية كان لها تأثير أعمق في تطور الغرب عن طريقين آخرين هما : الأندلس وصقلية . فقد كان ملوك النورمانديين في صقلية من (روجر) الأول إلى (فريديريك) الثاني إلى (مانفريد) يستعينون بالموظفين العرب في إدارة البلاد وتنظيم الشرطة والمالية ، كما أنهم جمعوا حولهم كثيرين من علماء المسلمين ، واعتنوا بترجمة المؤلفات العربية في مختلف العلوم والفنون وتدريسها في الجامعات التي أسسوها على نخط المدارس الإسلامية .

وكانت طليطلة في الأندلس من أكبر مراكز العلم عند العرب المسلمين ، فلما سقطت في أيدي الأسبان (سنة ١٠٨٥) أسرع إليها طلاب العلم من كل أنحاء أوروبا ، وقام رئيس أساقفتها (ريموند) بين (١١٣٠ - ١١٥٠) فأسس فيها المدرسة المشهورة للترجمة التي دامت حتى القرن الثالث عشر وساعدت على نقل أدم كتب الطب والفلك والطبيعة والفلسفة من العربية إلى اللاتينية . ومن أسبانيا انتقلت حركة الترجمة إلى إيطاليا ، حيث استمرت حتى منتصف القرن السادس عشر . وإذا ظل بعض العلماء في النمسا وألمانيا وفرنسا يعتمدون على مؤلفات الأطباء والسيادة العرب في القرن السابع عشر حتى أوائل القرن التاسع عشر فلا شك في أن الأوروبيين لم يعودوا يشعرون

بالحاجة إلى التعليم من العرب بعد اختراع الطباعة وبعد اكتشافات (كوبرنيكوس) و (باراسلسوس) و (فيزاليوس) .

ومن جهة أخرى لاحظ رجال الكنيسة الغربيون منذ الحملات الصليبية أنهم لم يكونوا يعرفون شيئاً واضحاً عن العقيدة الإسلامية وأنه لا بد لهم من ترجمة القرآن والأحاديث النبوية وأقوال العلماء المسلمين ليستطيعوا الرد عليها ومحاولة نقضها والحيولة دون تأثيرها في نفوس شعوبهم . لذلك نرى المجمع الديني الذي عقد في (فيينا) سنة (١٣١١ - ١٣١٢) يدعو العلماء المسيحيين إلى الرد على آراء الفلاسفة المسلمين .

مكثدا بدأت الدراسات الشرقية على أساس غير صحيح ، لأنها كانت منذ باديه الأمر خاضعة لفكرة الجدل الديني .

لم تنقض مدة طويلة على نهاية الحملات الصليبية حتى تجددت الحروب بين الشرق والغرب بعد قيام الدولة العثمانية التي استطاعت أن تفتح القسطنطينية ، والتي ظلت جيوشها تتوغل في قلب البلاد الأوروبية حتى القرن السادس عشر . وكانت أوروبا تعتبر الأتراك العثمانيين ممثلين لروح آسيا ولقوة الإسلام . وكان طبيعياً أن ينقلب الخوف والفرع من الأتراك إلى حقد على الإسلام وكره لآسيا ، فنرى الكتاب الأوروبيين في القرنين السادس عشر والسابع عشر يسمون محمداً (ﷺ) بنبي الأتراك ويسعون إلى مكافحة العثمانيين بالتمجيم على الرسول والطعن في الإسلام .

ولكن في الوقت ذاته أخذ الأوروبيون يفكرون في مهاجمة العالم الإسلامي من الخلف بالدوران حول أفريقيا عن طريق البحر . ولا ننس أن فشل الحملات الصليبية ثم احتكار تجارة الهند من قبل المماليك كانا من العوامل التي دفعت الأوروبيين إلى البحث عن طريق آخر إلى الهند والشرق الأقصى ، فبدأت بذلك الرحلات والاكتشافات البحرية الكبيرة في أوائل القرن

السادس عشر . وقد جاء في البيان الذي أصدره القائد البحري البرتغالي (البوكرك) في (مالاكا) بالهند الصينية ، أن البرتغاليين بسيطرتهم على تجارة الأفاريزه إنما يطمعون في إضعاف قوة المسلمين . وكان المبشرون البرتغاليون يقومون بحملة صليبية ضد الإسلام . وكانت الظروف في الهند خاصة ملائمة إذ ذاك للاستعمار البرتغالي . ولكن بعد قيام ملوك المغول الكبار وإعادة توحيد المملكة الإسلامية في الهند تبدلت الحالة هناك في القرن السابع عشر . وانتهم الهولنديون والانكليز الفرصة ليحلوا مكان البرتغاليين فأخذوا يساعدون الهنود ضد هؤلاء . واتبعت الشركات الهندية - الهولندية ، والهندية - الانكليزية سياسة سلمية ، تجارية بحثة في بادئ الأمر ، والتزمتا الحياد التام تجاه سكان البلاد في المسائل الدينية كما انها كانتا ، تبعاً لعقيدتهما البروتستانتية ، تكافحان من جهة ثانية الجمعيات الكاثوليكية التي كانت تقوم بالدعوة التبشيرية وتثير نفرة السكان .

ومنذ انكسار الأتراك العثمانيين في معركة (لبننتو) البحرية (عام ١٥٧١) أخذ خوف الأوروبيين منهم يخف . وماكاد ينتهي القرن السابع عشر حتى تلاشى هذا الخوف بعد أن لاحظ الأوروبيون اضطراب أحوال الدولة العثمانية وتدهور قوتها ، فاتجهت أطماعهم إلى سلب ممتلكاتها . وكانت أوروبا في ذلك العهد تتقدم في طريق القوة العسكرية والازدهار الاقتصادي ، وأخذت تشعر بالحاجة إلى أسواق لنصريف منتوجاتها الصناعية . وبذلك بدأ التوسع الاستعماري واستيلاء الغربيين على آسيا وإفريقيا ، وتشابكت المصالح التجارية مع المطامع السياسية . وليس تاريخ هذا التوسع سوى سلسلة من أعمال العنف والجذاع والخيانة ونقض العهد والمساومات الحقة والمؤامرات الدنيئة . وكانت القيادة قد انتقلت في القرن السابع عشر من البرتغاليين إلى الهولنديين . ثم برزت انكلترا وفرنسا اللتان استمر التنافس بينهما خلال القرن الثامن عشر واقتضى الأمر بسيطرة انكلترا في القرن التاسع عشر . وفي

أواخر ذلك العصر أخذت ألمانيا وإيطاليا أيضاً تشتركان في التوسع الاستعماري بينما ظلت روسيا القيصرية منذ القرن الثامن عشر تطمع في ميراث الدولة العثمانية وتعمل على بسط سيطرتها وقفوذها في البلقان والقفقاس وآسيا الوسطى .

وخلال جميع هذه المراحل لعب المستشرقون دوراً هاماً في التمهيد للتوسع الاستعماري وتوطيد سيطرة الغربيين في الشرق .

متى بدأ الاستشراق ؟

يقول بعض المستشرقين إن أول مدرسة للدراسات الشرقية في أوروبا هي التي أسست في طليطلة سنة (١٢٥٠) ، وكانت تدرس فيها اللغة العربية والعبرية لإعداد رجال يستطيعون التبشير بين المسلمين واليهود .

ومن أشهر المبشرين الذين تخرجوا من هذه المدرسة (رايغوندرس لوللوس) (Raymundus Lullus) حوالي سنة (١٣١٥) . وكان (لوللوس) يتقن اللغة العربية ويعرف المؤلفين العرب معرفة جيدة ربما لا يضاهيه فيها أحد من الغربيين حتى العصور الحديثة . فقد درس القرآن والحديث واطلع على كتب المتكلمين والفلاسفة . ونراه في مؤلفاته الجدلية للرد على المسلمين يستشهد بأقوال الفارابي وابن رشد وعلى الأخص الغزالي الذي اقتبس قسماً كبيراً من كتابه « تهافت الفلاسفة » .

ويبدو أنه كان هناك شعور عام بالحاجة إلى معرفة اللغات الشرقية والغربية . ومما يؤيد ذلك الرسالة التي نشرها الكاتب الفرنسي (بيير دوبوا Pierre Dubois) في سنة ١٣٠٦ بعنوان « استرجاع الأراضي المقدسة » فقد رسم فيها مناهجاً لاستعمار الشرق من قبل شعوب أوروبا المسيحية بقيادة ملوك فرنسا . ويقتضي هذا المنهج تأسيس مدارس لتعليم اللغات لا تقتصر

على اعداد ما تستلزمه هذه الخطة السياسية من موظفين وضباط وتراجمه ومفارضين ومبشرين وأطباء ، بل تهيم كذلك الفتيات الأوربيات اللواتي يجب تزويجهن بالزعماء الشرقيين للقيام بالمهمة الملقاة على عواتقهن .

وفي سنة (١٣١١ - ١٣١٢) تقدم (رايوندرس لولوس) إلى المجمع الديني الذي عقد في (فيينا) باقتراح يطلب فيه :

١ - تأسيس معاهد لتدريس مختلف اللغات واعداد رجال يبشرون بالكتاب المقدس بين جميع الشعوب ؟

٢ - تكوين منظمة دينية من الفرسان تسمى إلى استرداد البلاد المقدسة .

٣ - العهدة إلى العلماء بتأليف الكتب للرد على العقائد المنافية للكاتوليكية .
وفي الواقع قرر مجمع (فيينا) تأسيس كرسين لتعليم اللغات العربية والعبرية والكلدانية واليونانية في كل من جامعات (روما) و (بولونيا) و (باريس) و (اكسفورد) و (سلتكا) . على أن هذه الكرامى ظلت شاغرة مدة طويلة من الزمن لفقدان المدرسين الأكفاء . وقد انصرفت اليهود حتى القرن السادس عشر إلى الترجمة عن العربية التي كان يتولاها في الغالب اليهود الاسبانيون . واتجهت العناية هنا إلى نقل الكتب الطبية والفلكية والفلسفية إلى اللغة اللاتينية والاطلاع على محتوياتها والاستفادة منها ، فلم يهتم الرأي العام بدراسة الشرق ذاته .

ومن جهة أخرى فإن فشل محاولات التبشير لم يكن من شأنه أن يشجع رجال الكهنوت على دراسة اللغات والديانات الأجنبية . لذلك لم تنشط الدراسات الشرقية إلا بعد القرن السادس عشر بتأثير عوامل عديدة .

(للبحث صلة)

محمد كامل عباد



الكلام المولد في معاجمنا الحديثة

اللغات كالناطقين بها تنمو وتضمحل أو تتقدم وتتأخر تبعاً لناموس عامّ يشمل جميع الكائنات الحية . ويحدث النمو في اللغة بتأثير عاملين رئيسيين : أحدهما هو الكسب الخارجي أي ما يتسرب إليها من لغات أخرى ثم يتأصل فيها حتى يصبح جزءاً ثابتاً منها . وقلتها تجد لغة لم تتأثر كثيراً أو قليلاً بسواها ، فلا بدع أن يكون في لغتنا العربية ألفاظ وأوضاع دخيلة استقرت فيها على توالي العهود وأصبحت تعدّ بين الفصيح من كلامها ، وما نحن نستعملها في قثرنا وشعرنا دون أن نحسبها غريبة الأصل ، بل إن بعضها قد غلب على ما يقابله من العربي الأصل وأقصاه عن الاستعمال حتى أصبح في حكم الميت أو المهجور كهذه المعربات مثلا وهي قلّ من كثر :

المسك وفي العربية الأصلية المشوم

البلور « « المها

فخ « « الطيرق

الترياق « « المتسوس

العربون « « المتسكان

الهندباء « « اللباعة

الدمكرة « « الدسيسة

على أن المعربات غير داخلة في بحثنا هذا ، وقد خصصناه للكلام المولد . فحسبي الآن هذه الإشارة الوجيزة إليها . ولا يخفى أنها تشمل المئات إن لم نقل الألوف من ألفاظ العلوم والفنون والحضارة والحياة العامة .

أما العامل الثاني فهو التولد الدائري أي ما ينشأ في داخلها من ألفاظ استحدثت عفواً أو قصداً لأغراض ومعارٍ جديدة ، وقد كان ذلك على الطرق التالية :

(١) طريق النحول المعنوي : وهو أن تكتسب اللفظة معنى جديداً غير معناها الأصلي والأمثلة على ذلك كثيرة في تاريخنا اللغوي أكتفي منها للإيضاح بما يلي :

الكفر - والمعنى الأصلي التغطية : ثم اكتسبت معنى الإلحاد أو الإنكار
التوقيع - « » التأثير : وهي الآن وضع اسم الكاتب على ما يكتبه .

المقامة - والمعنى الأصلي المكان أو المجلس : فتحولت إلى نوع من القصص المسجع .

الدولة - والمعنى الأصلي انقلاب الزمن والحال : ونستعملها الآن للملك أو الحكومة .

فكته - ومعناها الأصلي قدم له الفاكهة : وتستعمل الآن للتسلية بكلام طريف .

القطار - ومعناها الأصلي صفّ مقطور من الجمال . وهي الآن سكة الحديد .

السجادة - معناها الأصلي ما يسجد عليه وقت الصلاة . وهي الآن الطنفسة أو البساط .

النظم - معناها الأصلي جمع اللؤلؤ في ملك . وتستعمل الآن لنظم الكتابة أو الشعر .

التحور - معناها الأصلي القصد أو الجهة . واستعيرت لعلم العربية المعروف .

المضيضة - معناها الأصلي من تستقبل الضيوف في المنزل . وأصبحت الآن للفتاة التي تعني بركاب الطائرة .

الحضارة - معناها الأصلي ضد البداوة . ويفهم منها الآن المدنية أو
انعمران الاجتماعي والعلمي والصناعي .

وقس على هذه الأمثلة الدينية والإدارية والعلمية وسواها مما اكسبها
الزمان وتطور الحياة معاني غير معانيها الأصلية .

(٢) طريق انوضع اللفظي : أي وضع ألفاظ جديدة لمختلف المعاني

والأغراض . وقد توفر على ذلك أهل العلم والأدب قديماً وحديثاً فأضافوا
إلى اللغة كثيراً مما لم تعرفه من قبل . وباب الوضع واسع يدخل فيه النحت
والقياس والاشتقاق . وقد زاد اتساعاً إبان نهضتنا الجديدة . وهالك يضع
ألفاظ حديثة وهي نقطة من بحر مما وضعه المحدثون فضلاً عما سبق إليه
السلف في شتى العصور .

- المُضَوِّية - أي الانتساب إلى جمعية أو هيئة ذات نظام خاص .
- المنطاد . - لما يعرف بالغرب بالبالون .
- الدراجة - وهي ترجمة للبيسكلات
- الشيوعية - للنوع المعروف من الحكم الاشتراكي .
- التلاشي - الاضمحلال وهي منحوتة من لاشي موقد ولتدت في عصر سابق .
- التقاليد - الأمور أو السُنن المتبعة أو الموروثة عن السلف ، وقد
استعملها بعضهم قبلاً .
- الهاتف - للتلفون .
- المذياع - لآلة الراديو المذيعة .
- المِمْطَر - للشوب الوافي من المطر وهو توليد قديم .
- المأساة - للرواية المسرحية المحزنة .
- البستنة - علم زرع البساتين .
- البِلاط - لقصر الملك أو مركز حكمه وإدارته للمملكة .

(٣) الوضع المجازي : أي توليد اصطلاحات مجازية للتعبير عن معانٍ خاصة كقولنا .

- القوة الضاربة - أي السلاح الكافي لضرب العدو .
- اجتمع المؤثر على صعيد الوزراء أي كان مؤلفاً من وزراء الدول .
- غسل يديه من المسألة - أي تبرأ منها .
- ضرب الرقم القياسي - أي تجاوزه إلى حد أبعد .
- السوق السوداء - السوق يتعامل بها خفية تهرباً من التسعير القانوني .
- هو صاحب الكرمي - أي رئيس المجلس .
- الشارع يناصر فلاناً - أي السوقة وعامة الناس .
- أخذ المبادرة - أي سبق غيره في أمر ما .
- انتهاك صارخ لحقوق الشعب - أي انتهاك واضح وشديد .
- ركب رأسه - لمن تعسف وسار على هواه .
- ناطحات السحاب - للأبنية الشاهقة العلو .
- توترت العلاقات بينهم - أي ساءت واشتدت .
- صوت في الجلسة لفلان - أي كان من مؤيديه . اظهر تأييده له .
- وقس على ما ذكر من مفردات ومصطلحات ما لا يمكن حصره في مثل هذا المقام .

(٤) الاشتقاق الاسمي : أي اشتقاق صيغ من أسماء خاصة . ومن أمثلته :

- قنن - من القانون . نقول قنن الطعام أي تناوله بحسب قانون محدد .
- موتل - من المال . موتل المشاريع أي قدم المال اللازم لها .
- تطور - من الطئور . فنظام التطور هو التقدم من طور الى طور .
- عيد - من العيد . احتفل بالعيد أو هنا به .
- قوم - من القيسة . تقويم الأشياء أي تقدير قيمتها .
- استجوب - من الجواب . استجوب القاضي فلاناً أي طلب منه الجواب .

وقد شاع حتى كاد يصبح قياساً وزن تفعل من أسماء المدن والبلدان والأمم كقولهم : تنصر أي اتخذ الجنسية المصرية ، وتفرنس اتخذ الجنسية الفرنسية ، وهكذا تأمرك وتألن ، وتبلشف وتعرّب واشباهها .

فالتوليد في اللغة حركة نحو متصلة الأسباب لم تنقطع في زمن من الأزمنة على أنها كانت تختلف قوة واتساعاً من عصر إلى عصر . ولعل عصر العربية الذهبي أيام العباسيين وعصر نهضتنا الحديثة هما أكثر العصور إنتاجاً في هذا الباب . ففي كليهما نشأت حاجات اجتماعية وفكرية دفعت أهل الأقلام إلى التوليد اللغوي . فلم يتركأرا عن مد تلك الحاجات بالفاظ وأوضاع لم تُرو عمن يُحتج بكلامهم من أهل اللغة الأقدمين . وهنا يمكن القول أن نظر القدماء من علماء اللغة إلى هذه المولدات يختلف عن نظر المحدثين منهم . فالقدماء أوصدوا الباب دربها فلم تثبت ما معاجهم وهكذا بقيت خارج حرم اللغة الفصحى . وكانوا إذا ذكروا المولد ذكروه على أنه غير عربي الأصل . وعليه يقول السيوطي في المزهر : « المولد ما أحدثه المولدون الذين لا يُحتج بالفاظهم » . ويذهب الفارابي إلى أبعد من هذا فيصنّف الألفاظ بقوله : « هذه عربية وهذه مولدة » . وكثيرون حاولوا وقف هذا التيار اللغوي الجديد فوضعوا الكتب في إصلاح ما خرج عن الأصول ، أو في تعريف المتأدين ما يحتاجون إليه من قواعد وأحكام تقيهم منبهة الخطأ أو الانحراف عن طريق الصواب ، كما فعل ابن قتيبة في أدب الكاتب ، والحريري في درة الغواص ، والجواليقي في التكملة ، وغيرهم من سابق ولحق . وفي القرن الحادي عشر الهجري يضع شهاب الدين الحفاجي كتابه « شفاء الغليل في ماورد في كلام العرب من الدخيل » . فيثبت من هذا الدخيل ما يقارب مئة لفظة عربية مولدة . ولم يكن الحفاجي من المتزمّتين بدليل ما نرى له من مواقف في ردّه على أوهام

الحريري في درة الفواص، ولكنه جارى الرأي العام القديم في نظره إلى الفرق بين المولّد والعربي الأصيل .

فالفقهاء السالفون من مُعْجَمِيّين وسواهم ظنوا منذ أخذ الخليل بن أحمد في القرن الثاني الهجري يؤلف كتاب العين حتى بدء النهضة العربية في القرن التاسع عشر للبلاد لا يرون في ما لم يُروَ عن عصر الاحتجاج ما يؤهله لدخول المعاجم أو يرفعه إلى درجة الاستشهاد به ولو ورد في كلام كبار الكتبة والشعراء . فلما قام الرائد العلامة بطرس البستاني ووضع أول معجم حديث وهو المعروف بمحيط المحيط جعل معتمده القاموس المحيط للفيروزبادي كما جعل هذا الأخير معتمده المحكم لابن سيده والعياب للصاغاني وقد أدرك أن محيط الفيروزبادي وسائر المعاجم القديمة تخلو من معظم الكلام المولّد فأضاف إليه كثيراً من هذه المولّدات التي نشأت مع الزمن . على أنه لم يحرّز على الجزم بعدها مساوية في الفصاحة للأصول المثبتة في الكتب القديمة فتراها يقف هنيهة عند نهاية حرف الراء من معجمه محيط المحيط ليقول معتدراً :

« وقد أضفت إلى أصول الأركان (أي مواد قاموس الفيروزبادي) فروعاً كثيرة وتفاصيل شتى . وألحقت بذلك اصطلاحات العلوم والفنون وكثيراً من المسائل والقواعد والشوارد مما لا يتعلق بمتن اللغة . وذلك لكي يكون هذا الكتاب كاملاً شاملاً ، يجد فيه كل طالب مطلوبه من هذا القبيل . وبهذا الاعتبار تنازلت إلى ذكر كثير من كلام المولدين وألفاظ العامة ، منبهاً في أماكنها على أنها خارجة عن أصل اللغة . وعسى بذلك يتمد لي العذر في هذا التساهل الذي ارتكبته .

وقد يتزّيا بالهوى غير أهله ويستصحب الإنسان من لا يلائمه »

فالبستانيّ وهو رائد واضعي المعاجم الحديثة قد رأى الفائدة العامة من إثبات المولّد في « محيط المحيط » ولكنه عدّ إثباته تساهلاً ينبغي

الاعتذار عنه للمحافظين من أرباب اللغة . والواقع أن اعتذاره لم يذهب بقائده مافعل . فقد فتح باب المعجم العربي لغير ماروي عن عصر الاحتجاج . وتبعه في ذلك ولكن بخطوات أبظاً سعيد الشرتوني في « أقرب الموارد » والشيخ عبد الله البستاني في معجمه البستان . وقد كتب مقدمة البستان الخوري بطرس البستاني مصرحاً بأن « ما خطته يده فيها إنما هو من بحر أستاذه مؤلف المعجم المذكور » . وهو يعتبر عن الروح التي أخذت تتحرك في نفوس أدباء هذا العصر إذ يحمل على ما يسميه « تخرج اللغويين القدامى وحرصهم على فصيح اللغة في ماروي عن أهل الحجاز وبعض القبائل المتوغلة في البداوة دون سواها » فيقول :

« ولولا هذا التقصير لما كنا اليوم على ما نحن عليه من المعجز الفاحش عن تأدية كثير من المعاني والأدوات الحضرية بالألفاظ نستخرجها من معدن اللغة نفسها » . إلى قوله : « على أنهم لو وقفوا عند هذا الحد من التفريط لكانت البلية أخف وطأة وأيسر محلاً . ولكنهم أعرضوا أيضاً عن أغلب الألفاظ التي جدت في اللغة ، ولا سيما عهد العباسيين ، بحجة أنها من استنباط المولدين لم تجر على ألسنة العرب الخالصاء لا في الجاهلية ولا في صدر الإسلام » .

وكذلك أثبت معجم « المنجد » للأب لويس المفلوف عدداً غير قليل من الألفاظ المولدة دون أن ينبت إليها أو يبحث في حركة التوليد وأثرها . فهو كما قال واضعه مؤلف مدرسي وضع لبس الحاجة إلى معجم « ليس بالخل المعوز ولا بالطويل الممل المعجز يكون قريب المأخذ ممتازاً بما عرفت به المعجمات المدرسية في اللغات الأجنبية من إحكام الوضع ووضوح الدلالة » .

ولبعض المستشرقين اهتمام خاص بالألفاظ والمصطلحات العربية الجديدة

نذكر منهم على سبيل المثال اللغوي الألماني هانز فيهر Hans Weher الذي وضع في أعقاب الحرب الثانية معجماً بالمفردات العربية المستعملة في الكتابات الحديثة . وبعد سنوات قليلة اشترك مع لغوي آخر هو : ج . ملتون كـوـن G. Milton Cowan فنقله هذا الأخير الى الإنكليزية بعد أن نقّحاه وتوسّعا فيه ونشرناه سنة ١٩٦١ باسم « معجم للعربية الكتابية الحديثة A Dictionary of Modern Written Arabic وقد نظرت فيه فوجدته يحوي كثيراً من الكلمات المولدة التي يستعملها كتابنا في هذا العصر (عدا كثير من المعربات والألفاظ العامية) . ومن أمثال ما ورد فيه :

المذهب التأثري .

أذونات البريد .

الأساسيات (المبادئ الأساسية) .

إنسانية .

الإبداعية (الرومانسية) .

تجريدة (كتيبة من الجيش) .

جارور (للدرج) في المنضدة .

المعارضة (الحزب المعارض للحكومة في المجلس)

منزول منزل للضيوف .

ملخلخ - مهزوز - غير ثابت .

وقس عليها عشرات مما تقع عليه في الصحف أو كتب الأدب الحديثة .

ومها يكن فالذي لا شك فيه أن معاجنا الحديثة أكثر تساهلاً من

القديمة في النظر الى المولدات . على أن هذا التساهل ظلّ غير قائم على

دراسات وافية تعالج الموضوع من أساسه ، الى أن ظهرت بعد الحرب

العالية الأولى هيئات لغوية « رسمية » فاضطلعت بهذه المهمة ، كالجمع

العلمي العربي في دمشق ، وجمع اللغة العربية في القاهرة والجمع العلمي العراقي ببغداد . وكان لكل منها يد تذكر في ذلك . على أن أنظار أرباب اللغة كانت بالأكثر متجهة الى جمع القاهرة أولاً لما يتمتع به من صفة التشثيل العام ، وثانياً لأنه جعل غايته وضع معجم كبير للغة العربية جامع لجميع موادها الأصلية والمولدة والمعرية من قديمة ومحدثة مع شرح واف لها ، وتاريخ للدخيل منها ، وتبيان لأصولها وطرق استعمالها . والذي يراجع مقرراته والأسس التي وضعها لبنني عليها هذا البناء العظيم يجد أنه مع حرصه على سلامة اللغة ومحافظة على تراثها القديم لم يقف إزاء التطور العام وقفة المستنكر ، ولا تردد في اقتباس الجديد الموافق ، ولا سمح للعاطفة القومية أن توجه نظره الى ما وراء فقط ، فتعنيه عن رؤية ماهر أمام ، بل جابه مشكلات اللغة بحسن علمي سليم في أكثر الأحيان ، وناقش حلولها بصراحة وحرية تامة . ولا ينكر أنه كان يتعثر أحياناً في طريقه فيتمسك في بعض مقرراته ، ولكنه لم يكن بأبي النقد العام ، أو يأنف من أن يتراجع عن الخطأ .

وبذلك على أخذه بأسباب التطور في نظره الى الكلام المولّد أن المعجم الوسيط الذي صدر بإشرافه سنة ١٩٦٠ قد شمل من هذا الكلام أكثر مما شمله أي معجم آخر . فلا عجب أن يقول أمين مرتّ الجمع في تصديره للوسيط مشيراً الى منهج الجمع فيه : « ونوسع في المصطلحات العلمية الشائعة ، ودعا الى الأخذ بما استقرّ من ألفاظ الحياة العامة ، وخطا في سبيل التجديد اللغوي خطوات فسيحة ففتح باب الوضع للمحدثين ، شأنهم في ذلك شأن القدامى سواء بسواء . وعمّم القياس فيما لم يقم من قبل ، وأقر كثيراً من الألفاظ المولدة والمعرية والحديثة وشدد في مخرج الحوْشي والغريب » .

ولقد جئنا أن نتحرى الشائع على أقلام كتابنا وشعرائنا من الألفاظ والأوضاع المولدة (غير الدخيلة وغير المصطلحات العلمية والفنية الخاصة) فوجدت منها ما يقرب من ستائة كلمة ومصطلح . ثم راجعت من معاجنا الحديثة محيط المحيط وأقرب الموارد ، والبستان ومتن اللغة ، والمنجد ، والوسيط ، فإذا هي تشمل منها مايلي :

محيط المحيط ٢٧٥ ، أقرب الموارد ١٥٢ ، البستان ١٦٥ ، متن اللغة ٢٣٧ ، المنجد ٢٢٥ ، الوسيط ٥٥٠ . ولم يرد منها في القاموس المحيط للفيروزآبادي أكثر من ٦٠ . أما معجم Cowan Weher فيشتمل على نحو ٥٢٠ .

وقد يكون هناك ألفاظ فاتتني في كل من هذه المعاجم ، على أني لا أعتقد أن ما فاتني يفسر كثيراً من هذه الأعداد . فإذا أضفنا إليها مئات الألفاظ الدخيلة ومئات الأوضاع العلمية الخاصة ، ثم اعتبرنا ما بطل استعماله من الألفاظ قديمة وما تحول من معنى إلى آخر ، اتضح لنا أن العربية ليست كما يتوهم بعضهم لغة جامدة ، بلي هي ككل اللغات الحية لغة متطورة ، وستبقى سائرة في طريق التطور إلى ما شاء الله . وإذا قيل إن أثر التطور فيها قليل بالنسبة إلى بعض اللغات الأوربية كالانكليزية مثلاً فهي اليوم تختلف نطقاً وتهجئة في كثير من ألفاظها عما كانت عليه قبل أربعة أو خمسة من القرون ، وقل كذلك في الفرنسية وسواها . أما العربية فهي هي منذ بزوغ الإسلام حتى الآن . قلنا إن ذلك لا يعني جموداً أو توقفاً عن السير في سبيل التطور ، بل يعني أن سبيلها لم يكن كسبيل من ، بل كان نمواً مستمراً حافظت في أثناءه على شخصيتها ، ولكنها كانت في الوقت نفسه تهذب ألفاظها فتحوّلها من الحوشي إلى المأنوس ، وتتنكب بها عن الإيهام إلى الوضوح ، وعن الإسراف الذهني إلى الاقتصاد . وعلى ذلك وضعت أسس بلاغتها وجمال مبانيها .

وهذا يجتسم على أرباب اللغة عند وضع الكلام توليداً وتعريباً مراعاة ما يتطلبه ناموس التطور المذكور ، فلننظر قليلاً إلى أي حد بلغت هذه المراعاة في عصرنا الحاضر . ولنحصر نظرنا الآن في الكلام المولّد دون المعرّب .

عالج التوليد اللغوي منذ فجر القرن انشرين عدد من الأفراد والجامع وسنكتفي للتمثيل بذكر أربعة من الأفراد وأربعة من الجامع . فمن الأفراد ابراهيم اليازجي ، وأحمد تيمور ، وأنستاس انكرملي ، وأحمد رضا . ومن الجامع مجمع نادي دار العلوم (أسس بمصر ١٩١٠) ، والمجمع العلمي العربي (بدمشق ١٩١٩) ، ومجمع اللغة العربية (بالقاهرة ١٩٣٢) ، والمجمع العلمي العراقي (١٩٤٧) .

وبما لا ريب فيه أنهم أفراداً وجامع قد بذلوا جهوداً مشكورة في هذا السبيل ، وأدوا خدمات جلّى للغة العربية . على أنهم لم يأمنوا العثار أحياناً فعرّضوا كثيراً من آرائهم ومقترحاتهم لنقد حاد من الرأي الأدبي العام وذلك لتكلفتهم في بعض أوضاعهم ما لا ينسجم مع مقتضيات النمو السوي في الحياة اللغوية .

وقد ظهر لي من معارضة العمل الفردي بالعمل الجمعي أن نسبة مآلات من المولدات الحديثة إلى معاش أو ما يمكن أن يعيش أقل في الأخير منه في الأول . وبكلمة أخرى أن ما وضعته أو أقرقه الجامع كان على العموم أكثر ملاءمة للذوق الأدبي العام ، وأحرى بسد حاجات العصر . وإيضاحاً لذلك نوازن بينهما ضمن منطقة واحدة فقط من مناطق التوليد اللغوي أعني منطقة الحضارة والحياة العامة التي تعنى بها أقلام الكتاب عادة غير متعرضين للأوضاع العلمية والفنية الخاصة التي قلما يستعملها جمهرة المتأدين . في هذه الموازنة نجد مايلي :

لإبراهيم اليازجي نحو ٥٥ كلمة لم يعش منها غير ٢٠
ولأنستاس الكرملي « ٦٠ « « « « ١٨
ولأحمد تيمور « ٣٠ « « « « ١٢
ولأحمد رضا « ١٢٣ « « « « ١٤

أما المجامع فنسبة الوفيات فيها الى المواليد هي كما يلي :

نادي دار العلوم وضع أو أقر ١٢٣ عاش منها نحو ٨٠
المجمع العلمي العربي « « ١٤٧ عاش أو سيعيش منها نحو ١٢٠
المجمع العلمي العراقي « « ٢٣٠ « « « ١٩٠
مجمع اللغة العربية « « ٢٤٦ « « « ٢٠٠
ولا أدعي قط أن هذه الأرقام بالغة كمال الصحة ، فهي تقريبية ،
ولكنها مهما عدلت فلا إخالها تبتعد عن حقيقة ما نروم إيضاحه هنا .
وليس بغريب أن يرتفع معدل الألفاظ الحية في مقررات المجامع ،
لما يتهيأ فيها من مناقشة وغرابة وتصفية . ولولا ذلك لما كان لها هذا العظم
من التفوق على أوضاع الأفراد . ولعل من المفيد أن أذكر بعض أمثلة
بما رفضه الرأي الأدبي العام فمات معظمه ، وما بقي منه ففي حالة الاحتضار .
وهذه الأمثلة مأخوذة بعضها بما وضعه الأفراد وبعضها بما أقرته المجامع
أو بما اقترحته أولاً ثم عدلت عنه . وأكثرها من باب الحياة العامة .
الطرر - لما يعرف عند الافرنج بالفيلا (Villa) .
الفروج - للسيرة أو القباء المشقوق .
دمار - بعضهم وضعه للدبوس وبعضهم للمسمار (١) .

(١) الدمار في اللغة للمسمار . وقد وضعت لما يسمى بالفرنسية River ، وهي بالعامية
البرشام والبجن . ودَمرَ هو بالفرنسية River و Riveter . وهو عند العامة
برشم وبشم وبجن . وأنواع الدمر في اللعب العسكري كثيرة . (لجنة اللغة)

- الأجَمِيَّة - للحمى المعروفة بالمalaria (Malaria) .
- المتعب - لما يعرف في الأبنية بالسيقون (Siphon) .
- الإلماعة - للراديو والمذياع .
- السفير - للتلفون ، أو الهاتف .
- الراجيئات - للبكتريا (Bacteria) أو الجراثيم المسببة للأمراض .
- مِدره - للذي يتعاطى المحاماة (Avocat) .
- الجديلة - للزى العام أو الموضة (Mode) .
- حذاقة - لشهادة المدرسة كالإكالموريا وسواها .
- الرّميز - للمالم المتفنن . فالرمازة عند النواضع تقابل Technicology .
- النابل - لسائق المركبة أو السيارة .
- الجهبذ - لأمين الصندوق في مؤسسة ما .
- الحضخاض - للمازوت (النفط غير المصفى) .
- البرزع - لما يقابل لفظاً جنتلمان Gentleman عند الانكليز .
- الدّلق - للعبة التي يلعبها القاضي أو المحامي .
- الضاغط - لرئيس قلم التحصيل .
- الشّور - للمضرب الذي يستعمل في لعبة التنس (Racket) (١) .
- الحسبان - للمدفع الرشاش .
- الدِّحال - لمتأدي الحرب .
- الإردبة - للبالوعة التي تتصل بها أنابيب الماء من مرافق البيت .
- المشجر - شتاعة تكون في مدخل المنزل وفيها مرآة .
- المثيرة - الطراحة التي تفرش للجلوس .

(١) وقد أشار معجم وبستر الانكليزي الى أن (راكت) من العربية (راحة) لأنها لعبه الراحة التي قد يضرب بها .
(لجنة المجلد)

المُعْجَبِيَّة — الأداة التي يكسُطُ بها الخشب وسواه .
 المِيدَعَة — ما تلبسه الفتاة فوق الثوب في أثناء عملها (المِريول) .
 وهناك كثير غيرها مما لم يلبث أن ولد حتى مات (١) .
 وما يذنبني ذكره ان المولد في اللغة نوعان — نوع مقصود وهو الذي
 يتولد من إيمان الفكر في اللفظة المناسبة للمعنى ، ويعنى به أفراد متخصصون
 أو بجامع لغوية كالذي سلف النظر ذكره فيه ، ونوع غير مقصود وإنما تسوق
 اليه الحاجة سوقاً طبيعياً لا كلفة فيه ولا بحث ، فيجري على الألسنة والأقلام
 منبثقاً عن سليقة لغوية حساسة كقول المتنبي مثلاً :
 تقتسده المقدار بين صحابه على ثقة من دهره وأمان
 وقوله :

إنما أنفس الأنيس سباعٌ يتفارسن جهرة واغتيالاً
 فليس في المعاجم صيغة تقصد ولا تفارس ، ولكن السليقة دفعت
 الشاعر إلى استعمالها فلم يتردد .
 وكذلك فعل ابن المعتز فاستعمل (أثمر) متعدياً إذ قال :
 فأثر دماً لا يبسد وحسرة لقلبي يحنيها بأيدي الخواطر
 والبحثري في حمله اغترب على استغرب إذ قال :
 وضحكنا فاغترب الأقاحي عن ندرٍ غص وسلال الرضاب برود
 وعمر بن أبي ربيعة (٢) في استعماله تبدت بمعنى بدا فقال :
 وتبدت لي فأبدت واضعاً منها نحيفاً

(١) راجع ما أثبتته أحمد رضا في كتابه معجم من اللغة من أوضاع المعاجم والأفراد .
 في مقدمة الجزء الأول .

(٢) وقله قال الشاعر الحماسي :

وبدت ليس كأنها قر السه إذا تبدى (لجنة المجلة)

وابن نباتة^(١) في استعمال الثلاثي المولدة من لا شيء . فقال في خطبة له
« بقايا جُسوم متلاشية »

والطغرائي في استعمال التشويش إذ قال :

وإن قدرت على تشويش طُورته فشوئها ولا تبقي ولا تذري
والغزالي في استعمال الصفة حذورا إذ قال في مقدمة المنقذ من الضلال :
أنحوض غمرته نحوض الجسور ، لا نحوض الجباب الحذور .
وابن خلدون في قوله : حتى يتأذن الله بهلاكهم ، بدلَ حتى يأذن .
ومثل ذلك غير نادر في أقوال المتقدمين من الشعراء والكتبة . ومنه
في عصرنا الحاضر استعمال كلمات واصطلاحات جاءت عفواً فعبّرت عن
الفكر تعبيراً حسناً . كقولهم :

قَتَّان — للماهر في الفنون ولم ترد أصلاً بهذا المعنى .

خدابه إلى كذا — والاستعمال الأصولي حذاه .

احتج على أمر ما — أو قدّم احتجاجاً بمعنى أنكره ووضع فاعله موضع اللوم
اكتشف الأمر — أي كشفه وأظهره لأول مرة .

خابره — أي فارضه أو بادله الخبر ومنه قلم الخباير .

حكم على المجرم بالإعدام — أي بالموت . والإعدام أصلاً فقدُ المال فحولها
إلى فقد الحياة .

النظام الوحدوي — نسبةً إلى الوحدة ، والأصل أن يقال وحدوي .

ومثلها الكتلوي نسبةً إلى كتلة . وكانوا بالسليقة يقولون

الثوروي نسبةً إلى الثورة عدلوا عنها إلى الثوري .

(١) والثلاثي مستعمل في نهج البلاغة المنسوب لعلی بن أبي طالب قبل عصر ابن نباتة .
(لجنة المحلة)

احتفل الشعب بالعيد - بمعنى احتفى به .
 تكرير الشراب - أي تصفيته بتكرير ثقله من حال إلى حال .
 المظاهرات الشعبية - أي التظاهر بمناصرة قضية ما .
 الدعايات - لما يقابل بروباغندا عند الأفرنج .
 وقس على ما ذكر كثيرا من الأوضاع الشائعة التي عاشت وستبقى حية
 لأن السليقة السوية هدت الناس إليها .
 ولا شك أن المعجم الكبير الذي يسمى بجمع اللغة العربية بالقاهرة
 إلى إخراجها سيعنى بالمولدات عناية خاصة . وسيختار منها ما هو أمس
 بحياة العصر وأدل على الأغراض المنشودة ، وأكثر فصاحة وخفة في
 الاستعمال . وعلى كل حال فالزمان هو المهدب الأكبر لكل لسان .

أنيس المقدسي



المعجم العربي

حروف المعجم وترتيبها - بناء المعجم العربي - المعجم الحديث بين الصناعة والفن

١ - الإعجام في المعجمات

قال ابن فارس في «مقاييس اللغة» : العين والجيم والميم ثلاثة أصول : أحدها يدلّ على سكوت وصمت ، والآخر على صلابة ، والآخر على عضّ ومذاقة .

وذكر ابن جني في مقدمة «مر الصناعتين» : إن مادة ع ج م وقعت في لغة العرب للإيهام والإخفاء وضد البيان .

قال الجوهري : الأعجم : الذي لا يفصح ولا يبين كلامه وإن كان من العرب ، والأعجم أيضاً الذي في لسانه عجمة وإن أفصح بالعجمية . وأعجم الكتاب : خلاف أعربه ، وفي الصحاح : قال رؤبة :

الشعر لا يستطيعه من يظلمه يريد أن يمر به فيعجمه^(١)

أي يريد أن يبينه فيجعله مُشْكِلًا لا بيان له ، وقيل : يأتي به أعجمياً

(١) نسب الجوهري الشعر إلى رؤبة ، وقامه صاحب اللسان . وقال الماغازي : الشعر

للحطية ، وكذلك ورد في السدة وفي ديوان الحطية ، وأوله ، كما في التاج :

الشعر صعب وطويل سله إذا ارتقى فيه الذي لا يله

زلت به إلى الخفيض قدمه

يعني يلحن فيه ، وقال ابن فارس : ومعناه : يريد أن يُبين عنه فلا يقدر على ذلك ، فيأتي به غيرَ فصيح دالٍ على المعنى .

والأعجم أيضاً : المستعجم الآخرس ، والمرأة : عجماء ، والعجماء : كل بهيمة ، وفي الحديث « جُرح العَجَمَاءُ جُبار » أي لا دبة فيه ولا قَوَد ، وفي الحديث أيضاً : « بعدد كل فصيح وأعجم » قيل : أراد : بعدد كل آدمي وبهيمة .

واستعجم الرجل : سكت ، واستعجمت عليه قراءته : انقطعت ، فلم يقدر على القراءة من نَعاسٍ ونحوه ، ومنه حديث عبد الله : « إذا كان أحدكم يُصَلِّي فاستعجمت عليه قراءته فليَنَمْ » .

وكذلك استعجمت الدار عن جواب سائلها : سكتت ، قال امرؤ القيس :

صَمَّ صداها : وعفا رُسُها واستعجمت عن منطق السائل

قال الجوهري : والعجم : النقط بالسواد . مثل التاء عليها نقطتان . يقال : أعجمت الحرف : نَقَطْتَهُ ، والتعجم مثله . وقال الأزهري : سميت أبا الهيثم يقول : مُعْجِمُ الحُطِّ : هو الذي أعجمه كاتبه بالنقط ، تقول : أعجمت الكتاب أعجمه إعجاماً ، ولا يقال : عجمته ، إنما يقال عجمت العمود : إذا عضضته لتعرف صلابته من رخاوته .

وأعجم الكتاب وعجمه : نقطه . قال ابن جني في « سر صناعة الإعراب » : أعجمت الكتاب : أزلت استعجامه ، وهو عنده على السلب ، لأن افعلت ، وإن كان أصلها الإثبات ، فقد تجيء للسلب ، كقولهم : أشكيت زيدا : أي زلت له عما يشكوه ، وقوله تعالى : « إن الساعة آتية أكاد أخفيها (١) » تأويله ، والله أعلم ، عند أهل النظر : أكاد أظهرها . وتلخيص هذه اللفظة : أكاد أزيل عنها خفاءها ، أي سترها .

وقالوا : عَجَّمت انكتاب ، فجاءت فَعَمَلْتُ للسُّلب أيضا ، كما جاءت أَفَعَلْتُ ، وله نظائر .

٢ — حروف المعجم في المعجمات

حروف المُعْجَم : هي الحروف المقطعة التي يختص أكثرها بالنقط من بين سائر حروف الأسم . قال ابن الأثير : حروف المعجم : حروف أب ت ث .. سميت بذلك من التمجيم ، وهو إزالة العُجْمة بالنقط . وإذا قلت كتابٌ مُعْجَمٌ . فإن تعجيمه تنقيطه لكي تستبين عَجْمتُهُ وَيَضِحَ . وقالوا : حروف المُعْجَم ، فأضافوا الحروفَ إلى المُعْجَم ، فإن سأل سائل فقال : ما معنى قولنا حروف المُعْجَم ، هل المعجم صفةٌ لحروف هذه ، أو غيرُ رَصف لها ؟

قال ابن سيده في « المحكم والمحيط الأعظم » ومثله في اللسان : وإن المُعْجَم ، من قولنا : حروف المُعْجَم ، لا يجوز أن يكون صفة لحروف هذه ، من وجهين : أحدهما : أن حروفاً هذه ، لو كانت غير مضافة إلى المعجم لكانت نكرة ، والمعجم ، كما ترى معرفة ، ومحالٌ وصف النكرة بالمعرفة ، والآخر : أن الحروف مضافة ، ومحالٌ إضافة الموصوف إلى صقته ، والعلة في امتناع ذلك : أن الصفة هي الموصوف ، على قول النحويين ، في المعنى ، وإضافة الشيء إلى نفسه غير جائزة ، وإذا كانت الصفة هي الموصوف عندهم في المعنى ، لم يجوز إضافة الحروف إلى المعجم ، لأنه غير مستقيم إضافة الشيء إلى نفسه . قال : وإنما امتنع ذلك من قبل أن الغرض في الإضافة ، إنما هو التخصيص والتعريف ، والشيء لا تعرفه نفسه ، لأنه لو كان معرفة بنفسه ، لما احتججَ إلى إضافته ، وإنما يُضاف إلى غيره ليعرفه ..

وذهب محمد بن يزيد إلى أن المعجم مصدر ، بمنزلة الإعجام ، كما تقول : أدخلته 'مدخلًا' ، وأخرجته 'مخرجًا' ، أي إدخالاً وإخراجاً . وحكى الأخفش أن بعضهم قرأ : « وَمَنْ يُنِ اللّٰهُ فَمَالَهُ مِنْ مُّكْرَمٍ » (١) . بفتح الراء ، أي : من إكرام ، فكأنهم قالوا : هذه حروف الإعجام . ويرى ابن سيده ، وتابعه ابن بري في رأيه ، أن ما ذهب إليه محمد بن يزيد المبرد ، أسد وأصوب من أن 'يذهب' إلى أن قولهم «حروف المعجم» بمنزلة قولهم : صلاة الأولى ومسجد الجامع ، لأن معنى ذلك : صلاة الساعة الأولى أو الفريضة الأولى ، ومسجد اليوم الجامع ، فالأولى غير الصلاة في المعنى ، والجامع غير المسجد في المعنى ، وإنما هما صفتان 'حذِفَ مَوْصُوفَاهُمَا' ، وأقيا 'مقامتهما' ، وليس كذلك حروف المعجم ، لأنه ليس منها حروف الكلام المعجم ، ولا 'حروف اللفظ المعجم' ، وإنما المعنى أن الحروف هي المعجمة ، فصار قولنا حروف المعجم ، من باب إضافة المفعول إلى المصدر ، كقولهم : هذه مطيئة ركوب ، أي من شأنها أن 'تركب' ، وهذا سَهْمٌ نِضال ، أي من شأنه أن 'يُنَاضِلَ' به ، وكذلك حروف المعجم : أي من شأنها أن 'تُعْجِمَ' .

قال ابن فارس : والذي عندنا في ذلك أنه أريد بحروف المعجم : حروف الخط المعجم ، وهو الخط العربي ، لأننا لانعلم خطاً من الخطوط 'يعجم' هذا الإعجام حتى يدل على المعاني الكثيرة ؛ فأما أنه 'إعجام الخط' بالآشكال فهو عندنا يدخل في باب 'العض' على الشيء لأنه فيه ، فسمي إعجاماً لأنه تأثير فيه يدل على المعنى .

قال ابن سيده : فإن قيل : إن جميع هذه الحروف ليس 'معجماً' ، إنما المعجم بعضها ، ألا ترى أن الألف والحاء والذال ونحوها ليس 'معجماً' ،

فكيف استجازوا تسمية جميع هذه الحروف حروف المعجم ؟ قيل له : إنما سميت بذلك : لأن الشكل الواحد إذا اختلفت أصواته ، فأُعجمت بعضها ، وتركت بعضها ، فقد عُلِمَ أن هذا المتروك بغير إعجام ، وهو غير ذلك الذي من عادته أن يُعجم ، فقد ارتفع أيضاً بما فعلوه الإشكال والاستيهام عنها جميعاً ، ولا فَرْق بين أن يزول الاستيهام عن الحرف بإعجام عليه ، أو يقوم مقام الإعجام في الإيضاح والبيان ، ألا ترى أنك إذا أعجمت الجيم بوحدة من أسفل ، والخاء بوحدة من فوق ، وتركت الخاء عُقْلاً ، فقد عُلِمَ بإغفالها أنها ليست بوحدة من الحرفين الآخرين ، أعني الجيم والخاء ، وكذلك الدال والذال ، والصاد والضاد ، وسائر الحروف ، فلما استمرّ البيان في جميعها ، جاز تسميتها : حروف المعجم .

٣ — حروف الهجاء في المعجمات

قال أبو زيد : الهجاء : القراءة ، قلت لرجل من بني قيس : أقرأ من القرآن شيئاً ؟ فقال : والله ما أهجو منه حرفاً ، يريد ما أقرأ منه حرفاً ؛ قال : ورويت قصيدة ، فبا أهجو اليوم منها بيتين ، أي ما أروي . قال ابن فارس : الخاء والراء والقاء ثلاثة أصول : حدة الشيء ، والعدول ، وتقدير الشيء ، فأما الحد فحرف كل شيء حده ، كالسيف وغيره ، ومنه الحرف وهو الوجه ... وهَجَاءٌ إذا وقع فيه بالشعر .. والهَجَاءُ : المهاجاة . وبما شذت : هَجَاءُ الحروف ، يقال : تَهَجَّيْتُ . قال الجوهري : حرف كل شيء طرفه وشفيره وحده ، ومنه حرف الجبل ، وهو أعلاه المهدّد ، والحرف : واحد حروف التهجي . وهجوت الحروف هجواً وهجاءً وهجيتها تهجية ، وتهجيت كله بمعنى . قال ابن سيده : والهجاء تقطيع اللفظة بحروفها ، وهجوت الحروف وتهجيتها هجواً وهجاءً ، وهجيتها تهجية وتهجيت كله بمعنى .

وتقطيع الحروف على أيحد : حساب الجمل ، بتشديد الميم . قال ابن دريد : لا أحسبه عربياً . وحساب الجمل : حساب مبناء الحروف المقطعة على أيحد . كل حرف يدل على رقم من الأعداد ، آحادها ، وعشراتهما ، ومئاتهما .

٤ - حروف الهجاء العربية وترتيبها

ظهر الإسلام ، في القرن السابع للميلاد ، وعرب الحجاز شعب أمي لا يقرأ ولا يكتب ، إلا بضعة عشر رجلاً من قريش وبعض أهل المدينة ، عرفوا الكتابة بالحروف التي كانت شائعة في الأقطار العربية الأخرى كالشام والعراق واليمن^(١) ، حتى أن بعض من كان يكتب ، كان يصور حروف الكلمات العربية بصور الحروف النبطية أو السريانية ، كما كان الذين تلقوا الكتابة عن يهود يكتبون بحروف عبرية^(٢) .

وكان العرب في الأقطار التي كانت الكتابة شائعة فيها ، اقتبسوا من الأيجدية الفينيقية ترتيبها للحروف^(٣) ، ذلك الترتيب الذي ورثته عنها جميع

(١) في كتب اللغة والأدب أخبار كثيرة عن أول عهد العرب بالكتابة وبدء انتشارها بينهم ، منها ما أورده السيوطي : « قال أبو بكر ابن أبي داود في « كتاب المصاحف » قال سألت المهاجرين من أين تعلمت الكتابة ؟ قالوا تعلمنا من أهل الحيرة ، وسألنا أهل الحيرة من أين تعلمت الكتابة ؟ قالوا : من أهل الأنبار . . » انظر الزهر ج ٢ ص ١٢٥ طبعة ١٢٨٢ هـ .

(٢) انظر جرجي زيدان في كتابه « تاريخ الآداب العريسة » ج ١ ص ٢٧ و ٢٠٣ القاهرة ١٩١١ م .

(٣) الأيجدية نسبة إلى كلمة « أيجد » وهي أولى الكلمات الست : أيجد ، هوز ، حطي ، كلمن ، سفس ، قرشت ، وهي الكلمات التي جمعت فيها حروف الهجاء الفينيقية الاثنان والعشرون بترتيبها للأخذ من تسلسل الحروف في الكلمات نفسها .

الأيديات السامية الأخرى^(١) ، وكانوا يلحقون الأحرف العربية الزائدة بما يشبهها في رسمها من حروف تلك الأيديات^(٢) .

إن عدد حروف الهجاء في الأيادية الفينيقية اثنان وعشرون حرفاً هي :
أ ب ج د ، هـ و ز ، ح ط ي ، ك ل م ن ، س ع ف ص ، ق ر ش ت ،
أما الأحرف العربية الزائدة فست^(٣) هي : ث خ ذ ، ض ظ غ ، وقد ألف
العرب منها كلمتين ، أطلقوا عليهما اسم « الروادف » لأنهم أردفوها بالكلمات
الست الأولى ، وأطلق على هذه الكلمات الثمانية اسم « الأيادية العربية »^(٤)

(١) انظر René Dussaud في كتابه « Les Arabes en Syrie avant l'Islam »
ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد مصطفى زيادة ص ٥٥ القاهرة ١٩٥٩ م . وانظر
E. H. Minns في بحثه « الحروف الهجائية - أصولها وأهميتها بالنسبة للحضارة »
ترجمة عبد الحافظ م عوض في مجموعة « تاريخ العالم » ج ٢ ص ٣٦٤ القاهرة .
(٢) انظر جداول مختلف الأيديات في المصادر السابق ذكرها .

(٣) الإجماع منعقد بين علماء العربية على أن أصل حروفها ثمانية وعشرون يتألف منها
الكلام كله . انظر أحمد بن فارس في كتابه « الصحاح » ص ٧١ القاهرة ١٩١٠ م -
على أن بعض العلماء جعل حروف العربية تسعة وعشرين معتبرين الهزة حرفاً مستقلاً
عن الألف ، ومن هؤلاء الخليل والقالبي ، وقال سيبيويه مثل قولها وأضاف : وتكون
- الحروف - ستة وثلاثين حرفاً بحروف من فروع وأصلها من التسعة والعشرين الخ .
انظر « الكتاب » ج ٢ باب الإدغام ص ٤٠٤ - ونقل القافندي عن أبي الباس
البوني صاحب كتاب « أسرار الحروف » حديثاً منسوباً لـ أبي ذر الغفاري جعل
حروف العربية تسعة وعشرين عدّها معها لام ألف حرفاً واحداً - انظر صبح الأعشى
ج ٣ ص ١١ ، وهذا الحديث المنحول ورد بصيغة أخرى في مقدمة كشف
الظنون ص ٢٥ .

(٤) وم بعض علماء العربية فسجلوا اسطورة عن كلمات الأيادية ، فقال الفيروزآبادي مثلاً :
أيجد إلى قرشت وكلمن رئيسهم ملوك مدين ، ووضعوا الكتابة العربية على عدد
حروف أسمائهم هلكوا يوم القذة ٠٠٠ ثم وجدوا جدم تخذ منقطع فسموها الروادف
- انظر القاموس المحيط مادة ب ج د - وبلغ اليوم علماء آخرين فزعموا أن كلمة
أيجد عربية التجار وأصلها « أبو جاد » انظر تاج العروس مادة ب ج د - ونقل -

وإلى الحروف المقطعة لهذه الأبيدية يستند «حساب الجمل» على خلاف في ترتيبها بين العرب من أهل المشرق وأخوانهم المغاربة (١).
وكان من آثار انتشار الإسلام، أن كثرت سواد السكاتيين بين المسلمين، وفي عهد عثمان بن عفان (رض) تم جمع القرآن في مصحف واحد، بعد أن كان محفوظاً في الصدور أو مسطوراً في العُصَب واللِّخاف والأكتاف من قبل كتاب الوحي.

وكانت كتابة القرآن في أول عهدها بحروف خالية من أي إعجام أو شكل، فلما زاد اختلاط العرب بغيرهم من المسلمين فشا اللحن بينهم، فخيف على القرآن من قراءة غير العلماء له، فقام أبو الأسود الدؤلي (٢)، في زمن معاوية بن أبي سفيان، بضبط أواخر الكلام في المصاحف بالنقط، فجعل علامة الفتحة نقطة من فوق الحرف، وعلامة الكسرة نقطة من أسفله، وعلامة الضمة نقطة بين يديه، ونهج الناس هذا النهج، واستعملوا مداداً أحمر في النقط مخالفين بذلك لون الحروف.

— القلقشندي عن الجوهرية قصة آل سراسر بن مرة الذي مّمّى كل واحد من أولاده بكلمة من «أبي جاد» وهم ثمانية — كما ذكر أن الأبيدية العربية كانت تعلم في زمن عمر بن الخطاب (رض) مستهدداً بقول الأعرابي :

أتيت مهاجرين فملوني ثلاثة أسطر متابعات
وخطوا لي أبا جاد وقالوا تعلم سغصاً وقريشات

أنظر صبيح الأعشى ج ٣ ص ١٣ و ٢٣ — وانظر صحاح الجوهرية مادة م ر ر . ونقل السهلي عن أبي سعيد السرياني أن سيدييه فصل بين أبي جاد وهوز وحطي فجعلهم عربيات، وبين البواقي فجعلهم أعجميات .. واللهم أن أبا سعيد المذكور قال : إن هذه الحروف عليها يقع تعليم الخط السرياني . انظر الزهرج ٢ ص ١٢٨ .

(١) انظر مقدمة ابن خلدون « فصل علم أسرار الحروف » وانظر صبيح الأعشى ج ٣ ص ٢٢ — وانظر أيضاً Encyclopédie de l'Islam مادة Abdjad باريس ١٩١٣ .

(٢) أبو الأسود واسمه ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلي الكنتاني من قضاة التابعين، وهو مؤسس علم النحو ولد قبل الهجرة بسنة واحدة (٦٢١ م) وولي إمارة البصرة في خلافة علي وتوفي فيها سنة ٦٩ هـ (٦٨٨ م) انظر ترجمته في أعلام الزركلي ج ٣ ص ٣٤٠ .

وإذا كان من شأن عمل أبي الأسود أن يحول دون اللحن الناشئ عما نسميه اليوم الجهل بالإعراب ، فإنه ما كان ليحول دون تحريف الكلم ، نظراً لتشابه كثير من حروف العربية في رسمها ، فالجيم كانت تلتبس على القاريء بالحاء أو بالحاء ، والدال بالذال ، والراء بالزاي ، والسين بالشين ، والامين بالعين ، وكان ممن انتبه إلى هذا الأمر وخشي منغيبته ، الحجاج بن يوسف الثقفي (١) ، أمير العراق في خلافة عبد الملك بن مروان (٢) ، قال ابن خلكان (٣) : وحكى أبو أحمد العسكري (٤) في كتاب « التصحيف » أن الناس غيروا (٥) وقرأون في مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه نيفاً وأربعين سنة إلى أيام عبد الملك بن مروان ثم كثر التصحيف وانتشر بالعراق ففزع الحجاج بن يوسف إلى كتابه ، وسألهم أن يضعوا لهذه الحروف المشتبهة علامات ، فيقال إن نصر بن عاصم (٦) قام بذلك ، فوضع النقط افراداً وأزواجاً ، وخالف بين أماكنها ، فغير (٥) الناس بذلك زماناً لا يكتبون إلا منقوطاً ، فكان

- (١) الحجاج الثقفي أحد دماء العرب ولد في الطائف سنة ٤٠ هـ (٦٦٠ م) ولاء عبد الملك بن مروان إمارة العراق فثبت له الملك ، توفي في واسط سنة ٩٥ هـ (٧١٤ م) انظر ترجمته في أعلام الزركلي ج ٢ ص ١٧٥ .
- (٢) عبد الملك بن مروان خامس خلفاء بني أمية وهو من أعظمهم ودهائم وفي أيامه حرب الدواوين وانجبت الحروف وصكت الدنانير . ولد سنة ٢٦ هـ (٦٤٦ م) وتوفي في دمشق سنة ٨٦ هـ (٧٠٥ م) انظر ترجمته في أعلام الزركلي ج ٤ ص ٣١٢ .
- (٣) أحمد بن محمد بن خالد كان للورخ الحجة صاحب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، وهو أشهر كتب التراجم ومن أحسنها ضبطاً واحكاماً . توفي في دمشق سنة ٦٨١ هـ (١٢٨٢ م) انظر ترجمته في أعلام الزركلي ج ١ ص ٢١٢ .
- (٤) الحسن بن عبد الله العسكري من أئمة الأئمة ولد سنة ٢٩٣ هـ (٩٠٦ م) وتوفي سنة ٣٨٢ هـ (٩٩٣ م) انظر ترجمته في أعلام الزركلي ج ٢ ص ٢١١ .
- (٥) غير كنهه مكث وبقي ومضى . وقد حقق هذه الكلمة فريد رفاعي في طبعته لوفيات الأعيان ج ٤ ص ٥٤ وفي طبعة سنة ١٢٩٩ هـ وما نقل عنها وردت كلمة عبر بين مهمة تصحيفاً - انظر ترجمة الحجاج بن يوسف الثقفي ج ١ ص ١٥٥ .
- (٦) نصر بن عاصم الليثي ترجم له ياقوت في ارشاد الأريب فقال : « كان فقيماً عالماً بالعربية ، من فقهاء التابعين ، وكان يُسند إلى أنه الأسود الدؤلي في القرآن والنحو مات بالبصرة سنة تسع وثمانين وقليل سنة تسعين » انظر معجم الأدباء ج ١٩ ص ٢٢٤ .

مع استعمال النقط أيضاً يقع التصحيف ، فأحدثوا الإعجام ، فكانوا يتبعون النقط الإعجام .. (١) .

أما ما صنعه نصر بن عاصم ، فهو أنه أخذ من كلمة « أيحد » حرفها الأولين ، وألحق بثانيتها كلا من التاء والثاء ، لتشابه رسمها مع رسم الباء ، معجها الباء بنقطة من تحتها ، والتاء باثنتين من فوقها ، والثاء بثلاث نقط من فوقها أيضاً ، ثم عاد نصر إلى كلمة « أيحد » فأخذ الجيم ووضعها بعد الثاء ثم ألحق بها كلا من الحاء والخاء لتشابهها في الرسم ، معجها الجيم بنقطة من تحتها ، والخاء بواحدة من فوقها ، تاركاً الحاء مهملة بين شبيهتيها بحكم التناظر ، ثم وضع بعدها دال « أيحد » مهملة وألحق بها الدال بعد أن أعجمها بنقطة من فوقها ، وهكذا أنهى ترتيب تسعة أحرف من حروف الهجاء .

ثم نظر نصر في كلمة « هوز » ثاني كلمات الأيحدية ، فوجد أن كلا من الهاء والواو حرف منفرد في رسمه ولا مثيل له بين حروف العربية فأخبرهما ، واثبت الزاي في ترتيبه الجديد ، بعد أن أعجمها بواحدة من فوقها ، وجعل الراء ، وهي قائل الزاي في الرسم ، مهملة وتسبق شبيهتها المعجمة في الترتيب ، وذلك اتباعاً لترتيب كل من الدال والذال ، وقبلهما الحاء والخاء .

(١) في كلام ابن خلكان التبار بين النقط والإعجام ، فالنقط كان من عمل أبي الأسود الدؤلي ، والإعجام كان عمل نصر بن عاصم ، وأما ما صنع بعد نصر فهو الشكل ، وفي أصح الأقوال أن الخليل بن أحمد لم يستعمل النقط للدلالة على حركات الإعراب ، إنما استعمل الشكل بصور تدل على الحركة الصوتية للحرف ، فاختصر من الألف الفتنحة بشكلها القائم ، ومن الواو الضمة ، ومن الياء الكسرة ، أما العلامات الأخرى ، كاللدة والوصلة والشدّة ، فقد وضعت في العصر العباسي . انظر وقارن : جرجي زيدان في « تاريخ التمدن الإسلامي » ج ٣ ص ٦٠ طبعة جديدة - الزيات في « تاريخ الأدب العربي » ص ١٥٢ القاهرة ١٩٣٠ .

وكان ارداف كل من الحاء والذال والراء بشبيهه المعجم ، جعل نصراً يلزم نفسه بهذا النهج في ترتيب الحروف الباقية ، فيتبع كل مهمل من الحروف بشبيهه المعجم ، لأن ذلك أدعى إلى زيادة التناسق في الترتيب والجمال في تلاؤم الجوار ؛ وهكذا اختار نصر بما تبقى من حروف العربية ما له نظير في الرسم ، فكانت لديه كل من : السين والصاد والطاء والعين فألحقها بهذا الترتيب بحرف الزاي مردفاً كل حرف منها بما يشبهه بعد أن أعجمه تمييزاً له عن المهمل ، وقد أعجم الشين بثلاث نقط مجتمعات من فوقها ، خوفاً من التباس أحد أسناتها بحرف آخر إذا ما أعجمها بواحدة أو باثنتين ، وأعجم الضاد بواحدة من فوقها ، وكذلك أعجم الظاء والغين ، ثم ألحق بالغين الفاء والقاف معجماً القاف باثنتين من فوقها بعد أن رأى ضرورة اعجام للفاء بواحدة خوفاً من التباسها باليم إذا ما توسطتا في كلمة من الكلمات . وانتهى الترتيب بنصر بن عاصم إلى أحرف « كلن » فوضعها متلاحقة كما هي ، بعد أن أعجم النون بواحدة من فوقها ، حتى لا تلتبس بمثل الباء أو التاء ، ثم ختم ترتيبه لحروف العربية بالباقي منها وهي : الهاء والواو والياء ، بعد أن أعجم الياء بتقطتين من تحتها ، خوفاً من التباسها بالباء أو بالتاء أو بالنون إذا ما توسطت الكلمة .

وإذا كان المعجم العربي مديناً لنصر بن عاصم بترتيب حروفه إلى يومنا هذا ، فلا بد من الإشارة إلى أن ترتيبه لم ينتشر إلا في أواخر القرن الثاني للهجرة (١) وكان لأبي عمرو الشيباني المتوفى سنة ٣٠٦ هـ (٨٢١ م)

(١) إن تأخر انتشار ترتيب نصر كان - في رأينا - بسبب طبيعة للعاصرة عند الناس ، وهذا الحليل بن أحمد - علي ما يبدو لنا - لم يلبأ إل اختراع ترتيب الحروف بحسب مخارجها ، وهو البصري الفذ ، إلا ليمتد عن الأخذ بترتيب عرف ماصروه مبتدعه نصراً ، وكان هذه الطبيعة نفسها ، هي التي دفعت علماء الأندلس لخفاقة ترتيب نصر لحروف الهجاء ، كما دفعتهم لتغيير نقط الإعجام في بعض الحروف . إذ جعلوها تحت الحرف لا فوقه .

الفضل في دعم انتشار ترتيب نصر للألف باء العربية^(١) ، بتأليفه أول معجم بالترتيب نفسه^(٢) ، كما لا بد لنا من الإشارة إلى أن ترتيب نصر لم ينتشر في الأندلس والمغرب العربي ، إذ وجد هناك ترتيب لحروف الهجاء العربية يختلف بعض الاختلاف عن ترتيبها في المشرق ، كما هو الحال في اختلاف ترتيب حروف كلمات الأبيدية^(٣) .

هذا وقد وضعنا جدولاً خاصاً بالحروف العربية ، بينا فيه موضع كل حرف في أي نهج عرف في مشرق البلاد العربية وفي مغربها ، وقيمة كل حرف في حساب الجُمَّل .

(١) « الألف باء » اصطلاح عمّ جميع اللغات التي تتصل حروف كتابتها بنسب إلى الأبجدية الفينيقية ، وذلك للدلالة على حروف الهجاء جميعها ، وهذا الاصطلاح مركب من اسمي الحرفين الأولين من حروف الأبجدية ، وكثير من كتاب العصر الحديث يكتبون هذا المصطلح موصولاً فيقولون « الألفباء » وكان ابن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨ هـ (١٤٠٦ م) سابقاً إلى استعمال هذا المصطلح متصلاً تعريباً عن الإغريقية ، فذكر عند كلامه على أسرار الحروف قوله : « إذا أردت أن تعلم قوة كل حرف من حروف الفايطوس ، أعني أبجد إلى آخر العدد .. » انظر المقدمة ص ٨٧ طبعة القاهرة سنة ١٣٢٧ هـ .

(٢) يبدو أن ترتيب حروف الهجاء العربية ، من قبل أمثال الخليل وسيبويه وغيرهما ، ظل يناقش ترتيب نصر بن عاصم بنسب النافسة لعدة قرون ، بدليل أن الزنجشيري المتوفى سنة ٥٣٨ هـ (١١٤٤ م) وهو الذي أخذ بترتيب عاصم مثبناً عليه ، قال في مقدمته لأساس البلاغة : « وقد رتب الكتاب على أشهر ترتيب متداول ، وأسهل متاولا » .

(٣) انظر ص ١٩٤ وللصادر المذكورة في الهامش رقم ١ . هذا وإن الفلثندي عند كلامه على ترتيب الحروف يذكر أن ترتيبها على ضربين : مفرد ومزدوج ، وهو يقصد بالمفرد الترتيب الذي نسميه اليوم « ترتيب الألف باء » أما للمزدوج فهو ما نسميه « الترتيب الأبجدي » انظر صبح الأعشى ج ٣ ص ٢٢ .

حروف المعجم وترتيبها

الترتيب	المعجمية عند بسم الله الرحمن الرحيم	المعجمية بعد الماقه الزوائد العربية بأشغالها	أبجدية حروف الهجاء العربية		حروف المعجم كأرتبها فصل بين عاصم	ترتيب الحروف بحسب حاجتها			الحروف كأشغالها في الأندلس
			عند المشاركة	في حساب المثل		عند المائل	عند سبيرة	عند العالي	
١	أ	أ	أ	أ	أ	ع	ع/أ	ه	أ
٢	ب	ب	ب	ب	ب	ح	ه	ح	ب
٣	ج	ج	ج	ج	ت	ه	ع	ع	ت
٤	د	د	د	د	ث	خ	ح	خ	ث
٥	ه	ذ	ه	ه	ج	غ	ع	غ	ج
٦	و	ه	و	و	ح	ق	خ	ق	ح
٧	ز	و	ز	ز	خ	ك	ق	ك	خ
٨	ح	ز	ح	ح	د	ج	ك	ض	د
٩	ط	ح	ط	ط	ذ	ش	ج	ج	ذ
١٠	ي	خ	ي	ي	ر	ض	ش	ش	ر
١١	ك	ط	ك	ك	ز	ص	ي	ل	ز
١٢	ل	ظ	ل	ل	س	س	ض	ر	ط
١٣	م	ي	م	م	ش	ز	ل	ن	ظ
١٤	ن	ك	ن	ن	ص	ط	ن	ط	ك
١٥	س	ل	س	ص	ض	ت	ر	د	ل
١٦	ع	م	ع	ع	ط	د	ط	ت	م
١٧	ف	ن	ف	ف	ظ	ظ	د	ص	ن
١٨	ص	س	ص	ض	ع	ذ	ت	ز	ص
١٩	ق	ع	ق	ق	غ	ث	ز	س	ض
٢٠	ر	غ	ر	ر	ف	ر	س	ظ	ع
٢١	ش	ف	ش	س	ق	ل	ص	ذ	غ
٢٢	ت	ص	ت	ت	ك	ن	ظ	ث	ف
٢٣	.	ض	ث	ث	ل	ف	ذ	ف	ق
٢٤	.	ق	خ	خ	م	ب	ث	ب	س
٢٥	.	ر	ذ	ذ	ن	م	ف	م	ش
٢٦	.	ش	ض	ظ	ه	ء/ي	ب	و	ه
٢٧	.	ت	ظ	غ	و	و	م	أ	و
٢٨	.	ث	غ	ش	ي	أ	و	ي/ء	ي

٥ - المعجم في الاصطلاح

كان علماء العربية الأوائل ، يصفون هذا الخط العربي الذي نكتب به ، بأنه « معجم » لأنه لا يبين إلا بالإعجام تنقيطاً وشكلاً ، وكانوا إذا ما أضافوا كلمة « معجم » إلى الحروف ، اعتبروا الكلمة صفة لموصوف محذوف هو « الخط » وأرادوا من التركيب الإضافي لهاتين الكلمتين : حروف العربية المرتبة ترتيبها المشهور ، ثم أخذ بعض العلماء من المؤلفين ، يرون في ترتيب الحروف نهجاً يمكن التزامه في عرضهم للمعلومات التي يريدون قدوينها ، فيسجلون بذلك الرجوع إليها ، إذ يكتفي المراجع بالنظر في المعلومات المدونة في الفصل المعقود للحرف الذي تبتدىء به الكلمة الدالة على الموضوع ، ويكون هذا في الموضوعات التي يمكن ترتيبها تبعاً للحرف الذي تبتدىء به أول كلمة في الموضوع أو أي كلمة أخرى تدل عليه ، كما في ترتيب الأحاديث النبوية ، أو تراجم الرجال من صحابة وعلماء وشيوخ ، أو كما في تقويم البلدان والأمصار .

وكان أن أطلق أحد العلماء على كتاب ألفه بترتيب المعجم ، أو كان أن أطلق بهض الناس على كتاب مؤلف بحسب النهج المذكور ، اسم « المعجم » اصطلاحاً ، ثم شاع هذا الاسم وانتشر ، وأصبح كل كتاب رقبت المعلومات فيه بترتيب حروف الهجاء يسمى عند الناس « معجماً » . وإذا كان من غير الممكن معرفة أول من أطلق كلمة « معجم » على الاصطلاح المذكور ، ولا أول كتاب سمي « معجماً » فيكاد يكون من المتفق عليه ، أن رجال الحديث هم الأوائل الذين ألفوا الكتب بترتيب حروف الهجاء ، وكان الإمام البخاري

وقيل إن الإمام البخاري كان نفسه أول من أطلق لفظة « معجم » وصفاً
لأحد كتبه المرتبة على حروف المعجم^(٣).

ومن أوائل المؤلفات ، التي وصل خبرها إلينا ، وهي تحمل اسم « معجم »
كتاب أبي القاسم عبد الله بن محمد البغوي^(٤) ، واسمه « معجم الحديث »
وقيل إن البغوي نفسه ألف كتاباً آخر باسم « معجم الصحابة » كما أن
أبا بكر محمد بن الحسن النقاش^(٥) ، ألف معجماً كبيراً في أسماء القراء ،
واختصره في معجم صغير ، وألف إبراهيم بن أحمد البلخي المعروف بالمستمل^(٦)
معجماً للشيوخ ، ووضع أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني^(٧) ، معجماً

(١) الإمام محمد بن اسماعيل البخاري ، ولد سنة ١٩٤ للهجرة (٨١٠ م) وتوفي سنة ٢٥٦ هـ (٨٧٠ م) انظر أعلام الزركلي : ج ٦ ص ٢٥٨ .

(۲) انظر التاريخ الكبير ص ۱۱ طبعه حیدرآباد الدکن سنة ۱۳۶۱ھ.

(٣) انظر احمد عبد الفتور عطار في « الصحاح ومدارس المعجمات العربية » ص ٥٣ .
القاهرة ١٩٥٦ م .

(٤) توفي في بغداد سنة ٣١٧ هـ (٩٢٩ م) انظر أعلام الزركلي ج ٤ ص ٢٦٣ .

(٥) توفي سنة ٣٥١ هـ (١٩٦٢ م) انظر الأعلام ٣١٠/٦ .

(٦) توفي سنة ٣٧٦ هـ (٩٨٦ م) انظر الأعلام ١/ ٢٣ .

(٧) توفي سنة ١٣٨٤ هـ (١٩٦٤ م) انظر الأعلام ٢١٠/٧ .

للشعراء ، ذكر فيه اسم نحو من خمسة آلاف شاعر رقب أسماءهم بترتيب حروف المعجم .

وشاعت بعد ذلك تسمية الكتب المرتبة على حروف الهجاء بالمعجمات ، حتى أن واحداً من علماء القرن الخامس للهجرة ، وهو علي بن الحسن المشهور بابن عساكر^(١) ، أطلق على عديد من مؤلفاته اسم « معجم » فمن معجم للصحابة ومعجم للشيوخ ، إلى معجم للنسوان ورابع لأسماء القرى والأمصار .

وقتالي بعد القرن الرابع للهجرة تأليف المعاجم في أغراض علمية شتى ، حتى يكاد يكون حصر ما ألف منها من الصعوبة بمكان كبير ، على أن علماء العربية الذين ابتدعوا فكرة « المعجم » ودوتوا مفردات اللغة في المعجمات العديدة التي ألفوها ، لم يطلق أي واحد منهم على مؤلفه اسم « معجم » بل اختار كل واحد اسماً خاصاً بمعجمه فمثلاً :

- أطلق الخليل على معجمه اسم « العين » ،
- وأطلق الشيباني على معجمه اسم « الحروف » ،
- وأطلق ابن دريد على معجمه اسم « الجهرة » ،
- وأطلق القسالي على معجمه اسم « البارع » ،
- وأطلق الأزهرى على معجمه اسم « تهذيب اللغة » ،
- وأطلق الجوهري على معجمه اسم « الصحاح » ،
- وأطلق الأزدي على معجمه اسم « المنجد » ،
- وأطلق ابن منظور على معجمه اسم « لسان العرب » ،
- وأطلق الفيروز آبادي على معجمه اسم « القاموس المحيط » .

(١) توفي سنة ٥٧١ هـ (١١٧٦ م) انظر الأعلام ٨٢/٥ .

٦ - بناء المعجم العربي

إذا كانت كلمة «معجم» تطلق اليوم على : كل ديوان يجمع مفردات اللغة ومرتب على حروف الهجاء ، فإننا نهدف من قولنا « المعجم العربي » : مجموع الثروة العظيمة التي خلفها علماء العربية ، على مدى العصور ، فحفظوا لنا بها لغة العرب ، لغة القرآن الكريم ، اللغة التي نفخر بها ونعتز .

لقد ابتدأت الأبحاث اللغوية ، في القرن الأول للهجرة ، مستهدفة تفسير غريب القرآن ومشكله ، وغريب الحديث ، وغريب ما ورد في الشعر العربي ونوادره ، وكان أن فكر رجل من نوابغ العرب ، هو الخليل بن أحمد الفراهيدي^(١) ، في أسلوب يؤدي إلى جمع العربية وتدوينها بين دفتي كتاب ، ووضع نهجاً يقوم على قواعد رياضية بحتة ، إذا ما طبقت ، أمكن إيجاد معجم يحفل بالفاظ اللغة العربية بأمرها .

وقام كثير من العلماء منذ القرن الأول للهجرة وحتى القرن الثاني عشر ، يبحثون ويؤلفون ويجمعون ، فجمع بعضهم غريب اللغة ونوادرها ، وجمع آخرون ما يذكر ويؤنث أو ما يفرد ويثنى ويجمع من كلماتها ، وقام البعض بجمع كل ما يتصل بصفات الإنسان ، أو يتصل بالحيوان أو بالنبات ، أو بالمطر والأنواء وما شابه ذلك ، كما قام آخرون بالتأليف في الطبقات أو بالمواضع والبلدان ، وهناك من بحث الاشتقاق في اللغة ، أو جمع المترادف أو المتشابه ، أو عنى بما يُلحق فيه أو بالمعرب والدخيل ، ومن العلماء من قام بجمع مفردات اللغة ، وبيان معانيها ، مرتباً إياها بترتيب حروف الهجاء ، أو

(١) انظر « قصة عبقرى » ليوسف الش في سلسلة إقرأ ١٩٤٦ م - وله أيضاً « أولية

تدوين اللعاجم » في مجلة المجمع العلمي العربي المجلد ١٦ دمشق ١٩٤١ .

بترتيب مخارجها ، كما فعل الخليل بن أحمد ، وهؤلاء هم رواد المعجم العربي الأوائل ، وتكاد الإحاطة بكل ما ألفه علماء العربية في اللغة ، تكون مستحيلة ، لكثرة تلك المؤلفات ، وضياع قسم كبير منها ، ولأن بعضها لم يصل إلينا كاملاً ، أو لم يصل إلينا منه غير خبرد أو اسمه ، وغير ما استفاده منه من اطلع عليه من المؤلفين السابقين ، دون أن يشير فيما ألفه إلى المصدر الذي استقى منه العلم الذي تركه لنا .

وإذا كان مؤلفو المعجمات الأول ، هم بلا منازع رواد المعجم العربي ، الذين وضعوا أسسه والقواعد التي يقوم عليها ، فإن بناء المعجم العربي ، هم في الحقيقة ، جميع أولئك العلماء الذين كتبوا وألفوا في أي ناحية من نواحي اللغة ، أو ساعدوا غيرهم في ذلك بالنقل أو الرواية أو بالحشية أو بالتعليق ، أو بشرح بعض المسائل اللغوية أو بالاستدراك على من سبقهم من المؤلفين .

إن ثروتنا من كتب اللغة ، على اختلاف موضوعاتها والهدف منها وأسلوبها ، إنما تؤلف وحدة ، كل كتاب منها بحسب قيمته ، يعتبر لبنة أو حجراً أو زاوية أو عموداً أو دعامة في بناء المعجم العربي ، وبناء هذا المعجم ، هم جميع الذين اشتركوا في إقامة هذا الصرح العربي الضخم ، وسندكر أشهر من عرفنا منهم في جداول تتضمن موجزاً في التعريف بكل واحد منهم ، وأهم معطياته للمعجم العربي .

كما أننا سنضع لأمهات المعاجم العربية وأشهرها ، جدولاً مستقلاً ، يتضمن تعريفاً مقتضباً لكل منها ، مع بيان النهج الذي اختاره المؤلف أو امتاز به .

أشهر المشتريين في بناء المعجم العربي

١

العصر	الشهرة	الاسم الكامل	الولاية	الوفاء	مطياته ومعجمه وألفه مؤلفاته اللغوية	مراجيع معجمية ترجمته
القرن الأول	الليث	نصر بن عاصم	٢٢	٨٩ هـ	ترتيب حروف النجاء	الأدباء ١٩/٢٤٤
القرن الثاني الهجري	أبو مالك الأعرابي	عمرو بن كركرة النخعي	٢٢	٢٢	خبر الإنسان . الخيل . النوار .	البغية ٢/٢٦٧
	أبراهيم	الأعرابي المدوني	٢٢	٢٢	الحشرات .	الفرست ١/٤٥٦
	أبو عمرو	زياد بن علاوة النخعي	٧٠ هـ	١٥٤ هـ	النوار	الأعلام ٣٠/٧٢٠
	الحليل	بن أحمد القرظي	١٠٠ هـ	١٧٠ هـ	العين معاني الحروف . النقط والسق .	الأعلام ٢/٢٦٣
	الليث	بن القفر الخزاعي أبو شام	٢٢	١٨٠ هـ	اتحاد العين	الأدباء ١٧/٤٣٦
	يونس النخعي	ابن هبيب الضبي	٩٤ هـ	١٨٢ هـ	معاني القرآن . الملفات .	الأعلام ٦/٢٤٤
القرن الثالث الهجري	الكسايف	علي بن حمزة الأزدي أبو حسن	١١٩ هـ	١٨٩ هـ	معاني القرآن . المصادر . الحروف . ما تيسر في العامة	الأعلام ٥/٩٣
	النضر	بن شبل النخعي أبو الحسن	١٢٢ هـ	٢٠٣ هـ	الصفات . السامع . غريب الحديث .	الأعلام ٨/٣٥٧
	أبو عمرو	أشيا بن إسحاق بن رار	٩٤ هـ	٢٠٦ هـ	الحروف غريب الحديث . الغلة . الدبل . القيل .	الأعلام ١/٢٨٩
	القرا	يحيى بن زياد الشامي أبو نيرة	١٤٤ هـ	٢٠٧ هـ	معاني القرآن . اللغات . ما تيسر في العامة . مشكل اللفظ .	الأعلام ٩/١٧٨
	الحماني	علي بن حازم أبو الحسن	٢٢	٢٠٧ هـ	النوار	معجم المؤلفين ٧/٥٦
	أبو عبيدة	معم بن المشتي النخعي	١١٠ هـ	٢٠٩ هـ	ما تيسر في العامة . الإنسان . الزرع . النوار .	الأعلام ٨/١٩١
	أبو زيد	الأصمعي سعيد بن أسد	١١٩ هـ	٢١٥ هـ	النوار . المطر . المياه . خلاء الإنسان .	الأعلام ٣/١٤٤
	الأخفش الأوسط	سعيد بن سعيد الجعفي أبو الحسن	٢٢	٢١٥ هـ	تفسير معاني القرآن . الاستقاه .	الأعلام ٣/١٥٤
	الأصمعي	عبد الملك بن قيس أبو سعيد	١٢٢ هـ	٢١٦ هـ	غريب الحديث . الدبل . الأضداد . النمل . الإنسان .	الأعلام ٤/٣٠٨
	ابن سلام	القاسم الهروي أبو سعيد	١٥٧ هـ	٢٢٤ هـ	الغريب المصنف غريب القرآن . غريب الحديث . الأضداد .	الأعلام ٦/١٠
	أبو سحر	الأعرابي عبد الوهاب بن حمزة	٢٢	٢٢٨ هـ	النوار . الغريب .	معجم المؤلفين ٦/٢٦٨
	ابن الأعرابي	محمد بن زياد أبو عبد الله	١٥٠ هـ	٢٣١ هـ	أسماء الخيل . البشر . النوار . الدرع .	الأعلام ٦/٣٦٥
	الباقلي	أحمد بن حاتم أبو نصر	٢٢	٢٣١ هـ	اشتقاق الأسماء . ما تيسر في العامة . الزرع والنخل .	الأعلام ١/١٠٤
	ابن السكيت	يغوث بن أسحق أبو يوسف	١٨٦ هـ	٢٤٤ هـ	ألفاظ النبات والتعبير .	الأعلام ٩/٢٥٥
	ابن هبيب	محمد البغدادي أبو جعفر	٢٢	٢٤٥ هـ	المطر . خلاء الإنسان . النخلة . الأضداد على أفضل .	الأعلام ٦/٣٠٧
	السجستاني	سهل بن محمد النخعي أبو حاتم	٢٢	٢٤٨ هـ	ما تيسر في العامة . النور والنبات . الأضداد . المطر .	الأعلام ٣/٢١٠
	أبو اسحاق	أبو القيس بن سفيان الزبيري	٢٢	٢٤٩ هـ	أسماء السحاب . الرياح والأطوار .	الأعلام ١/٣٤
	المازني	يحيى بن محمد أبو عثمان	٢٢	٢٤٩ هـ	ما تيسر في العامة .	الأعلام ٣/٤٤
	الهرودي	شمر بن محمد أبو عمرو	٢٢	٢٥٥ هـ	الرجيم غريب الحديث . السلاح . الجبال والأودية .	الأعلام ٣/٢٥٢
	ابن قسيبة	عبد الله بن مسلم الديلمي	٢١٣ هـ	٢٧٦ هـ	غريب الحديث . الاشتقاق . مشكل القرآن . النبات .	الأعلام ٤/٢٨٠
	الديلمي	أحمد بن زياد أبو حنيفة	٢٢	٢٨٢ هـ	النبات . ما تيسر في العامة . اصطلح المصنف .	الأعلام ١/١١٩
	المبرد	محمد بن يزيد الأزدي أبو عباس	٢١٠ هـ	٢٨٦ هـ	الكامل . القدر والزمن . أعراب القرآن . المختص .	الأعلام ٨/١٥
	نعلب	أحمد بن يحيى الشيرازي أبو عباس	٢١٠ هـ	٢٩١ هـ	المعجم . المانوس . معاني القرآن . معاني الشعر .	الأعلام ١/٢٥٢

أشهر المسترئين في بناء المعجم العربي

٢

العصر	الشهرة	الاسم الكامل	الولادة	الوفاة	مضياته لتعميم وأهم مؤلفاته اللغوية	مجموع ترجمته
القرن الرابع الهجري	كراع النمل	علي بن الحسن الهنائي أبوالحسن	٢٢٩ هـ	٩٢١ هـ	المنجد - المنفرد - المورد - غريب اللغة -	الأعداد ٧٩/٥
	الأخفش الأصغر	علي بن سليمان النخعي أبوالحسن	٢٣٥ هـ	٩٢٧ هـ	المهذب - الأنداء - التثنية والجمع -	الأعداد ١٠٣/٥
	الهمذاني	عبد الرحمن بن عيسى	٢٣٥ هـ	٩٣٣ هـ	الألفاظ اللغوية -	مجموع المؤلفات ١٦٣/٥
	ابن دريد	محمد بن الحسن الأزدي أبوبكر	٢٣٢ هـ	٩٣٢ هـ	الاجمعة - الاشتقاق - الملاصق - السراج والجام -	الأعداد ٣١٠/٦
	نفسويه	أبراهيم بن محمد الأزدي أبوعبد الله	٢٤٤ هـ	٩٥٨ هـ	غريب القرآن -	الأعداد ٥٧/١
	الأنباري	محمد بن القاسم أبوبكر	٢٧١ هـ	٩٤٠ هـ	الزاهر - الأنداء - غريب الحديث - شرح المطلقات -	الأعداد ٢٢٦/٧
	قدامة	برمجة بن عبد الله أبوالزنج	٢٣٧ هـ	٩٤٨ هـ	جواهر الألفاظ -	الأعداد ٣١/٦
	الزجاجي	عبد الرحمن بن يحيى أبوالقاسم	٢٣٧ هـ	٩٤٩ هـ	الديوان والحقائق والنظام - الأملج -	الأعداد ٦٩/٤
	غلام تغلب	محمد بن عبد الواسع أبوعمر	٢٦١ هـ	٩٥٧ هـ	البواقي في غريب القرآن - غريب الحديث -	الأعداد ١٢٢/٧
	البستي	أحمد بن محمد الخازن فني	٢٤٨ هـ	٩٥٩ هـ	تكملة العين -	الأعداد ٢٠٠/١
	الفارابي	اسحق بن إبراهيم أبوالقاسم	٢٥٠ هـ	٩٦١ هـ	ديوان الأدب -	الأعداد ٢٨٤/١
	أبو الطيب	النوفلي بن عبد الواسع بن علي	٢٥١ هـ	٩٦٢ هـ	الأنباء - التثنية - الديوان - الأنداء - المفرد -	الأعداد ٣٢٥/٤
	الأصمعي	علي بن الحسين الأزدي أبوالفرج	٢٨٤ هـ	٩٦٧ هـ	الأغاني -	الأعداد ٨٨/٥
	القالي	إسماعيل بن القاسم البغدادي	٢٨٨ هـ	٩٦٧ هـ	البارع - الأمالي - المورد والمفرد - الدليل -	الأعداد ٣١٩/١
	الأزهري	محمد بن أحمد الهروي أبومعمر	٢٨٢ هـ	٩٨٥ هـ	تهذيب اللغة - غريب الألفاظ -	الأعداد ٢٠٢/٦
	علي أبو القاسم	أبرهة بن الصخر البصري اللغوي	٢٧٥ هـ	٩٨٥ هـ	التبصير على أغصان الرواة - رد على من ادعى الفصح -	الأعداد ٩٤/٥
	الزبيدي	محمد بن الحسن الأندلسي أبوبكر	٢٧٩ هـ	٩٨٩ هـ	مختصر العين - فن العامة -	الأعداد ٣١٢/٦
	العسكري	الحسن بن عبد الله أبوالقاسم	٢٨٢ هـ	٩٩٣ هـ	تصنيفات الحديث - الاختلاف والمؤلف -	الأعداد ٢١١/٢
	الرقاطي	علي بن عيسى أبوالحسن	٢٨٤ هـ	٩٩٤ هـ	الألفاظ المترادفة -	الأعداد ١٣٤/٥
	الصاحب	بن عباد إسماعيل أبوالقاسم	٢٨٥ هـ	٩٩٥ هـ	المحيط - جوهرة المعرفة -	الأعداد ٣١٢/١
	ابن جني	عثمان بن علي أبوخزعة	٢٩٢ هـ	١٠٠٢ هـ	الخصائص - من الصناعة -	الأعداد ٢٦٤/٤
	الجوهري	إسماعيل بن حماد أبومعمر	٢٩٢ هـ	١٠٠٣ هـ	الصحاح -	الأعداد ٣٠٩/١
	ابن فارس	أحمد بن زكريا القزويني أبوالحسن	٢٩٥ هـ	١٠٠٤ هـ	مقاييس اللغة - المعجم - الصحاح - الفصح - فقه اللغة -	الأعداد ١٨٤/١
	العسكري	الحسن بن عبد الله أبوالحسن	٢٩٥ هـ	١٠٠٥ هـ	الفرد - أسماء بقايا الأسماء - ما تضمن فيه الخاصة -	الأعداد ٢١١/٢
	البرصاني	محمد بن قيس أبوالقاسم	٢٩٧ هـ	١٠٠٧ هـ	المتن في اللغة - ترتيب الصحاح بحسب أوائل الكلمة -	مجموع المؤلفات ٢٨/٩
القرن الخامس الهجري	الهروي	أحمد بن محمد أبوعبيد	٤٠١ هـ	١٠١١ هـ	غريب القرآن - غريب الحديث -	الأعداد ٢٠٣/١
	الاسكافي	محمد بن عبد الله الخطيب	٤٢٠ هـ	١٠٢٩ هـ	غلط العين - مبادئ اللغة -	الأعداد ١٠٢/٧
	التمالي	عبد الملك بن محمد أبومعمر	٤٢٩ هـ	١٠٣٨ هـ	فقه اللغة - التشابه - المقادير والنسب -	الأعداد ١١/٤
	ابن التياتي	تمام بن غالب الأندلسي	٤٣٦ هـ	١٠٤٤ هـ	الموعب -	الأعداد ٧٠/٢
	ابن سيده	علي بن إسماعيل أبوالحسن	٤٥٨ هـ	١٠٦٦ هـ	المحكم والمفرد العظيم - مختصر - شرح أشكال شعر المتنبي -	الأعداد ١٩/٥

القرن الرابع الهجري

القرن الخامس الهجري

أشهر المشتركين في بناء المعجم العربي

العصر	الشهرة	الاسم الكامل	الولادة	الوفاة	مطبائاته للمعجم وأهم مؤلفاته المفردية	مراجع محكي لترجمته
القرن السادس الهجري	الراغب الأصفهاني	حسن بن محمد أبو القاسم	١١٠٨ هـ	١١٠٢ هـ	المفردات في غريب القرآن . تحقيق البيان .	الأعلام ٢٧٩/٢
	التبريزي	يحيى بن علي التبريزي أبو زكريا	١١٠٣ هـ	١١٠٨ هـ	تهذيب إصباح المنظر . تهذيب الألفاظ الأدبية	البغية ٤١٣/٢
	الحميري	نشران بن سعيد	١١٧٨ هـ	١١١٣ هـ	شعر المعلوم .	الأعلام ٣٣٦/٨
	ابن القطاع	علي بن جعفر السعدي أبو القاسم	١١٠٤ هـ	١١٢٣ هـ	التهذيب والإيضاح عماد في كتاب الصحاح . تهذيب الأدبية والألفاظ .	مجموع المؤلفين ٥٢٧/٧
	الحريري	القاسم بن علي أبي بصير أبو محمد	١١٠٤ هـ	١١٢٣ هـ	مقامات أبي زيد . درة الغواص في أوهم الخواص .	الأعلام ١٢/٦
	البطليوسي	عبد الله بن محمد أبو محمد	١١٠٥ هـ	١١٢٧ هـ	الثلث . الاقتصار .	الأعلام ٣٦٨/٤
	ابن الأشتري	محمد بن يوسف التميمي أبو علي	١١٤٣ هـ	١١٣٨ هـ	المسلسل في غريب اللغة .	الأعلام ٢٢/٨
	الزنجشري	محمد بن عمر أبو القاسم	١١٠٧ هـ	١١٤٤ هـ	أساس البلاغة . مقرة الأدب . القاموس في غريب الحديث .	الأعلام ٥٥/٨
	الجواليقي	موسى بن أحمد أبو منصور	١١٠٧ هـ	١١٤٥ هـ	الحرب . تكملة إصباح ما تعلق فيه العامة .	الأعلام ٢٩٢/٨
	البيهقي	أحمد بن علي	١١٧٧ هـ	١١٥٠ هـ	تاج اللغة . المحيط بلفظ القرآن .	الأعلام ١٦٨/١
القرن السابع الهجري	الأنباري	عبد الرحمن بن محمد الأنباري أبو البركات	١١١٩ هـ	١١٧٧ هـ	أسرار العربية . طعة الأدلة .	الأعلام ١٠٤/٤
	ابن بري	عبد الله بن محمد القيسي أبو محمد	١١٠٦ هـ	١١٨٧ هـ	مواشي على الصحاح . مواشي على درة الغواص .	الأعلام ٢٠٠/٤
	ابن الأثير	محمد بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر	١١٥٠ هـ	١١٦٠ هـ	النهاية في غريب الحديث . الأثر على معرفة المعجم .	الأعلام ١٥٢/٦
	ابن الأثير	محمد بن نصر الله الشيباني	١١٨٩ هـ	١٢٢٢ هـ	فتى الخواص والنهار .	الأعلام ٣٤٧/٧
	الصاغاني	الحسن بن محمد العربي	١١٨١ هـ	١٢٥٧ هـ	العجاب . مجمع البحرين . التكملة والتذييل . الشوارد في اللغات . الأضداد .	الأعلام ٢٣٢/٢
	الزنجاني	محمد بن أحمد أبو القاسم	١١٨١ هـ	١٢٥٨ هـ	تهذيب الصحاح . تنقيح الصحاح .	الأعلام ٣٧/٨
	الرازي	زيد الدين محمد بن محمد	١١٨١ هـ	١٢٦٦ هـ	مختار الصحاح . غريب القرآن	الأعلام ٢٧٩/٦
	الساطبي	محمد بن علي الأنباري أبو عبد الله	١١٨٤ هـ	١٢٨٤ هـ	مواشي على صحاح الجوهري .	الأعلام ١٧٣/٧
	ابن منظور	محمد بن مكرم الأنباري	١٢٣٢ هـ	١٢٧١ هـ	لسان العرب .	الأعلام ٣٢٩/٧
	أبرحيان	محمد بن يوسف الأنباري	١٢٣٦ هـ	١٢٤٥ هـ	تحفة الأريب في غريب القرآن .	الأعلام ٢٦/٨
القرن الثامن الهجري	الفيومي	أحمد بن محمد القرني أبو العباس	١٢٦٨ هـ	١٢٧٠ هـ	المصباح المنير .	الأعلام ٢١٦/١
	الفرواني	محمد بن محمد بن يعقوب أبو طاهر	١٢٣٩ هـ	١٢٨٧ هـ	القاموس المحيط . الجليس . المبلغة . خير الموشحين .	الأعلام ١٩/٨
	السوحي	جهدل الدين عبد الرحمن بن أبي بكر	١٢٤٥ هـ	١٢٩١ هـ	الزهر . الأضداد . النظار . بقية الوعاة .	الأعلام ٧١/٤
	الفردوسي	شهاب الدين أحمد بن محمد	١٢٦٩ هـ	١٢٧٧ هـ	شرح درة الغواص . مفرد الغليل .	الأعلام ٢٢٧/١
	نور الدين	موفق بن محمد بن الحسين	١٢٧٣ هـ	١٢٨٥ هـ	تاج العروس . القاموس . الروضات .	الأعلام ٢٩٧/٧

النهج	المعجم	المؤلف	وفاء المؤلف	مكان وفاء المؤلف	الميزات	ملحوظات
مجموعات تصنيف طرية الاعتماد على حرف الكلمة الأولى بحسب ترتيبه مع الألف ب نظام الأبجدية ومفردات الكلمة.	العين	الحليل	١٧٠ هـ ٢٧٨٦ م	البصرة	المؤلف بشرع فنية معروض ألفاظ اللغة ومبتكر الترتيب على حروف المعجم ، وقد جعل لكل حرف كتاباً ذكر فيه الثاني الضاعف أو ذو فالتالي الصمغ ثم اللغيف ثم الرباعي فالخامس . ولعمري كرامة فنية لم يقدر بها .	لمبت فيه مفردات والباقي مفقود ، وأما في مفردات وفيه في مخان .
	البارع	القالي	٣٥٦ هـ ٢٩٦٧ م	قرطبة	رتب الثاني معجمه ترتيباً خاصاً فحسب السته أبواب ، الثاني الضاعف والثالث الصمغ ، والرابع المعنى ، والخامس الرباعي ، والسادس ، وقد أخذ بنظام المقاريب سما للحليل .	نشره مؤلفه ونوعه بعض أجزاءه مفقودة .
	تهذيب اللغة	الأزهري	٣٧٠ هـ ٢٩٨١ م	قرطبة	النظم المؤلف ترتيباً للحليل للمروف وجعل لكل حرف كتاباً وفي الكتاب ستة أبواب : الثاني الضاعف ، والثالث الصمغ ، والرابع المعنى ، والخامس الرباعي ، والسادس ، وقد أخذ بنظام المقاريب .	طبع حديثاً .
	المحيط	الصاحب	٣٨٥ هـ ٢٩٩٥ م	الري	النظم المؤلف ترتيباً للحليل والأزهري والنظم الثاني في ترتيب الأبجدية ووافقه في نظام المقاريب إذ أنه اختصر وأفاض في مواد كثيرة .	مخطوط وفيه اختصار .
	المحكم	ابن سيد	٤٥٨ هـ ١٠٦٦ م	دانية	أخذ المؤلف ترتيباً لمبين وقام مقاريب وجعل لكل حرف كتاباً وقسم كل كتاب إلى أبواب الثاني الضاعف ، والثالث الصمغ ، والرابع المعنى ، والخامس الرباعي ، والسادس ، وقد أخذ بنظام المقاريب .	طبع أخيراً جزاً من منه .
مجموعات اعتبرت على الموضوعات وسما في الكلمات دون الألفاظ	الفريب المصنف	ابن سلام	٢٢٤ هـ ٨٣٨ م	مكة	معجم مؤلفه منسجم بحسب المعاني والموضوعات المختلفة ويضم أكثر من سبعة عشر ألف حرف .	يمل بعض مستشرقين على نشره .
	الألفاظ	ابن الكيت	٢٤٤ هـ ٨٥٨ م	بغداد	معجم مؤلفه منسجم في أبواب بحسب المعاني والموضوعات المختلفة ويضم أكثر من سبعة عشر ألف حرف .	مطبوع وله تهذيب .
	المختصر	ابن سيد	٤٥٨ هـ ١٠٦٦ م	دانية	أوسع المعجمات العربية المنسجمة بحسب المعاني والموضوعات .	مطبوع .
مجموعات اعتبرت ترتيباً معجمياً عام للحروف في ترتيبها بحسب أول الحرف في الكلمة الأولى مع نظام الأبجدية والمفردات	الحروف	السياني	٢٠٦ هـ ٨٢١ م	بغداد	معجم مؤلفه مؤلفه أول من أخذ بترتيب معجمين عامين للحروف معجم قبل لكل حرف باباً والنظم الحرف الأول من الكلمة دون بقية الحروف .	مخطوط بفكره في منه بمناهة مشتركة كثر .
	أساس البلاغة	الزنجيري	٥٣٨ هـ ١١٤٤ م	فونس	معجم المؤلف العربية والنظم مؤلفه ترتيباً معجمين عامين بحسب أول حروف الألفاظ دانية والثاني معجمين عامين على الهاء في الأبواب دون المواد ، ولم يحسب المؤلف في ترتيبه إلا الحروف التي هي في ترتيبها العام .	مطبوع .
	المصباح المنير	الفيومي	٧٧٠ هـ ١٣٦٨ م	حماة	معجم مؤلفه كتاب مؤلفه معجم غرب شرع أبو عبد الله في حروف المعجم بحسب أوائل الألفاظ دانية والثاني .	مطبوع .
	المجهر	ابن ورید	٣٢١ هـ ٩٣٣ م	بغداد	أخذ المؤلف ترتيباً معجمين عامين للحروف بحسب أوائل الكلمات وما يليها من الحروف .	مطبوع .
مجموعات اعتبرت ترتيباً معجمياً عام للحروف في ترتيبها بحسب أول الحرف في الكلمة الأولى مع نظام الأبجدية والمفردات	المجمل	ابن فارس	٣٩٥ هـ ١٠٠٤ م	الري	معجم مؤلفه على حروف المعجم لكل حرف كتاب وفي الكتاب ثلاثة أبواب بحسب الأبجدية أولها الثاني الضاعف ، والثالث الصمغ ، والرابع المعنى ، والخامس الرباعي ، والسادس ، وقد أخذ بنظام المقاريب .	مخطوط وفيه اختصار .
	المقاييس	ابن فارس	٣٩٥ هـ ١٠٠٤ م	الري	أخذ المؤلف ما أنظمه في نفسه في الجمل وتداوله دقة في بحث الاستغاث وتوفد في نقد ما لا يرى منه .	طبع حديثاً .
	ديوان الأدب	الفارابي	٣٥٠ هـ ٩٦١ م	زبيد	معجم مؤلفه على حروف المعجم لكل حرف كتاب وفي الكتاب ثلاثة أبواب بحسب الأبجدية أولها الثاني الضاعف ، والثالث الصمغ ، والرابع المعنى ، والخامس الرباعي ، والسادس ، وقد أخذ بنظام المقاريب .	مخطوط وله نشر تهذيب .
	الصحاح	الجوهري	٣٩٣ هـ ١٠٠٣ م	نيسابور	رتب المؤلف ما معجمه على حروف المعجم بحسب أوائل الكلمات وما يليها من الحروف .	مطبوع وله نشر تهذيب .
مجموعات اعتبرت ترتيباً معجمياً عام للحروف في ترتيبها بحسب أول الحرف في الكلمة الأولى مع نظام الأبجدية والمفردات	العياب	الصاغاني	٥٥٧ هـ ١١٨١ م	بغداد	معجم مؤلفه على حروف المعجم لكل حرف كتاب وفي الكتاب ثلاثة أبواب بحسب الأبجدية أولها الثاني الضاعف ، والثالث الصمغ ، والرابع المعنى ، والخامس الرباعي ، والسادس ، وقد أخذ بنظام المقاريب .	مخطوط وفيه اختصار .
	لسان العرب	ابن منظور	٧١١ هـ ١٣١١ م	القاهرة	أخذ المؤلف معجم مؤلفه ترتيباً معجمين عامين للحروف بحسب أوائل الكلمات وما يليها من الحروف .	مطبوع وله نشر تهذيب .
	القاموس المحيط	الفيروز آبادي	٨١٧ هـ ١٤١٥ م	زبيد	معجم مؤلفه على حروف المعجم لكل حرف كتاب وفي الكتاب ثلاثة أبواب بحسب الأبجدية أولها الثاني الضاعف ، والثالث الصمغ ، والرابع المعنى ، والخامس الرباعي ، والسادس ، وقد أخذ بنظام المقاريب .	مطبوع وله نشر تهذيب .
	تاج العروس	الزبيدي	١٢٠٥ هـ ١٧٩٠ م	القاهرة	أخذ المؤلف معجم مؤلفه ترتيباً معجمين عامين للحروف بحسب أوائل الكلمات وما يليها من الحروف .	مطبوع .

٧ - المعجم العربي في العصر الحديث

أفاق العرب في القرن الماضي ، بعد رقاد دام قروناً اضمحلت خلالها دولتهم ، ونسدت لغتهم ، وقهقرت آدابهم ، فرأوا الأوربيين في أوج الحضارة والمدنية ، بما حمل الزعماء منهم على الدعوة إلى النهوض واللقاء بركب العالم المتمدنين ، وأخذوا ينشرون الوعي بين الناس ، ويثثون بينهم حب العلوم والآداب ، وكان لابد للنهضة اللغوية والأدبية من الاستعانة بالمعاجم لإحياء اللغة وآدابها ، مما دعا إلى الاعتماد في بادئ الأمر على المعجمات القديمة ، وإلى ظهور طبقات لكل من القاموس المحيط ولسان العرب وأساس البلاغة ومختار الصحاح والمصباح المنير ، وقام بعض العلماء بإعادة ترتيب بعض هذه المعاجم بحسب أوائل الكلمات ، ولكن جميع المعاجم التي ظهرت طبعتها كانت قاصرة عن مسايرة النهضة العلمية التي استجاب العرب للدعوة إليها ، لأنها معاجم ألفت في عصور تختلف الحضارة فيها عن مفهومها في العصر الحديث ، ولأنها تبعاً لذلك كانت محشوة ببعض الأوهام والاختطأ السائدة في عصور مؤلفيها ، مما دفع بعض العلماء الفياثري على العربية ، إلى حمل الصبء ، والقيام بأعداد المعاجم الحديثة ، ناقلين أكثر موادها من المعجمات القديمة ، فوضع المعلم بطرس البستاني سنة ١٨٦٩ م المعجم الذي أسماه « محيط المحيط » وقد التزم فيه عبارة القاموس المحيط مع شيء من التصرف والتنذيب واتباع ترتيب حروف الهجاء بحسب أوائل الكلمات ، ثم جاء المعلم الشرتوني فوضع معجمه « أقرب الموارد » آخذاً إياه من الأمهات ، وإن كانت عبارة القاموس فيه أغلب ، مع دقة في التنذيب وسلامة في الترتيب بحسب أوائل الكلمات ، وتتنالي بعد ذلك تأليف المعاجم ، وكانت كلها تحذو حذو محيط المحيط وأقرب الموارد ، وأشهر المعاجم التي ما زالت تخدم طلاب العربية معجم الأب لويس معلوف ، وقد أسماه بـ « المنجد » وظهرت طبعته الأولى سنة ١٩٠٨ م ،

ويعتبر المنجد اليوم خير معجم مدرسي للعربية في ترتيبه وإخراجه ، إذ هو يحاكي في ذلك أحدث المعاجم الأوربية فناً ، خاصة بعد أن أضاف إليه الأب فردينان توتل سنة ١٩٥٦ م ملحقة باسم « المنجد في الأدب والعلوم » وهر معجم لأعلام الشرق والغرب ، وذلك رغم ما في المعجم وملحقه من مأخذ ، وما يرد عليها من ملاحظات ، إنما يؤمل من المشرفين على إخراج « المنجد » تلافي ما يشوبه من نقص ومناات في طبعاته المتلاحقة .

على أن جميع المعاجم المذكورة ، على عظم الخدمة التي أدتها للعربية وما زالت تؤديها حتى هذا العصر ، ظلت عاجزة عن مسايرة النهضة الحديثة للبلاد العربية ومتابعة التطور الكبير في مختلف العلوم العصرية ، مما زاد العرب في مختلف ديارهم شعوراً بالحاجة الشديدة إلى معجم حديث يضاهي المعاجم المعروفة في اللغات الأجنبية ، ويتسع لمصطلحات العلوم وألفاظ الحضارة المعاصرة ، على أن هذا الشعور مشروط بوجوب إغناء المعجم العربي الحديث بطريق الإفادة من الثروة الطائلة التي تشتمل عليها المعجمات القديمة وكتب اللغة العديدة ، استناداً إلى خصائص العربية ومرونتها إلى حد يمكن معه أن تستوعب كل جديد قد عو إليه ضرورة أو مصلحة أو يتطلبه علم أو فن ، ولا ضير على العربية من أن يحوي معجمها أي لفظ مولد أو معرب أو دخيل ، إذا جرى اشتقاقه وفق القواعد القياسية أو كان لفظه لا يخالف النطق بالفصيح من الكلمات ، وأخذ كثير من العلماء ينادون إلى العمل من أجل المعجم المطلوب ، كما نادى بعضهم بوجوب إعادة النظر فيما ورد في المعجمات القديمة ، عند الاقتباس منها ، من أوهام وأخطاء وتصحيف ، مع إهمال الغريب العجوي ، وتضييق دائرة الكلمات المترادفة والمشاركة والأضداد ما أمكن .

وحمل مجمع اللغة العربية في القاهرة عبء العمل على سد هذه الثغرة ، فأخرج سنة ١٩٦٠ م « المعجم الوسيط » في جزأين ، وقد أشرفت على

إخراج لجنة من أعضاء الجمع ، فبذات جهداً في صياغتها لكثير من مواد المعجم وفق القواعد والقرارات التي اتخذها الجمع في دوراته المختلفة ، وبرغم ما أريد لهذا المعجم من أن يكون لغوياً ، فإنه أخذ طابعاً علمياً في تعريف كثير من المصطلحات والأسماء مما يجعل له رجحاناً على غيره من المعجمات ، وقد دفعتنا الرغبة في رؤية الطبعة الثانية من المعجم الوسيط أكثر كلاً ودقة في ترتيب المواد وتعريف المصطلحات ، إلى إلقاء نظرات عليه وقدين الملاحظات التي أخذت مجلة مجعنا تنشرها تباعاً في أعدادها الأخيرة .

ولا تفوتنا الإشارة إلى فضل بعض علماء العربية المعاصرين ، الذين وضعوا اللبنة الأولى في المعجم العربي المنشود ، من ناحية المصطلحات العلمية ، ومن هؤلاء العلماء الفريق أمين الملعوف . وقد رضع معجم الحيوان والمعجم الفلكي ، بالإنكليزية والعربية ، مراعيًا جهده التعريفات العلمية وإحياء كثير من الكلمات العربية القديمة في معجميه المذكورين . ومنهم الدكتور محمد شرف مؤلف معجم العلوم الطبية والطبيعية ، بالإنكليزية والعربية ، وهو عمل ضخم رغم ما فيه من أخطاء وهنات .

ومن الرواد المعجميين الأول ، وأوثقهم في اختصاصه ، الأمير مصطفى الشهابي ، في معجم الألفاظ الزراعية ، بالفرنسية والعربية ، وفي معجم المصطلحات الحراجية ، بالفرنسية والإنكليزية والعربية ، وفي المصطلحات والتصويبات التي ينشرها في مجلة الجمع العلمي العربي ، وفي منشورات مجمع اللغة العربية في القاهرة .

ومن رواد المعجم العربي الحديث ، الشيخ عبد الله العلايلي ، الذي قام ، فيما نشره حتى اليوم ، بجهده يقدر في خدمة العربية ، وكانت آخر ما نشره المجلد الأول من معجمه « المرجع » وهو معجم وسيط ، وعلمي بمقدار ما هو لغوي ، وقد رتبته وفق المفرد بحسب لفظه ، وبالرغم من أن الشيخ العلايلي اعتمد الأمهات من معاجم العربية ، ونقل التعريفات العلمية

عن أوثق معاجم المصطلحات ، كان من الطبيعي أن تكثر هنات معجمه ، لأنه ألزم نفسه بعمل لا يستطيع فرد واحد أن يطلع به دون أن تزل قدمه .

٨ - المعاجم بين الفن والصناعة

يقول الدكتور ابراهيم مذكور الأمين انعام لمجمع اللغة العربية في القاهرة ، في تصدير المعجم الوسيط ، الذي أخرجه المجمع : « للمعاجم فن يسير بسير الزمن ، وقد خطا خطوات فسيحة في القرنين الأخيرين ، وكانت له آثار واضحة في المعاجم الغربية ، بين إنكليزية وفرنسية ، وألمانية وروسية » .

ويقول الدكتور مذكور أيضاً في دراسته عن المعجم العربي في القرن العشرين^(١) : « والآن نستطيع أن نقرر أن فن المعجم العربي نما وتطور في القرن العشرين ، وأخذ يحاكي نظيره في اللغات الأوربية الكبرى أو يزيد عليه ، وطرحت تلك النظرية التي كانت تقول بأن العربية لغة لا تقبل التجديد ولا التطور ، وأصبحنا نلم بعربية معاصرة إلى جانب العربية القديمة ، وبكلاسيكية وكلاسيكية محدثة . وفتح باب القياس على مصراعيه في اللغة كما فتح في الفقه والتشريع ، ومن حقنا أن نبتكر ألفاظاً وعبارات كما ابتكر أجدادنا » .

إن الفن - في رأينا - مظهر لإرادة الكمال في أمر من الأمور ، فإذا هدف إنسان في عمل يؤديه ، إلى تصوير ما يشعر به من عاطفة ، أو تسجيل ما يعتلج في صدره من أحاسيس ، أو إبراز ما يتوخاه من دقة ، أو تحقيق ما يستلزمه العمل من إتقان ، فإنما هو يمارس فناً من الفنون ، وكلما اقترب الإنسان في عمله من الكمال ، زاد فنه سمواً ، ومن طبيعة هذا الكمال ومظهره ، أخذت بعض الفنون وصفها بالجمال .

(١) بحث ألقى بالفرنسية في مؤتمر المستشرقين بموسكو سنة ١٩٦٢ ، ونشر بالعربية ملخصاً في الجزء ١٦ من مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة سنة ١٩٦٣ .

ونحن نحب أن نتساءل عن حظ المعاجم ، عربية كانت أو أجنبية ، من « الفن المتطور » بالمقاييس التي أشرنا إليها ؟

إن فن المعاجم ، في هذا العصر ، على نموه وتطوره ، إنما يتمثل بالدقة في ترتيب المواد وتدسيقها وضبطها ، كما يتمثل بالجهد في توضيح مواد الأمثلة الدقيقة وبالرسوم المعبرة ، ويتمثل فن المعاجم أخيراً في إتقان الإخراج الذي يشمل جودة الطباعة ، وحسن المظهر ، فكل هذا هو كل ما يجب أن يستهدفه واضعو المعاجم العربية اليوم ؟

إن العرب في حاجة إلى معاجم جديدة تمتاز ، بالإضافة إلى مقتضيات « الفن المتطور » التي ذكرناها ، بما فيها من مواد جديدة قفي بمطالبات مختلف العلوم والفنون ، على أن يتوصل إليها باتباع قواعد سليمة يمكن معها ، بقدر ما تدعو إليه الضرورة ، التوسع في قياسية صيغ الزوائد والمصادر ، وبذلك تغنى العربية بالاشتقاق في يسر وسهولة ، مع ضبط هذا الأمر حفاظاً على سلامة اللغة وصحتها .

كما يجب أن تمتاز المعاجم الحديثة ، بما تحويه من تعريفات علمية صحيحة ، يستبعد معها ، جميع ما ورد في المعجمات القديمة من أخطاء وأوهام وتصحيف ومجانبة للدقة في التعريف .

إن معجماً بالصفات المذكورة ، إذا أريد له أن يفي بحاجات العصر ، لا يمكن أن يكتفى فيه بمسيرة « فن المعاجم الحديث » ، إنما يجب أن يكون وضعه في مستوى « الصناعة » ولنا نغني بالصناعة هنا ، المعنى الشائع لهذه الكلمة ، أي مجرد العمل الذي يمارسه الإنسان ، وقد يحترفه ، مستنداً فيه إلى جهد عضلي ، أو نظام آلي ، أو إلى قواعد رتيبة ، لأن الصناعة بهذا المعنى ، تكاد تكون منبئة الصلة بالفن ، حيث يحري الإنسان فيه

وراء الجمال مدفوعاً بشاعره وأحاسيسه غير متقيد بنظام أو قاعدة ، إنما تقصد بالصناعة ذلك العمل الذي يشعر القائم به رغبة في إجادته وإتقانه ، فيخطط له ثم يوفيه حقه من الدراسة والإعداد له ، يعرف الغاية منه ، فيسلك إليها أوضح نهج وأقوم سبيل ، ثم يجعله بالذن المتطور مع الزمن ، المصقول بالمران ، المهذب بالارتقاء ، حقيقة واقعة في أجمل صورها وأسمى معانيها ، إن مثل هذا العمل الجيد هو « الصناعة » كما يدل عليها جوهر اللفظة في متن العربية ، وكفى « الصناعة » بهذا المعنى ورودها في قوله عز وجل « صنّع الله الذي أفقن كل شيء ^(١) » ، وقوله عز وعلا : « اصنع الفلك بأعيننا وروحنا ^(٢) » .

إن معاجم اللغات الحية ، اجتازت اليوم ، مرحلة الفنون ، وأصبحت صناعة ، تحشد للعمل فيها طوائف عديدة من العلماء الأعلام ، ومن رجال الفن الجهابذة ، كل منهم يعمل في نطاق اختصاص معلوم . والمعجم اللغوي أو العلمي الذي نريده للعربية . لا يكفي تأليف لجنة من كبار علماء اللغة للإشراف على إخراجها ، بل لا بد له من علماء في اللغة ، إلى جانب مختصين بمختلف العلوم الأخرى ، يتوازعون مواده ، ويسهمون في الإشراف على مختلف أقسامه ، كما لا بد له من رجال يتقن اثنواحد منهم فناً من الفنون اللازمة لإخراج معجم حديث ، يعملون جميعاً في تنسيقه وتبويبه وترتيبه وطباعته حتى يخرج للناس المعجم العربي المنشود .

عبدالله الخطيب



(١) سورة النمل : ٨٨ .

(٢) سورة هود : ٣٧ .

تحقيق لغوي

في الصيغ والاستعمالات

هذا بحث حققت فيه طائفة من الصيغ والاستعمالات مما يكثر في عربيتنا الحديثة العربية . وأقصد بهذه العربية العربية الدواوين الرسمية ، وعربية الصحافة والإذاعة والمقالة الأدبية . على أن هذا البحث لا يقتصر على هذه النماذج من اللغة الحديثة ، بل يتعدى ذلك لتحقيق في طائفة من الاستعمالات العربية التي عرفت في عربيتنا الفصيحة القديمة . وأنا إذ أبحث في هذا اللون من العلم اللغوي لا أقصد أن أشير إلى مكان التجاوز ، أو قل مواطن الخطأ في هذه العربية الحديثة ، ولكنني أريد أن أشير إلى أن هذه العربية الحديثة هي لغة هذا العصر الحاضر بحاجاته العديدة ووسائله المختلفة وماجد فيه وما يجد من أشياء ومستحدثات . وهي استعمالات وصيغ قائمة دائمة أردنا أم لم نرد خضعت لسنة التطور شأن جميع اللغات في هذا الموضوع .

ومن الواجب أن نسجل هذا التجاوز ، أو قل هذا الجديد لربط بينه وبين عربيتنا الفصيحة القديمة عملاً بالمنهج اللغوي التاريخي . وسنجد أن علم اللغة في العربية لا يتنكر للجديد المولد أو قل لا يريد أن ينسب إلى الخطأ مواد كثيرة . فالشذوذ في العربية والقول باللغات الخاصة ومساائل التوهم يؤيد ما نذهب إليه في هذه الحقيقة اللغوية .

وسأتناول في هذا البحث طائفة من الصيغ تشمل على جموع مختلفة وأفعال وغير هذا مما دخله شيء من الجديد صرفه عن الوجه الفصح المشهور .

ألفاظ الجمع

(١) لقد شاع جمع « مدير » بصيغة اسم الفاعل من « أدار » على « مدرء » في لغة الدواوين الرسمية ، وكأنهم لا يعرفون أن الكلمة تجمع جمع تصحيح على « مديرون » . وأغلب الظن أن الذي سهل هذا التجاوز أنهم حملوا « مدير » على « فعيل » التي تجمع على « فعلاء » . وربما لم يبق « مدرء » مكاناً لـ « مديرين » في الاستعمال الجاري في العراق .

(٢) ورد في لغة الصحف استعمال « شُقاء » جمعاً لـ « شقي » والصحيح أن الكلمة تجمع على « أشقياء » كما هو مشهور معلوم ، فاستعمالهم « شُقاء » من باب الخطأ إذ ليس المفرد « شاق » كما نقول : غازي غزاة ووزنه « فُعلة » .

(٣) ومثل هذا الخطأ الجديد استعمالهم « ثقاء » بالتاء المربوطة وهم يريدون بها جمع « ثقة » فكان المفرد من ذلك « ثاق » وهي تجيء في نطقهم بضم الثاء .

(٤) ويجمعون « سائح » على « سواح » فكان الكلمة جاءت من فعل أجوف واوي والصحيح أن يقال « سُيَّاح » ويبدو أن الذي جر إلى هذا الخطأ ضمة السين في الكلمة المجموعة « سُيَّاح » على « فُعَّال » .

(٥) ويجمعون « مدينة » على « مدائن » بالهمز ، ومثلها « مصيدة » على « مصائد » بالهمز والصحيح أن تثبت الياء لا الهمزة ذلك أن ما كان فيه الياء أو الواو أصلية لم يحز أن تبدل همزة ، وعلى هذا حملت « معاش » في قراءة نافع على الخطأ في قوله تعالى : « ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معاش قليلاً ما تشكرون » (١) . وعن ابن عامر : أنه

همز على التشبيه بصحائف . (١) وقد خرج اللغويون والنحويون قراءة نافع هذه بالهمزة على أن « معيشة » وهي « مفعلة » شئت بـ « فعية » .

وقد جدنا في لغتنا العربية الحاضرة جموع لم تعرف في الآثار من نصوص اللغة ، ولكن البحث يهدي إلى شيء يمكن أن ترد إليه هذه المولدات ومن ذلك استعمالهم « مشاكل » جمعاً لمشكلة و « مهام » جمعاً لمهمة ولم ترد « مفاعل » جمعاً لـ « مفعلة » صيغة اسم الفاعل . وجمع المؤنث السالم يغني عن هذا التجاوز . غير أن كتب النحو تورد قول أبي ذؤيب الهذلي :

وان حديثاً منك لو تبدلني به جنى النحل في ألبان عوذ مطافل (٢)

فالمطافل جمع « مُطفل » وهي ذات طفل وقد جمعت « مطافل » بالإشباع . وربما استطعنا حمل « المشاكل » على « المصائب » وعلى « المراضع » جمع « المرضعة » كما في قوله تعالى : « وحرمتنا عليه المراضع من قبل » (٣) .

(٦) وقد يعرض لشيء من ألفاظ الجمع خطأ في الشكل فيقولون :

« زخارف » بضم الراء و « تجارب » بضم الراء أيضاً و « قنابل » بضم الباء وبذلك خرجت هذه الجموع عن الصيغة الصحيحة الفصيحة ، وهي « فعاليل » بكسر اللام ، والذي أراه أن الضمة اجتلبت خطأ من ضمة المفرد فالمفردات هي « زخرف » بضم الراء و « تجرُبة » بضم الراء على النطق العامي السائر فكأنها ليست مصدر « جرتب » على « تفعلة » . ومثلها « قنبلة » بضم الباء بمفرد « قنابل » .

(٧) وربما تحول الجمع في هذه العربية الدارجة إلى مفرد في الاستعمال .

(١) الزنجيري ، الكشاف ٨٩/٢ (طبعة الاستقامة القاهرة ١٣٦٥) .

(٢) الرضي ، شرح الشافية ١٤٥/٤ .

(٣) الزنجيري ، الكشاف ٣٩٦/٣ .

ومن ذلك استعمالهم « آوثة » فكأنها تحولت عن جمع لـ « أوان » وهي لذلك تعقب في الاستعمال أحياناً لفظ « طوراً » أو « حيناً » ولذلك أيضاً خفيت على كثيرين من طلاب الدرس .

(٨) وقد يجمعون « حاجة » على « حاجيات » فيقولون « الحاجيات النزلية » ولا ندري كيف جيء بهذه الياء .

(٩) وقد تنوهم صيغة الجمع في ألفاظ منها : « أثاث » فيقولون : أثاث فاخرة والصفة تشعر باستعمال الجمع . ودلالة « الأثاث » معروفة فهي تدل على مواد المنزل من ريش ومتاع . وفي كتب اللغة ان الأثاث المال أجمع ، الإبل والغنم والعبيد والمتاع . وقال الفراء : الأثاث لا واحد لها ، كما أن المتاع لا واحد له . وجاءت الكلمة في لغة التنزيل : « وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثاً ورثياً » (١) ، وقوله : « ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً » (٢) .

على أن هذا المعنى يثبت للكلمة في صورتها العبرانية אֹתָת . وإذا تتبعنا فرائد العربية وجدنا شيئاً يدلنا على وجود هذه الكلمة في صورة أخرى في مادة عربية وهي « لات » النافية العامة عمل « ليس » وكأن النحويين قد وقفوا على التاء في « لات » وفطنوا الى ان النافية هي « لا » ثم ركبت مع التاء ، ولكنهم لم يهتدوا الى حقيقة التاء فقد قال جماعة : انها تاء التانيث ، وقال آخرون : إنها للمبالغة ، وقالوا انها لكليتها (٣) . والذي يرجحه التحقيق ان « لات » هي « لايت » ثم خففت وركبت على نحو ما ركبت « ليس » التي هي « لا ايس » و « ايس » تعني « وجود »

(١) سريم ٧٤ .

(٢) النحل ٨٠ .

(٣) ابن عقيل ، شرح ألفية ابن مالك .

فكان « لا ايس » لا شيء ، ويدل على هذا ان العبرية « ايش » تعني وجود أو قل ان « شيء » مقلوب « ايش » .

ومثل « أثاث » في الأفراد « رفات » ولكن العربية الحديثة حملتها على جمع المؤنث لوجود الألف والتاء . والرفات الحطام من كل شيء تكسر . وفي التنزيل العزيز : « أنذا كنا عظاماً ورفائاً » (١) وقد عرض هذا الخطأ للغة الحديثة فهذا السيد أحمد الصافي النجفي يستعمل الكلمة جمعاً غير مرة في شعره .

(١٠) وقد منعت لغتنا الدارجة الحديثة - ولا سيما ما نسمعه على ألسنة المذيعين في العراق - الصرف عن الجموع على زنة « أفعال » فقد منعوا « ألوان » و « أغراض » وغير ذلك من الصرف وكأنهم حملوا ذلك على « أشياء » وما علموا أن في منع « أشياء » من التنوين كلاماً كثيراً لا نرى حاجة لتعرض له في هذا المكث .

صوار أخرى

يقال الآن : « رجل مجرب » بصيغة اسم الفاعل وهو قياس صحيح ، فالرجل المجرب هو الذي عرف الأمور وجربها ، أما المجرب بالفتح فهو من جربته الأمور وأحكمت . والذي نعرفه ان الكلمة في صيغة المفعول هي التي تكلمت بها العرب وجاءت في كلامهم ، ولا بد أن نسجل هنا ان اللغة الحديثة عدلت عن اسم المفعول إلى اسم الفاعل وذلك لاختلاف النظر إلى الفعل وعلاقة الفعل بالفاعل من حيث الإيجاب والسلب وهذا لون من ألوان التطور اللغوي .

ندب

التزمت العربية المعاصرة بصيغة « انتدب » في حالة التعدي والفصيح المشهور هو الفعل الثلاثي « ندب » يقال : ندب القوم إلى الأمر ينديهم ندباً ، وندبت فلاناً ولا يقول : انتدبته . أما « انتدب » فهو فعل لازم يقولون : انتدبوا إليه أي أمرعوا ، وانتدب القوم من ذوات أنفسهم أيضاً دون أن يندبوا له .

قال الجوهري في الصحاح : ندبه . للأمر فانتدب له أي دعاه له فأجاب وفي الحديث : انتدب الله لمن يخرج في سبيله أي أجابه إلى غفرانه . ويتبين من هذا أن استعمال الفعل « انتدب » بمعنى « ندب » كما في عربيتنا الفصيحة فهي لم تجر به لغة العرب الفصيحة القديمة . ولم يشذ عن أصحاب المعجمات في هذه المادة إلا الفيومي في « المصباح المنير » فقد أثبت أن « انتدب » مثل « ندب » ولم يشر إلى مرجع يؤيده في هذا على غير عادته في ذكر المراجع .

استهتر

والاستهتار الولوع بالشيء . والمستهتر بزنة اسم المفعول المولع ، وفي الحديث المستهترون بفتح التاء الثانية المولعون بالذكر والتسبيح ، وجاء في حديث آخر : هم الذين استهتروا بذكر الله أي أولعوا ومنه : ان لله ملائكة مستهزين به . وأريد أن أقف على هذه المادة بصيغتها في البناء للمجهول وبصيغة اسم المفعول لأسجل أن عربيتنا المعاصرة بنت الفعل للمعلوم وينبغي على هذا أن الوصف منه بزنة اسم الفاعل وليس بزنة اسم المفعول ثم إن « المستهتر » في لغتنا الحاضرة الخارج عن القصد والمزيد من العبث واللاهو

« فالمستهمير » قديكون المكثّر من شرب الخمر والذي لا يحترم الحدود في عبثه وظوره . وهذا التحول في المعنى والصيغة نون من ألوان التطور جاءت به عربيتنا الحديثة .

سهم

السهم النصيب والذي يقارع به . واستهم الرجلان تقارعا . وسام القوم فسهمهم سهماً قارعهم فقرعهم ، وأسهم بينهم أي أقرع . هذا هو المعروف في كتب اللغة ، ولكن عربيتنا الحاضرة توسعت وأفادت من الاشتقاق فأخذت من « انسهم » بمعنى النصيب « أسهم » أو « سأم » بمعنى شارك وهذان الفعلان من المولدات الحديثة التي لا نجد لها في الفصيحة القديمة . وهذا التوليد باب يظهر غني العربية في توليد الألفاظ للإفادة منها في معان جديدة اقتضاها عصرنا الحاضر .

هرف

والهدف : الغرض المنتفضل فيه بالسهم . والهدف : كل شيء عظيم مرتفع ، وهو كل بناء مرتفع مشرف . هذا هو الذي نصت عليه مطولات اللغة ، والكلمة في عربيتنا الحاضرة من الكلمات التي كتب لها الشروع واستخدمت استخداماً كثيراً ، ومن أجل هذا توسعت اللغة فيها فأخذت من الاسم فعلاً ثلاثياً هو « هَدَفَ » وهذا الفعل يتعدى بحرف الجر « إلى » فهم يقولون : « هذه الحركة تهدف إلى عدة أغراض » وكأنهم يريدون بذلك « تقصد » واشتقاق هذا الفعل واستعماله على هذا النحو شيء جديد لم يثبت في كلام العرب وهو من المولدات التي جدت في لغتنا الحاضرة فقد كانوا يستعملون الرباعي من هذه المادة ، فالإهداف عندهم الدنو والقرب ، وأهدف الشيء دنا وقرب ، ومثله استهدف الشيء أي انتصب .

طمئن

وهذا فعل جديد شاع في لغتنا الحاضرة وهو مضعف على « فعل » فيقولون « يطمئن الرغبات » أي « يكفي الحاجات ويسد النقص » . وهذا الفعل لا وجود له في العربية الفصحى القديمة ، وهو مولد على طريقة التضعيف والحزم من « طمأن » (١) والطمأنينة والاطمئنان معروفان .

قارن

ومن هذه المادة الفعل « قارن » وقارن الشيء الشيء مقارنةً وقرناً اقترن به وصاحبه . ولغتنا الحاضرة تستعمل الفعل « قارن » في قولهم : « قارن الشيء بالشيء » على نحو غير الذي أثبتته كتب اللغة وهو استعمال جديد . والمقارنة في لغتنا اليوم لا يراد بها الاقتران والمصاحبة وإنما يراد بها « الموازنة » فهم إذا وازنوا بين موضوعين من الموضوعات أحدثوا « المقارنة » بمعناها الجديد . والموازنة هي الكلمة المقتضاة في هذا الباب ، فقد عرفنا « الموازنة بين أبي تمام والبحتري » للآمدي وهو من الكتب الشهيرة في النقد والبلاغة .

والاستعمال الحديث في موضوع « الأدب المقارن » هو من تحميل مادة « المقارنة » هذا المعنى الجديد ، فالموازنة فيما أسموه بالأدب المقارن حاصلة موضوعاً وتطبيقاً .

(١) لم يرد « طمأن » الرباعي على هذا النحو في معجمات اللغة وإنما ورد مقلوبه « طأمن » كما ورد للزيد « اطمأن » وذهب سيويه إلى أن « اطمأن » للزيد بالهمزة والتضعيف مقلوب ومعنى ذلك أن الأصل هو « طأمن » وحجة سيويه أن « طأمن » غير ذي زيادة . ويبدو لي من هنا أن « طأمن » بهذا الشكل جاء من « آمن » ثم زيدت الطاء على هذا النحو الذي لم يمر كثيراً في العربية .

ير

ومن هذه المادة فعل مضعف هو « يرر » على « فعلل » وهو من الأفعال الشائعة التي حقلت بها لغتنا الحديثة فهم يقولون مثلاً : « الغاية تبرر الوسطة » أي تجوزها وتحققها ، وهذا شيء جديد لم يرد في كتب اللغة .

عروض

والعروض البَدَل . وهذه الكلمة لا تتبع إلا بحرف الجر « من » ، فيقال : « عوض من » على أننا لا نقول إلا : « عوض عن » في عربيتنا السائرة الدارجة . ومثل هذا التجاوز في استعمال حروف الجر قد حصل كثيراً في لغتنا الحاضرة بحيث خفي وجه الصواب في أفعال كثيرة وسنعرض لجملة من ذلك .

كلم

وفي هذه المادة يرد الفعل « تكلم » فيدونه بحرف الجر « عن » والوجه فيه أن يقال : « تكلم على الشيء » و « الكلام على الشيء » ولا نقول : تكلم عن الشيء كما هو شائع في لغتنا الحاضرة .

جواب

وفي هذه المادة يرد الفعل « أجاب » فيمدونه بحرف الجر « على » والوجه فيه أن يقال : « أجاب عن السؤال » و « الجواب عن السؤال » ولا نقول : أجاب على السؤال كما هو معروف في لغتنا الحاضرة .

ضلع

وفي هذه المادة يرد الفعل « تضلع » فيمدونه بحرف الجر « الباء » فيقولون : « تضلع بالشيء » والوجه أن يقال : « تضلع من الشيء » و « هو ضليع من الشيء » .

عمق

وفي هذه المادة يرد الفعل (تعمق) وهو من الأفعال التي تتعدى بنفسها في لغتنا الحديثة ، فيقولون (تعمق الشيء) والوجه أن يتعدى بحرف الجر (في) فيقال : (تعمق في الأمر) .

بدل

والفعل من هذه المادة (بدل) مضعف على وزن (فَعَّل) و (تبدل) و (استبدل) وهذه الأفعال ترد في لغتنا العربية في عصرنا الحاضر وهم يستعملونها على النحو الآتي : (بدل الكتاب بكتاب آخر) و (استبدل الشيء بشيء آخر) وحرف الجر في هذا الاستعمال يباشر ما أخذ عوضاً من الشيء . وهذا الاستعمال لا يجري على ما جاء في لغة التنزيل فقد جاء في قوله تعالى : (لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج)^(١) وفي قوله تعالى : (وآتوا اليتامى أموالهم ولا تبدلوا الحيت بالطيب)^(٢) وفي قوله تعالى : (ومن يتبدل الكفر بالإيمان)^(٣) وفي قوله تعالى : (قال استبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير)^(٤) . على أن هذا الفعل قد يأتي في لغة التنزيل دون أن يتعدى بالحرف : (وليبدلهم من بعد خوفهم أمناً)^(٥) .

(١) الأحزاب ٥٢ .

(٢) النساء ٢ .

(٣) البقرة ١٠٨ .

(٤) البقرة ٦١ .

(٥) النور ٥٥ .

كفأ

الكفيء : النظير وكذلك الكُفء والمصدر الكفاءة بالفتح والمد ، ويقال لا كفاء له أي لا نظير له وهو في الأصل مصدر . ومن الكُفء الكفاءة في النكاح ، وهو أن يكون الزوج مساوياً للمرأة في حبسها ودينها ونسبها وبيتها وغير ذلك . وهكذا فإن المعنى الذي تتصرف إليه هذه المادة وهو المساواة حاصل في كثير من المشتقات . غير أن عربيتنا الحاضرة قد عدلت عن هذا المعنى وصار الكفء فيها هو (الكافي) القدير فيقولون : هو كفء في عمله أي قادر ذو كفاية وكان الصحيح أن يقال : هو كاف في عمله . وعلى هذا فإن (الكفاءة) قد أخذت هذا المعنى المولد الجديد وهو القدرة على الشيء و (فلان ذو كفاءة) يراد به (ذو كفاية) .

والكفاية هي المتطلبية في هذا الاستعمال فقولهم : (رجل كافٍ وكفيّ) أي يكفى الأمر ، ويقال : رجل كافيك من رجل .

وأرى أن سبب هذا الوم الذي أدى إلى أن يكون (الكُفء) (كافياً) عدم فهم هذه الكلمة حين وردت في كلام الله تعالى في سورة الاخلاص : (ولم يكن له كفؤاً أحد)^(١) فقد وقعت الكلمة منصوبة خبراً لـ (كان) وقد سهلت الهمزة إلى الواو فصارت الكلمة ترسم بالواو خطأً (كفؤ) وقد حُرف معناها إلى معنى (الكافي) الذي أشرنا إليه . ومن الخطأ في الرسم بالواو وانحراف الهمزة عن مكانها على الواو تولدت كلمة جديدة لاجود لها في مفردات العربية وهي (كَفَوَ) على وزن (فَعُول) للدلالة على معنى القدرة والجدارة فقد قالوا : (فلان كفوة بين أقرانه)

(١) الاخلاص ه .

ثم حلا للمتكلين بهذه اللغة أن يؤثروا الكلمة فيقولوا : (العناصر الكفوءة)
وهكذا فقد ولد الخطأ في الرسم كلمة مولدة جديدة شاعت في كتابات
أبناء هذا العصر ولا تعدم أن تجدها فيما يكتبه المتأدبون .

سبى

نقرأ في لغة الدواوين الرسمية في العراق كلمة ('سبى') وهي بزنة
اسم المفعول المشتق من الرباعي (اسبق) فيقال مثلاً : (وكانت النتائج
قد نشرت مسبقاً) والكلمة تستعمل ظرفاً . وإذا نظرنا إلى الفعل الرباعي
(اسبق) في كتب اللغة وجدناه في قولهم : (أسبق القوم) إلى الأمر
وتسابقوا بادروا) . وهذا الاستعمال بعيد عما يستعمل في لغة الدواوين
الرسمية في أيامنا .

فنى

يقال : (التفاني في سبيل الوطن) والمراد : بذل النفس في سبيله ،
وحقيقة التفاني لاتفيد هذا المعنى الذي شاع في عربيتنا الحاضرة ، فإذا
قلنا : (تفانى القوم) فالمراد قتل بعضهم بعضاً .

وعى

وشاع منذ ما يقرب من سنتين مصدر جديد هو (توعية) على أن
فعل هذا المصدر المضعف (وعى) لم يشع بل لم يعرف . وهذا المصدر
وفعله من المولد الجديد في عربيتنا الحاضرة . وقد استعملت ، (التوعية)
لفرض سياسي فالمراد منها (إيقاظ الجمهور وتثبيته) نحو الوطنية الجديدة
القائمة على الاشتراكية والنظم الاجتماعية الأخرى .

كَنَف

وفي هذه المادة الفعل (تكاتف) وهو مادة جديدة استعملت في العربية الحديثة ، ولا أحسب أنه استعمل في الفصح المأثور من العربية ، وقد دخلت معجمات اللغة من هذا الفعل ، ولكن اللغة الحديثة تفيد من الاشتقاق فتوسع فيه لمعنى من المعاني . ومن المفيد أن نقول : أن علاقة المعنى الجديد للفعل (تكاتف) بالأصل وهو (كَتَف) من مفردات (خلق الإنسان) مفهومة معروفة .

ضَمَن

ومن هذه المادة الفعل (تضامن) والمصدر (تضامن) والفعل والمصدر من المواد التي تشيع في لغة الجيل الحاضر بمعنى (الاتحاد) فيقال مثلاً : (إن الأمة بتضامنها تبلغ الآمال) . ومعنى (التضامن) في الفصح المأثور (التكافل) وبعيد ما بين (الاتحاد) و (التكافل) ومادة (ضمن) تعني (كفل) و (الضمين) (الكفيل) . ويبدو من هذا أن (التضامن) بمعنى (الاتحاد) شيء من المولد الجديد الذي جاءت به لغة العصر . وأكبر الظن أن الذي حمل (التضامن) على معنى (الاتحاد) الخلط بين مادتين هما (تضامن) و (تضام) ذلك أن (التضام) مصدر الفعل (تضام) بتشديد الميم ، وأن المصدر (تضام) منوناً يجر إلى الخلط بينه وبين (تضامن) فقد قومت نون التثنية نوناً أصلية فتولد هذا الخطأ .

اِخْتِصَاصِي

يراد بالاختصاصي الاختصاصي أو المختص ، والكلمة تستعمل وصفاً لأصحاب

العلوم والفنون فالطبيب الاختصاصي هو الاختصاصي بمرض معين وكذلك يقال عن أصحاب العلوم الأخرى . ومن المفيد أن نذكر أن (إخصائي) لا يمكن أن تسد سد الاختصاصي ولا ينهم منها ذلك إلا على سبيل شيوخ الخطأ . فليس في مادة (خصص) شيء من هذه الكلمة . وإذا أردنا وجه الصواب فلا بد أن نقول : أن (الإخصائي) منسوب إلى (الإخصاء) وفرق بعيد بين (الاختصاص) المطلوب لأصحاب العلوم و (الإخصاء) مصدر أخصى يخصى باعتبار الفعل رباعياً وإن كان الثلاثي (خصى) هو الثابت الصحيح والمصدر خصاء بالكسر والمد (١) .

رئيسي

والوصف بـ (الرئيسي) معروف كثير في عريقتنا الحاضرة ، يقال : (السبب الرئيسي) و (العنصر الرئيسي) وغير ذلك . والذي أراه أن الوصف بهذه الصفة المنسوبة غير صحيح ، والوجه أن يقال : (السبب الرئيس) دون نسبة (الرئيس) ولا حاجة هنا إلى أن ينسب الشيء إلى نفسه ، وأكبر الظن أن هذه الصفة المنسوبة هي من بقايا ما ورثته العربية من العصور التركية ، لأنه ليس المراد بهذا الوصف المنسوب كونه خاصاً بـ (الرئيس) ، فليس هو مثل الوصف بـ (الأسامي) المنسوب إلى الأساس . وإنما هو مثل قولهم (السبب المهم) .

حياتي

وتساهل أهل هذا العصر في لغتهم حتى ارتكبوا الخطأ فقد نسبوا إلى (الحياة) قالوا (حياتي) دون النظر إلى ألف الحياة وعلامة التأنيث فيها فكما ينسبون إلى (وطن) ويقولون (وطني) كذلك نسبوا إلى (حياة)

(١) جاء في لسان العرب (أخصى الرجل) : نظم علماً واحداً على سبيل المجاز .
(لجنة المجلة)

فقالوا : (حياتي) وكان (حيوي) ليست نسبة إلى (حياة) وقد بلغ من شيوع الخطأ أن صارت وزارة التربية التي تشرف على صياغة العربية تجعل في منهاج المدارس الابتدائية (العلوم الحياتية) . وربما كان (وحدوي) أخف وطأة من هذا الارتكاب الشنيع .

مقصود

اسم المفعول من (صان) وكان هذه الكلمة في لغة الجرائد على وزن (فعول) توهماً على الخطأ ، ومعلوم أن (فعول) يستوي فيها المذكر والمؤنث نحو عجوز وغيره ، ولذا فقد كتبوا في الصحف في الإخبار عن عقد قران مثلاً : جرى يوم أمس عقد قران السيد فلان على الآنسة المصون ١٠٠٠ وقد جر التوهم إلى أخطاء كثيرة ولذلك ينبغي ألا يتصرف الدهن إلى التوهم الذي أحدث مواد لغوية جديدة نحو توهم أصالة الياء في (قيسة) فقالوا في الفعل (قيتم) بدلاً من (قوّم) ومثله (عيّد) من (عيد) . أما التوهم الذي نبأشره فهو من الأخطاء نحو توهم الياء أصلية في (يحبك) والذي جر إلى هذا (الياء) في المصدر (حياكة) . ومثله الواو في (سواح) بدلاً من (سياح) والعدول عن الياء إلى الواو في هذا الجمع كان بسبب ضمة السين . التي اجتلبت الواو من أجملها خطأ .

لازال

من أفعال الاستمرار ويجيء (لا) قبل (زال) الفعل الماضي يحفظها للدعاء كما هو في العربية . قال ذو الرمة :

ألا يا أسلمي يا دارمي على البلى ولا زال منهلاً يجرعائك القطر
على أن هذا الدعاء لم تحتفظ به عربيتنا الحاضرة . وإن متأدبي عصرنا لا يميزون بين (لا زال) و (ما زال) فيقولون : (لازالت الأنباء تتوارد) .

والانكى من ذلك

وهذا خطأ آخر في استعمال اسم التفضيل ، فالمعلوم ان اسم التفضيل إذا كان على " بالآلف واللام لا يؤدي بالمفضل عليه مجروراً بمن ، فالصحيح أن يقال :

(والانكى والأمر " ، والأدهى) دون الإتيان بالمفضل عليه مجروراً بمن .
ولا حجة بالشاهد النعوي :

ولست بالأكثر منهم حصى وإنما العزة للكثير
فقد خرج على أن (من) ليست تفضيلية بل للتبعيض أي : لست من
بينهم بالأكثر حصى .

ومعظم الأسباب تؤكد . . .

هذا باب عود الفعل على المضاف إليه وهو غريب في العربية الفصيحة إلا في شواهد سنعرض لها . أما في العربية المعاصرة فهو استعمال شائع .
ولغة اليوم في الصحيفة والاذاعة والمقالة الأدبية تعطي مئات الشواهد على ذلك .

أما في المأثور الفصيح فمنه قوله تعالى : (وكنتم على شفا حفرة من النار . فأنقذكم منها) (١) .

وقال جرير :

رأت مر السنين أخذن مني كما أخذ السرار من الهلال

وقال آخر :

وما حب الديار شغفن قلبي

وقال العجاج :

طول الليالي امرعت في نقضي طوين طولي وطوين عرضي

ما دخلت الدار الا ورأيت الطفل يلهو

هذه جملة صدرت بالنفي ثم جيء بـ (إلا) بعدها وهي متلوة بالوار التي تفيد الحال . وهذه الواو ترد كثيراً في مثل هذه الجملة في لغتنا الحاضرة وربما وجدت في لغة العصر العباسي ولكن لغة التنزيل قد خلت من هذا الاستعمال . جاء في قوله تعالى : (ما تأتيهم آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين) ^(١) وفي قوله تعالى : (وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون) ^(٢) وفي قوله تعالى : (وما يأتيهم من ذكر من الرحمن يحدث إلا كانوا عنه معرضين) ^(٣) .

الجملة الواقعة في جواب اذا الفجائية

هذه الجملة تكون إسمية وهي في لغة هذا العصر تكون مصدرة بـ (باء) زائدة إذا كان المبتدأ ضميراً نحو : (خرجت فإذا به واقف في الباب) ، وقد خلت لغة التنزيل من هذه الباء في مثل هذا الاستعمال . فقد جاء في قوله تعالى : (ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون) ^(٤) وفي قوله تعالى : (فإذا هم زجرة واحدة فإذا هم ينظرون) ^(٥) .

(١) الانعام ٤ .

(٢) الحجر ١١ .

(٣) الشعراء ٥ .

(٤) الزمر ٦٨ .

(٥) الصافات ١٩ .

اجتماع الشرط والقسم «لئن»

قالوا : ان اللام في «لئن» موطئة للقسم ومعنى ذلك أن الجواب لابد أن يكون للقسم نحو قول الشاعر :

فلئن عفوت لأعفو^١ جلاً ولئن وهنت لأوهن^٢ عظمي

ثم قال النحويون : وقد جاء قليلاً ترجيح الشرط على القسم عند اجتماعها وتقدم القسم ، وان لم يتقدم ذو خبر ، ومنه قوله :

لئن منيت^٣ بنا عن غيب معركة لاقلقنا عن دماء القوم ننتقل^٤

أقول : إن هذا الاستعمال غير قليل وترجيح الشرط على القسم عند اجتماعها وتقدم القسم وارد منذ عصور العربية الأولى .

قال عمر بن أبي ربيعة :

لئن كان ماحدثت^٥ حقاً فما أرى كمثل الألى أطريت في الناس أربعا

وفي العصر العباسي نجد أبا تمام في مثل هذا المقام يأتي شعره على نحو ما أقره النحويون في استعماله «لئن» . قال يمدح محمد بن يوسف الطائي .

لئن عمت بني حواء نفعا لقد خصت بني عبد الحميد

وعلى هذا جرى في جميع قصائده . غير أن البعثري في جميع قصائده

يحمل الجواب في مثل هذا الاستعمال إلى الشرط ، فهو يقول :

لئن صنت شعري عن رجال أعزة^٦ فأت قوافيه بوصفك أليق

أما في شعر الشريف الرضي فالأسلوبان قد وردا ، فهو يقول :

لئن راب مني مايريب فأنني على عدواء الدار غير مريب

وقوله :

لئن فارقتهم وبقيت حياً لقد فارقت أيام الشباب

أما شعراء هذا العصر فهم يعملون الجواب في مثل هذا المكان للشرط

ولا عبرة في هذه اللام الموطئة للقسم .

في الاستفهام

يستفهم كثيراً بـ « ما » وبـ « من » من أدوات الاستفهام . وقد يحصل أن يتوسط ضمير النغية المنفصل بين اسم الاستفهام والمستفهم عنه فنقول :

« ماهي المسألة ؟ » و « ماهو السبب ؟ » و « من هو المسئول » وهذا الأسلوب شائع كل الشيوع في عربيتنا السائرة ، غير أن الاستقراء لا يؤيد هذا الاستعمال ، والإيجاز الذي هو صفة العربية في بلاغتها يأبى هذا الخشو . قال تعالى : « قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها » (١) وقال تعالى : « قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي » (٢) .

لا يتفق والحالة الراجعة

الوار في هذه الجملة للنعية ومعنى هذا أن الاسم التالي لها منصوب على أنه مفعول معه ، ومثل هذه الجملة كثير غيرها مما يكون فيها الفعل دالاً على المشاركة . وهذه الأفعال لا يمكن أن تأتي بعمدها وأو للنعية وإنما تتمحض هذه الراو الى العطف . وإذا صح العطف فلا يمكن عطف اسم ظاهر على ضمير مستتر وإنما يجب أن يؤكد هذا الضمير المستتر بضمير منفصل حتى يتم العطف نحو :

(لا يتفق هو والحالة الراجعة) . ولكن الجملة كما أثبتناها في أعلاه شائعة في لغتنا الحاضرة .

وبعد فهذه جملة مواد أجريت فيها تحقيقات لغوية لأسجل شيئاً من التاريخ اللغوي وكيف يعرض له التبدل والتطور سلباً وإيجاباً .

الدكتور ابراهيم السامرائي ❖❖❖

(١) البقرة ٦٩ .

(٢) البقرة ٦٨ .

الوهراني ورقعته

عن مسامد دمشق

كان عصر نور الدين محمود بن زنكي (المتوفى سنة ٥٦٩ هـ) بداية العصر الذهبي الثاني في تاريخ دمشق . فبعد عصر الأمويين (٤٠ - ١٣٢ هـ) ، لم تشهد هذه المدينة حقبة أكثر ازدهاراً . ورخاءً ، وأشدّ قوّة ، وأحفل بالأمور الجسام والحوادث الكبار ، من عهد نور الدين والأيوبيين (٥٤٩ - ٦٤٨ هـ)^(١) .

في هذا العصر الذهبي الثاني كانت دمشق قبلة الأنظار تهوي إليها أفئدة الناس من كل حدب وصوب ، من المدن القريبة ، والبلدان القاصية .^(٢) وقد استهوت الباب المغاربة والأندلسيين خاصة فارعوا إليها ، وقالوا : « إن كانت الجنة في الأرض فدمشق لا شك فيها ، وإن كانت في السماء فهي بحيث تسامتها وتحاذيها » ،^(٣) بل أوصوا بقصدها

(١) عن هذه الحقبة انظر كتابنا « دمشق في القرن السادس الهجري » والمصادر المذكورة فيه .

(٢) انظر مثلاً مقالنا « دار الحديث الروية بدمشق » ، في مجلة المجمع العلمي العربي ، المجلد ٢٩ ، الجزء الثاني ؛ وجزء من الفوائد للنتقاء عن أبي العباس محمد بن يعقوب الأصم (مخطوط في الظاهرية ، مجموع ٢٨ ، الرسالة الخامسة ، ورقة ٢٥٦) .

(٣) القول لابن جبير ، الرحلة ص ٢٣٣ (طبعة صادر ، بيروت ١٩٥٩) .

والسكنى فيها^(١). فزارها بعضهم زورة قصيرة تبرّكاً بها وبمشاهدها ، أو أخذاً للعلم عن علماءها . وحلّ العيش فيها لآخرين منهم وطاب ، لما وجدوه من إنعام ، وإكرام ، وترحاب ، فأقاموا بها ، واتخذوها وطناً .^(٢) فحين هؤلاء المغاربة الذين رحلوا الى دمشق وأقاموا فيها محمد بن عمر بن محمد الوهراني^(٣) . كان أديباً صناعته الإنشاء . أقدم من ترجم له هو القاضي ابن خلّكان قال عنه إنه « أحد الفضلاء الظرفاء ، قدم من بلاده الى الديار المصرية في أيام السلطان صلاح الدين - وفاته الذي يمتُّ به صناعة الإنشاء . فلما دخل البلادَ ورأى بها القاضي الفاضل وعناد الدين الاصماني الكاتب وتلك الحلبة علم من نفسه أنه ليس من طبقتهم ، ولا تنفق سلعته مع وجودهم ، فعدل عن طريق الجِد ، وسلك طريق الهزل ... »^(٤) .

فیفهم من قوله أنّ الوهراني عدل عن طريق الجد بعد أن لقي العماد والفاضل عند صلاح الدين بمصر .

وهذا الكلام يحتاج الى تصحيح . فسلوك الوهراني طريق الهزل كان قبل أن يصبح صلاح الدين سلطاناً . لأنه كتب كثيراً من مقاماته الهزلية ورسائله في أيام نور الدين بدمشق كما سنرى . ولم يجتمع العماد والفاضل بمصر إلا بعد موت نور الدين .

(١) ابن جبير يقول : « فمن شاء الفلاح من نشأة مغربنا فليرحل إل هذه البلاد » الرحلة ، ص ٢٥٨ .

(٢) لزيادة التفصيل انظر كتابنا « دمشق في نظر المغاربة والاندليين » .

(٣) وهران بلدة مروفة في المغرب الأوسط (الجزائر اليوم) .

(٤) ابن خلّكان ، وفيات الأعيان ٤ : ١٩ (طبعة محيي الدين عبد الحميد) ؛ وقد تابع ابن خلّكان على ما قال كل من ترجم بعده للوهراني .

ثم إن مجيئه من بلاده الى الشرق لم يكن في أيام صلاح الدين ، بل كان أيام نور الدين . وقد وصفه في إحدى رسائله عندما سئل عنه وهو في بغداد ، فقال عنه « سبى للموتة شديد ، وركن للخلافة شديد ، وأمير زاهد ، ومليك مجاهد ، تساعد الأفلاك وتخدمه الجيوش والأملاك . » (١) وعجيب أن يخطيء ابن خلّكان مثل هذا الخطأ ، والأمر واضح ، على تتبعه رشدة تحرّيه . وقد تبعه فيه الصفدي في « الرائي » (٢) فقال : « قدم من المغرب الى مصر وهو يدعى الانشاء فرأى الفاضل والعماد ... » والذي عرفناه عن سيرته ، بعد مطالعة آثاره المخطوطة ، خاصة أنه زار دمشق في أيام نور الدين واتصل به (٣) . وأنه مرّ بصقلية ، وزار بغداد . ثم اتخذ دمشق داراً واستوطنها . وكان نور الدين شديد العطف على المغاربة ، فوجهت اليه خطابة مسجد دارياً . فبقي فيها . وقد زار مصر . ونرجّح أنه زارها بعد وفاة نور الدين . وعاد الى دمشق ، وبقي في دارياً حتى توفي سنة ٥٧٥ هـ ، أيام صلاح الدين . ودُفن على باب تربة أبي سليمان الداراني (٤) . وله رسالتان كتبها الى صلاح الدين « يتوقع نظرة من سعوده ، أو درّة من نجار وعوده » (٥) .

(١) الوهراني ، جليس كل ظريف (مخطوطة جامعة برنستون ، ورقة ٤ آ) ؛

وأبو شامة الروضتين ٨٤/٢ هـ (ط حلي) .

(٢) السفري ، الوافي بالوفيات ٤ : ٣٨٦ (تحقيق ديدرت) ؛ والظر أيضاً مثل هذا

القول عند الزركلي في الأعلام ٢٤١/٧ ، وكعالة في معجم المؤلفين ١٧٤/١١ .

(٣) يذكر الوهراني في « منامه » الكبير حادثة وقعت في دمشق لأحد من يذكرهم ، في

دار الفوّارة بخيرون ، في شهر سنة ٥٥٣ هـ .

(٤) ابن خلدون ، كان ، المصدر السابق . وعن داريا وأبي سليمان أرجع الى تاريخ داريا للخولاني .

(٥) جليس كل ظريف ، ورقة ٢٢ آ - ب .

استطاع الوهراني أن يجذب القلوب اليه . فقد كان « ظريفاً خفيف الروح » ، وكان بارعاً في الهزل والسخرية . فصبّ سخريته وتمكّمه على كبار علماء دمشق وفقهاء وأطباء وكُتّاب كالنّاج الكندي ، والمهذّب ابن النقّاش ، والقاضي الفاضل ، والقاضي ضياء الدين الشهرزوري ، والقاضي ابن أبي عصرون ، وغيرهم . ولم يسلم من لسانه وقلبه علماء مصر ورجالها أيضاً ، كالحبوشاني ، وابن نباتي . فألّف رسائل هزلية مختلفة . وابتدع فن المنامات الأدبية . وقد شُهر « منامه » الكبير « الذي سلك فيه مسلك أبي العلاء في رسالة الغفران » (١) ، و « جمع فيه أنواعاً من المزاح والأدب » (٢) . فتخيّل أنه رأى في المنام كأن القيامة قامت . ومنادياً يُنادي : هلموا إلى العرض على الله . فخرج من قبره حتى بلغ أرض المحشر . فلقى هناك كثيرين ممن عاصروه وعرفه ، أو مات قبل . فسخر منهم جميعاً وذكر ما حوسبوا عليه .

وقد جمع في كتابه « جليس كل ظريف » الكثير من رسائله ومناماته وفصوله الهزلية . (٣)

والذي يُطالع آثار الوهراني هاذة تبدو له براعته في التهكم والتصوير الهزلي . كان لا يتورع عن السخرية بنفسه . متخيلاً ما يقوله أعداؤه عنه . وصف القاضي الفاضل فقال : « فلم أشعر إلاّ والحائط قد انشق » ، وخرج منه شخصٌ عجيب الصورة ، ليس له رأس ولا رقبه ، وإنما وجهه في صدره ، ولحيته في بطنه » (٤) ووصف مجلساً ضمّ القاضي الشهرزوري ،

(١) الصفي ، للمصدر السابق ، ص ٣٨٧ وقال : « لكنه ألطف مفسداً وأعذب عبارة » .

(٢) التدمي ، العبر في خبر من غير (بالعين للمعجمة) ٢٢٦/٤ (تحقيقنا) .

(٣) وفي دار الكتب المصرية مجموعة من رسائله أيضاً . انظر فهرس دار الكتب

١٦٢/٣ : وبروكلمن ، الذيل الأول ص ٤٨٩ .

(٤) من رسالته إلى مجد الدين ابن اللطّاب . وتصوير الوهراني هذا أبرح من حياء ابن عتير للقاضي الفاضل وسخريته بجدته .

وابن النقّاش ، وابن العميد ، جرى فيه حديث المغاربة الذين يأتون من الغرب الى الشام ، ومنهم هو نفسه فقال :

« فيقول ابن العميد : ضيَعتم الوقت في حديث الوهراني ، والله إن مُلك المغرب نحس . ما جاءنا قطّ منهم إلا حارس كرم ، أو ناطور بستان [مع] الركوة والتاسومة ، وهذا الوهراني من بينهم ، شهد الله ، أثقل على القلوب من الغدّة الخارجة في الخلق ، وأوحش من الورم النافر في الأوداج . فيندفع حينئذ ابن النقّاش بفلسفته فيقول : اللهم العن الوهراني من الجهات الست ، اللهم العن ما يُقابل الوهراني من الأوج الى الخفيض . اللهم العن اُميولي التي شاركت العناصر في تكوينه . والله ما أعرف في مقر فلك القمر ، ولا على محدودب هذه الكرة الترابيّة شراً من ذلك الخيث »

« فيقول أبو المعالي ابن العميد بفصاحته : بالله عليكم اقصروا واقتصروا ... ما للوهراني عرض يُثلم ، ولا مجد يُهدّم . وهو دون كل ما ترموه (كذا) به ، وإن اشغالكم الوقت بحديثه يُضيع الزمان ، فإنه لا يصلح إلا لحل المشعل ، أو لنظارة التنبيط . والمسيبة أنه مع هذا يتمكنّب ويتمشعر ، ويعمل أشياء تشبه جوف لحية »

« ثم يشرع يحلو محاسن نفسه ، ويظهر فضيلته التي قدّم بها على الأقران فيقول : يا غلام ! اغسل حقوق القوم من ذكر الوهراني بشيء من الكثرى : العيلاني ، والسكّري ، والعشاني ، والسمرقندي ، والحلّاني ، والعزّي ، والبيطارى ، والدينوّري ، والبردي ، والديجوري ، والحلتافي ، والحدوني ، والصقلاي ، والمعنق ، والملكي ، والذهبي ، والرحني ، وشيء من التتاج : البطيحي ، والبديدي (كذا) ، والبربري ، والتبطي ، والصيفي ، والخشخاشي ، والفضي ، والحلواني ، والجنتاي ،

والقحابي ، والهامي ، والفتحي ، والحديثي ، والقبتليامي ، واللبناني . . . (١)
« .. ثم يقوموا (كذا) في هذا الوادي من الحديث ، فيشتغلوا (كذا)
عن ذكر وهران » .

« هذا إن صدق ظنّ الخادم وتخيّل ، فالأمر يجري على هذه الصورة » (٢).
وكتب الى رجل اسمه قسم الأعور رسالة ، كتبها مسخرة ، خاطبه فيها بقوله:
« يا مولاي الشيخ الزاهد ادبوس الإسلام ، لت الشريعة ، قنطارية
العلماء ، باقوروت (كذا) الائمة ، طبل باز السنة ، نصر الله خاطرك ...! » (٣)
ووصف بعض ألفاظ قصيدة قالها التاج الكند ، في رسالة كتبها
اليه ، فقال :

« ... ألا ترى أنها لا ينطق بها اللسان حتى ينخلع منها الفك » ، مع
ما فيها من التدقّص (كذا) ، والرقاعة المعجونة بالتبظرم ، ولأجل ذلك
جاوبتها الألسن بأنواع من الض ... (٤) .

وما كذا نرى من النصوص التي سقناها أن الهراني كان « صاحب
دعابة ومزاح » على حد قول الذهبي ، وأنه « ما سلم من شرّ لسانه أحد

(١) هذا التعداد لأصناف التفاح والكمثرى ذو شأن كبير لمعرفة ما كان يوجد منها
في دمشق أيام الأيوبيين . وما زال بعض هذه الأصناف موجوداً حتى يومنا . وقد
تصدّقنا نقل النص لمعرفة وفي معجم الألفاظ الزراعية أن شجر الكمثرى اسمه
Poirier بالفرنسية وهو الصحيح . وهذا مدلول الكمثرى في مصر أما في الشام
فيسمونه إجماعاً على حين أن الإجاز في اللغة هو الـ Prunier بالفرنسية والبرقوق
في مصر .

(٢) جليس كل ظريف ، ورقة ٢٣٣ - ٢٠ ب ، من رسالته إلى الأمير شمس الدين
ابن الوزير البليكي .

(٣) جليس كل أنيس ، ورقة ٣٧ ب ، والأسماء المذكورة كلها أسماء لضروب السلاح .

(٤) المصدر السابق ، ورقة ١٧ ب .

من عاصره » ، على قول الصفدي . وأنه كان كاتباً في الهزل والسخرية
والتهكم ، مقبول الكلام خفيف الروح ، على ما عنده من لدغ وحدة .
وهو ثاني اثنين سلّطهما الله على أهل دمشق أيام الأيوبيين : ابن عَتَيْنَ في
« مقراض الأعراض » شعراً ، وهو في « رسائله » و « منامه » نثراً .
ونعتقد أن السبب الذي دعاه إلى اتباع هذا الطريق هو طلب المال .
فقد كان يسمى إلى جمعه . يحدثنا هو عن نفسه فيقول :

لما تَعَذَّرَتْ مَآرِبِي ، واضطربتْ مَغَارِبِي ، أَلْقَيْتُ حَبْلِي عَلَى غَارِبِي ،
وجعلتُ مَذْهَبَاتِ الشَّعْرِ بَضَاعِي ... فما مررتُ بِأَمِيرٍ إِلَّا حَلَلْتُ سَاحَتَهُ ،
واستمطرتُ رَاحَتَهُ ، ولا بوزيرٍ إِلَّا قَرَعْتُ بَابَهُ وَطَلَبْتُ ثَوَابَهُ ، ولا بِقَاضٍ
إِلَّا أَخَذْتُ مِثْبَهُ ، وَأَفْرَعْتُ جَيْبَهُ ... (١) .

فهو يستمطر راحة الأمراء ، ويطلب ثواب الوزراء ، ويُفْرِغُ
جيوب القضاة .

ولم يغمز الوهراني نور الدين إلا لأنه كان لا يُعْطِي الأديباء والشعراء
الأموال . فقد قال عنه : « عُرِفَ بِالْحُلِّ الْجَدِيدِ لِلشَّاعِرِ الْأَدِيبِ . فما
يُرْزَى ولا يُعَزَّى ، ولا لشاعر عنده من نعمة تُجَزَى » (٢) .

وكيف كان أمر الوهراني فيما ابتغاه من سخريته ، فإنه يكاد يكون
نسج وحده في أدبنا العربي ، فيما كتب . وهو جدير بدراسات واسعة
تكتب عنه . وآثارد المخطوطة ينبغي أن تقتصر .

(١) جليس كل ظريف ، ورقة ١ ب .

(٢) انظر الروضتين ٨٤/٢ (فقرة محمد حلي) وقد أخطأ المحقق في ضبط اسم
الوهراني ، فجعله يحيى بن محمد !

- ٣ -

أما الرقعة التي نشرها ، والتي مهدت لها بنا ذكرناه ، فهي من مضمونات كتابه « جليس كل ظريف » . وهو كتاب قادر على وحيده في مجموعة يهودا المخطوطة ، بجامعة برنستون بالولايات المتحدة الأميركية ، وهو محفوظ فيها (برقم 665 ab. ١٧) . ولم يعرف بروكلمن هذه المخطوطة .

وقد رأينا نشر هذه الرقعة لأنها من النصوص المتعلقة بتاريخ مدينتنا دمشق ، وخاصةً بتاريخ مساجدها . وخلصنا أن مساجد دمشق والضيق التي من حولها أصابها في زمن نور الدين الخراب والضياع . فاجتمعت هذه المساجد ، ولجأت إلى أميرها وسيدها جامع بني أمية . وكتب لها جامع النيرب قصة قدّموها إليه . ذكر فيها ما تلقاه المساجد من جور العمال ، ونهب الوقوف ، وخراب الحيطان والسقوف . ثم تكلم جامع المزة ، ثم مشهد برزة . فلما استمع مسجد دمشق إلى الكلام أشار أن يكتبوا شكواهم إلى قاضي القضاة أبي سعد بن عمرو . فقرأها وكتب على ظهرها هجاء لمسجد دمشق . فغضب المسجد ، ورفع شكواهم مع شكواه إلى الملك الزاهد نور الدين . فلما وقف نور الدين على ما كتبوا اهتم فأصلح أحوال المساجد . وعزل ابن عمرو .

هذه خلاصة الرقعة . ومن الممكن أن يكون الرهراني قد كتبها لعله بحالة المساجد يومئذ ، وقد كان - كما مرّ بك - خطيباً في مسجد داريتا . ولعله كتبها ودسّها إلى نور الدين نفسه ، فكانت بمردها عنايته بإصلاح المساجد وتطهيرها مما ذكر أخباره أبو شامة وابن كثير وابن واصل ، وسبط ابن الجوزي ، وابن قاضي شهاب ، وغيرهم فقد تقدّم بإحصاء ما في عمال دمشق من المساجد الخراب فأناف على مئة مسجد ، فأمر بمهارة

ذلك كله . وعيّن له وقوفاً . (١) ورأى جامع دمشق دائراً فأتى بالقاضي كمال الدين محمد بن عبد الله الشهرزوري الموصلي فولّاه قضاء قضاء دمشق ، وولّاه نظر الجامع فأصلح أموره . وكذلك وقف نور الدين عليه أوقافاً لتطريبه . وذكر العماد الاصبهاني أنه عمر في سنة ٥٦٥ هـ جامع دارياً ، ومشهد أبي سليمان الداراني (٢) ، الى غير ذلك ، مما يدل على سوء حالة المساجد وصدق ما في الرقعة .

وتشير الرقعة أيضاً الى أن نور الدين عزل ابن عسرون بسبب إهماله المساجد . وابن عسرون هذا هو شرف الدين أبو سعد عبد الله بن محمد ابن أبي عسرون الموصلي المتوفى سنة ٥٨٥ هـ . قدم الى دمشق لما فتحها نور الدين سنة ٥٤٩ هـ فدرّس بالقزالية وولي أوقاف المساجد ثم سافر الى حلب ، ثم عاد الى دمشق بعد وفاة نور الدين ، سنة ٥٧٥ هـ . وهو الذي قنسب اليه المدرستان العسرونيّتان بدمشق وحلب . (٣)

ولم يذكر ابن خلكان ، ولا ابن كثير ، ولا ابن العماد صاحب الشذرات ، سبب تركه نظر أوقاف المساجد ، وهذه الرقعة تفيدنا في معرفة السبب .

وها هوذا نصّ الرقعة :

(١) ابن واصل ، مفرّج الكرب ٢٨١/١ : أبو شامة ، الروضتين ١١/١ : سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ٣١٢/٨ : البدر ابن قاضي شعبة انكواكب الدرّة (مخطوط) .

(٢) ابن كثير ، البداية ٢٦١/١٢ : النجاشي ، الدارس ٤٣٢/٢ . الأول علاء من الهاد ، والثاني علاء عن البدر ابن قاضي شعبة .

(٣) ابن خلكان ، وفيّات ٢٥٦/٢ (ط - محيي الدين عبد الحميد) : وانظر الدارس ٣٩٨/١ .

نسخة الرقعة التي رفعها المساجد

الى جامع دمشق

لما تحكمت يدُ الضياع في مساجد الضياع ، وأرتج بابُ
العدلِ وأغلق ، وُبذَ كتابُ الله وَخَلَقَ ، فزعت المساجدُ إلى
جامعِ جَلَّقَ ، وهو يومئذ أميرُها ، عليه مدارُ أمورِها . فلما
وصلوا إلى بابهِ ، واجتمعوا تحت قبتِهِ ومحرابه ، كتب لهم جامعُ
النيربِ قصةً إليه ، وتوصلوا إلى مَنْ عَرَضَها عليه . فكانت
الرقعةُ مسطورةً على هاذِهِ الصورة ^(١) .

«الممالكُ مساجدُ الكورة يُقَبَّلون الأرضَ بين يدي الملكِ
المعظم ، البديعِ الرفيعِ المكرَّم ، كهفِ الدين ، جمالِ الاسلامِ
والمسلمين ، بيتِ الأتقياء والصالحين ، مدفنِ الأنبياء والمرسلين ،
مَعْبَدِ المَلَتَيْنِ ، صاحبِ الدولتين ، بُنيَّةِ أمير المؤمنين ، أعلا
الله منارَه ، وأتيد أنصارَه ، وعَمَرَ بالتوحيد أقطاره .

(١) انظر جليس كل ظريف ، ورقة ٥ ب - ٧ ب .

« وَيُنْهَوْنَ إِلَيْهِ مَا يُقَاسُونَهُ مِنْ جَوْرِ الْعَمَالِ ، وَتَضْيَعِ
الْأَعْمَالِ ، وَنَهَبِ الْوُقُوفِ ، وَخَرَابِ الْحَيَاطَانِ وَالسَّقُوفِ .
قَدْ أَلْفَهُمُ الظُّلْمُ وَالظَّلَامُ ، وَأَنْكَرَهُمُ الْمُؤَذَّنُ وَالْإِمَامُ ،
فَلَا يُسْمَعُ فِيهِمْ إِلَّا أَذَانُ الْبُومِ ، وَتَسِيحُ الْغُيُومِ . قَدْ
رَكَعَتْ أَرْكَائُهَا ، وَسَجَدَتْ سَقُوفُهَا وَحِيطَانُهَا ، تَبْكِي عَلَيْهَا
النَّوَاقِسُ ، وَتَرْتِي لَهَا الْبَيْعُ وَالْكَنَائِسُ .

« يَا وَثِيعَ مَنْ يَرِثِي لَهُ الشَّامَتُ »

وَقَدْ قَزَعْنَا ، آتِيَا الْمَلِكَ ، إِلَى بَابِكَ ، وَأَوْتَيْنَا تَحْتَ جَنَابِكَ ،
فَافْعَلْ بِنَا مَا هُوَ أَوْلَى بِكَ .

وَالسَّلَامُ . »

فَلَمَّا وَقَفَ عَلَى هَذِهِ الْحِكَايَةِ ، وَفَهِمَ مُقْتَضَى الْكِنَايَةِ ،
اسْتَوَى جَالِساً فِي مَقْعَدِهِ ، وَضَرَبَ يَدَهُ عَلَى يَدِهِ ، وَقَالَ :
كَيْفَ وَأَنْتِي ، أُمُّ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمْنَى ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَغَنَى :
« وَمَا شَرِبَ الْعُشَّاقُ إِلَّا بِقِيَّتِي

وَلَا وَرَدُوا فِي الْحُبِّ إِلَّا عَلَى وَرْدِي »

ثُمَّ أَشْرَفَ عَلَى إِيوَانِهِ ، بَيْنَ حَفْدَتِهِ وَأَعْوَانِهِ ، وَأَقْبَلَ يُقَلِّبُ

طَّارِفَه فِي الْجُمُوعِ ، وَيَكْفُكُفُ انْسِرَابَ الدَّمُوعِ ، لَمَّا يَرَى مِنْ
اخْتِلَالِهِمْ ، وَفَسَادِ أَحْوَالِهِمْ .

فَابْتَدَرَ جَامِعَ الْمَرْةَ لِلْمَقَالِ ، فَتَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْ الْمَلِكِ وَقَالَ :
« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَضَى عَلَيْنَا بِالْخَرَابِ ، وَصَيَّرَ أَمْوَالَنَا كَالسَّرَابِ ،
وَجَعَلَنَا مَأْوَىً لِلْيَوْمِ وَالْغُرَابِ .

« أَنْحَمَدُهُ حَمْدَ مَنْ كَانَ فَقِيرًا ثُمَّ اسْتَغْنَى ، وَأَدْرَكَ بِمَالِ
الْوَقْفِ مَا تَمَنَّى . وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَنَحْدَهُ لَا شَرِيكَ
لَهُ ، شَهَادَةً عَالِمٍ عَامِلٍ ، مَتَحَمِّلٍ لثَقَلِ الْأَمَانَةِ حَامِلٍ ، وَأَشْهَدُ
أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، الصَّادِقُ الْأَمِينُ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ ، الطَّيِّبِينَ الْأَكْرَمِينَ .

« أَمَّا بَعْدُ أَثِيْمَا الْمَلِكُ السَّعِيدُ ، ثَبَّتَ اللَّهُ قَوَاعِدَ أَرْكَانِكَ ،
وَشَيَّدَ مَأْوَاهُ مِنْ بَنِيَانِكَ ، فَإِنَّ الْخَرَابَ قَدْ اسْتَوْلَى عَلَى الْمَسَاجِدِ ،
حَتَّى نَخَلَتْ مِنَ الرَّكَعِ وَالسَّاجِدِ ، وَأَصْبَحَتْ جَوَامِعُ الْغُوطَةِ
غِيْطَانًا ، لَا سَقُوفَ لَهَا وَلَا حِيْطَانًا . وَمَشَاهِدُ الْبَقَاعِ (١) ، صَفْصَفًا
كَالْقَاعِ ، وَمَسَاجِدُ حُورَانَ وَمَخَازِنَ وَأَقْرَانَ ، فَكَمْ بُنْيَةَ لَعِبَ

(١) يشير الى البقاع العزيزي ، في لبنان اليوم .

الجورُ بأربابها ، ونَسَجَ العنكبوتُ على بابها ، وكم بيوت لله
 غلقت دون أصحابها ، فَعَشَعَشَ الحمامُ في محرابها . ﴿ وَمَنْ
 أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي
 خَرَابِهَا ﴾ ^(١) . وقد دُخِلَ آيها الملك على الوقوف ، بحجة العمارة
 والسقوف . فاتفقت علينا الأهواء ، واختلفت فينا الأمطارُ
 والأنواء ، فلا يزال المسجدُ يَنهار ، وتأخذهُ السيولُ والأنهار ،
 حتى يُمحيَ رسمُهُ ، ولا يبقى منه إلا اسمُهُ . وأنت ،
 أيها الملكُ ، عمادُنا ، وأليك بعد الله معادُنا ، فالتفتَ الى حالنا ،
 وأنظرَ في صلاح مآلنا ، يُصلح اللهُ أحوالك ، ويُسدّد في الخير
 أقوالك وأفعالك . والسلام .

ثم جلس .

فقال الملك : هاؤلاء المساجد ، فما بالُ المشاهد ؟
 فبرزَ مشهدُ برزة متوكِّئاً على مسجد الأرزة ، وهو يُصلصلُ
 ويصول ، ويلطمُ وجهه ويقول :

(١) سورة البقرة ، ٢ ، الآية ١١٤ .

« كلما حاولتُ أشكو قصتي

لا أُلَاقِي غَيْرَ ذِي قَلْبٍ جَرِيحٍ

يَتَشَكَّى مُثْلَ شِكْوَايَ لَهُ

يَا لِقَوْمِي مَا عَلَيْهَا مَسْتَرِيح ! »

« أما بعدُ ، أيها الملك السعيد ، أدام الله جمالَكَ ، وبلغَكَ في

العدوِّ آمالك ، فإنَّ مقامَ إبراهيم أصبح في كلِّ وادٍ يميم ،

ومغارةَ الدمِّ ، لا تستفيقُ من النِّمِّ ، ومسجدَ الكهف ، لا يفتُر

من اللِّهف ، وقبرَ شيث ، قد استأصله الخبيث . وقبرَ نوح ،

يبكي وينوح ، وقبرَ جيلة مالنا فيه حيلة ، وقبرَ الياس تعوضنا

عنه بالياس . وأنستَ المشاهدُ كأربابها ، وأصبحت رسماً

كأصحابها . قد محتها العوادي ، وحدا بها الحادي :

« جَرَّتِ الرِّيحُ عَلَى رُسُومِ دِيَارِهِمْ

فَكَأَنَّمَا كَانُوا عَلَى مِعَادٍ »

فقال الملكُ : رَبُّ طَارِقٍ عَلَى غَيْرِ وَعْدٍ ، وَفِي كُلِّ وادٍ

بنو سعد .

ثم تنحنح عجباً ، وحرك رأسه طرباً ، واستفتح المقال بأن قال :

« الحمد لله الذي لا يحمّد على المكروه سواء . نَصَبَ العدلَ
وسواءه ، وأَمَدَّه بعونه وقوّاه . فَمَنْ أَضَلَّ تَمَنَّى اتَّبَعَ هَوَاهُ
﴿ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ، وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ ، وَجَعَلَ
عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً ، فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ ﴾ (١) .

« أَحمدُه على ما رزقني من الاحتمال ، وأشكرُه على ذهابِ
العِرْضِ والجاءِ والمال . وأشهدُ أن لا إله إلا الله ، وتحدّه لا شريك
له ، شهادة مَنْ أعطى الأمانةَ حقّها ومُستحقّها ، وأنّ محمداً
سيدُ الأولين والآخرين رسولُ الله .

« أما بعد ، يا معشر المتكلّمين ، وطائفةَ المساجد المتظلمين ،
فإنّه والله ما يصل اليكم من الجور إلاّ ما يفضّل عني ، ولا ينتهي
اليكم إلاّ ما يُستعار مني . ولولا أنّ أركانِي سليمة ، وبُنيتي
قديمة ، لأصبح جامع بني أميّة ، يغني : يا دار ميّة .

« وقد والله شرّقتُ بغصّتكم ، وحزّتُ في قصّتكم ، إنّ
رفعتُ أمركم إلى الملكِ العادل (٢) ، ردّكم إلى الشيخ العالم

(١) اقتباس من سورة الجاثية ، ٤٥ ، الآية ٢٣ .

(٢) يعني نور الدين .

العامل^(١) ، فلا يرعى لكم حرمة ، ولا يراقب فيكم إلا ولا ذمة ،
« شَكُوْى الجريحِ إِلَى الغِرْبَانِ والرَّخْمِ »

والرأيُ عندي أن تكتبوا للشيخ قصة ، ولا تتركوا في صدوركم
غصة ، وأن تجعلوا في الكتاب أنواعاً من العتاب ، فإن التأم
رأيه برأيكم ، وإلا فالسلطان من ورائكم .

« أَقُولُ قَوْلِي هَذَا ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ . »
فنادوا بالغلام ، فأتى بالدواة والأقلام ، فقال : اسْتَعِذْ بِاللَّهِ
مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، واكتب : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .
و من ملك الجوامع بجيرون الى أبي سعد بن عُصْرُونَ^(٢)
« لَقَدْ أَسْمَعْتَ لَوْ نَادَيْتَ حَيًّا »

و لا كن لا حياة لمن يتنادي »

« أَمَا بَعْدُ يَا غَدَارَ ، فَقَدْ هَيَّجْتَ الْأَلَمَ ، وَأَبْهَمْتَ الظُّلْمَ ،
وَمَنْ أَسْتَرَعَى الذِّيبَ فَقَدْ ظَلَمَ . طَالَمَا تَغَاضَيْنَا عَنْ خِيَانَاتِكَ ،
حَتَّى اكْتَنَزْتَ الْأَمْوَالَ وَادَّخَرْتَهَا ، وَجَمَعْتَ الذَّخَايِرَ وَاعْتَزَلْتَهَا . »

(١) يعنى ابن أبي عصرون .

(٢) كذا مشكوة في الأصل بضم العين .

أَمِنْ أَجْلِ هَذَا كَانَتْ سِيَا حَتُّكَ ، وَبِسَبَبِهِ كَانَتْ نِيَا حَتُّكَ ؟
وَلَا أَجْلَهُ كُنْتَ تَسِيحُ وَتَصِيحُ ؟ حَتَّى غَبَطْتَكَ الْمَسِيحُ . لَقَدْ
عَجِبْتُ أَثِيهَا الشَّيْخُ مِنْ مَحَالِكَ ، فِي ابْتِدَاءِ حَالِكَ ، وَمِنْ
فَسَادِ أَمْرِكَ عِنْدَ آخِرِ عُفْرِكَ ، صَلَّيْتَ بِالْمَسُوحِ وَالْقَيْدِ ،
حَتَّى ظَفَرْتَ بِأَنْوَاعِ الصَّيْدِ ، وَتَقَلَّدْتَ بِالقُرُونِ وَالْعِظَامِ حَتَّى
تَقَلَّدْتَ الذُّبُوبَ^(١) الْعِظَامِ . إِنَّ كُنْتَ فِي هَذَا الْعَمَلِ ، إِلَّا كَمَا
قِيلَ فِي الْمَثَلِ :

« صَلَّى وَصَامَ لَا مَرٍ كَانَ يَأْمَلُهُ
حَتَّى حَوَاهُ ، فَمَا صَلَّى وَلَا صَامَا »

« فَعَرَّفَنِي ، أَثِيهَا الشَّيْخُ الْمُفْتُونَ ، وَالبَايَعُ الْمَغْبُونُ ، لِمَ بَغْتَ
الْبَاقِيَةَ بِالْفَانِيَةِ ، وَالْقَاصِيَةَ بِالدَّانِيَةِ ؟

إِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ إِلَّا لَعَلَّةً ، أَوْ لِتَحْقِيقِ مَلَّةٍ ، إِمَّا أَنْ تَكُونَ
اسْتَطَبْتَ السَّكْبَاجَ ، وَاسْتَلَنْتَ الدِّيَابِجَ ، وَإِمَّا أَنْ نَصَدَّقَ أَهْلَ
الْأَحْقَادِ ، فِي أَنَّكَ نَصِيرِي فِي الْإِعْتِقَادِ . لَا تَقُولُ بِالنَّجْعَةِ ،
وَلَا تَصَدِّقُ بِالرَّجْعَةِ . وَكِلَاهُمَا أَنْتَ فِيهِ مَلُومٌ ، وَمُعَاقَبٌ

(١) فِي هَامِشِ الْأَصْلِ : خ « الْأُمُور » .

وَمَذْمُومٌ . وَحَسْبُكَ قَدْ بَلَغَنِي مَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنْ قِلَّةِ الْوَفَا ، مَعَ هَؤُلَاءِ
الضُّعَفَا . فَأَحْسَمَ عَنْهُمْ أَذَاهُمْ ، وَلَا تُمْكِّنْ مِنْهُمْ أَعْدَاهُمْ . وَالسَّلَامُ .
فَلَمَّا وَصَلَتِ الرِّقْعَةُ إِلَيْهِ ، وَقَرَأَ مَا قَدْ انْطَوَتْ عَلَيْهِ ،
﴿ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ، فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ، ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ .
ثُمَّ نَظَرَ ، ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ، ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴾ ^(١) وَشَتَمَ الْمَسَاجِدَ
وَبَانِيهَا ، وَلَعَنَ الْمَشَاهِدَ وَقَانِيهَا ، وَقَلَّبَ الرِّقْعَةَ وَكَتَبَ فِيهَا :
وَصَلَّتْ رَقْعَتُكَ ، أَصْلَحَكَ اللَّهُ ، كَأَنَّهَا ضَرْبَةُ مَوْتُورٍ ،
أَوْ نَفْثَةُ مَصْدُورٍ ، تَخْلُطُ فِيهَا الْهَزْلُ بِالْجِدِّ ، وَتُبْدِي غَيْظَ
الْأَسِيرِ عَلَى الْقِدِّ . وَأَنِيمَ اللَّهُ ، لَقَدْ فَرَّقْتَ بَرِيًّا وَقَذَفْتَ
سَرِيًّا ، وَجِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا . فَاشْدُدْ مِنْ عِقَالِكَ ، وَتَأَيَّدْ فِي
مَقَالِكَ ، فَمَا كُلُّ شَخْصٍ يُذَمُّ شَكْلُهُ ، وَلَا كُلُّ طَائِرٍ يَحُوزُ
أَكْلُهُ ، وَمَا كُلُّ بَيْضَةٍ شَحْمَةٌ ، وَلَا كُلُّ سُودَاءٍ فَحْمَةٌ . وَلَوْ
كَانَ لَكَ عَقْلٌ يَهْدِيكَ ، لَوَارَيْتَ أُوَارَكَ ، وَلَسَرَّتْ عُوَارَكَ .
أَلَيْسَ قَدْ اشتهر عند الداني والقاصي ، بِأَنَّكَ قَطْبُ الْمَعَاصِي ؟
حَتَّى لَقُبُوكَ : بِسُوقِ الْفُسُوقِ ، وَمِيدَانِ الْمُرْدَانِ ، وَرِحَابِ
الْقِحَابِ ، وَحَتَّى قَالَ فِيكَ الشَّاعِرُ :

(١) اقتباس من سورة الم نشر ، ٧٥ ، الآيات ١٨ - ٢٢ .

« تَجَنَّبْ دَمَشَقَ وَلَا تَأْتِهَا
وإن رَأَيْتَ الْجَامِعَ الْجَامِعُ
فَسُوقُ الْفُسُوقِ بِهِ قَائِمٌ
وَفَجْرُ الْفُجُورِ بِهِ طَالِعُ »

لَا جَرَمَ أَنْ اللَّهَ قَطَعَكَ بِالنَّطْرِ ، وَعَاقَبَكَ بِالْحَرِيقِ ،
وَعَذَّبَكَ بِالنِّيرانِ ، وَقَرَنَكَ بِشَرِّ الْجِيرَانِ ، وَجَعَلَ الْمَيْضَ
عَلَى أَبْوَابِكَ ، وَالزُّطَّ فِي قِبْلَةِ مَحْرَابِكَ . وَجَعَلَ خَطِيْبَكَ أَفْوَهَ
دَائِصَا ، وَإِمَامَكَ أَعْمَى نَاقِصَا . فَلَوْ أَنَّكَ الْبَيْتُ الْمَعْمُورَ لَهَجَرْتَ ،
أَوْ بَيْتُ مَكَّةَ لَمَا حُجِّبْتَ . فَتَوَقَّفْ عِنْدَ مَقْدَارِكَ ، وَانْظُرْ فِي
إِرَادِكَ وَإِصْدَارِكَ . وَالسَّلَامُ . »

فَلَمَّا وَقَفَ الْجَامِعُ عَلَى رَقْعَتِهِ ، وَرَأَى مَا فِيهَا مِنْ رَقَاعَتِهِ ،
قَامَ وَقَعْدَ ، وَأَثَرَقَ وَأَرْعَدَ ، وَقَالَ : اكْتُبْ يَا غَلَامُ :
« بِاسْمِ الْمَلِكِ الْعَلَامِ »

مِنْ أَلْعَاتِبِ الْوَاجِدِ ، إِلَى الْمَلِكِ الزَّاهِدِ .

قَالَ الْحَائِظُ لِلْوَيْدِ : لِمَ تَشَقُّنِي ؟

قَالَ : سَلْ مَنْ يَذَّقُنِي .

أَمَّا بَعْدُ ، أَيُّهَا الْمَلِكُ الْعَادِلُ ، أَذَامَ اللَّهُ أَيَّامَكَ ، وَنَشَرَ فِي

الخافقين أعلامك . فقد طاولت بعد لك القمرين ، وسرت سيرة
 العمرين ، فإن الله شرف بُنيتي وحرّمها ، وطهر بُقعتي وكسّمها .
 طالما زوحتُ بالمناكب لما كنتُ هنكلاً للكواكب .
 وكم أمسيتُ مشكاةً للأنوار وبيتاً لعبدة النار .
 ثم انتقلتُ الى اليهود بعد انقراضِ ملّةِ هود ، فتأنستُ
 بالزبور ، وبالأنبيا في القبور .

ثم جاءت دولة الصليان ، فقرّبتُ بالقربان ، ومعاشرة الرهبان .
 ثم جاء الإسلام ، فتشرّفتُ بدين سيدنا محمد عليه أفضلُ
 الصلاة والسلام .

فأنا المعظم في كل زمان ، والمقدم في كل قران .
 وكيف يسعك ، أيديك الله ، التغافل عن حالي ، والتحسين
 لنهب أموالي ، ويدك مبذولة في البلاد ، ومتحكمة في رقاب
 العباد ؟ وأي شيء يكون جوابك يوم النشور ﴿ إذا بُعِثَ
 ما في القبور ﴾ ، وحصل ما في الصدور ﴿ (١) ﴾ . وقد أوقفك
 موقف الذليل بين يدي الملك الجليل ، وأقولُ لك : أي
 رب ! سلّ هذا لم أهملني ، وسلمني لمن أكلني ؟ فلا تردّ

(١) اقتباس من سورة العاديات ، ١٠٠ ، الآية ٨ ، ٩ .

جواباً ، ولا تحيرُ خطاباً ، ولا آخذُ منك ضميناً ولا كفيلاً ،
ولا أقبلُ عنك شفيعاً ولا وكيلاً . فتقول : ﴿ يَا كَيْتَنِي أَتَّخَذْتُ
مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً . يَا وَيْلَتَا ، كَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا .
لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ، وَكَانَ الشَّيْطَانُ
لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ۝ ^(١) .

فَقَدَّمْ ، أَيُّهَا الْمَلِكُ ، لِنَفْسِكَ مَا تَجِدُهُ غَدَاً فِي رَمْسِكَ .
وُخِذْ هَذِهِ التَّذْكَرَةَ بِالْحِسَابِ ، قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ، تَبَرُّاً مِنْ
التَّبَاعَةِ ، وَتَدْخُلَ فِي أَهْلِ الشَّفَاعَةِ .

وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ عَمَّرَ مَسَاجِدَ الْإِسْلَامِ ، وَرَحِمَهُ اللَّهُ وَبَرَكَاتِهِ .
فَلَمَّا وَقَفَ نَوْرُ الدِّينِ عَلَى كِتَابِهِ ، وَتَجَرَّعَ أَلِيمَ عِتَابِهِ ، التَفَتَ
إِلَى الْمَسَاجِدِ ، فَرَثَى لَهُمْ ، وَسَدَّدَ أَحْوَالَهُمْ ، وَأَسْرَهَا يَوْسُفَ
فِي نَفْسِهِ ، وَلَمْ يُبْنِدِهَا لَهُمْ .

ثُمَّ نَظَرَ إِلَى ابْنِ عَصْرُونَ فَأَنْزَلَهُ وَاعْتَزَلَهُ ، وَحُجِبَهُ عَنْ بَابِهِ
وَاخْتَزَلَهُ ، وَأَلْقَاهُ فِي سَجْنِ الصَّدُودِ ، وَخَلَّدَهُ فِيهِ إِلَى يَوْمِ الْخُلُودِ ،
وَقَرَأَ عَلَيْهِ : ﴿ إِلَّا بُعْدًا لِمَتَدَيْنَ كَمَا بَعُدَتْ نَمُودُ ۝ ^(٢) وَالسَّلَامُ ۝ .

* * *

(١) اقتباس من سورة الفرقان ، ٢٥ ، الآيات ٢٦ - ٢٨ .

(٢) اقتباس من سورة هود ، ١١ ، الآية ٩٥ .

ملحق

عن الأماكن المذكورة في نص الرقعة

حسب ورودها

جامع جلدق : هو المسجد الأموي . أنظر عنه :

ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، المجلد الثانية (تحقيقنا) ص ٥ وما بعدها
(دمشق ١٩٥٤ م) .

المنجد ، خطط دمشق ، ص ٥٥ (بيروت ، ١٩٤٩ م) .
مجهول ، ذكر ما استقر عليه الجامع إلى سنة ٧٣٠ هـ . (تحقيقنا) ،
دمشق ، ١٩٤٨ م .

النيسبي ، الدارس (تحقيق الأمير جعفر الحسني) ٣٧١/٢ .
بدران ، مناداة الأطلال ، ص ٣٥٧ (نشرت بدمشق سنة ١٣٧٩ هـ على
ثقفة الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني . وهي طبعة سيئة جداً) .

جامع النيرب : النيرب قرب البروة ، معروف . وهما نيربان . أنظر عنهما : ابن
طولون : القلائد الجوهريّة في تاريخ الصالحية . (تحقيق الأستاذ دهمان) .
وجامع النيرب وصف بأنه كان حتماً مقام فيه الجملة . ثم خرب ،
في آخر العهد المملوكي ، وأخذت آلاته إلى عمارة تكية السلطان
سليمان ، سنة ٩٦٥ هـ . أنظر : النيسبي ، الدارس ٤٣٨/٢ - ٤٣٩ .
وذكر ابن عساكر مسجدين في النيرب . سمي الأول : مسجد
في النيرب الأسفل . والثاني : مسجد النيرب من مساجد القرى (تاريخ
دمشق ، المجلد الثانية ص ٨٩ - ٩٠) .

جامع المنزة : للمنزة قرية قرب دمشق معروفة . وكانت تسمى منزة كلب لتربول
قبائل كلب بها . أنظر : للمنجد ، منازل القبائل العربية حول دمشق .
في مجلة المجمع العلمي العربي ، المجلد الثلاثون . الجزء الأول :
وباقوت ، معجم البلدان : وصف زكريا ، الريف السوري ١٠٦/٢ :
محمد كرد علي ، غوطة دمشق .

ليس عندنا نصوص عن جامع للزّنة الذي عناء الوهراني . وتوجد
نصوص عن جامع للزّنة الذي عمره النصفى بن شكر سنة ٦٢٢ هـ .
(الدارس ، ٤٣٢/٢) وجامع المرجاني بضواحي للزّنة (الدارس
٤٤٢/٢) .

الغوطّة : غوطّة دمشق . مروة . أنظر كتاب غوطّة دمشق .
البقاع : هي البقاع المزري . في لبنان اليوم . مروة .
حوران : مروة ، جنوب دمشق .
مشهد برزّة : برزّة قرية من غوطّة دمشق . مروة . أنظر : غوطّة دمشق .
ومشهد برزّة هو الذي زعموا أنه مقام ابراهيم الخليل . أنظر :
المدوي ، الزيارات بدمشق ، ص ١٦ (تحقيقنا) .
مسجد أرزّة : أرزّة قرية كانت في محلة الشهداء ، على طريق الصالحية . دثرت
منذ زمن بعيد . لم يبق من آثارها إلا قبور الشهداء . أنظر :
المدوي ، الزيارات ص ١٥ : ودهان مقدمة القلائد الجوهريّة في
تاريخ الصالحية ، ص ١٨ : وعلق في ص ٢٤٧ بقوله : « ومن
كلام العوام : ماين برزّة وأرزّة أربعون ألف ني » وفي قصيدة مصطفى
البكري التوسلية ، ورد :

ياربّ بالذات الطيبة وبسرّ أسرار الهويّة

بالتسام ثم يبرزّة مع أرزّة والصالحية

مقام ابراهيم = مشهد برزّة .

مفسارة الدم : بجبل قاسيون . أنظر المدوي ، الزيارات ، ص ٥ : والرّبع ،
فضائل دمشق (تحقيقنا) ص ٦٢ - ٦٧ .

مسجد الكهف : هو كهف جبريل . بجبل قاسيون . أنظر الزيارات ص ٦ .
قبر شيث : في قرية نبي شيث تبعد نحو (١٥) كم شرقي زحلة (البقاع) .
قبر نوح : في قرية كرك نوح شرقي زحلة ونيوارها (البقاع) .
قبر الياس : في قرية قبلياس جنوب غرب شتورة (البقاع) .
جيرون : أنظر عنها ابن طولون ، قرّة الميون (تحقيقنا) ، وكتابنا خطط دمشق .

العريضة

وشقيقتها السريانية الوفية

إنهما اللغتان العريقتان اللتان تفرعنا عن الدوحة السامية الكبرى لكي
تظل الواحدة في منزل عن الأخرى دهرًا طويلًا ، ثم تصب الواحدة إلى
الأخرى فتلتقيان لتعيشا متعانقتين متآزرتين متقارضتين .

لقد دخلت أمها في خبر كان منذ العصور السحيقة في القدم ، وعبثًا
حاول الباحثون الوقوف على آثارها رغم تقريرهم أن كثيرًا من عناصرها
لا يزال محفوظًا فيها وفي شقيقتها العبرية والحبشية اللتين تشكلان معها
حلقات لسلسلة واحدة متماسكة .

نستنتج مما ورد في سفر التكوين أن المشرق أي بلاد العراق اليوم ،
هو الوطن الأول للدوحة السامية . قال الكتاب : وكانت الأرض كلها لغة
واحدة وكلامًا واحدًا . وكان أنهم لما رحلوا من « المشرق » وجدوا بقعة
في شتار فأقاموا هناك . . . هناك بلبل الله لغتهم حتى لا يفهم بعضهم
لغة بعض ، وبددتم وشتتهم على كل وجه الأرض . . . ولذلك سميت بابل
(تكوين ١١ : ١ - ٩) . من هنا رأى بعض أعلام الفكر وفي طليعتهم
المستشرق الإيطالي الكبير أغناطيوس غويدي ، أن الجزء الأسفل من نهر
الفرات هو المهد الأول للساميين ومن هنا كذلك قول العلامة ابن العبري
في ترجمة ناحور جد إبراهيم ، أن كتب الكلدانيين وعلومهم نقلت في
عنده إلى مصر .

ان اللغة السريانية الآرامية تنسب الى آرام - أي جد الهمة والراء على الإطلاق - كما ترد في الكتاب العزيز ، لا إلى إرم كما ارتأى الأب أنسطاس الكرملي ، أو راما أي العالي السريانية كما ذهب بعض ذوي الاجتهاد . وآرام هو الابن الخامس لسام بن نوح كما ذكر سفر التكوين (١٠ : ٢٢) . من هنا كانت اللغة السامية الآرامية أكبر سنًا من شقيقتها العربية التي تنسب الى اللفظة السريانية حَضِر (عَرَبًا) أي الصحراء لا إلى لفظة حَضَر (عرب) أي غرب السريانية أيضًا كما ذهب بعض الباحثين .

بيد أن اللغة العربية أقرب من السريانية الحالية إلى اللغة الأم وأكثر منها شبهًا بها ، إذ بذتها باحتفاظها بكثير من العناصر اللغوية الأصلية المتحدرة إليها منها . والسبب في ذلك كما قرره الباحثون يعود إلى أن العربية عقيب انفصالها عن الأم انزوت دهرًا طويلًا في بقعة نائية عن العالم المعروف يرمز ذلك بما ساعدها على التثبث بالأصول القديمة ، حتى إذا حان وقت انتشارها العظيم مع الفتوحات الإسلامية في القرن السابع للميلاد ، استطاعت ان تحتفظ بتلك العناصر الأصلية . أما السريانية الآرامية فقد تأثرت فور تفرعها عن درختها ، بالسنّة شتى العناصر التي اصطدمت بها في طريق انتشارها الهائل . فبعد أن كانت في القرن الرابع عشر قبل الميلاد لغة قبائل رُحّل تتنقل في الصحراء الواقعة غربي الفرات ، كقول المستشرق الفرنسي جان شابر ، إذا بها تضحى اللغة الرسمية لشعوب الشرق الأوسط قاطبة من فارس شرقًا إلى سورية غربًا ، ومن آشور شمالًا إلى فلسطين ومصر جنوبًا . من هنا تطورها بل تباعدها عن أمها السامية الأصلية ، هذا مع العلم أن ما ورد منها في التوراة وفي حِكْمَ أحيقار وزير منحريب ملك آشور (٧٠٥ - ٦٨١ ق . م) يطابق كل المطابقة لحالتها اليوم . وإلى القارئ الكريم بعض العناصر اللغوية التي فقدتها :

١ - تبتدىء النكمة في السريانية الحالية بالإسكان نحو **ܠܡܐ ܚܒܬܐܢ** Ima chbaktan أي لم تركتني . وذلك ليس من خصائص اللغة السامية الأم التي كانت النكمة فيها تبتدىء بحركة على الإطلاق كما هي الحال في العربية وفي السريانية القديمة . ويتضح ذلك من لهجتها الفلسطينية نحو **ܠܡܐ ܚܒܬܐܢܝ** Iama chabaktani

٢ - تسكن السريانية الحالية نون الوفاية الفاصلة بين الفعل والضمير المتصل للمفرد المتكلم نحو **ܚܒܬܐܢܝ** chbaktan بينما كانت اللغة السامية الأم تكسرهما تماماً كالعربية نحو **ܚܒܬܐܢܝ** chabaktani كما مر بك في اللهجة السريانية الفلسطينية . وكذلك تسكن كاف الخطاب والمخاطبة رغم إضافة ياء المخاطبة نحو **ܠܡܐ ܚܒܬܐܢܝ** katlak, katlek بينما في اللغة الأم لم تكن بالإسكان بل بكسرهما كالعربية ، كما تدل الياء المتصلة بكاف الخطاب . وتسكن أيضاً في أمر الخطاب ما قبل الياء نحو **ܠܡܐ ܚܒܬܐܢܝ** koum بينما كان مكسوراً في اللغة الأم كالعربية كما تدل لهجتها الفلسطينية نحو **ܠܡܐ ܚܒܬܐܢܝ** Talitha koumi .

٣ - ان السريانية الحالية تسكن أول المضارع في الأجوف نحو **ܠܡܐ ܚܒܬܐܢܝ** nkoum بخلاف ما كانت عليه اللغة الأم كما هو اليوم في العربية . وقد ظلت خصائص السريانية هذه متغلبة حتى اليوم في سورية ولبنان على اللهجة العربية العامية التي حلت محلها .

٤ - إن حرف المضارعة للمفرد المذكر الغائب في السريانية الحالية هو نون نحو **ܠܡܐ ܚܒܬܐܢܝ** nektoub وفي هذا يتباين والجمع المتكلم . بينما كان هذا الحرف في اللغة الأم ياء كما في العربية نحو **ܠܡܐ ܚܒܬܐܢܝ** yakoub من **ܠܡܐ ܚܒܬܐܢܝ** ekab عقب و **ܠܡܐ ܚܒܬܐܢܝ** yawsef من **ܠܡܐ ܚܒܬܐܢܝ** eisef ازداد ، وعلى

هذه القاعدة تثبت اللهجة السريانية الفلسطينية ولهجة معلولا اليوم كقولهم

yakoul بدلاً من nekoul .

وقد توطدت علاقات وثيقة العرب ما بين اللغتين الشقيقتين ، تُقرض الواحدة الأخرى وتستقرض منها كما يتضح من الأمور التالية :

١ - لقد تأثر نحو اللغة العربية بالنحو السرياني . ذلك أن أبا الأسود الدؤلي المتوفى سنة ٦٩ هـ استعان في وضع نحوه ببعض علماء اللغة السريانية في الكوفة ، ثم اقتبس النقاط السريانية التي تتميز بها الكلمات ، فالحركات التي كان قد استنبطها قبيل ذلك العلامة مار يعقوب الرهاوي (١) .

٢ - في القرن الأول قبل الإسلام اقتبست العربية من الخط السرياني الاسطرنجيلي ، أيحديتها ، وخطها الذي عرف بالكوفي . فاستعمل بعدئذ لكتابة القرآن الكريم شأن الاسطرنجيلي عند السريان (٢) .

٣ - لقد تشابهت في كلتا اللغتين مئات من الألفاظ معنى ولفظاً . وهي إما مما توارثناه عن اللغة الأكديّة أو مما استقرضته كل منهما من الأخرى . ربما لاشك فيه أن السريانية نقلت إليها كثيراً من فرائد الأدب العربي ولا سيما بواسطة العلامة ابن العبري في القرن الثالث عشر . أما العربية فقد استقرضت من السريانية عن طريق الترجمات التي قام بها علماء السريان ، بضع مئات من ألفاظها ، أفعالاً وأسماءً ، ولا سيما المعاني الاصطلاحية والمعارف العلمية والدينية ، بعد أن صقلتها بما يلائم قواعدها ، فجرت على يراع الكتاب الثقات ، ودخلت المعاجم العربية . وقد سبق سلفنا

(١) الأدب العربي للأستاذ الزيات من ١٤١ والآداب السامية تأليف محمد عطية الأبراشي

ص ٢٠٠ .

(٢) الآداب السامية الأبراشي ص ١٩٦ - ١٩٧ وتاريخ النسخ الإسلامي للبعثة جرجي

زبدان ج ٣ ص ٥٤ ، واللؤلؤ للشور في تاريخ العلوم والآداب السريانية للبطريك

أنرام الأول برصوم ص ٢٦ طبعة أول .

الطبيب الذكر البطريك أفرام الأول برصوم أن أبرز عدداً وافراً منها على صفحات هذه المجلة الغراء . وإذا كانت قد نُسيت من السريانية ألفاظ بعثت الزمان كما نوه اللغوي الكبير أنطون الفصيح التكريتي في القرن التاسع^(١) ، فإن العربية حفظت كثيراً من تلك الألفاظ الضائعة كما أثبت العلامة اللغوي مار سويريوس يعقوب البرطلي في القرن الثاني عشر^(٢) . وقد كشفنا نحن أيضاً القناع عن وجه بعض هذه الألفاظ والمصطلحات في دراستنا للفيلسوف الكندي منها : إيس ، ليس ، هوية ، قنية ، مائية ، إنية والكلمات .

واليك جدولاً ببعض الألفاظ المتشابهة :

أجيرا agira ^(٣)	أجير	أينا aina	عين	كتاب ktab	كتب
أجورا agoura	آجر	بايخا baicha	بائس	كرب kreb	قرب
أجانا aggana	أجانة	أسيرا asira	أسير	حكم hakkem	حكم
أدنا edna	أذن	دماا dammaa	دمع		
إدا eada	يد	داس dach	داس		
باز baz	باز	تاراا taraa	ترعة		باب
سبباا ssebaa	أصبع	إتالي itali	فتج		

إننا لن نحاول هنا أن نخاكي بعض من سبقنا إلى بحث هذا الموضوع ، بل نبحثه بطريقة مبتكرة ، ناركين الحكم للقارئ الكريم أن يقول كلمته في اللغة التي اقتبست هذه الألفاظ من الأخرى . ولكننا في الوقت

(١) كتاب معرفة القضاة المقالة الأولى الفصل السادس والعشرون .

(٢) كتاب المسائل والأجوبة المقالة الرابعة للمقالة الثانية عشرة .

(٣) لقد رأينا في القرعبي الفتحة بحسب اللهجة الشرقية حفاظاً على تركيب اللفظة .

نفسه تؤكد جازمين في أن العربية اقتبست من السريانية الألفاظ التالية
 gaddech كدس / gazza كنز / glass كحص أي مر
 في الأرض لا يرى / gella كلاً / gnat كنظ ، غمه الأمر
 gnass كنص ، رفع أنه استهزاء / gaf كف / gefa
 كهف / goufra كقرى ، وعاء طلع النخل / tegrit
 تكريت ، المدينة المعروفة . ان هذه الألفاظ كما تبدو ، تبدىء بالكاف ،
 ولكننا عند مقارنتنا إياها بالسريانية نؤكد لدينا انها دخلت العربية كما هي
 في السريانية أي بالكاف الفارسية التي تلفظ كالجيم المصرية ، ومع تمادي
 الزمان انقلبت الى الكاف العربية كما هي اليوم .

على أن هنالك ألفاظاً أخرى انقلبت فيها الجيم السريانية إلى قاف كما
 هي العادة عند بعض العرب منها / glass ققص / gerssa
 قرصة / gchat قشط . كما انقلبت القاف السريانية في بعض الألفاظ
 الى جيم نحو / blak بلج أو انبلج / Deklat دجلة .

للسريانية الحالية لهجتان فقط تعرفان بالشرقية والغربية ، اذ اندثرت
 اللهجة الفلسطينية التي تظهر بعض عناصرها في لغة معلولا . ومن ميزات
 اللهجة الشرقية لفظها حرف الغاء كحرف (١٠) الفرنجي ، والألفاظ العربية
 التالية تدل دلالة واضحة على انها اقتبست من السريانية عن طريق اللهجة
 الشرقية . وحيث ان الحرف (١٠) لا أثر له في الأجدية العربية فقد انقلب
 فيها إلى حرف باء : / apaa ضبع / apra غبراء / vachipa
 يشب ، حجر كريم / strap شرب .

ومن ميزات اللهجة الشرقية أيضاً استعمالها الشدة كما في العربية ولها وزن فعل . أما اللهجة الغربية فلها وزن فاعل . وتمتاز عن الشرقية بحركة الزقاف التي تلفظ كحرف (O) الفرنجي . وقد جمعت العربية هاتين اللهجتين مقتبسة من كليهما ، مثال ذلك كلمة *afra* فاللهجة الشرقية تلفظ فاءها كالحرف (P) بعكس الغربية . أما العربية فقالت في اللهجة الأولى غبراء وفي الثانية عفر وعفتر .

وفضلاً عن تشابه كثير من الألفاظ معنى ولفظاً في اللغتين كما أسلفنا فإن هنالك كثيراً غيرها يتبدل فيها حرف الشين غالباً سيناً في العربية وبالعكس نحو *chemcha* شمس و *richa* رأس و *saħra* نفس و *lboucha* لباس و *chahra* سر و *saħra* شهر (قري) و *saħda* شاهد أو شهيد و *sbaa* شعب . وهنالك أيضاً ألفاظ تنقلب فيها العين غالباً غيناً أو ضاداً وأحياناً مزة نحو : *erab* غرب و *aaba* غابة و *ssbaa* صبح و *ani* غنى و *baet* بنت و *maarta* مغارة . و *araa* ارض و *raa* رض و *beita* بيضة و *rhaa* رخص . و *gaar* جار . وهنالك ألفاظ تتبدل فيها الجيم (الجيم المصرية) غالباً جيماً عربية وأحياناً غيناً نحو : *gamla* جبل و *bourga* برج و *magedla* مجدل و *regla* رجل و *gamoucha* جاموس و *gachem* جثم و *gouchma* جسم و *gas* غزا و *gcham* غثم و *gcha* غشي و *graf* غرف و *gmass* غمض .

أما حرف الطاء فهو أحياناً كثيرة ظاء في العربية نحو *tabia* طباي
kaita قيط *tefra* ظفر *tlam* ظلم *gnat* كنظ . وأما حرف الحاء فهو غالباً خاء في العربية وأحياناً همزة
نحو : *hamra* حمرا *hala* خل *halta* خالة *hamcha* خمسة *ichah* فسح *eihad* اخذ *harta* آخرة
eihar اخر *rha* رأف .

وهناك ألفاظ كثيرة تغير تركيبها كقولنا *gchah* سجح *am* مع *sabbar* بشر *skaata* صاعقة *couva* كوفة (المدينة) .

فلا بد والحالة هذه لمن يريد التعمق في أصول اللغة العربية من اتقان
السريانية ، فضلاً عن أن هنالك ألفاظاً كثيرة دخلت المصنفات العربية
ولا يمكن التوصل الى معناها الصحيح إلا بمعرفة السريانية ومنها :
« زقفونا » *zakfoun* أي صلبونا الواردة في رسالة الغفران لأبي العلاء
المعري ، و « الصوت » *lestavé* أي اللصوص الواردة في عهد
عمر بن الخطاب لأهل إيلياء ، و « النيران » *nahiré* أي الشروع
أو المصاييح الواردة في كتاب أهل دمشق لأبي عبيدة ، و « فاروق »
farouka اللقب الذي أطلقه السريان على عمر بن الخطاب ومعناه
مخلص ، و « يقلسون » *mkalsin* و « المقلسون »
mkalsané أي يمدحون والمدحون الواردتان في تاريخ البلاذري ،
و « الحيرة » *hirta* أي القمر ، و « المرة » *maarta*

أي المغارة ، و « انكرخ » ، كركا karka أي المدينة المدورة ، و « تدمر »
 تدمور tedmour أي أعجوبة ، و « الكوفة » كوكفا kouva أي الشوكة
 وعاقولا ، و « تكريت » تكريت Tegrit أي التجارة ، و « مكة »
 مكا makka أي الأرض المنخفضة والمنبسطة ، وما إليها من أسماء عشرات
 من المدن والقرى في سورية ولبنان وفلسطين والعراق . أجل ، إن
 من أتقن السريانية أدرك سبب استعمال القرآن الكريم للألفاظ حيوة ،
 وصاوة وزكوة بالواو لا بالآلف ، ولفظة سرط بدون ألف ، وذلك كما
 هي في السريانية سمحا slouta رحا rakha zakouta
 صرhta sarta ؛ بل أدرك المعنى الصحيح لكثير من الألفاظ السريانية
 المقتبسة في اللغة العربية العامية في سورية ولبنان ومنها شوب كوكفا
 chawba وزبوت كوكفا zabouna .

فداسة مار أغناطيوس يعقوب الثالث

بطريرك انطاكية وسائر المشرق للريان الأرثوذكس



أمين الريحاني

وأثر القرآن الكريم في شعره المنشور

تفتحت براعم أذهاننا يوم كنا ناشئين نتلمس طريقنا إلى الحياة والنور ، ونتمشع عراة بالحرف الرضيء الطموز ، ونستسقي قطرة من حنان الندى ، ونلتبس دفقة من ضياء الهدى ، ونعلل الأذان بصوت بشير عميق الصدى ، بعيد المدى ، ونلوب ونلوب ونلوب ولا نجمة ولا منتدى ، حتى إذا أعيانا الأمر شرقتا يريقنا خائبين ، فلا نامة ولا ومضة ولا وشل ينقع الصدا . .

نعم ، تفتحت براعمنا يوم كنا ناشئين نطارده الحرف الرقراق البجيل ، مطاردة الحرمان للدينار المتجهّم البخيل ، على أذان فجر فكريّ عربي أصيل ، جديد رفاف حفيّل . مجود الترتيل . وكأنّ عليه مسحة من التنزيل ، ووضاءة الحرف الريثان النبيل . . .

هذا الصوت الذي دوى من وراء البحار ، على غير استحياء واستكبار ، قويا نديا ذهبي الأوتار ، وكأنه هزيم الرعد في آذار ، وعزيف الزفراف في الإعصار ، وأغاريد الربيع النشوان في أيتار ، والحلم المكوكب الزهّار ، وما أحلاه انساني النجمة ، حضاري السرعة عربي الهوى والشعار ، وما أشباه مصلحلا مجلجلا وكأنه البركان الثائر الهدّار ، يحطم الأصنام بمداد من قار ، ويدكّ عرش الجمود بقذائف الأفكار . بلى ، وكأنه نفحات النسيم المعطار ، تطلقها أنفاس الأسعار ، في نشيد مفتون للحرية والأحرار . .

هذا الصوت، هو صوت أمين الريحاني عملاق الفكر العربي في المهجر ،
 ورسول الحرف المتحرر الأزهر ، وخطيب الثورة الأنور ، وصقر العروبة
 في وطنيه الأصغر والأكبر ، وصخرة العقيدة القومية بنضاله المتسامي مظهرأ
 في مخبر ، وعطائه الدقائق الكوثر ، وحصانة قرايبه من كل مكسب أو متجر .
 هذا الصوت الذي هنز الملايين من الناطقين بالإنكليزية والضاد ، هو
 صوت أمين الريحاني ، ولله درء كم زرع من بذور المعاني ، وشيئد للفصحى
 من المباني ، وكم عالج الأسقام طوراً بالمباضع وقارة بالأغاني ، وكم شعد
 للمزاثم من سيف يمانى ، وكم أنحف التراث العربي بنفائس المجاني .



قرأنا الحرية والتحرر على أمين الريحاني يوم كنا ، ولا تسل كيف
 كنا ، نتقتى خائمين بسلاسل الطغاة العابثين ، ونركع متزلقين للأصنام
 المستبدتين الماكرين ، ونلثم خاشعين متسكتعين أيدي المتعجرفين الجلادين
 ونهافت متسابقين على حرق البخور لأبناء الأفاعي ، من اقطاعين سود
 وحر وبيض يسوقنا كالمطايا بالصوالجة والتيجان ، وسياط الإرهاب والعدوان
 وأرجوان المكر والروغان ، فغطأطىء الرؤوس ونغضي غير مأجورين ،
 والنصر للسلطان ، والبسمة الماكرة للثعلبان .

وتعلمنا الصدق والجراة من أمين الريحاني ، يوم كان الأدب العربي
 مومياء مكحولة الأجفان ، مضرزة الأكفان ، تنهذى على نمشا رثات
 القوافي والأوزان ، وتنهل على شفقتها وخدتها قبلات لا حرارة فيها ولا
 حنان ، ويتمتع بلها قلم رقتان وحرف ظمان .

هذا أدبنا المخطئ الجامد التقليدي في عصر الاضطط ، حيث ينساب
 النزل ولا رعشة ولا حب ولا افتتان ، وحيث تسح الدموع ، ولا أشواق
 ولا تنهدات ولا أحزان ، وحيث يضطرم الصدر ولا قلب ولهان ، ولا صد

وهجران ، وحيث تجلجل الألفاظ الجامدة ، وبصمت الحسن والوجدان ، فإذا هناك لسان ثثار ، وأدب مهذار ، وفم مكثار ، وقلب متقطع الأوتار . عندما عمد جمال باشا السفاح إلى سياسة التجويع في لبنان وسورية في غضون الحرب العالمية الأولى ، وذاعت أخبار هذه المأساة القومية في المهاجر الأميركية ، رأى أمين الريحاني أن يحث أغنياءنا على التبرع لمن لا يملكون ثمن الرغيف فجعوا وتألوا وهاموا على وجوههم وقد انسدت أمامهم أبواب الحياة . نعم رأى أمين الريحاني أن يصف للأغنياء المتخين آلام الجوع وأحوال الجائع في مقال ينشره في مجلة الفنون النيويوركية التي خصصت عدداً ممتازاً لهذه المأساة ، وقد كان يصورها الشاعر المبدع نسيب عريضة (المعني) .

ولكن أيعلم القراء ماذا صنع الريحاني قبل أن يكتب مقاله في الجوع ؟ إنه فرض على نفسه الجوع ، فتجوّع وصام عن الطعام عمداً ، حتى إذا سغب واشتدت به الشهوة إلى الطعام ، أخذ يطوف بين المطاعم فيرقاها ، ويقف هنيهة أمام المطابخ وقد انتشرت ريح الشواء والطبخ فيمتشمها ويتلهف ويتحسر ويتصبّب جسمه عرقاً ، ثم يعود وقد أخذ منه الطوى ، ليتحسّس ألم الجائع وانفعالاته النفسية ، ولما أدرك غايته بعد هذه التجربة الطوعية القاسية التي استمرت بضعة أيام ، وكتب مقاله الفريد في الجوع وهذا هو الصدق في الأدب والحياة .

وبهذا الصدق الصادق الجريء ، العنيف أحياناً ، امتاز أمين الريحاني في كل ما كتبه ، فما جامل ولا تجمل ، ولا تكلف ولا قعمل ، ولا تلون ولا تصنع أو توستل ، ولا جاوز قط إلى غير ما يحسنه ويشعر به ويؤمن به ، بل كان واحداً في مظهره ونخبه ، وصرته وجهه .

ودرسنا الكثير من أيجدية القومية العربية على أمين الريحاني ، ولعلنا لا نقالي إذا قلنا بأنه رائدها الفكري ومنظمها العملي . لم تكن أيجديته مجرد أشعار حماسية ومقالات وطنية ، بل خاض معركتها البيضاء البناءة ونذر لها دماغه وقلبه وحياته وسقى قلبه بدمه ، وأشرق بثقافته وإخلاصه وتضحيته الصوفية ، ولم يكن تطرافه في بلاد العرب بين البدر والصحاري على ظهور النياق ، سوى مغامرة فذّة مخوفة بالأخطار والمهلك ، ولكنه لم يعبأ بالمتاعب والمشقات ، وأبى إلا أن يحقق حلمه العربي الأكبر ، فإذا الحلم يتوثب ويفتح عن أوراد وأزهار ، وإذا السديم يجمد ويصلب وينقلب إلى حقول خصبة تشتاق المحراث والبذور ، وإذا الضباب يهطل غيثاً وفيضاً ويتفجّر فرائاً سلسيلاً ..

وكان الريحاني في ماكتبه ونشره حول البلاد العربية وملوكها وأمرائها ومثائنها وقضاياها وأوضاعها ، ذلك الرائد الأمين الصادق ، وذلك المؤمن الواثق ، وذلك الأريحي العاشق .

نعم ، كان الريحاني المسيحي المعتزّ بالعرب وصوفيّة الإسلام ، وهو ابن الجبل وأميركة لا السهل ولا البادية ، أوّل من فتح الجزيرة العربية المستغلقة بعد الانهيار العثماني ، وأوّل من راد البلدان العربية في المشرق والمغرب ، مستطلعاً مستقصياً ، دارساً متحرّياً ، واعظاً مصلحاً مدارياً ، وأوّل من ركب الجاهل والبوادي مستهدفاً للأخطار وشظف العيش وشراسة الصحراء مضحياً بكل ثمن ونفيس ، بمتطياً كل شمس وضروس ، باحثاً منقّباً ، حاسراً ينظراته العميقة النقادة ، عن وجوه الملوك والأمراء والشيوخ ، وعن قلوبهم وسرائرهم تلك الأقنعة الأسطورية التي حجبتهم عن العيون ، وحجبت العالم عن هذه العيون ..

ولست مؤلفاته كتب سياحية وجغرافية وانطباعات وارتسامات في رحلات، وإنما هي خطوات عملية في بناء القومية العربية التي كانت حتماً ذهبياً يرتعش بين الشفاه المحمومة الهامسة الهاجسة ، وفكرة مترنحة بكها ، أسسها من زبد البحر ، وجدرانها من خيوط العنكبوت .

وكان الريحاني أول من عني بالكشف عن كنوز الفكر العربي في العالم الجديد ، فاختار ناسك المعرفة وفيلسوفها أبا العلاء ، وعكف على لزومياته ، وصاغها بلغة انكليزية متينة السبك ناصعة الديباجة مذيئة بالحواشي الايضاحية ، ومتى علمنا أن لزوميات المعري يعسر فهمها على قراء العربية ، أدركنا عظمة العمل الأدبي الذي تطوع له الريحاني ، وكان نجاحه الباهر في هذه الترجمة في طليعة أسباب شهرته بين الناطقين بالإنكليزية ، ولا شك ان غيرته على الفكر العربي هي التي دفعته إلى ترجمة اللزوميات متحدية بها رباعيات الخيام التي قالت رواجاً عظيماً .



وأخذنا القوة والمضاء والانطلاق يوم كنا ناشئين عن أمين الريحاني ، كان مفكراً عميقاً عقلانياً بعيد المدى ، واسع الثقافة والمعارف ، حازماً عزوماً ، صريحاً جريئاً . وكاننا بعقله النير ، كان يفيء إلى قلبه الخير ، وهو مرهف حساس يفيض حباً وسماحة ، ويتدفق نبلاً وصباحة ، ولكن الدموع المتميزة لم تجد سبيلها إلى أدبه ، ولا امتزجت بحداده ، فخابكى ولا تباكى ، وما شكى ولا تشاكى ، ولا بلل القراء بوابل عبراته ، ولا ألهب قلوبهم بزفرات شجونه ونشيج تأوهات .

بلى ، ثار على الأدب الباكي المريض الذي يتناغم فيه صرير الأقلام بنشيج الصدور ، في كبوات عاطفية تستأثر بأحلام المراهقين ، فإذا هم في خيال المقد النفسية يعمهون ..

وكان سيفاً في مضائه لا يحجم ولا يتردد ولا يحجم أمام فكرة
اصلاحية جريئة أو رأي غريب شديد يري فيه اخيراً أو نصيحة مرّة قاسية
يسديها إلى بني قومه ، ولا يخشى الأعاصير تهبّ عليه أمام اصلاح قومي
اجتماعي يدعو إليه ، بل يمضي في سبيله حاملاً تبعته الثقيلة ، مؤدياً ما تقرضه
عليه رسالته الادبية الإصلاحية بنبالة وإخلاص غير مرتقب شكرانا ، وغير
مغازل ديناراً رتانا ونيشانا .

ولقد أحسن ظنه بالانتداب الفرنسي في بادئ الأمر ، متأثراً بأدب
الثورة الفرنسية من نحو ، وبالوعود (الصادقة ؟) المقطوعة للعرب من نحو
آخر ، ولكنه لم يلبث بعد عودته إلى لبنان في أعقاب الحرب العالمية الأولى ،
وقد رأى ما رأى ، وسمع ما سمع ، ولمس ما لمس ، حتى أصلى الانتداب
الفرنسي ناراً حامية ، ووقف على المنابر في بيروت ، مندداً بحفداء الثورة
الفرنسية ، مطالباً بالحرية والاستقلال ، حتى إذا أعيا أمره السلطة الفرنسية
المنتدبة حكمت بنفيه من لبنان ، فغادره إلى العراق حيث قوبل بالترحاب
وآبات الإعجاب .

وآية أمين الريحاني وهو العملاق المعطاء في خدمته للقضايا العربية قولاً
وعملاً ، أنه لم يمت ولا تبجح ولا تمدح ، ولا لقي الفرور إلى نفسه سبيلاً
بعد ما شهد من حفلات الحب والإكرام ، ومظاهر الإجلال والاحترام ،
أفي المغرب الأقصى والجزيرة العربية أم في العراق وسفوح الأهرام والشام ،
ما لم ينله رجال عظام ، لا قبله ولا بعده ، ولولا أصالة في شمائله المشرقة
لازدهاه الفرور وكان ذلك . الزهراء ، الختال التيساء ، والعياذ بالله . . .

✱ ✱ ✱

والانطلاق توأم المضاء ، وكلامها وليد أم واحدة هي القوة .
يهنين الجناحين طار النسر وحلتق في الآفاق ، حتى إذا هوى مثقناً
بالجراح ، نثر علينا من تراثه الفكري أنفس الأعلاق .

فلقد كان مولد بشرى بزوغ فجر جديد ، في الأدب العربي ،
والانطلاق العربي ، والنبل العربي . ولبنان الفتان حمل الى العالم هذه البشرية
السخية التي تردد صداها في العالمين القديم والجديد .
وسيعيش ضيوفاً على ذكرى الريحاني الكبير طائفة من الملوك والأمراء ،
والمشايخ والوزراء .

أما كرمه الخصب ، كرمه أجواد المطار المدرار ، حيث العناقيد
الجنينة الشبيهة وحيث الدنان والنغم النشوان ، والحرف الریان ، وحيث
الظلّ والانس والضيافة وحسن الوفادة ، أما هذا الكرم فهو يرحب
دائماً كل رائد وزائر وضيف وطالب زاد ومعرفة .

✱ ✱ ✱

هذه خطوط عريضة سطحية من صور أمين الريحاني الكاتب المجدد
والمفكر والقومي والاصلاحي والمؤرخ الرحالة والشاعر ، رسمتها قصيرة
مريمة من باب إيجاز الموجز تمهيداً للموضوع الرئيسي وهو « أمين الريحاني وأثر
القرآن الكريم في شعره المنشور » ، ولا يخفى على أحد براعة الريحاني في هذا
الفن وإجادته في هذا المضمار حتى قال فيه بعض النقاد إنه أمير الشعر
المنشور بالعربية .

والمقصود بالشعر المنشور ، ذلك القريض الحر الطليق من الأوزان
والقوافي ، وقد وصفه الريحاني نفسه في مجموعته « هتاف الأودية » بأنه
« آخر ما اتصل إليه الارتقاء الشعري عند الافرنج وبالأخص عند
الانكليز والأميركيين » .

وبعد ما يتحدثنا عن الشاعر الأميركي ولت ويتان مبتكر هذا الفن يقول :
« أما مزايا شعر ويتن فلا تنحصر بقالبه الغريب الجديد فقط ، بل بما
فيه من الفلسفة والخيال مما هو أغرب وأجده » ويتن هذا هو الذي
أوحى إلى الأمين بالشعر المنشور ، كما قال الريحاني نفسه .

أما القالب الغريب الجديد الذي ابتدعه ويتمن ، فهو بما يستعصي نقله إلى العربية ، كما يستعصي علينا نقل الأوزان العربية إلى الفرنجية ، فتبقى إذن من مزايا شعر ويتمن الفلسفة والخيال « وهما أغرب وأجد من القالب » كما قال الريحاني .

وغريب أن نسمع هذا القول من الأمين ، فهل خلا الشعر العربي ، قديمه وحديثه ، من فلسفة وخيال حتى نستوردها من الخارج ؟ ولكن يبدو لنا أن الريحاني ما آثر هذا الطراز من الشعر ، على القريض الموزون المقفى إلا لأنه أخفق في تجربته الشخصية ، ولم يلبث بعدئذ أن أصدر حكماً عاماً نعى فيه على الشعر العربي إذ قال : « إنني لا أزال أعجب من بعض شعرائنا كيف يتعمتلون المعاني تمثلاً . إن القافية والوزن اللذين يعبدهما العرب عبادتهم المشهورة ، قيد ثقل على الشعر . إنها منافيان لروحه . سر الشعر أن يكون طبيعياً متدفقاً من النفس ، والوزن يقول له : لا تستطيع أن تخرج إلا بهذا الطريق ، كما يقول الأنبوب للماء » . (الشعر العربي في المهجر الأميركي لوديع ديب) .

ولا بد لنا من كلمة في هذا الموضوع ، فنحن لا ننكر أن الوزن والقافية قيد ثقل ، ولكن الشعر لا يستقيم أمره ، أي أن الكلام لا ينتظم شعراً بدونها ، ذلك بأن الجرس الموسيقي هو الذي يميز الشعر من النثر ثم يحب علينا أن نميز بين الشاعر المطبوع ، والمتشاعر الذي يستعصي عليه النظم المضبوط ، وهذا لا شأن له في حديثنا ، أما إذا كان الناظم مطبوعاً بملكته وسجيته وذوقه ورهافة الأذن الموسيقية ، فليس للوزن وتواضعه أن تعامره وتضايقه وتسد عليه المنافذ والأبواب ، بل تنقاد له عفواً وتفتح له الطريق مرحبةً باثة ، وهذا ما نلقاه في قصائد الشعراء المطبوعين قديماً وحديثاً .

أما أن نظم الشعر طبعٌ وملكة قبل أن يكون علماً وجهداً وإعنائاً ،
فدليلنا أولئك الشعراء الذين أجادوا كل الإجابة ، وأبدعوا كل الإبداع
دون أن يدرسوا أو يعرفوا أسماء البحور وأوزانها على الأقل ، ودليلنا
أيضاً أولئك الشعراء الذين نظموا قصائدهم قبل أن ينظم الخليل أوزان
الشعر ويضبط علم العروض . فالشعر نشأ إذن قبل كتاب الخليل ، وهو
إذن ليس علماً ، وإنما هو موهبة طبيعية كسائر المواهب الذهنية والروحانية
والجسدية وسواها من القوى المحسوسة وغير المحسوسة ، إذا استعصى أمرها
على رجل فهي لا تستعصى على آخر .

فعلى الناظم أن يكون ذا موهبة شعرية أولاً ، وإذا لم ينجح فالذنب
ذنبه لا ذنب الشعر . إنه لم يخلق بحكم طبيعته شاعراً .

هذه واحدة ، وأخرى يا ويل الشعر إذا كسرنا أوزانه وحططناها
وأخرسنا قوافيه ، الويل له إذا طرحنا قوالبه وموسيقاه ، فلس قياده
لكل راكب ، واستكان لكل طالب . اننا ستوباً بحمى المعجائب وفوضى
الغرائب ، وتمافت الملكات والمواهب ، وأين منها برج بابل والنواب ،
والعياذ بالله والأدب والفن من شر هذه المصائب ، وما تجرّه من سوء العواقب .

* * *

ولنتقل الى الشعر المنثور أو الشعر المرسل ، ولندرسه على ضوء زعمائه
ودعائه ، فما هي ميزاته ، وما هو طابعه ومادته ؟

ان الشعر المرسل لا يختلف عن الشعر الموزون المقفى إلا من حيث
« الهندسة » أو الهيكل ، غير أننا إذا أطلقنا الشعر من قيود القوافي
والأوزان ، وخلعنا عنه حلاله وكسرنا قوالبه وصيغته ، وطردناه من
« وطنه الأصيل وجوّه » تحشم علينا أن نعوض عن الأوزان والقوافي
ونأخذ بشيء من الجرس الموسيقي ، وأن نكسره ونلبسه ثوباً جديداً ،

وأن 'نقطمه' «وطناً جديداً» نلمح فيه الالتفات الفنية والرمضات الشعرية .
 أمّا طرافة هذا الشعر فهي أنه لا يحري على قياس مطّرد أرقاعدة ثابتة
 أو نظام مقرر مدروس ، بل يُترك الأمر لقوة التوليد والإبداع في
 الخيلة . ولا بأس بعد هذا أن 'نلم' ببعض الأسس التي يجب أن يركز
 عليها الشعر المرسل حتى يتميز عن النثر ، وحتى يكتسب جوهر الشعري
 ولونه وريحه .

(١) الجرس الموسيقي القائم على التواؤم في اللفظة والعبارة ليستقيم
 التناغم والإيقاع الى حدّ ما . والألفاظ تشبه المعادن فيبينها الكريمة وغير
 الكريمة والتفيسة والرخيصة ، وبينها الصامته الخرساء ، والرنانة المصفقة
 واللماعة البسامة وذات الإشعاع .

(٢) الجوهر الشعري الذي يتقل القارئ من جوهر النثر العادي المألوف
 الى الجوهر الشعري الملون الفسيح حيث يتسع مدى الخيال وخصب الخيال
 وصور الخيال وحقيقة الخيال . فالخيال الذي لا يستمدّ وحيه من الحقيقة ،
 إنما هو هذر صليل شفاف . .

(٣) الاستعارات والمجازات والتشابه والكنائيات العميقة التي تولّد
 التمايز المجنّحة والصور المستحدثة والألوان البيانية دون أن يكون للإغراق
 والإغراب أشباح الغوض والإيهام أو الرمزية المخلقة التي يغمض معناها
 على صاحبها نفسه لأنها تنطوي على « لا شيء » .

(٤) الأسلوب الشعري الذي يقوم على الأصالة والفن والانطلاق ،
 كما يقوم على سلامة اللغة وفصاحة اللفظ ، ويتميز بالعبارات المجرّدة الرشيدة
 والنبرات المصلصة نارة ، والموسوسة الهامسة أخرى ، وبالإطار النغم
 الذي يمتزج بالفكرة امتزاجاً منسجماً ملوّناً فلا يطفئ عليها ، بل يبدو ،
 وكأنه قلدة منها وجارحة من جوارحها .

٥ (وحدة الموضوع وروعته وجلاله الهدف ، فالسر لا يكمن في الصيغة الفنية الموسيقية مقدار ما يكمن في جمالية الموضوع .
فهذه الخطوط الخمسة يصح أن نتخذها أساساً أولية لما نسميه الشعر المرسل أو المنشور ، ولكن ما أصعب ممارسة كتابة هذا الفن ضمن هذه الشروط ، إنها ولا شك أصعب من قيود الأوزان والقوافي ، ولذلك يندر الوقوع على الجيد الرائع المكتوب باللغة العربية على كثرة من يارسون هذا الفن . وقد تكون خطوط ويتمن وأساليبه وقوالبه وآراؤه وفلسفته على جانب خطير من جلال الشأن في اللغة الانكليزية ، أمّا في العربية فافنا لا نستطيع التهجين ، ولا نهضم التنغيل ، ما دمنا نملك الأصل الأثيل ، وما دام الإبداع نفسه يفرض علينا التأصيل ، فلكل لغة أريجها ومذاقها .
وألوانها اليمانية وأساليبها التعبيرية ، ونحن يشوقنا أن نرى البدوية بخمارها وحلاها على رأسها ، ولا يشوقنا أبداً أن نراها بقبعة افرنجية ذات ألوان وأرياش متعصبة أو مستلقية ، هذا المظهر هو من مظاهر « الكرفقال » والمساخر ..

* * *

والصحيح أني وقفت وأطلت التفكير في حديث الريحاني عن الشعر المنشور و « ولت ويتمن » وعدت الى قصائده المرسله لعلني أرى فيها لوناً لهذا الشاعر الأميركي . فكرة « أسلوباً وتعبيراً » فبحثت وبحثت ونقبت ونقبت ، ولكنني أخفقت . وحمدت الله إذ خاب أمني ، لأنني أضنّ بالريحاني العملاق أن يكون مقلداً في أدبه ، وهو المتقن المجدد ، طابعاً على غرار شاعر أجنبي .

ثم حمدت الله مرة ثانية ، إذ رأيت الريحاني مقتبساً من صميم الأدب العربي في الدرجة الأولى ، منتهلاً من ينبوع سليقته وفطرته في الدرجة

الثانية ، وعندئذٍ لم أملك إلا أن أتساءل مستغرباً مدهوشاً : كيف أضع هذا الجبار نفسه في قضية الشعر المنشور ؟

وكيف نبحث عن الشعر المنشور في « ويتن » وغيره ، وعندنا القرآن الكريم الذي شق لنا طريق الشعر المرسل بألوانه البيانية الفتانة ، وجرائه المتألقة ، وصورده المرصعة بلاغةً وبجازاً وكنابةً ، وتعايره المبتكرة المجنحة ، وممانيه العميقة المعجزة ، وانطلاقاته العبقريّة البعيدة ، وفصاحته ألفاظه ونضارتها وعذوبة رقعها ، أضف الى هذه كلها جرسه الموسيقي في آياته البيئات الموصول بين تناغم وإيقاع ؟

إذا كان القرآن الكريم كتاباً دينياً يعلمنا ثورة الحق على الباطل والنور على الظلام ، فلا جدال أيضاً في أنه أعظم فتح عبقرى جديد في الأدب العربي ، وثورة رائعة على الجود والمحاكاة أو التمثل ، وينبوع فياض لمن شاء أن يبتكر ويستحدث ويستولد .

ولنأخذ بعد هذا قصيدة الريحاني الأولى التي استهل بها مجموعته (هتاف الأردية) وعنوانها (ربح سموم) ، لنأخذها ولنتأملها فكرة وأسلوباً ونقماً ، نلقى فيها لفظة قرآنية جليئة ، أمّا الشاعر الاميركاني « ويتن » فلا نلقى له فيها أيّ ظلّ أو أثر .

(١) فقد تخيل الريحاني في المقطع الأول - هلاك الأرض - بريح سموم - وهذه الريح تذكرنا « بريح صرصر » أهلكت عاداً .

(٢) ويستحلف الريحاني قارنه قائلاً - بربك القيوم - والقيوم من أسمائه الحسنى التي وردت في القرآن الكريم .

(٣) ويلتزم الريحاني السجع فيقول : بربك القيوم ، ما الذي تظنه يدوم . صوت سممه في الكروم . وقد مرّت عليها ريح سموم الخ . . وهذا مقتبس من السجع القرآني .

(٤) ثم يصف ما تقع عليه العيون من مظاهر العمران بين أبراج ومعامل وأنفاق وقياب وجسور وأسداد وأبنية العشرين طبقة ومعابد وقصور وصروح وبوارج وأساطيل ، ويلتفت الى الرياض والجزر والجبال ، حتى اذا انتهى انتقل الى الشرائع والعادات والدول والحكومات والطوائف والجماعات ، فيتساءل : ما الذي تظنه يدوم ؟

وكل ما يستعرضه الريحاني في هذا الموضوع يشبه معالم الحضارات الغابرة التي وصفها القرآن العزيز بعد ما أباد الله أصحابها : (ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلمهم يتذكرون) مثل إرم ذات العماد ، وثمود وفرعون الخ .

(٥) وفي المقطع التاسع يرد على السؤال ويقول : « لا يدوم إلا السجايا الروحية الفريدة ، سجايا النفس البشرية الجيدة » . وهذه الديمومة أو الخلود نراها في قوله تعالى : « وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار الخ » ، أي ان العمل الصالح هو الذي يدوم ، ومبعث العمل الصالح هو السجايا الروحية ، سجايا النفس البشرية المتسامية ، فرمز الريحاني الى الله تعالى بشيء من نوره أي النفس والروح ، والاشتقاق واضح .

(٦) ثم لا يلبث الريحاني أن يصور الحشر أو القيامة أو الحاققة أو البعث بمعانيه الواسعة فيقول : « يومئذ يبطل الجдал ، وتنكسر شوكة المال ، وتحشر الرجال ، وتكبر الآمال » . وفي سورة المجادلة : « ان تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من دون الله شيئا » . وفي الحاققة : « وأما من أرتى كتابه بشئله فيقول يا ليتني لم أوت كتابية . ولم أدر ما حسابيه . يا ليتها كانت القاضية . ما أغنى عني ماليه . هلك عني سلطانيه » . وليتأمل القارئ جمال هذا الشعر المنثور الرفيع بصورة الرائعة وإيقاعه الموسيقي الساحر .

فالكتاب العزيز صور ندامة (الضالين) وأسفهم وحسرتهم ، والريحاني فاته صورة هذه الانفعالات النفسية في واقف الهلاك واقتصر على المظاهر المادية فقال : « يومئذ تنكسر شوكة المال ، وتحشر الرجال » . وهذا الوصف مأخوذ من قوله تعالى : « ما أغنى عني ماليه . هلك عني سلطانيه » . وفي سورة الليل : « وأما من بخل واستغنى . وكذب بالحنى . فسنيته للمعسرى . وما يُغنى عنه ماله إذا تردى » .

أما عبارة الريحاني « وتكبر الآمال » ففيها نظر . إن الآمال في موقف الدينونة لا تتخذ شكلاً واحداً ، إنها تكبر حقاً في قلوب الصالحين ، ولكنها تتمحق وتضمحل في قلوب الضالين . وما أجل ما جاء في القرآن الكريم في هذا الصدد : « يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليُروا أعمالهم . فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » . (٧) ويتابع الريحاني وصف (القيامة) أو الحشر فيقول : « يومئذ تقلب المجتمعات ، وترتعد فرائص الطفافة ، وتهب على الأرض الذاريات السافيات » . وهذا الوصف خطأ من صورة مصفرة لما ورد في القرآن الكريم في هذا المعنى أو هذا الموضوع ، كما أن « الطفافة والعناة والذاريات والسافيات » ألفاظ كثر ورودها فيه ، فما أثنانا الأمين مجدي ، لفظاً أو معنى أو أسلوباً .

(٨) وتنتهي قصيدة الريحاني بالدعوة إلى الجدة والعرفات والمعروف والإحسان فيقول : « يومئذ ورب الأكوان . لا بقاء لسوى الجدة والعرفان ، والمعروف والإحسان » . وهذه فضائل أو مكارم خلقية ونفسية وفكرية ، وهي بما دعا إليه القرآن الكريم والحديث الشريف كقوله تعالى : « وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار » . وقد استشهدنا بهذه الآية سابقاً . والإيمان بالله يعني ضمناً الإيمان بمكارم الأخلاق ونور العلم . ودعوة الريحاني المذكورة تذكّرنا أيضاً بالحديث

الشريف : « لك ما لبست فأبليت وما أكلت فأفنت وما تصدقت فأبقيت » ،
أي لا بقاء لسوى الصدقات - المعروف والإحسان . ولا ينحصر جمال
هذا الحديث في الدعوة الى الخير فقط ، بل يتعداها أيضاً الى الروعة
البيانية في الإيجاز المعجز ، وإلى الجرس الموسيقي الهادىء الناعم ، والوعظ
والإرشاد لا يصلح لهما سوى النغم الرقيق المعبر ، وهذا هو الشعر
المرسل البقري .

وتذكرنا أيضاً بالحديث النبوي المشهور : « اطلب العلم ولو بالطين »
وفيه أشد الحث على طلب المعرفة .

٩ (ألا يحق لنا بعد هذا أن نتساءل ونتساءل مدهوشين مشدوهين :
إن هو أثر « ويتمن » الذي كان يجب أن يبرز جلياً قوياً ، وخصوصاً
في القصيدة الأولى وهي فريدة العقد في مجموعة شعره المنشور (هتاف الأودية) ؟
أولاً يحق لنا أن نجزم ، في أن الأمين استقى أول ما استقى من
كوثر القرآن ، واستهدى أول ما استهدى بنور القرآن ، فرسخت في ذهنه
صوره وألفاظه وتمايره ، كما علقت أذنه بجرسه الموسيقي وإيقاعه ، فكان
له عمدة في شعره المنشور فكرة وأسلوباً وإطاراً ولفظاً ؟ إن الريحاني
استوحى شعره المرسل من صميم القرآن ، أي من صميم الأدب العربي ،
ولذلك نمار أشد الحيرة عندما نراه يشير الى « ويتمن » الأميركاني ويتغنى به ،
ويغفل القرآن معلمه الأول ، ولا ندري كيف نمثل هذه الظاهرة الغريبة ،
مع أن الريحاني عملاق في أدبه وفكره وأصالته .

أما وقد تحدثنا عن الشعر المنشور فلتتابع جولتنا في مجموعة (هتاف
الأودية) ودراستنا لأمين الريحاني في هذا الفن ، ففي القصيدة الثانية
- رماد ونجوم - صورة لنفاق المجتمع ، وهي صورة ملونة حساسة

لها جرسها الموسيقي وإن خلا بمض مصاريعها من السجع ، وأجل ما فيها هاتان الفقرتان الحكيمتان : « في الصعلوك نفس تكبر إذا انطلقت من القيود ، وفي الملك نفس تصغر إذا جردت من ترهات الأبهة والإجلال » . ثم تنتهي القصيدة بالوعظ والتأنيب والإنذار ، يقول الريحاني : « إلى مَن نيل وجهنا عن الفقراء الأذلاء ، ونعقره أمام الأغنياء والأمراء ؟ احذروا مَن تكرهون ومن تحبّون ، مَن تحتقرون ومن تجلتون . لعلّ عليّة القوم أدناهم » . وهو وعظ مطروق نثراً وشعراً وكان على الأمين أن « يلقّحه » بشيء من عبقريته ليرتفع عن المستوى العادي .

وعندما نطل على (الثورة) نرتع تارة في جو موسيقي هادي أنيس ، وطوراً في جو إرهابي مزيج محموم لما يتخلل القصيدة من ألفاظ صاخبة سامة وصور حمر دامية ، مثل القطوب والعصيب والرهيب والنحيب والزئير والنعيب ، والنار والسيف والأغلال والسعير والقنابل وقطع الرؤوس وحزّ الرقاب والمشقة ولهب الآتون والبراكين ، وويل للظالمين الخ . وقد التزم السجع في كل مقاطعها فكان الإيقاع جميلاً ، وكان لفقراتها المدججة العنيفة النبرات ، صداها البعيد في الجوّ الشعري الثائر ، غير أن الريحاني وهو الذي يعدّ الأوزان والقوافي قيوداً تحمل الشاعر على « التعمّل » في المعاني والمباني ، اضطر في سبيل السجعة أو القافية أن يرتكب خطأ لغوياً فاضحاً إذ قال في آخر المنقطع الثاني :

... ونساؤها (أي الثورة) المنتمرات

وخطباؤها وخطيباتها الفصيحات

وزعماؤها وزعياتها المتمردات

والصواب : وخطباؤها وخطيباتها الفصحاء ، وزعماؤها وزعياتها المتمردون أي بتغليب الذكور على الإناث لا بتغليب التأنيث على التذكير ، ولا يدفع هذا التغليب قولنا إن الفساحة صفة للخطيبات وحدهن وإن

التمرد صفة أيضاً للزعيمات دون الزعماء ، فالفضيحة والتمرد تغلبان على الذكور ، وخصوصاً في المواقف الثورية .

وارتكب هفوة لغوية أخرى في سبيل التسجيع إذ قال : ألم نقص عليك قصص باريس ، يوم ذلك البستيل وزفتت الهاييس ، ولا يجمع عبوس على عاييس كما تقول العامة ، على أنه تنشئ خطأ جمع مفعول على مفاعيل وهو إنما يجمع جمعاً مؤنثاً سالماً ، وجرى على السنة الخطباء وأقلام الكتاب والأدباء فقالوا : مقاميم ومشاريع ومواضيع ومراسيم ومضامين الخ وصوابها مفهرمات وموضوعات ومرسومات ومضمونات ، وأحصى علماء اللغة ست لفظات جمعت على مفاعيل لوقوعها صفة لازمة مثل مجانين ومناكيد وملاعين .

والإيحاء القرآني واضح وخصوصاً في لازمة القصيدة ، « وويل للظالمين الخ » وبعض التعابير الأخرى . فاللازمة تنطوي على الوعيد والتهديد طبقاً لما جاء في كتابه العزيز إذ ينذر الكافرين والمفسدين بالعقاب والعذاب الأليم : « ان لدينا أنكلاً (أغلاً) وجعياً ، وطعاماً ذا غصة وعذاباً أليماً » ، ولنلاحظ السجع وحسن الإيقاع . و « إنا أعددنا للكافرين سلاسل وأغلاً وسعيراً » ؛ و « .. والظالمين أعددنا لهم عذاباً أليماً » ؛ و « .. ويل يومئذ للمكذابين .. وما أدراك ما يوم الدين . يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله » ، و « ويل للطفتين . ويل لكل همزة لمزة » ؛ و « فويل للصلتين الذين هم عن صلاتهم ساهون . الذين هم يراءون ويعنعون الماعون » ، أي الزكاة والطاعة والإغاثة .

ويقول الريحاني : « ويل يومئذ للظالمين . ويل يومئذ للمفسدين . هو يوم من السنين . بل ساعة من يوم الدين . أنذرهم بأغلال وسعير .. ويوم عير » ، والشبه واضح .

ويستعمل الريحاني التعبير القرآني في الحث على الاعتبار بالآخرين
 فيقول : ألم تقصّ عليهم .. ألم يأتهم .. ألم يروا .. الخ
 وقد اقتصر الريحاني في قصيدته هذه (الثورة) على تصوير أربع ثورات
 تاريخية وهي مصرع بوليوس قيصر ، سقوط البستيل أو الثورة الفرنسية ،
 وثورة كرومويل على شارل الأول الانكليزي ، والحرب الأهلية لتحرير
 الزوج العبيد ، وهي كلها ثورات سياسية إصلاحية محلية وبالتالي ليست لها
 صفة عالمية أو امتداد عالمي كالثورات الروحية الكبرى التي هزت شعوب
 الأرض وأيقظتها واتخذت منها مذاهبها وعقائدها كالمسيحية والإسلامية
 اللتين قادتا أمم العالم ولا تزالان تقودانها ، ولا شك أنها أجدر بالتنويه
 من الثورات السياسية الإصلاحية ذات الطابع المحلي ، ولولاهما ما عرف
 العالم معنى الثورة والتحرير والانتفاض ؛ ولكن يشفع بهذه القصيدة أنها
 نظمت في عصر السلطان عبد الحميد (١٩٠٧ م) وكأنها نذير لسلطانه
 الأسود الأحمر . .



أمّا في قصيدته « غريبان » فقد أبدع فكرة وأسلوباً وفناً وإيقاعاً .
 الريحاني عميق الإيمان بالله وجماله ومحبته وحكمته ، ولكنه لا يأخذ بالطقوس
 والمراسم ، ولا يحري وراء المظاهر والتقاليد ، بل يحرص أشد الحرص
 على الجوهر واللباب والأعمال ، العمل الصالح هو الدين وهو العبادة ،
 أما الاقتراب الى الله بالشفاء وحدها فتقليد لا طائل وراءه .
 كان الريحاني ، رحمه الله ، يزور الكنيسة مرة واحدة في السنة ،
 وذلك يوم الجمعة العظيم حين يحتفلون بذكرى آلام المسيح وجنتازه ،
 وقد أوحى له هذا الاحتفال الديني الكنسي بقصيدته الجميلة (غريبان) .
 ولنسمع الآن هذا المقطع أو هذا المشهد الرائع لجنتاز المسيح في الكنيسة ،

كما تخيله وكما ترجمه ، ولا حرج علينا لأن الدراسة تقتضي أحياناً خوض
مألاً يُستحسن الخوض فيه قال الأمين :

« ما قد مشى في الجنازة المدممون . وهم في الكنيسة يطوفون .
هوذا الصليب ، وقد تصاعد وراءه النحيب ، وأمامه البخور والطيب ،
وصل المركب إليّ . فما جثوتُ على ركبتيّ . سرحت في الناس نظري
فرأيتهم ساجدين . ورأيت بقربة مني رجلاً واحداً من الواقفين . رأيت
في وجه هذا الغريب . ما خالج قلبي الكئيب . فصرخت ساكتاً : إلهي
إننا غريبان هنا . أسمعته خدّامك ينعبون . ألتما لك الناس يسجدون ،
وهم عنك يصيدون . نفحة من جناتك . كلمة لإخوانك ، .

أمّا الغريبان اللذان عنهما الشاعر في قصيدته فهما المسيح والريحاني
نفسه ، وغفر الله للأمين ، وتغمّده بالرفق واللين ، وأثاب إيمانه البري
في يوم الدين .



ورثي الريحاني ابن اخته فؤاداً بقصيدة وارقة الظلال ، شجيّة الخيال ،
خاشعة الألوان ، متجارية الألحان ، عبقرية الأشجان ، سمعنا فيها الشاعر
النظام الى جانب الشاعر النائر ، قال الأول :

يهاء جمالك في تربة عجبت لترب جمالاً يعاد
ونور عيونك في ظلمة عجبت لنور شديد السواد
وهناك أبيات أخرى مطلعها :

فجبنا نجوم الحياة عراة وفيها الخجول وفيها الخليع
ولا ندري هل نظم هذه الأبيات - على ركاكتها - منساقاً بسليقة
شعرية أم أنه تحامل على نفسه ، فجذبه الوزن والقافية الى حيث لا يشاء .
نعم . أصاب العروض وأرضى الخليل ، ولكنه لم يُصب البيان وجمال الأداء

والتمثيل . فالشاعر 'خيّل' إليه أن بهاء جمال الميت المرثي حوّل تراب
القبر الى جمال ، وهنا العجب ! كما أن نور عينيه انجذب في ظلمة القبر
ولكن هذه الظلمة غلبت على النور وأصبح النور شديد السواد ! وهذا
يعني أن « بهاء الجمال » استطاع أن يصنع أعجوبته في التراب ولم يفقد
عنصره وخصائصه ، ولكن نور العينين عجز عن الإتيان بمثل هذه المعجزة ،
فاستحال الى سواد شديد !

وقد يكون في قوله : « عجبت لنور شديد السواد » مجاز عميق
أو رمز وفكرة باطنية ولكنه لم يهتد له بما يهيء الذهن لاستيعاب هذا
المجاز وهذه الفكرة . ثم إن الشاعر جارى العامة في استعمال « خجول »
بدلاً من 'تخجيل' بالفتح فالكسر .

ولقد صدق الريحاني إذ قال إنه « يعجب من بعض شعرائنا يتعملون
المعاني تمثلاً بسبب الوزن والقافية اللذين يقيدان الشعر » ، ولا شك
أن حكمه هذا ناتج عن تجربة شخصية كما قلنا سابقاً . وقد انتهت هذه
التجربة بالإخفاق فحكم على الوزن والقافية بأنها قيد يشل حركة الشاعر .
ولكن تجربته الشخصية الخائبة لا تصلح حكماً على الكل ، فالصحيح أن
الريحاني وإن يكن شاعراً بروحه وذوقه ، لا يملك الموهبة الشعرية المتدفقة
التي تصوغ الأوزان والقوافي بطواعية الشمع بين أصابع رجل صناع اليدين .
ولا شك أن ملكته الاستقصائية الدراية ، وعقلانيته في معالجة الموضوعات ،
واعتماده في تفكيره على الحقائق المجرّدة ، وأسلوبه في سبك الجدة في قالب
السخرية ، وهذه في قالب الجدة ، ونزعته الثورية الإصلاحية بين هدم
وبناء . لا شك أن هذه كلها ملكت عليه أمره ، حتى إذا طارد الشعر
الموزون المقتضى ، أفلت منه وطار . . ثم إن في الشعر شيئاً من الوحي .
نعود إلى مراثيه لابن شقيقته فؤاد ، فالقاريء يقع فيها على تنجّس
وأي تنجّس ، وعلى أمى وأي أمى ، وعلى وجد وأي وجد ، ولكن

القاريء لا يفرق بالدموع ، ولا تصطك أذناد بالزفرات والآهات والنشيج .
 في هذه القصيدة تلقى قلباً حساساً يحزّ فيه الألم ، قلباً منحنياً بالجراح ،
 ولكنه قلب شجاع حكيم لا يبكي ولا يستبكي ولا يتهافت هلعاً وجزعاً
 ويضئ عليه ثم يشدّ القاريء باغمأته ، بل كأن الألم يشقّ لهذا القلب
 آفاقاً جديدة تكشف عن خيال وحقيقة ، وأشباح وأحلام ، ورؤى
 وفلسفة ، فإذا الحزن والألم تجربة وقوّة وانتفاضة وانطلاقة روحانية بعيدة
 المدى ، فلا عبرات وتشتبجات وشقّ جيوب ولطم خدود واننيار في الجسم
 رخوور في الروح ، وهو المنهج الذي نهجه شعراؤنا الأقدمون والمحدثون
 في الرثاء ، وما أعظم المعري إذ قال :

« غير مجدٍ في ملتي واعتقادي نوح باكٍ ولا ترتّم شادي »
 لولا إفراطه في السلبية .

ورثى الريحاني في مجموعته « هتاف الأودية » صديقه ورفيقه جبران
 خليل جبران بقصيدة منشورة لمعت فيها جروح قلبه شعراً وبياناً وخيالاً
 وفلسفة ، ولكن لم تلمع في مرثاته دمة . ولقد سمعنا فيها الترنيم والترتيل ،
 ولكننا لم نسمع التحيب والعويل . وهنا يبرز طابع الريحاني النفسي
 وشخصانيته وسر قوّته في تفكيره وصوّره وأهدافه .



ولآدب الطبيعة في شعر الريحاني المنشور طابع جليّ بارز ؛ إنه ذلك الهاثم
 المشغوف الذي انسبكت ريشه وقلبه وذهنه وعينه وكل قواه في الطبيعة ،
 هذه « الأم الأزلية الأبدية » التي يفيض صدرها حناناً وعطاء ، ورواء
 وثرء ، وأملًا وعزاء وحياً وإحباء ، وصلاًحاً وصفاء ، وتعاوناً وإخاء ،
 وصوراً أختاذة تلتمع فيها الإنسانية الزهراء ، والكلمة العذراء ، كلمة الله
 باسط الأرض والسماء ، وخالتى الجماد والأحياء .

أخبرنا السيد ألبرت الريحاني أن شقيقه الأمين لم ينقطع قط عن الهبوط إلى وادي الفريكة ، يتردد إليه في كل الفصول ، وما كانت الأمطار والثلوج في الشتاء لتصدّه عن زيارة الوادي والاستمتاع بخير المياه وهدير الشلالات ومطول الأمطار التي هي سيل مرّة وبجيرة أخرى ، وكان للعواصف والرياح وقعها الطروب في أذنه ونفسه ، كما كان يقف خاشعاً أمام شجرة اقتلعها السيل الجارف أو أخرى سلخت عنها العاصفة بعض أغصانها ، حتى إذا أعيّا عاد إلى المنزل تقطر ثيابه ماء ، وتفيض البهجة في صدره ، وبعد أن يستبدل ثيابه ويشرب الشاي ينصرف إلى غرفته ليترجم كل ما رأى في ذلك الوادي .

ونحن لا نستغرب بعد هذا أن يبني الريحاني الكبير معبده في أحضان وادي الفريكة حيث تجلّى له « الإيمان والدين والله » كما يقول . وهذا يعني أن حب الطبيعة كان أصيلاً كل الأصالة في أدب الريحاني ، وليس كما زعم بعضهم أنه تأثر بالأدب الغربي واقتبس منه في شعره المنشور وسائر ما كتبه . والصحيح أن شعراء المهجر عموماً من الكبار إلى الصغار ، شمالاً وجنوباً ، برعوا كل البراعة في أدب الطبيعة مدفوعين إلى الإجابة بذلك الحنين المشوب إلى الوطن النائي ، إلى سورية ولبنان ، عروسي الجمال الطيبي في العالم . ويشوقنا بعد هذا أن نلقي نظرة خاطفة على قصيدته المنشورة « معبدي في الوادي » وقد ترجم فيها ما ارتسم في عقله وقلبه من آثار وادي الفريكة ، وكان طبعاً أن يلتزم التسجيع كعادة في معظم شعره المنشور مدفوعاً بالتناغم وحسن الإيقاع ، فانسأقت له القوافي إلا في فقرتين حيث يقول : « وقفت على ضريح الشتاء ليلاً . فشاهدت هناك مشهداً جليلاً » ، وياه (الليل) ساكنة تتقدمها فتحة أمّا ياه (الجليل) فليئة ممدودة . وأيضاً حيث يقول : « شاهدت ربة الوادي تقبل جبين أبيها .

فينور الأقحوان تحت شفتيها ، ، وياه (أبيها) ممدودة لينة ، أما ياه (شفتيها) فساكنة تتقدمها فتحة .

ولنسمع هذا المقطع الجميل الذي ترجم فيه شيئاً من صور الوادي :
 « إن في قلبي اليوم شيئاً بما في قلب جاري . وفي قلب الغاب أثراً من آثاري . إن قلبي في عقل هذا القروي » ، وعقله في قلبي الخفي . فما يراد في الأرض من نور العالمين ، أراه في أكام الورد وبراعم الياسمين . إن في ورقة التوت ، مرأً لا يكشفه اللاهوت ، . ولورقة التوت كما يعلم الجميع ميزة على كل أوراق الأشجار ، فهي غذاء دودة القز دون سائر النباتات ، ودودة القز ترمز إلى الموت والبعث ، فبعدما تنسج كفتها الحريري بلعابها وتستقر في ضريحها الصغير وكأنها ماتت إلى الأبد ، لا تلبث أن تستحيل إلى فراشة تترق الكفن وتخرج من مدفنها حاملة بيوض الحياة إلى مئات من دود القز .

ثم ينطلق الريحاني ، وكأنه كشف عن السرّ العميق الدفين : « هناك بين أشجار البطم والزمزريق وتحت أدواح الصنوبر والسنديان ، هناك في بيتي ، في بيت الطبيعة ، في بيت الله ، هناك محراب الإنشاد والتغريد ، لامنصة التحذير والوعيد ، أبني لك أيتها النفس هيكلًا من الإيمان . أقيم فيه تمثالاً للوداد والإخاء . وأدعو إليه كل بشر تحت السماء ، . ولا يسعنا إلا أن نقف أمام لفظة (تمثال) لتتدبر وقمها في النفس ، بعدما ارتفعت النفس إلى المحل الأرفع . إن هيكل الإيمان يضمّ أسمى ما في الكائنات ، يضم عجائب الله ، وعجبة الله ونور الله ، فأي شأن لهذا (التمثال) الذي يهبط بنا إلى الوثنية المادية في حب الطبيعة وعبادة الله ؟

ويختم الريحاني قصيدته بهذا المقطع وقد تفتى فيه بالشوك ، وبابتسامة الشوك ، وبشعاع ابتسامة الشوك ، ذلك بأن الريحاني المتحرر لم يستطع إلا أن يحاري العقيدة المسيحية الفاتلة بصلب السيد المسيح وإنشاده على

الصليب ، وعلى رأسه إكليل من شوك كما جاء في الأناجيل ، قال الريحاني :
 « إن الأريج المنتشر في هذه الأدغال ، هو البخور الذي يحرقه الربيع على
 مذبح الحياة والإيمان . بين هذه الأدغال الندية وتحت شعاع ابتسامة الأشواك ،
 يلذ لي التأمل في من مات ليحيي الحب والوداعة في الناس ، بين هذه
 الأشواك يحملني الخيال ، إلى حيث وضع الإكليل على رأس الشهداء .
 والريحاني في هذا المقطع صرف نظره عن الصليب ، وله من القداسة ما له
 في العقيدة المسيحية ، وتراعى له جمال يسوع في إكليل الشوك الذي ضفره
 رؤساء اليهود ووضعوه على رأسه قبل الصلب استهزاءً به وازدراءً ، فلفي
 الريحاني في الشوك شيئاً من وداعة يسوع ، وابتسامة يسوع ، وشعاع يسوع ،
 ولعله أوّل من رفع الشوك إلى هذه المرتبة القدسية بعد ما صار إكليلًا
 ليسوع ، على حين أن الكنيسة المسيحية لم تكن قط بهذا الإكليل
 الشوكي الدامي .

* * *

وقبرز لنا مذاهب الريحاني الدينية في قصيدته « إلى الله » حيث نرى
 قسماً صوفياً إسلامياً يواكبه قسماً علمياً . أمّا القسّم الصوفي فيذكرنا
 بمحيي الدين بن عربي في أبياته المشهورة التي يختتمها بقوله :

أدين بدين الحب أنى توجهت ركائبه فالحب ديني وإيماني

وهي حالة من الإشراف الروحي المتسامي تتجلى فيه وحدة الحقيقة
 الدينية في الحب المطلق ، ولكن الريحاني الذي انساق بقلبه وحده ورحته
 الباطني فكان صوفياً في نظره الدينية ، لا يلبث أن ينساق بعقله العلمي
 المفكّر مدججاً في الدين خطوطاً علمية ، ولنسمع قوله مخاطباً « الله »
 في القصيدة المذكورة : « فلقد توضح لي حرف ساكن من اسمك في (الفيدا)
 (كتاب الهندوس) ، وحرف في الزندآفستا (كتاب زردشت) ، وحرف

في الإنجيل ، وحرف في القرآن . أجل — وفي كتاب الجمعية العلمية الملكية (البريطانية) وسجلات جمعية المباحث النفسية .

أما ان الريحاني يؤمن بالله إيماناً كلياً ، فهذا أمر لا شك فيه مطلقاً ، ولكنه ينظر إلى الله جل جلاله من وراء أديان إلهية وأديان غير إلهية ، ومن وراء المباحث العلمية والنفسية ، أي انه يجب حذف الشيء الكثير من الكتب الدينية لترتبط بالمباحث العلمية والنفسية ارتباطاً وثيقاً يؤلف ديناً جديداً ، وهذا بدعة البدع ، بل هذا هو الهدم عينه ، دون أن يكون لنا من وراء هذا الهدم ما نبني وما ننشئ ، مع أن الريحاني في كل مطالبه الإصلاحية كان يهدم ويبني الأفضل والأصلح والأكمل .

ولكن هذه الأحرف التي توضححت للأمين في أربعة كتب دينية ، ولا ندري لماذا أهمل الموسوية وهي إحدى الديانات السماوية الثلاث ، نقول هذه الأحرف التي توضححت له أيضاً في كتابين علميين ، هي في نظره أحرف ساكنة تحتاج إلى حركات لدنة وممزات وصل ، حتى يستطيع البشر أن يحسنوا النطق باسم الله .. ، ولنتأمل هذه الانطلاقة التامة في الفضاء اللانهائي : « كل أمة من الأمم أدركت حرفاً من هذا الطلسم العظيم . لكن الحركات وممزات الوصل لا بد أن يأتي بها علماء المستقبل لتحيي جموداً في أحرف الكتب المقدمة الساكنة . وتبعث فيها سلالة الماء والهواء ، وتزيل اللكنة من لسان هذا البشري الطفل ومن قلبه » .

فالريحاني مقتنع إذن كل الاقتناع بأن علماء المستقبل هم المعول عليهم في تدريب شعوب العالم على النطق باسم الله كاملاً ، ولكن متى كان للعقل المحدود أن يكشف عن غير المحدود ، ومتى كان النطق باسم الله يفقر إلى معامل ونماذج ومعادن وغازات وصواريخ ومراصد وتراكيب كيميائية وآلات الكترونية وسواها ؟

ويضيّق بنا المجال عن متابعة النظر في القصائد الأخرى ونقدّها ، وهي لا تقل شأنًا عن شقيقاتها ، فنكتفي بهذا القدر لترسم ما يأتي :

(١) ان الريحاني استقى أوّل ما استقى في شعره المنشور من القرآن الكريم ، فالفقرات المجرّدة المجهّمة ، المصلصة النبرات ، الجديدة الاستعارات ، البارة الكنايات ، إلخ هي في قوالبها وأساليبها من صور القرآن الكريم .

(٢) تمكّز الريحاني على تعابير وألفاظ قرآنيّة ظهرت جليّة في منظوماته الرئيسيّة كما ومضت الصوفيّة الإسلاميّة في تفكيره وخياله الباطني ، واستقى أشياء من نشيد الأناشيد وسفر الجامعة لسليمان الحكيم والزامير لداود ، وسفر أيوب الصديق ، وقد اشتهرت هذه الأسفار المدوّنة في التوراة ، يقراتها الشعريّة النثريّة العاطلة من السجع ، وفيها فلسفة وخيال وصوفيّة عميقة .

(٣) جاء في مقدمة (هتاف الأودية) أن الريحاني هو أول من عني بالشعر المنشور في الأدب العربي ، والصحيح أنه جدّد وردّد ، فالشعر المنشور المطلق ، عرفناه مترجماً إلى العربيّة في أسفار التوراة المذكورة آنفاً ، وعرفنا الشعر المنشور الساجع في القرآن الكريم ، وعرفناه أيضاً في أطواق الذهب للزنجشيري ، كما عرفناه في مواعظ قس بن ساعدة وسواه في العصر الجاهلي ، واستساغ أدباء الأندلس هذا الفن فالتفوا فيه ، وكانت مجلة (القنون) النيويوركيّة التي هي صحيفة الرابطة اللقبيّة في الشمال قد نشرت نماذج من الشعر الأندلسي المرسل .

(٤) نلقى في شعر الريحاني خصب الفكرة وقوتها وانطلاقها ، ولكن « الفكرة » كثيراً ما يتضاقل نورها أو يخبو لسوء الأداء وجمود الصيغة الفنيّة ، هذا مع اعترافنا بأن الريحاني كاتب عربي بليغ متين العبارة متصرف في ضروب الإنشاء ، وقد اشتهر أسلوبه الإنشائي بطلاوته وسلاسته وتدقيق الحيويّة في معانيه .

ومصيبة الريحاني في الشعر المنشور فيه أنه ققيّد بالجرس الموسيقي والتسجيع والفقرات المحدودة الألفاظ ، المحصاة الأنفاس ، فكان شبه متعمّل متكلف ، إذ دفع نفسه إلى غير سجيّتها وسليقتها ، فكان في شعره ينحت من صخر ، وفي نثره المرسل يغرف من بحر ، وفيه طيف من زهر ، ويستطرف من فجر .

(٥) لا يمتد الريحاني في شعره المنشور على حواشٍ خارجية فقط ، بل يتخطاها إلى الفطرة والحس الباطني والحدس والإشراق الروحي أحياناً وجماله أنه صهر في ثقافته العربية ثقافات متعددة المصادر .

(٦) ان الفلك الذي يدور فيه هتاف الأودية ، هو البعث الفكري والروحي والثورة على الجمود والجهل . وقد عالج فيه قضايا المجتمع العربي من الناحية السياسية القومية ، ولكنه ما قطرق إلى التيارات الاجتماعية الاشتراكية التي كانت شائعة في عصره ، ولعله معذور إذ أخذ بالتكوين السيامي الاستقلالي أولاً أي بأجدية النشوء .

(٧) لا يدين الريحاني بذهب مميّن من المذاهب الدينية المشهورة ، فقد نشأ مسيحياً مارونياً بحكم ولادته ، ولكن عندما بلغ أشده وفضج تفكيره أخذ من كل دين بنصيب أو بالقدر الذي صبا إليه قلبه وفكره . وقد دشّن حياته الأدبية بقذيفة رماها في أحضان رجال الدين (المسيحي) قالوا وقتئذ إنه مهّد لها للشهرة في دنيا العرب ، ولكن قذيفته كانت « بيضاء » لم تجرح أحداً ، ولا كسرت زجاجاً ..

(٨) آية الريحاني المثلّ أن هجر وطنه في الثانية عشرة من عمره وفي صدره الخوف من يتكلم لغتهم والبغض لمن في عروقه شيء من دمهم ، والبغض والخوف مما توأما الجهل ، كما قال في مقدمة كتابه « ملوك العرب » ثم يتابع فيقول : « جمعي الله سبحانه وتعالى بأبي العلاء المعري بعد أن

هداني بواسطة الفيلسوف الانكليزي (كارليل) إلى الرسول العربي . قرأت اللزوميات معجبا بها ، ثم قرأتها مترنحا ورحلت أفاخر بأني من الأمة التي ينبغ فيها هذا الشاعر الحرّ الجسور الحكيم ، . وبعد ما وصف زيارته للأندلس يخفي ويقول : « فوقفت في (الحمراء) ، وسمعت أصواتا تناديني باسم القومية ومن أجل الوطن ، وتدعوني إلى مهبط الوحي والنبوة » . ثم أتاح له القدر الزهّار أن يزور الجزيرة العربية ويرتادها من أقصاها إلى أقصاها ، ويحدث ملوكها وأمراءها وشيوخها ، ويطلع على العالم العربي بكتابه النفيس « ملوك العرب » الذي كان باكورة رحلاته العربية . ووجه الغرابة أن يهتدي عربي إلى الرسول العربي عن طريق مؤلف أجنبي ، وهذا ما أصاب الريحاني العملاق .

ولكن ابن خاله الشاعر الياس طعمة وهو الذي تكنتى بمدتدٍ باسم أبي الفضل الوليد بن عبد الله بن طعمة إمعاناً في العروبة ، كان أحسن حظاً إذ اهتدى إلى الرسول العربي بنور الحرف العربي ، فمدحه بقصائد رثانة نشرها في البرازيل حيث كان يصدر جريدته (الحمراء) متقنياً بالعرب ومجد العرب ، كما نشر سواها في الوطن بعد عودته .

(٩) ولنا أن تتساءل بعد هذا ، ما هو الأثر الذي تركه « ويتمن » الأميركي في ذهن الريحاني ونفسه ؟ أكونه أول من أطلق الشعر الانكليزي من قيود العروض مجازاةً لشكبير في اطلاق الشعر الانكليزي من قيود القافية ؟ قد يكون هذا صحيحاً من ناحية الأدب الإنكليزي ، أما من ناحية الأدب العربي فلا . ذلك بأن القرآن الكريم هو الذي أطلق الشعر العربي وأرسله من قيوده ، مع الحفاظ على الجرس الموسيقي تناغماً وإيقاعاً وسجناً مطرداً .

وبعد فإن الصوت الذي أيقظنا وأهاب بنا ، وأثارنا وامتاجنا ونكاد نقول مهّد لنا وقادنا يوم كنا ناشئين فتلمس طريقنا إلى النور والحياة ، لم يكن صوت الريحاني في « متاف الأودية » وإنما كان صوته في مجموعة مقالاته الريحانيات ، والتطرف والإصلاح ، والقوميّات ، ومجموعة كتب الرحلات العربية مثل ملوك العرب وقاريغ نجد الحديث ، وقلب العراق وقلب لبنان ، والمغرب الأقصى ، وفيصل الأول . فهنا سمعناه وطربنا له واشتقناه ، وهنا رأيناه ، عملاقاً عبقرياً ، وعربياً مؤمناً وفياً ، ومفكراً جريئاً نهياً ، وحرّاً أليماً ، وأديباً بارعاً ألمعياً ، هنا رأينا النسر يشق عذان السماء ، ويرتاد الفضاء ، ويناجي النجمة الزهراء ، ويعود مثقلاً بالعطاء ، والديّة المظلمة ، والسكّة الظليّة الهدباء .

أمّا في « متاف الأودية » فما أشبهه بنسرٍ مربوط الساق ، ينشد الانطلاق ، وارتياح الآفاق ، حتى إذا بسط جناحيه وتحفّز للسباق ، شدّه الوثاق ، وأعجزه الإخفاق ، عن اللحاق ..

واعجب بعد هذا للعملاق ، يضيع نفسه في عتمة الخفاق ..

نظير نيتون



ابن هشام أنحى من سيوييه

١ — ترميز

في طليعة العلماء العرب الأفذاذ الذين متعوا تراثنا النحوي خلوده يجيء اسم عبد الله بن يوسف الأنصاري المصري المعروف بـ (ابن هشام) صاحب الكتاب القريد في باب (مقني اللبيب) . ولهذا الكتاب في العالم العربي اليوم شهرة كبيرة ، فهو يُدرّس في أكثر الجامعات العربية لمزايا ينفرد بها من كتب النحو الجامعة الأخرى ، وبه وبمثله من مصنفات ابن هشام النحوية فاز المؤلف بإعجاب علامة عصره ابن خلدون ودفعه إلى أن يعلن في (مقدمته) العبقرية دون تحفظ : « ما زلنا ونحن بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له ابن هشام ، أنحى من سيوييه ! » وسنحاول في هذا البحث أن نعرف بهذا العالم النحوي الكبير ومصنفاته وكتابه الجامع (المقني) وخصائصه .

٢ — العصر

عاش ابن هشام في القرن الثامن الهجري (٧٠٨ - ٧٦١ هـ) في مصر ، وقد كانت يومذاك تحت حكم المماليك الذين انتزعوا السلطة من أيدي سادتهم الأيوبيين منذ منتصف القرن الماضي (سنة ٦٤٨ هـ) ، وكانت القاهرة قد بدأت تنهض بالدور الحضاري الكبير الذي كانت بغداد مسرحاً له قبل نكبتها بالغزو المغولي ، واستيلاء هولاكو عليها (سنة ٦٥٦ هـ) ، وقضائه على خلافة المماليك فيها ، وتدميره مكتباتها العامة ، وإخماله

السيف في أهلها ، وبينهم صفوة من كبار العلماء وأعلام الأدب . وكذلك تحول مركز الإشعاع الحضاري الإسلامي إلى القاهرة ، بانتقال ذوي المواهب إليها ، فتعددت فيها المدارس ، ونشطت حركة التأليف في مختلف العلوم والفنون . وكان لتشجيع السلاطين المماليك للعلماء وتقريبهم إليهم وحرصهم على نشر العلم وازدهار التأليف أثر ملحوظ ، وأصبحت القاهرة تستقبل وفود المهاجرين إليها من علماء المسلمين ، من الشرق والغرب : فهم يفرون من جور المغول في الشرق كما يفرون من بطش الأسبان المتغلبين على الأندلس في الغرب ، وهم جميعاً يلقون في مصر - وفي سورية التي كانت يومذاك تابعة لها - مقاماً آمناً وعيشاً مستقراً يعين على التأليف والإنتاج ، وإن تكن الكثرة من مؤلفات هذا العصر - شأن غيره من عصور الانحطاط والظلام - قد ماتت فيها روح الابتكار وانعدمت الأصالة ، فهي جمع وتصنيف واجترار وتقليد يابس لا أثر للاجتهاد فيه !

٣ - الرجل

في هذا العصر ، وفي مدينة القاهرة ولد ابن هشام سنة ٥٧٠ هـ ونشأ فيها ، ودرس على كثير من شيوخها ، فلزم الشيخ شهاب الدين عبد اللطيف ابن المرحل ، وقرأ على ابن السراج ، وحضر دروس الشيخ تاج الدين التبريزي والشيخ تاج الدين الفاكهاني ، وحدث عن ابن جماعة بالشاطبية ، ودرس الفقه على مذهب الشافعي ، وقد أتيح له أن يلقي النحوي الأندلسي المشهور أباحيان أثير الدين محمد بن يوسف الغرناطي أثناء رحلته إلى مصر ، وسمع منه ديوان زهير بن أبي سلمى ، ولكنه لم يلزمه ولم يقرأ عليه ، وكان شديد المخالفة له ، كثير الانحراف عنه ، على الرغم من أنه تولى شرح بعض كتبه : (اللمعة البدرية لأبي حيان ، وشرحه الكواكب الدرية لابن هشام ، وقد ذكره السيوطي) .

وهكذا نجد أن ثقافة ابن هشام جامعة للنحو واللغة والأدب والفقه والحديث ، وقد كان ابن هشام على همه طيبة في الجد والطلب والتحصيل والصبر على الدرس ، وهو القائل :

ومن يصطبر للعلم يظفر بنيله ومن يخطب الحسنة يصبر على البذل
وقد ظفر ابن هشام بنيل درجة رفيعة من العلوم التي حصلها ، وأتيح له أن يتقن العربية اتقاناً كاملاً ، حتى فاق الأقران ، بل الشيوخ - كما يقول بحق ابن حجر - وتصدر من بعد للتدريس ، فأخذ عنه جماعة من أهل مصر وغيرهم ، ويشهد بعض تلامذته أنه كان مدرساً محبباً لدروسه طلاقة ، كما نستخلص ذلك من مرثية ابن الصاحب بدر الدين له بعد وفاته :

فما لدروس غبت عنها طلاوة ولا لزمان لست فيه جمال
ويصور لنا ابن حجر مدى ثقافة ابن هشام وما امتاز به صاحبها من ذلاقة لسان وطلاقة تعبير إلى الأخلاق المتواضعة الفاضلة التي كان يتعلل بها فتعصمه من الافتتان بنفسه والغرور بعلمه ، فيقول : « وتصدر ابن هشام لنفع الطالبين ، وانفرد بالفوائد الغريبة والمباحث الدقيقة ، والاستدراكات العجيبة ، والتحقيق البالغ ، والاطلاع المفرط ، والاقتدار على التعرف في الكلام ، والملكة التي كان يتمكن بها من التعبير عن مقصوده بما يريد ، مسبباً وهو جزأ ، مع التواضع والبر والشفقة ودماثة الخلق ورقة القلب » فلا عجب بعد ذلك أن تطير شهرة الرجل في أقطار العالم الإسلامي ، فتبلغ المغرب وتفوز من علامتها ابن خلدون بتلك (الشهادة) الرفيعة : « ابن هشام أنحى من سيبويه ! » .
تحدثنا كتب التراجم أن ابن هشام ، العالم الشافعي ، تولى تدريس التفسير بالقبة المنصورية بالقاهرة ، وأنه تحبيل في السنوات الأخيرة من حياته (سنة ٥٧٥٦ هـ ، أي قبل خمس سنوات من وفاته) ، وتولى التدريس بالمدرسة الختيلية بالقاهرة ، وحفظ لذلك عن ظهر قلب كتاب (المختصر

للخير (في أقل من أربعة أشهر ، وفي ذلك دليل ذكائه وشباب حافظته ، ولا ريب في أن انتقال ابن هشام إلى المذهب الحنبلي في أواخر سني حياته دليل حي على نشاط الرجل وحرية فكره ومرونته ، وعلامة لا تخطيء على شباب نهمه العلمي ورغبته - وهو في الخمسين - أن يطل على آفاق جديدة تزيد حدود ثقافته واطلاعه بعداً واتساعاً .

قام ابن هشام بعدد من الرحلات في العالم الإسلامي ، ولكننا لا نعلم اليوم عن أسفاره تلك غير ما حدثنا هو به في مقدمة كتابه (المغني) فقد قام برحلتين إلى مكة ، أولهما سنة ٧٤٩ هـ ، وقد بقي في البلد الحرام مدة استطاع خلالها أن يؤلف كتاباً في الإعراب ، ولكنه فقده في طريق عودته إلى مصر ، والرحلة الثانية كانت سنة ٧٥٦ هـ ، وقد أتيح له خلال بجارته للحرم في أثناءها أن يصنف كتابه الجامع الكبير (المغني) الذي يشهد له بالنبوغ والتفوق .

عاش ابن هشام بعد تأليف المغني نحو أربع سنوات ، وقد وافته منيته سنة ٧٦١ هـ في الخامس من ذي القعدة ، ودفن بمقبرة الصوفية خارج باب النصر بمصر ، وخلف ولدين هما عبد الرحمن ، وترك ثروة علمية كبيرة تشهد أنه أنفق عمره كله في تأليفها وتحجيرها وكان مثلاً رائعاً للعالم المجد ، رحمه الله وأجزل مشوبته .

٤ - التصانيف

ألف ابن هشام وصنف عدداً كبيراً من المؤلفات والرسائل ، يزيد على الثلاثين ، ولكن ما وصل إلينا منها لا يجاوز النصف بكثير ، وهو بين مطبوع أو مخطوط محفوظ في مكتبات الشرق والغرب ، أما باقي مصنفاته فلما نعرف عنها غير أسمائها الواردة في كتب التراجم : وعند السيوطي نجد أسماء الكتب التالية :

- عمدة الطالب في تحقيق تصريف ابن الحاجب (في مجلدين) .
- رفع الخصاصه عن قراء الخلاصة (في أربع مجلدات) .
- الجامع الكبير .
- التذكرة (في خمس عشرة مجلدة) .
- التحصيل والتفصيل لكتاب التذيل والتكميل (في عدة مجلدات) .
- شرح الشواهد الصغرى .
- شرح الشواهد الكبرى .
- شرح البردة (ولعله شرح قصيدة كعب بن زهير المطبوع مراراً) .
- الكواكب الدرية في شرح (اللحة البدرية لأبي حيان) .
- القواعد الصغرى .
- القواعد الكبرى .
- المسائل السفريّة في النحو .
- شرح التسهيل (مسودة) .
- وذكر الزركلي في قاموس (الأعلام) اسم كتاب : نزهة الطرف في علم الصرف .
- وأما ما نجد اليوم نسخاً مخطوطة منها فهي المصنفات التالية :
- الروضة الأدبية في شواهد علوم العربية : وهو شرح للشواهد الشعرية التي أوردها ابن جني في كتابه (اللع) - برلين رقم ٧٦٥٢ .
- الجامع الصغير - المكتبة الأهلية بباريس رقم ٤١٥٩ .
- رسالة في استعمال المنادى في تسع آيات من القرآن - برلين رقم ٦٨٨٤
- ويحتمل أن تكون هي الرسالة التي ذكرها ديرنبورغ في فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالاسكوريال - رقم ٦٨٦٦ .
- شوارد المُلح وموارد المنع : رسالة في سعادة النفس برلين - ٢٠٩٧ .

- مختصر الانتصاف من الكشاف : اختصر فيه كتاب ابن المنير (الانتصاف من الكشاف) في الرد على آراء المعتزلة التي وردت في (الكشاف) للزمخشري . برلين رقم ٧٩١ .
- مؤقد الأذهان وموقف الوسنان : في الألفاظ النحوية ، ومنه نسخ مخطوطة في برلين (رقم ٦٧٤٨ ، ٦٧٤٩) والمكتبة الأهلية بباريس (رقم ٤١١٥ ، ٢ - ٤١٦٣ ، ١) ودار الكتب المصرية بالقاهرة (فهرس الكتبخانة الخديوية : ٦٩/٧ ، ١٠٤ ، ١٧٢ ، ٥٩٨) ، ويذكر « الأعلام » أن الكتاب مطبوع ، ولعله كتاب (الألفاظ) الذي سيجيء ذكره في جملة المطبوعات من مصنفات ابن هشام .
ونذكر أخيراً المصنفات المطبوعة وهي :
- قطر الندى وبل الصدى : وهو رسالة صغيرة تبستر النحو ودرامته للبندنيين ، نشرت مرات كثيرة ، ولحمد محيي الدين عبد الحميد شرح عليها .
- شرح على القطر : طبع مرات كثيرة في مصر وتونس وليدن ، وترجمه المستشرق غوغيه Goguyer إلى الفرنسية :
- شذور الذهب في معرفة كلام العرب : رسالة متوسطة في النحو طبعت مراراً .
- شرح شذور الذهب : طبع مراراً .
- الإعراب عن قواعد الإعراب : رسالة مختصرة طبعت في القسطنطينية ، ونشرها المستشرق دوسامي de sacy مع ترجمة فرنسية ، وشرحها الشيخ خالد الأزهرى .
- الألفاظ : كتاب في مسائل نحوية ، ألفه ابن هشام لحزارة السلطان الملك الكامل (٧٤٦ - ٧٤٧ هـ) وقد طبع بالقاهرة سنة ١٣٠٤ هـ .
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : وقد يعرف باسم (التوضيح) وطبع مرات كثيرة في الهند ومصر ، ولحمد محيي الدين عبد الحميد فروح عليه .

- شرح (يانت سعاد) : شرح القصيدة اللامية التي مدح بها كعب بن زهير النبي ﷺ ، وتاج العروس يسميه (شرح الكمية) - مادة غزل - طبعة المستشرق غويدي Guidi في ليبسك ١٨٧١ م وطبع بالقاهرة : ١٣٠٤ هـ ، ١٣٠٧ هـ .
- رسالة في انتصاب « لغة » وفضلا « وإعراب » خلافا وأيضاً « والكلام على « هلم جرا » وهي رسالة في إعراب هذه الكلمات ، وهي برمتها في كتاب (الأشباه والنظائر) للسيوطي : الطبعة الثانية بحيدرآباد : ١٨٧٣/٣ - ٢٠٥ ؛ ومن الرسالة نسخ مخطوطة في ليدن ودار الكتب المصرية .
- فوج الشذا في مسألة (كذا) وهو شرح لرسالة (الشذا في مسألة كذا) لأبي حيان ، ونجده في (الأشباه والنظائر : ١١١/٤ - ١٢٢) .
- شرح القصيدة اللغزية في المسائل النحوية : نجده في (الأشباه والنظائر : ٣٠٢/٢ - ٣٢٣) ومنه نسخة مخطوطة في ليدن .
- وفي كتاب الأشباه والنظائر عدد كبير من رسائل ابن هشام : ٢٩٢/٢ ، ٢٩٩ - ٢/٤ ، ٣٤ ، ٤٣ ، ١٠٠ الخ ..
- وأهم ما وصل إلينا من مصنفات ابن هشام كتابه الكبير الجامع في النحو (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب) وستفصل الكلام عليه .

٥- كتاب المغني

يمده صاحب « مفتاح السعادة » من الكتب المبسوطة في النحو ، وقد استوفى فيه ابن هشام أحكام الإعراب بجملة ومفصلة ، وتكلم فيه على الحروف والمفردات والجمل ، فجاء غطاء وحده في الدقة والاستقصاء والمنهج والإيجاز الجامع الواقعي .

والذي شجع ابن هشام على تأليف كتابه هذا أنه شاهد انتفاع الطلاب

بكتابه « الإعراب عن قواعد الإعراب » الذي نهج فيه نهج المغني ، ورأى إقبال العلماء عليه ، على الرغم من أنه مختصر ، فعمد الى تصنيف (المغني) مطوّلاً ، وقد صنّفه أول مرة في مكة سنة ٧٤٩ هـ ثم فقدّه في طريق عودته إلى مصر ، وهو يحدثنا في مقدمة (المغني) أنه انكب ثانية على تصنيفه في رحلة ثانية إلى مكة سنة ٧٥٦ هـ فيقول :

« وقد كنت في عام ٧٤٩ أنشأت بكة كتاباً في الإعراب ، ثم إنني أصبت به وبغيره في منصرفي إلى مصر ، ولما من الله عليّ في عام ٧٥٦ بمعاودة حرم الله والمجاورة في خير بلاد الله شمرت عن ساعد الاجتهاد ثانياً ، واستأنفت العمل لا كسلاً ولا متوانياً ، ورضمت هذا التصنيف ، وتلبّست فيه مقلات مسائل الإعراب فافتحتها ، ومعضلات يستشكها الطلاب فأوضعتها ونقحتها ، وأغلاطاً وقعت لجماعة من المعربين وغيرهم فنبتت عليها وأصلحتها الخ .. » .

يقع المغني في جزأين يبحثان في الموضوعات التالية التي تشير إليها أبواب الكتاب الثانية :

- الأول : في تفسير المفردات وذكر أحكامها .
 - الثاني : في تفسير الجمل وذكر أقسامها وأحكامها .
 - الثالث : في شبه الجمل (الظرف والجار والمجرور) وذكر أحكامها .
 - الرابع : في ذكر أحكام كثيرة ورود ويقبح بالمعرب جهلها .
 - الخامس : في ذكر الأوجه التي يدخل على المعرب الخلل من جهتها .
 - السادس : في التحذير من أمور مغلوطة اشتهرت بين المعربين .
 - السابع : في كيفية الإعراب .
 - الثامن : في ذكر أمور كلية تتخرج عليها الجزئيات .
- فالكتاب إذاً بحث منهجي مفصل في معاني الحروف (الأبواب) وأحوال الجمل وشبه الجمل وتبيين لأحكام الإعراب وتصحيح لما شاع من

أغلاط المعربين ؟ وقد امتاز (المغني) بحملة من الخصائص نحاول ايجازها في النقاط التالية :

١ - منهج المغني في تبويبه وترتيبه يدل على استقلال شخصية ابن هشام عن غيرها من النحاة المتقدمين ؛ وطريقته في تأليف المغني محاولة موفقة لتجنب مساويء من سبقه من المصنفين وعيوب طرائقهم ، ولتلافي تقويلاتهم في كتبهم ، يقول في مقدمة المغني : « واعلم أنني تأملت كتب الإعراب فإذا السبب الذي اقتضى طولها ثلاثة أمور أحدها كثرة التكرار ... والثاني إيراد ما لا يتعلق بالإعراب ... والثالث إعراب الواضحات كالمبتدأ وخبره » . وقد استطاع ابن هشام أن يتخلص في المغني من هذه العيوب ، فجمع المسائل المتكررة الجزئية وصنفها وأفرد لها باباً ، وحذف من الكلام على الإعراب الشوائب التي لا علاقة لها به (كالكلام في اشتقاق اسم : أهر من السمة أم السمو الخ ...) وأمل إعراب الواضحات من المسائل ، واستعاض عن كل ذلك « بما يتيسر به الناظر ، ويتمرن به الخاطر من إيراد النظائر القرآنية والشواهد الشعرية وبعض ما اتفق في المجالس النحوية » كما يقول هو نفسه في المقدمة ؛ وبذلك نجد طريقة ابن هشام في المغني تتلخص في جمع الأحرف (الأدوات) وضرب الأمثلة والشواهد عليها ثم تنسيق المعاني واستنباط القواعد منها ، وعلى الرغم من التزام ابن هشام حدود منهجه الدقيق فإنه لم ينج من آفة الاستطراد ، وأمثله كثيرة في كتابه .

٢ - أكثر ابن هشام من إيراد الشواهد : من القرآن حتى كاد لا يترك من آياته شيئاً ، ومن الحديث النبوي ، حتى حق للمؤلف أن يعلق في مقدمة المغني أن غايته منه أن « يتيسر به فهم كتاب الله المنزل » ويتضح به معنى حديث نبيه المرسل ، كما أكثر ابن هشام من إيراد الشواهد الشعرية فيه ،

وقد أفرد السيوطي (- ٩١١ هـ) لها شرحاً خاصاً (شرح شواهد المغني) وهو مطبوع ومشهور .

هذه الكثرة من الشواهد ، من أبلغ النصوص القرآنية والأدبية ، منحت كتاب المغني ميزة كبرى وهي التخفيف من جفاف النحو وقواعده بالجمع بين ذلك والأدب ، فأصبح (المغني) كتاباً في النصوص الأدبية الرفيعة والكشف عما فيها من نكات إعرابية ، ولعل واحداً ممن اختصروا كتاب المغني - واسمه أحمد المشتهر بالنائب كما يذكر صاحب كشف الظنون - قد أدرك صلة المغني بالأدب حين سمى مختصره «قراءة الذهب في علمي النحو والأدب» ، ولا ريب في أن هذه الميزة من مزايا كتاب المغني تشف عن مر من أسرار خلود الكتاب وحرص الأوساط التعليمية العليا في أقطار العالم العربي على تقريره والعناية بتدريسه منذ عصر المؤلف إلى يومنا هذا .

٣- أسلوب ابن هشام في المغني أسلوب بالغ المتانة ، وعبارته فيه موجزة محكمة شديدة الإيجاز والإحكام ، حتى إن القارئ ليعتاج إلى كثير من النظر والتدقيق فيها قبل أن يصل إلى الفوائد الكثيرة ، ولهذا - ولأسباب أخرى - كثرت شروح المغني واستفاضت تعليقات المعلقين عليه ، وتعددت الحواشي والتقارير منذ القرن الثامن حتى اليوم ، وليس من المبالغة في شيء أن نقرر أن (المغني) وشروحه وحواشيه وتقاريره أصبح مدرسة خاصة ، أو أصبحت له مكتبة خاصة به ، وسنتحدث عن بعض تلك الثروة النعوية التي كسبها المغني للعربية بعد قليل .

والكلام على كثرة شروح المغني يسوقنا إلى الكلام على الشهرة المستفيضة التي نالها الكتاب ، فمنذ ظهوره أقبل الناس عليه إقبالاً شديداً ، وابن هشام كان ما يزال حياً - كما يذكر ابن حجر - : ووصل الكتاب إلى المغرب

وقراه ابن خلدون (٧٣٣ - ٨٠٨ هـ) فأكبره وأثنى على مؤلفه في مقدمته ثناءً كله إعجاب وتقدير : « ووصل إلينا بالغرب لهذه العصور ديوان من مصر منسوب إلى ابن هشام من علماءنا استوفى فيه أحكام الإعراب بجملة ومفصلة ، وتكاثم على الحروف والمفردات والجمل ، وحذف ما في الصناعة من التكرار في أكثر أبوابها ، وسمّاه بـ « المغني في الإعراب » ، وأشار إلى نكت إعراب القرآن كلها ، وضبطها بأبواب وفصول وقواعد انتظم سائرهما ، فوقفنا منه على علم جم يشهد بعلو قدره في هذه الصناعة ووقور بضاعته منها ، وكأنه ينحو في طريقته منحاة أهل الموصل الذين اقتفوا أثر ابن جني واتبعوا مصطلج تعليمه ، فأتى من ذلك شيء عجيب دال على قوة ملكته وإطلاعه ، والله يزيد في الخلق ما يشاء ! » .

وابن خلدون يفضل ابن هشام على سيبويه ، كما قدّمنا ، ويفده أنحى منه ، ويحدثنا الدماميني بما يؤكد إعجاب ابن خلدون بصاحب المغني فيقول : « حضرت يوماً مجلس شيخنا قاضي القضاة ولي الدين بن خلدون - رحمه الله - وكان شديد التقالي في الثناء على مصنف هذا الكتاب (المغني) ذاهباً في تفضيله وتفضيل كتابه هذا كل مذهب ، فقال للشيخ محب الدين ولد المصنف - وقد كان حاضراً في ذلك المجلس - : لو عاش سيبويه لم يمكنه إلا التلمذة لوالده والقراءة عليه ! فقال الشيخ محب الدين : يا سيدي إذا فهم الوالد كتاب سيبويه كفاه هذا شرفاً ! أو كلاماً هذا معناه » (انظر شرح الأمير : ٢ / ٢٦) .

وليس عجيباً بعد هذا أن يعنى العلماء بالمغني فتكثر شروحه كثرة عجيبة ، وعدد كبير من هذه الشروح مطبوع ومتداول ، ونذكر منها : - تنزيه السلف عن تمويه الخلف : وهو حاشية للشيخ شمس الدين محمد ابن عبد الرحمن ابن الصائغ الزمردي (المتوفى سنة ٧٧٦ هـ) ، ولم تصل

- إلينا ، ولكن الشمتي حدثنا عنها في مقدمة شرحه للمغني وقال إنها إلى أثناء الباء الموحدة ، وانظر كشف الظنون : ١٧٥٣/٢ .
- تحفة الغريب بشرح مغني اللبيب : وهي حاشية لمحمد بن أبي بكر الدماميني (المتوفى سنة ٨٢٨ أو ٨٢٣ ؟) ، ألفها بمصر ثم شرح المغني شرحاً أطول منها في رحلته إلى الهند ، ثم شرحه شرحاً ثالثاً حتى وصل إلى حرف الفاء ، ومات عنه قبل إكماله ، ويقول صاحب كشف الظنون : « ولو كمل لكان أحسن الشروح كلها » . وقد استفاد من شرح الدماميني من جاء بعده ، والأمير يسميه (الشارح) وينقل عنه كثيراً ؛ وشرح الدماميني الذي لم يتم مطبوع بهامش الجزء الأول من حاشية الشمتي على المغني ، وهناك نسخ مخطوطة من شروحه في مكتبات ليدن والإسكوريال ودار الكتب المصرية .
- كافي المغني لشمس الدين محمد بن عماد المالكي النحوي (المتوفى سنة ٨٤٤) وفي كشف الظنون أنه في ثلاث مجلدات .
- نظم المغني للشيخ أبي النجاء بن خلف المصري (المتوفى سنة ٨٤٩) ، فقد نظم المغني ثم شرحه ، كما في كشف الظنون نقلاً عن (الضوء اللامع) للسخاوي .
- اختصار المغني ، للشيخ شمس الدين محمد بن إبراهيم البيجوري (المتوفى سنة ٨٦٣ هـ) كما في كشف الظنون .
- المنصف من الكلام على مغني ابن هشام : وهو حاشية لتقي الدين أحمد ابن محمد الشمتي (المتوفى سنة ٨٧٢ هـ) ، وتقع في جزأين مطبوعين ، وقد استفاد الشمتي مما كتبه ابن الصائغ ولخص حاشية الدماميني ، وزاد إلى ذلك أشياء أخرى نفيسة (وانظر مقدمته لحاشيته : ١/٢-٣) .
- شرح مغني اللبيب للشيخ نور الدين علي العسيلي المقرئ ، وهو — كما يقول صاحب كشف الظنون — من رجال القرن العاشر .

- القتح القريب في حواشي مغني اللبيب لجلال الدين السيوطي (المتوفى سنة ٩١١ هـ) وهي حاشية غير تامة وصل المؤلف فيها إلى الأداة (حتى) وهي بخطه في دار انكتب المصرية ، وللسيوطي شروح أخرى يذكرها صاحب كشف الظنون ، وله شرح شواهد المغني كما قدّمنا .
- ديوان الأريب في مختصر مغني اللبيب ، وهو مختصر المغني للشيخ محمد ابن عبد المجيد السامولي الشافعي ، مرتباً على ترتيب المغني ، مهملاً أكثر الأمثلة والإعراب ، مضافاً إلى ذلك نزراً يسيراً يناسبه من كلام غيره ، ثم تتبع ما لحظه بحواشٍ فرغ منها سنة ٩٦١ هـ .
- مغني الحبيب على مغني اللبيب : للشيخ محمد بن ابراهيم الحنبلي الحلبي (المتوفى سنة ٩٧١ هـ) .
- شرح ابن الملا وهو أحمد بن محمد الحلبي المعروف بابن الملا (المتوفى في حدود سنة ٩٩٠ هـ) ومنه نسخة في مكتبة الأوقاف - الأحمدية - بحلب .
- مواهب الأديب : وهو شرح مفيد جامع في ست مجلدات للشيخ محمد ابن محمد المعروف بوحى زاده الرومي (المتوفى سنة ١٠١٨ هـ) وقد أحسن فيه وأجاد ، كما يقول حاجي خليفة .
- شرح شواهد المغني لعبد القادر البغدادي (المتوفى سنة ١٠٩٣ هـ) صاحب خزانة الأدب ، ومنه نسخة خطية بدار الكتب المصرية .
- شرح المولى القاضي مصطفى بن الحاج حسن الانطاكي (المتوفى سنة ١١٠٠ هـ) وهو شرح مفيد كما يقول حاجي خليفة .
- حاشية الأمير على مغني اللبيب : للشيخ محمد الأمير (المتوفى سنة ١٢٣٢ هـ) وقد انتهى من كتابتها سنة ١١٨٨ هـ كما يذكر فيها ، وهي مطبوعة ومشهورة .
- حاشية الدسوقي على مغني اللبيب : لمحمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي

- (المتوفى سنة ١٢٣٠ هـ) وقد استفاد فيها من تعليقات والده على متن المغني ، كما يصرح هو بذلك في مقدمة حاشيته المطبوعة .
- فتح الصمد : وهو شرح على السبك العجيب لمعاني حروف مغني اللبيب ، لعلي المبارك (انظر : الأدب العربي لمحمود مصطفى : ١٩٨/٣) .
- الأرجوزة لمولاي عبد الحفيظ باي تونس (المصدر السابق) .
- القصر المبني على حواشي المغني : وهو تقرير على حاشية الأمير لعبد الهادي نجا الأبياري (المتوفى سنة ١٣٠٥ هـ) ويقع في جزأين ينتهيان بأول الباب الثاني من المغني ، وهو يعترف بأنه استفاد فيها من حاشية الدسوقي ، والكتاب مطبوع ومتداول .

وهكذا تتوالى الشروح خلال القرون ، وما يزال المغني إلى اليوم موضع عناية الشراح والنحاة ، ولحمد يحيى الدين عبد الحميد شرح على المغني لم يطبعه بعد ، وللاستاذ سعيد الأفغاني عملٌ كبير فيه ما يزال مخطوطاً ، ونحاول اليوم أن نحصى طبعات المغني التي بين أيدينا فلا نجد السبيل إلى ذلك ، ويكفي أن نذكر أنه طبع في طهران (١٢٧٤ هـ) وتبريز (١٢٧٦ هـ) وطبع في مصر مراراً ، وهو الآن يطبع طبعة جديدة متقنة في دار الفكر بدمشق ، بعناية بعض أساتذة العربية في جامعة دمشق . ومثل هذه العناية الفائقة بالمغني خلال القرون ، من حياة المؤلف إلى اليوم ، دليلٌ قاطع على نبوغ مؤلفه وخلود كتابه .

ورحم الله ابن هشام ، فإنه رغم تراضعه ، أدرك أنه صنع بكتابه المغني للنحو ما لم يصنعه أحد ممن تقدموه ، وأن الأجيال من بعده ستكون حريصة عليه ، فقال في مقدمة المغني :

« قدونك كتاباً تشد الرحال فيما دونه ، وتقف عنده فحول الرجال

ولا يعدونه ، إذ كان الوضع في هذا الغرض لم تسمح قريحة " بمثاله ولم ينسج ناسج" على متواله .

وليس وراء هذا الكلام غرور" أو تبجح ، وحسب صاحبه أن يكون في رأي ابن خلدون ، وهو من هو ، أننى من سيديه ١

الدكتور صالح الأشر

~~~~~

### مصادر البحث

- ١ - مقدمة ابن خلدون .
- ٢ - الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر ج ٢ .
- ٣ - بغية الوعاة للسيوطي .
- ٤ - حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة للسيوطي
- ٥ - مفتاح السعادة لطاش كبري زاده ج ١ .
- ٦ - كشف الظنون لحاجي خليفة ج ٢ .
- ٧ - شذرات الذهب لابن العماد ج ٦ .
- ٨ - النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج ١٠ .
- ٩ - تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان ج ٣ .
- ١٠ - معجم المطبوعات العربية والعربية ليوسف سر كيس ج ١ .
- ١١ - الأدب العربي وتاريخه لمحمود مصطفى ج ٣ .
- ١٢ - الأعلام للزركلي ج ٤ .
- ١٣ - دائرة المعارف الإسلامية .
- ١٤ - تاريخ الأدب العربي لبروكلمان .
- وكتب ابن هشام المطبوعة والحواشي والشروح عليها .



# المعاجم اللغوية

بين ماضيها وحاضرها

منذ كانت اللغة العربية ، كان معجمها الجامع لمفرداتها بحقيقتها ومجازها وتراكيبها بصفات النحوية والبيان ، لا يغيب من ذلك كله شيء ، معجم غير مدرّج ولكنه يجري على الألسنة ، وتلقنه الأسماع ، وتعيه الحواظ .  
شأن اللغة العربية في ذلك شأن جميع اللغات ، وهكذا كانت صور المعاجم قبل أن يكون تدوين ، وقبل أن يكون جمع ، وقبل أن يكون تبويب .  
وما كان الناس في حاجة إلى غير تلك الصور غير المدونة من المعاجم يوم أن عاشوا جماعات متفرقة لم تعرف الوحدة ، تعيش كل جماعة صغيرة على مالها ... في بيئة محدودة وبين آفاق لا تعدوها ، لا يخالف يومها أمسها ، ولا يبعد غدها كثيراً عن يومها ، يكاد يكون ما على ألسنتهم هو ما يضمه معجمهم ذلك غير المدون ، ويكاد يكون ما في معجمهم ذلك غير المدون هو ما على ألسنتهم .

وما ان اتصلت الجماعات ، حتى دخل على هؤلاء ما لا عهد لهم به ، وحتى أخذ هؤلاء يستقبلون مدداً جديداً متصلاً يفوت الوعي ، ويفوت الحفظ .  
وإذا قللك الجماعات التي لم يكن يفوتها شيء ، وإذا هذا المعجم غير المدون الذي كان صورة مما يجري على الألسنة ، والذي كان ما يجري على الألسنة صورة منه ، يضم أكثر مما تضمه الحواظ .

وتدخل على الناس ثقافات وحضارات تعبر عنها ألفاظ وعبارات ،

وتشير إليها دلالات ، فيعرفها قوم ويجهلها آخرون ، فإذا هذا المعجم الواحد يعود معاجم مختلفة ، يخص العامة والخاصة .

وما حرص الإنسان منذ كتب له وجوده المشترك على شيء ، حرصه على أن يفهم عن أخيه ، ولن يكون له هذا إلا إذا كان معجبه ذلك غير المدون صورة مما يجري على لسانه ، وما يجري على لسانه صورة منه . من أجل ذلك كانت الندوات ، وكانت الأسواق : على الإنسان أن يحقق بها ما فاته ، ويستدرك ما أعجلته دورة الزمن عن أن يستدركه .

غير أن الناس على هذا لم يكونوا يعيدون أول الأمر عن معجمهم غير المدون بعداً واسعاً ، إذ لم تكن الحياة قد غلبتهم على كل شيء ، اتقوى له الذاكرة ، بل كان ثمة شيء في ملكهم ، وثمة شيء يعز عليهم ...

من أجل هذا لم يتجه التدوين للغة في عمومها ، بل اتجه أول ما اتجه إلى هذا الشيء الذي يعز على الذاكرة ، ويند عن الحفظ . وما كان هذا التدوين حين بدأ ، يراد به العامة ، ولكن يراد به الخاصة ، إذ العامة لا يعينهم من اللغة إلا القدر الضئيل الذي عليه يعيشون ، ربه يتفاهمون . ولكن الخاصة يعنون بالحدق الشامل ، والإدراك بمختلف صورته ، فمنهم الكاتب والقارئ ، والشاعر والنائر ، والمؤلف والمنشئ ، وتلك كلها أمور لا تقوم إلا على دراية واسعة ، تستوعب الخاص والعام .

وهكذا بدأ التدوين المعجمي بصورته الأولى الخاصة ، يلتفت إلى الشأن الخاص السامي الدقيق ، قبل أن يلتفت إلى الشأن العام البين الواضح . وما من شك في أن كثيراً مما ألف في هذا الميدان وذاك - أعني الميدانين الخاص والعام - لم يصل إلينا ، وكان أكثر ما فقد هو ما ألف في الميدان الخاص ، لأنه كان كثيره بما جاء سابقاً لم تتهيأ له البيئة بالرعاية ، ولأنه كان شيئاً خاصاً لا يعني إلا قلة ، ولأنه لم يدخل إلى الميدان العام فبرعاه الناس .



أوقن بهذا ؛ وأوقن أن هذا التأليف الخاص ، كان الخطوة الأولى إلى التأليف العام . فالأجزاء أولاً ، ثم من الأجزاء يكون الكل ، ثم هو كان نظاماً بدائياً عليه طبيعة العرب الأولى البدائية .

ثم لا يعنيننا نحن ، حين نؤرخ لذلك العمل ، ما اجتمع بين أيدينا من كتب فيه ولكن الذي يعنيننا أن نستعلي العقل فيما يجب أن يكون عليه عمل كهذا ..

على أن الذي وصل إلينا في ذلك الميدان الخاص ، يختلف باختلاف الغرض الذي ألف له ، ولكنه على هذا كان يحمل الطابع الجزئي الذي هو صورة من تدرج المعاجم وترتيبها .

فما من شك أن الناس التفتوا أول ما التفتوا إلى تلك المسائل الجزئية ، أو إلى تلك المسائل الخاصة التي تعني الطبقة المثقفة ، وتدق عليها وتشغلها ، وهكذا كانت تلك المسائل الخاصة ، هي التي أملت تلك التأليف الخاصة التي كانت أشبه شيء بمعاجم الألوان مستقلة ولأغراض متنوعة لكل لون معجمه ، ولكل غرض معجمه ، ثم كان من هذه المعاجم ذات الألوان المستقلة والأغراض المتنوعة ، المعاجم العامة التي انتظمت كل هذه الألوان وكل هذه الأغراض .

والأمثلة على ذلك كثيرة :

فمنذ القدم والقبائل العربية ، تختلف اختلافاً كبيراً في حرف من حروف الهجاء وهو الهمزة ، ينطقه بعضهم مخففاً ، وينطقه بعضهم سهلاً ، وينطقه بعضهم بين التخفيف والتسهيل . ولقد ظل هذا الحرف إلى اليوم مشكلة من المشكلات ، وكان هذا الاختلاف فيما مضى ، جديراً بأن يلفت النظر ، وتوجه إليه عناية الخاصة الذين شغلوا به وألفوا فيه .

فوجد لأبي بحر عبد الله بن زيد ( ١٢٧ هـ ) فيها كتاباً ، لا ندري  
أكان أسبق من ألف في الحمزة أم سبقه غيره . ومن بعد أبي بحر ألف  
قطرب ( ٢٠٦ هـ ) ومن بعد قطرب ألف أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري  
( ٢١٥ هـ ) ثم جاء بعدهم غيرهم يؤلفون في هذا الباب . فكان الحيوان  
في تفصيله ودقائقه غرضاً خاصاً ، يفوت العقل العام ، وكان لا بد من  
تدوينه حتى لا يفوت العقل الخاص مع العقل العام ، فأفردوا للتخيل كتباً ،  
والإبل كتباً ، ذكروا فيها كل ما يتصل بها .

فمن شغلوا بالتأليف في « الخيل » جملة كبيرة منهم : النضر بن شميل  
( ٢٠٤ هـ ) وابن السكبي : هشام بن محمد ( ٢٠٦ هـ ) وأبو عمرو الشيباني  
( ٢٠٦ هـ ) وقطرب ( ٢٠٦ هـ ) وأبو عبيدة ( ٢١٠ هـ ) والأصمعي : عبد الملك  
ابن قريب ( ٢١٣ هـ ) وابن الأعرابي ( ٢٣١ هـ ) .

كما أفردوا للطير والحشرات والزواحف والموام كتباً تعرض لصفات  
وخصائصها ، وأسماء أجناسها وأسماء أجزائها .

ألف علي بن عبيدة الريحاني ( ٢١٨ هـ ) كتاب : « النحلة والبعوضة »  
وألف ابن الأعرابي ( ٢٣١ هـ ) كتاب : « الذباب » وألف أبو نصر أحمد  
ابن حاتم ( ٢٣١ هـ ) كتاب : « الجراد » وغير هؤلاء ممن ألفوا في هذا  
اللون كثيرون . .

ثم عدوا الحيوان إلى الإنسان ، فآلفوا كتباً في خلق الإنسان في  
أعضائه وفي صفاته . ألف في هذا الغرض الخاص : النضر بن شميل ( ٢٠٤ هـ )  
وأبو عمرو الشيباني ( ٢٠٦ هـ ) والمفضل بن مسلمة ( ٢٠٨ هـ ) والأصمعي  
( ٢١٣ هـ ) وكثير غيرهم .

وأفردوا السلاح بكتب ، وأفردوا الملابس بكتب ، كما أفردوا النبات  
بكتب ، وكذلك أفردوا بعض الأطعمة بكتب ، وخصوا الصفات  
بكتب ، والآبنة والمصادر بكتب ، والأفعال بكتب .

وهم حين تناولوا هذه الموضوعات الخاصة الجزئية ، تناولوا منها خصائصها التي تدق ، وأوصافها التي تفيض ، يجمعون ما يجمعون بحاجة الاحساس ، مخافة تشتته وتوزعه ، ومخافة أن يضل مع هذا التوزع وذاك التشتت . . .

وكانوا كلما تقدمت بهم الحياة إلى الحضارة ، أحسوا الضرورة إلى تدوين تلك الأغراض الخاصة والمناحي الجزئية ، تملئ عليهم تلك الضرورة ، فيستجيّبون لها ، حريصين على أن تبقى لهم لغتهم طيّعة موافقة لميشتهم وحاجاتهم . فلقد كان العصر عصر حياة لا تكاد تدب الحياة في شيء إلا دبّت في غيره . واللغة نصف الحياة المؤثر والمتأثر ، وهي أداة التعبير ، إن جمدت في بيئة ، جمدت معها الحضارة في تلك البيئة من علم وفن وأدب .

ولقد كان ثمة للقرآن معجم ، يجمع غريبه . ويقال إن أول من يُعزى إليه كتاب يضم فيه غريب القرآن هو : عبد الله بن عباس ( ٦٨ هـ ) ومن بعده كان أبو سعيد بن قنبل بن رباح السكري ( ٤١ هـ ) وجاء بعدهما غيرهما يؤلفون في هذا الغرض الخاص ، أو في هذا الضرب من المعاجم الخاصة . نذكر منهم مؤرجا السدوسي ( ١٩٠ هـ ) واليزيدي : محمد بن يحيى ( ٢٠٢ هـ ) والنضر بن شميل ( ٢٠٣ هـ ) وأبا عبيدة معمر بن المثنى ( ٢١٠ هـ ) . . .

ومن بعد القرآن الكريم بفترة طويلة ، شغل الناس بغريب الحديث ، كما شغلوا بغريب القرآن . ويقال إن أول كتاب وضع في غريب الحديث ، كان لأبي عدنان عبد الرحمن بن عبد الأعلى : راوية أبي البداء الريباجي ، ثم كان من بعده أبو عبيدة : معمر بن المثنى ( ٢١٠ هـ ) ، ثم النضر بن شميل ( ٢١٣ هـ ) وتبعهم كثير غيرهم .

وما يذكر ، أن العرب حين استقبلوا في ظل دينهم الجديد ، القرآن والحديث ، استقبلوا في ظلها علوماً جديدة اقتضى بعضها معاجم خاصة : من هذه العلوم : علم الفقه : إذ كان له معاجم خاصة به تتناول اصطلاحاته .

التي جرت على ألسنة الفقهاء ، وحملت الألفاظ اللغوية معاني لم تكن لها .  
ومن ألفتوا في هذا الغرض الخاص ، الأزهرى : أبو منصور محمد بن أحمد  
( ٢٨٢ - ٣٧٠ هـ ) وله كتاب « الزاهر » في غرائب ألفاظ الإمام الشافعي ،  
ثم المطرزي : أبو القتح ناصر بن عبد السيد ( ٥٣٨ - ٦١٦ هـ ) وله كتاب  
المغرب في ترتيب المغرب ، ثم النووي : أبو زكريا : محيي الدين بن شرف  
( ٦٣١ - ٦٧٦ هـ ) وكانت هذه المعاجم هي الأخرى ، ذات طابع معجمي  
خاص شأن معاجم غريب القرآن وغريب الحديث .

ولقد أحسن الناس وهم يجمعون هذه المعاجم الخاصة ، أنهم يصطدمون  
بلهجات القبائل وما فيها من خلاف ، وما يمليه هذا الخلاف اللفظي من  
خلاف معنوي . وهكذا انبرى لهذا الغرض الخاص تحت إملاء هذه الظروف  
قوم يؤلفون في لغات القبائل . وكان أول من ألف في ذلك الغرض  
الخاص : يونس بن حبيب ( ١٨٢ هـ ) ثم أبو عمرو : إسحاق بن مرار الشيباني  
( ٢٠٦ هـ ) والفراء ( ٢٠٧ هـ ) وتوالى بعدهم غيرهم يؤلفون في هذا الغرض  
الخاص بعد جمع مستوعب ، ودراسة مستفيضة .

وتبع هذا الجهد جهود قريبة منه ، تفرعت عنه . فلقد رأى الجامعون  
للغات القبائل ، أن منها ما يجري على ميزان الفصح ، ومنها ما تأثر بالأجنبي  
الطاريء ، فكان لا بد من تأليف خاص يتناول هذا الغرض الخاص ،  
يميز الصحيح من الدخيل ، أو المغرب كما كانوا يسمونه . ومن ألف في ذلك :  
الجواليقي والخفاجي وغيرهما من بعدهم كثيرون .

فهذه أمثلة من تلك الأغراض الخاصة التي نرى أنها كانت الخطوة  
الأولى في عمل المعاجم العامة . وما من شك في أن التدوين المعجمي خطأ  
من هذا الخاص إلى ذلك العام ، غير أن التأليف في القطاع العام ، أخذ  
ينمو ويزيد ، على حين أخذ التأليف في القطاع الخاص ، يحد لم يتناول  
جديداً ، غير أن يصور ويشكل ويبوب على أنماط جديدة وذلك :

١ - لأن جانباً من تلك المعاجم الخاصة لم يجد عند المؤلفين اللاحقين مزيداً يزيدونه وذلك : مثل الكتب الخاصة بالإبل . فما نظن بعد الأصمعي ( ٢١٣ هـ ) مؤلفاً عن نفسه بشيء من هذا . وكذلك كانت الحال في الكتب الخاصة بالخليل ، فما نظن بعد النحري ( ٦٥٧ هـ ) مؤلفاً شغل بهذا الموضوع . هذا إذا استثنينا محاولات مينة لا يمتدُّ بها .

٢ - ثم من هذا الجانب الخاص ، بدأ يأخذ مكانه في الجانب العام ، ويكون جزءاً منه فقد استقلاله .

وما ندعي أن التأليف العام ، لم يبدأ إلا حين انتهى التأليف الخاص ، بل ما ندعيه هو : أن تلك المرحلة الخاصة سبقت المرحلة العامة في التفكير أولاً ، ثم في التأليف ثانياً لا يعرفنا عن هذا الرأي : أن التدوين الخاص كان يعاصر التدوين العام ، وكأنها نشأ معاً ، ومردُّ هذا إلى ما وصلنا من المؤلفات في هذا أو ذاك ونحن نعلم ضياع الكثير من هذا التراث ، ثم لا ننسى أن التأليف الخاص كان حين بدأ شيئاً يروى حتى إذا ما جاء عصر التدوين الحق ، وأخذ التأليف المعجمي العام طريقه ابتلع من هذا التأليف الخاص ما ابتلع ، وعوق أكثره عن أن يأخذ وجوده المستقل .

وحين نشأ هذا التأليف العام ، نشأ هو الآخر متأثراً بهذه الخصوصية . فلم تخضع تلك المعاجم العامة للمنهج اللفظي : أعني الترتيب الأبيجدي الذي هو المفتاح الطبيعي لتلك المعاجم ، ثم هو من الناحية العامة التي يجب أن يتصف به كل ما هو عام يفيد منه العامة في يسر ، بل خضعت تلك المعاجم لمناهج خاصة ذات أسلوب عقلي يستلزم جهداً خاصاً هو للخاصة .

وكان أول معجم وصل إلينا من هذه المعاجم العامة ، هو معجم العين للخليل بن أحمد ( ١٧٥ هـ ) .

فحين أراد الخليل أن يبوب معجمه هذا ، لم يخضعه للمنهج اللفظي الميسر الذي هو المنهج العام ، بل كان لا يزال متأثراً بالناحية الخاصة .



فإذا هو يفلسف الترتيب فلسفة خاصة ، تلزم الناس بعلم خاص قبل أن ينتفعوا بهذا المعجم . فقد رتب الخليل معجمه وفق مخارج الحروف ، كما تصور الخليل تلك المخارج ، لم يجر على الترتيب الهجائي الشائع ، وإذا ترتيب الحروف عند يحيى على هذا النحو : ع . ح . هـ . خ . ع . ق . ك . ج . ش . ض . ص . س . ز . ط . ث . د . ظ . ذ . ث . ر . ل . ف . ب . ن . م . و . ي . أ . . .

وسمى الخليل معجمه بالعين لأنه يبدأ بحرف العين . . .

وما أريد أن أذكر ، أن العلم الحديث ، اعترف للخليل بشيء ، وأنكر عليه شيئاً آخر ، فقد شق الخليل على الناس في معجمه وألزمهم أن يكونوا على علم قبل أن يفلحوا ، وهو بهذا قد جرد معجمه من صفات المعاجم العامة .

وما أقلت من هذا المنهج العقلي من لحقوا بالخليل ، فقد ألف عليه : القالي : إسماعيل بن القاسم معجمه « البارع » فقد وضع هو الآخر معجمه على مخارج الحروف ، كما رآها سيويه لا كما رآها الخليل ، فأدخل على العقل بلبلة جديدة ، وإذا هذا الترتيب يكون على النحو التالي :

هـ . ع . غ . ق . ك . ص . ج . ش . ل . ر . ن . ظ . د . ت . ص . ز . س . ظ . ذ . ث . ف . ب . م . و . أ . ي . . .

وألّف بعدهما الأزهري : أبو منصور محمد بن أحمد ( ٢٨٢ - ٣٧٠ هـ ) معجمه : التهذيب ، ملتزماً الترتيب الذي التزمه الخليل ، فجاء على ذلك النمط الخليلي .

وعلى نمط الخليل والأزهري ، ألف الصاحب بن عباد ( ٣٤٣ - ٣٨٥ هـ ) معجمه المحيط ، وكان آخر من ألفوا على هذا المنهج : ابن سيده : أبو الحسن علي بن إسماعيل ( ٣٩٨ - ٤٥٨ هـ ) فوضع كتابه : « الحكم » يحكي فيه منهج الخليل مع تعديل طفيف فيه .

على أن هناك مدرسة عامة عاشت إلى جانب المدرسة الخاصة بدأت متأخرة شيئاً ما . كان على رأس هذه المدرسة الثانية - أعني المدرسة التي التزمت الترتيب الحرفي إلى حد ما : ابن دريد : محمد بن الحسن ( ٢٢٣ - ٣٢٩ هـ ) فقد عدلت هذه المدرسة عن المنهج الذي وضع أسامه الخليل إلى منهج آخر أقرب إلى وظيفة المعجم وإلى طبيعته اليسيرة التناول ، القريبة المأخذ ، فوضع كتابه : « الجهرة » مرتباً على حروف الألف باء . وقد أغنانا ابن دريد عن تناول عمل تلك المدرسة الأولى بالتنقص حيث يقول في مقدمة معجمه « الجهرة » : « وقد رتبته على هذا النحو إذا كانت الحروف المرتبة على الألف باء بالقلوب أعمق وألزم ، وفي الأسماع أنفذ وكان علم العامة بها كعلم الخاصة ، كان طالبها من هذه الجهة بعيداً من الحيرة مشغياً على المراد » .

ولقد صدق ابن دريد وصدق ظنه ، فما خلقت المعاجم لتكون على هذا العسر العسير الذي التزمه الخليل ومن تبعه .

وعلى نخط ابن دريد ، ألف ابن فارس أحمد : المقاييس ثم الجمل ، غير أن هذه المدرسة الثانية على ما كان معها من تفسير وتقريب ، كان فيها إيجاز مضيع كالذي وقع فيه ابن فارس ، وتعميد مغوت كالذي وقع فيه ابن دريد ، فقد قسم مادته أولاً وفق الأبنية : الثنائي ثم الثلاثي ثم الجماعي ثم السداسي ، ثم رتب تلك الأبنية على الحروف .

وغير بعيد من هاتين المدرستين ، كانت مدرسة ثالثة ، بدأت متأخرة شيئاً ، وكان لهذه المدرسة نهج جديد يجمع بين النهجين السابقين : يجمع بين الصفة الخاصة والصفة العامة ، غير أن الصفة الخاصة كانت أكثر ملاحظة . فقد عدت هذه المدرسة أواخر الكلمات لا أولها أساساً في الترتيب ، ثم مضت ترتب الكلمات بعد هذا على حروف الألف باء ، ذاهبة إلى أن آخر

الكلمة هو الحرف الثابت ، وأن أولها تلحقه الزيادات التي تشكل صورته ، من أجل ذلك رأوا ألا يعتدوا بالأول ، كما أخرجت هذه المدرسة الباحث بأن يكون على علم بالاشتقاق ، وأن يعرف أصل كل كلمة مجرد الكلمة من الزوائد أولاً ليعرف أين مكانها من المعجم .

وهذه نظرة كما أرى ، فيها شيء من العقل ، وفيها فكر . على الباحث في المعجم أن يتدبر ويفكر قبل أن يبحث . والمستفيد من المعجم يجب أن يلقاه في أيسر صورة .

كان على رأس هذه المدرسة ، الجوهري : أبو نصر إسماعيل بن حماد ( ٣٠٠ هـ ) فقد ألف كتابه : « الصحاح » ، وكما تأثر بالمدرستين الأوليين ناس ، تأثر بهذه المدرسة ناس كان منهم : الصفاني ( ٥٧٧ - ٦٥٠ هـ ) فوضع كتابه : « المعقاب » و - « التكملة » و « الدليل » ثم « مجمع البحرين » وبعد الصفاني ، كان ابن منظور الإفريقي المصري ( ٦٣٠ - ٧١١ هـ ) فوضع كتابه : « لسان العرب » ثم الفيروز آبادي : محمد بن يعقوب ( ٧٢٩ - ٨١٦ هـ ) صاحب القاموس المحيط .

وكان فيما بين هذه المدارس الثلاث المعجمية ، مدارس متفرقة ليست ذات منهج جزئي أشبه في طريقتها بتلك المدارس الخاصة الأولى ، أعني تلك المدارس الخاصة ، إن صح لها أن نسميها مدارس ، وهي التي سبقت التأليف العام وكانت مشغولة بأغراض بعينها .

وهكذا كان شأن تلك المدرسة الأخيرة المتفرقة مع خلاف في الغرض بينها وبين أصحاب المناهج الأولى . فأولئك الأوائل قصدوا باباً معيناً ، وهؤلاء قصدوا مع العموم شيئاً من الخصوص ، فوضعوا معاجم عامة ، لكنها كانت حول غرض خاص ، كما فعل مع العموم شيئاً من الخصوص ، فوضعوا معاجم عامة ، لكنها كانت حول غرض خاص ، كما فعل ابن الأثير

في كتابه : «النهاية» الخاص بغريب الحديث ، وكما فعل الزمخشري : محمود بن عمر في كتابه : «الفائق» ، وكما فعل الراغب الأصفهاني في كتابه : «المفردات» ، وهو خاص بغريب القرآن . فهم قد ألفوا في أغراض أقرب إلى الخصوص ولكنها خالفت ذلك الخصوص في تشكلها على أسلوب معجمي تخضع في طريقته لأسلوب المدرسة الثانية ، ويخضع لها أيضاً في أنه خرج عن الموضوعية - أعني معالجة الموضوع المستقل - إلى اللغة كلمات ، ثم شرح هذه الكلمات . وما كانت هذه وظيفة المعاجم الخاصة التي كانت تجمع أسماء الموضوع وأجناسه وصفاته دون ترتيب معجمي . وليس بعيداً عن هذا أيضاً - أعني عن تلك المدارس الأخيرة المتفرقة - ما فعله الزمخشري في كتابه «أساس البلاغة» ، فهو وإن كان حول موضوع عام ، وهو اللغة ، من حيث هي لغة ، إلا أنه كان ذا منهج خاص ، فكانت عنايته بالمجاز ، لا يقصد إلى الجمع الشامل ولا إلى التفصيل الذي هو من حق المعجم العام .

ولقد دخلت على الشعب العربي ، حضارات أجنبية كثيرة ، كان هذا والشعب العربي على حال من التخلّف مُني بها ، فاستكانت لغته شيئاً ، فكانت تملّي عليه الحضارات فلا يستجيب ، ويبلبل الدخيل لسانه فلا يفار ، وإذا هو بعد غفوة طال أمدها يجد نفسه بعيداً عن لغته ، ويجد لغته بعيدة عنه ، ويجد لغته قاصرة عن استيعاب تلك الحضارات ، وإذا هو يكاد يتنكر لهذه اللغة ، بما جعله يفكر في أن يستبدل بها غيرها ، لولا بقية من غيرة وحمية وإيمان .

وما ذابت الشعوب في غيرها ، إلا حين تنسى لغتها أولاً ، وحين تحس أن لغتها عاجزة عن أن تسير الحياة ، عندئذ تنوزع أشتاتاً وتتخطفها حضارات مختلفة ، وتفقد طابعها الجامع حين تفقد لغتها الجامعة .

غير أن اللغة العربية ، قد ثبتت لهذه العانية وحدها بتليدها وموروثها ، لا تجد إلا العون الضعيف ، والحضارات في زحفها النازي ، واللغة في سكونها الهامد ، لا تملك معجماً عربياً سليماً يساير تلك الحضارات ، ويسير الحاجات ، ويبقى بالرغبات .

ومن الحق ، أننا لا ننتهم تلك الفترة الغافية بالحل ، ولا نصنها بالجذب . فلقد جاءت بشيء من المعاجم مكن للناس كل التمكن حين عز عليهم الانتفاع بالمعاجم الأولى كلها : صعباً وسهلاً .

في ظل تلك الأزمنة ، كانت المدرسة الرابعة للمعاجم ، قد أحست أن المدرسة الأولى ، لم تصل إلى المعجم الحق ، الذي يخضع في ترتيبه للحرفية المطلقة لا يكلف الباحث عناء التلبث ، ليتعقل ويفكر . .

وكان على رأس تلك المدرسة : بطرس البستاني الذي ألف كتابه : « محيط المحيط » في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، ثم سعيد الخوري الشرتوني في ١٨٨٩ م الذي ألف معجمه : « أقرب الموارد في فصيح اللغة والشوارد » وفي سنة ١٩٠٧ م أخرج جرجس ممام الشويري معجمه : « الطالب » وفي سنة ١٩٠٨ م أخرج الأب لويس المعلوم معجمه : « المنجد » وفي سنة ١٩٣٠ م وضع عبد الله البستاني معجمه : « البستان » مُعْتَمِداً على محيط المحيط لبطرس البستاني .

وكان ثمة معاجم أخرى ألفت في ظل هذه المعاجم ، تقرب منها شيئاً ، وتبعد عنها شيئاً ، ولكنها كانت كلها على هذا المنهج الحرفي ، يستقي بعضها من بعض ، وتستقي كلها من المعاجم القديمة .

ولكن اللغة العربية بعد تلك الأزمان القاصمة ، وبعد ذلك التخلف الطويل ، كانت في حاجة إلى وثبة جريئة شريفة متصلة ، في حاجة إلى أن تقرب نفسها من الناس ، وتقرب الناس إليها على صفحات معاجم مباشرة مدللة ، في حاجة إلى معاجم ، تضم إلى القديم الحديث ، وتضم



إلى اللغة ما يتصل بحياة الإنسان في غير اللغة من أشياء حول العلوم والفنون والصناعات والزراعات ، بل شئون الحياة كلها تتناوله بالقدر المعروف الموجز ، وتترك تفصيله لمراجعته الخاصة .

وهكذا أصبحنا في حاجة مع هذا العصر الزاخر بحضارته الصاخبة إلى تهديد اللغة بين يدي الناس ، لتمضي وتسائر تلك الحضارات بعلمها وفنها ، وفي حاجة إلى أن تصل الناس باللغة ، لتشيع على ألسنتهم ، فتصلها وتقومها ، فما ولدت اللغة إلا على الألسنة ، ولا استقامت ولا نمت إلا على هذه الألسنة .

ولا ريب في أن بعض هذه المعجميات التي تشغل بعض الناس ، إنما تبشر بخير كثير ، لو أتيح لها أن تظهر إلى الوجود دون ما تعثر أو التواء ، أو ابتغاء المنفعة أو التجارة في وقت نحن أخرج ما نكون فيه إلى بذل الجهود ، وتضافر المهتم ، لإخراج معاجم ، تسائر الحضارة ، وتضع للأجيال اللاحقة ما تبني عليه المجد والعز والجاه في ظل لغة العرب ، وبطولات الأقدمين .

(القاهرة)

أبر طاب نياه



## أبو حيان التوحيدي<sup>(١)</sup>

ربما كان هذا الأديب الفيلسوف أقل الأدباء حظاً وأكثرهم بؤساً ،  
ولعله ، من جهة أخرى ، كان من أقوى أهل عصره بديهةً وأشدّهم ذكاءً  
وأسطعهم فكراً ، وكان لا يقف في صفه منافساً ولا يتعلّق به ، مثلاً  
إلا الجاحظ . وأنت تدري من هو الجاحظ عظمةً وعبقريّة تتقطع دونها  
الآمال وتكبو وراءها الآماني . ولست أعلم من الأدباء الذين قرأت سيرهم  
رجلاً تعرض لمصاعب الحياة وشقاء الوجود كأبي حيان التوحيدي ،  
فقد كان فقيراً إلى أبعد حدود الفقر ، وكان لا يسكاد بمسك أوده أو يتبلغ  
بطعامه ، لشدة إعراض الأيام عنه ، وانصراف الزمن إلى غير جهته ،  
وكان ابن الرومي قد عناه في قوله :

|                                |                              |
|--------------------------------|------------------------------|
| أذاقتني الأسفار ما كرهه الفنى  | إلى وأغراني برفض المطالب     |
| فأصبحت في الإثراء أزهد زاهداً  | وإن كنت في الإثراء أرغب راغب |
| حربصاً جباناً ، اشتبهى ثم اتقى | بلعظي جناب الرزق لحظ المراقب |
| ومن كان ذا حرص وجبن فانه       | فقير أناه الفقر من كل جانب   |

وكاتبنا هذا ، هو علي بن محمد بن العباس التوحيدي ، وقد اختلف  
في أصل كنيته والرأي الأرجح أنه انتسب للمعتزلة لأنهم يسمون أنفسهم  
أهل العدل والتوحيد ومن هنا جاءت هذه الكنية . وهو عربي أصيل ،

---

(١) بمناسبة قرب صدور كتاب « أخلاق الوزيرين » أو « مثالب الوزيرين » ،  
من مطبوعات المجمع .

عاش عمراً مديداً إذ ولد في أوائل القرن الرابع للهجرة ومات في نهاية هذا القرن . ودفن في بلدة شيراز عام ٤١٤ للهجرة .

ومن ظلم الزمن لأبي حيان أنه ولد في العصر العباسي الثالث ، وهو العصر الذي ارتبكت فيه الأمور ، وأعضلت المشاكل ، وفشتت أمور الخلافة ، وتدخل في الدولة العربية الإسلامية من ليس منها ولا يمت إليها بصلة من جنس أو دين أو رأي أو ثقافة ، وتغلغل الأعاجم في جسم الأمة وكلهم يروم منها مكسباً أو يسعى ليقطع مفتاحاً ، وقام الثائرون من كل جانب يريدون أن يتقسموا هذا الملك الباذخ والرفعة المتسعة ، فابن رائق يستولي على البصرة ، والبريدي يستأثر بالآهواز ، وأبناء بويه يحتلون فارس وما يتبعها من كور ومقاطعات ، وقامت الدولة السامانية في خراسان ، وتملك بنو حمدان في الموصل وديار بكر وربيعة ومصر ، وانتقلت مصر والشام إلى الاخشيدية ؛ والبحرين واليامة في يد القرمطي ، والمغرب في حكم القائم العلوي ، والأندلس تحت سيطرة عبد الرحمن الناصر الأموي .

أما الخليفة في بغداد فقد اضطرب حبله ، وارتبك أمره ، وقام عليه من أعوانه الأتراك والفرس والديلم والأكراد من يريد الاستئثار بالملك دونه ، حتى لم يبق للخليفة المنبئون الا الصورة ، بل اشتط هؤلاء الأعوان حتى أقدموا على قتل الخلفاء وخلعهم من مثل المقتدر والقاهر والراضي والمنقي والمستكفي ، وهم من الخلفاء الذين ذهبوا مثلاً جاءوا لم يشعر بهم أحد ولم يخلفوا في هذه الدنيا من أثر إلا الحسرة على ملكهم العربي والعبرة فيما أصابهم من ريب الزمان وغير الدهر ، وهم الذين جنوا على أنفسهم أو جنى عليهم آباؤهم في التفاتهم إلى غير العنصر العربي ، واعتمادهم على من لا يحس كما يحسون ولا يشعر كما يشعرون ، ذلك أن القومية رابطة دونها كل رابطة وآصرة أضعف منها كل آصرة ، ولو اعتمد أولئك الخلفاء على العنصر العربي وحده ، لقوي الملك ورسخت أركانه وبذخ بنيانه .

في هذا العصر عاش أبو حيان التوحيدي ، وكان أشد الناس تأثراً بهذه الأحداث التي تتقطع لها الكبد وتسيل الدموع ، ولقد نزل بغداد وهو شاب صغير ، وأقدم على الدراسة ، فالتفت إلى النحو ثم الفقه والمنطق وعلم الكلام ، فلحظ عليه أساتذته وهم من جلة العلماء وأعيان الفكر أنه حكيم عظيم صافي الذهن يعتمد على عقله ولا يأخذ الأمور على ظواهرها ، ولا يتعجز لفئة ولا يتعصب لرأي .

وكان إجماع الأدباء على أنه أكثر الأدباء شياً بالجاحظ ، فقد التزم طريقته في التصنيف والتأليف ، ونبغ في مناحي شتى من أبواب المعرفة ، فهم شيخ في الصوفية ، وفيلسوف متأدب ، وأديب متفلسف ، وبلغ لا يدانيه بامع . جمع في فكره من العلم ما لا يستطيع احتجانه عشرة رجال من الأذكياء ، ولكن الحظ ، والحظ وحده ، هو الذي حال دون ذبوع اسم هذا النابغة ، ومنع عليه أن يعرفه الأدباء والمؤرخون معرفة صحيحة حتى قال فيه ياقوت متمجياً : ولم أر واحداً من أهل العلم ذكره في كتاب ، ولا أدبجه في ضمن خطاب وهذا من العجب العجائب .

ولقد أخلص هذا الرجل الكبير للعلم إخلاصاً لا يكون إلا عند أولئك الذين تجعلهم الطبيعة وقفاً على التأليف وإخراج الكتب ؛ وأكثر أبو حيان من تأليف المؤلفات ومن أشهرها : كتاب المقابسات ، وكتاب الإشارات الإلهية ، والرد على ابن جني في شعر المتنبي ، وكتاب الإمتاع والمؤانسة ، وكتاب رياض العارفين ، وكتاب تقريظ الجاحظ ، وكتاب مثالب الوزيرين وهما ابن العميد والصاحب ابن عباد ، وكتاب الحج العقلي ، وغير ذلك كثير ، ويدين من هذا التنوع والتشكيل المدى الواسع الذي كان يشرف عليه عقل هذا الرجل ، فهو كما ترى ينتقل بين الفلسفة والأدب والفن والتاريخ ، ما يؤكد لنا أنه كان كثوفاً لكل دراسة وأملاً لكل تمحيص ..

أما طريقته الفكرية فتتلخص في أنه كان يميل إلى أهل التصوف من أصحاب الباطن كما كان أحياناً من أهل الظاهر فقد جمع التقيضين لقوة ذهنه ورجاحة فكره ، فهو لم يكن ناسكاً متطرفاً في الإعراض عن الدنيا وإن كان يشارك هؤلاء في التفكير ولا يماثلهم في السلوك وطريقة العيش حتى عرف فيه هذان اللونان ، وقلده في ذلك جماعة جاءوا من بعده ، أما هو فلم يتقيد في حياته كلها بذهب أو نظرية ، ولكنه عاش مع هذه المذاهب وتنقل فيما بينها وساري أصحابها أو بز أهلها حتى صار أعجوبة الزمن ومعجزة الدهر .

كان أبو حيان ، في جلالة قدره وعلو منزلته ، فقيراً معدماً مقترأ عليه في رزقه ، لم يستعمل في الدولة لأن العمل في الدولة يناقض ما كان عليه من حب للقراءة وادمان المطالعة وانصراف تام للاطلاع ، ولم يلتفت إليه أصحاب الجاه والسلطان الالتفات الذي يليق به أو يتناسب مع مقامه العالي ، وكان للتوحيدي زميل في الفقر والعلم ، فكانا يتناحيان فيما آل إليه أمرهما من فاقة وعوز ، كما كانا ينميان على الحظ هذا الظلم الفادح والغبن الظاهر ، كان هذا الزميل هو الفيلسوف الكبير أبو بكر القومسي ، وقد قال للتوحيدي في يوم من الأيام : ما ظننت أن الدنيا ونكداتها تبلغ من إنسان ما بلغت مني : إن قصدت إلى دجلة لأغتسل منها فضب ماؤها ، وإن خرجت إلى القفار لأتيمم بالصعيد عاد صلياً أملس . وهذا الوصف ذاته ينطبق على أبي حيان ، ولكن أبا حيان لم يكن صاحب شكوى إذ كان له من نفسه ما يمنعه من اظهار حاله وشرح ما يخصه .

كان ابن العميد والصاحب بن عباد وزيرين جليلين ، وكانا يتفضلان على أهل الأدب والعلم من أولئك الذين يخفزون لهم جناح الدل ، أما الذين يعرفون أقدار أنفسهم من مثل المتنبي وأبي حيان التوحيدي فلم تكن لهم



حظوة عند الوزيرين الجليلين ، والذي يبدو أن الوزيرين كانا يحبان المدح ، وكانا يريدان أن يجمعا اليهما دفيا السياسة والأدب ، فإذا عرفا أن من يقصد اليهما من الأدباء ، أديب له منزلته العالية خافا منه وتنكراله ، وقلبا له ظهر الجحز وتمحلا الأعذار في البخل ، وعمدا إلى الإساءة إليه ليتخلصا منه حتى لا تكون هناك فرصة للمقارنة بينه وبينهما فيغلبها في مجال التنافس والمقارنة . وهكذا اختلف ابن العميد والصاحب مع المتنبي ، حين حسدها وحاولا الإساءة إليه ولا سيما الصاحب ، وكذلك فعلا مع أبي حيان التوحيدي بعد أن انقطع اليها فلم ينل منها رغبته ، وعاد بعد ثلاث سنين قضاها عند الصاحب دون أن يقال منه دافقا أو درهما . ولكن التوحيدي ليس من العلماء الذين يسكتون على الضيم ويتحملون الإساءة . وقد رزق من قوة الشكيمة والاعتداد بالنفس بحيث كان يرى الوزيرين بهين فكره . وهما صغيران هينان لا يستأملان اهتماما ولا يستحقان التفاتا . ولقد كاف الصاحب ابن عباد أبا حيان بنسخ رسالة من رسائله تقع في ثلاثين مجلدة ، فقال له : نسخ مثل هذه يأتي على العمر والبصر . فحقد الصاحب عليه ذلك ؛ وكانت النتيجة أن كتب التوحيدي كتابه « مثالب الوزيرين » فاستفاد الأدب كتابا جديداً على حساب هذا الخلاق المخلص . وكان لهذا الخلاف أثر مادي في أبي حيان فقد أعرض عنه الناس ارضاء للوزيرين وتقربا اليهما ، وأحدقت التهم بهد ذلك بأبي حيان وكانت هذه التهم في أكثرها دينية على عادة ذلك العصر ، وكانت الزندقة هي السبة التي يمكن أن توجه إلى الأئمة ؛ وقد لقي العلماء وأصحاب الفن والأشخاص البارزون عناء كبيراً من هذه التهمة ، وهكذا فقد اتهم الصاحب ابن عباد ، وهو الوزير القوي ، أبا حيان بالزندقة بما اضطره إلى الاختفاء ، وتعرض للقتل ، ولجأ إلى ديار بكر حيث لقي إكراماً بالفا من الوزير صمصام الدولة بن سعدان وله ألف كتاب « الصديق والصدقة » و كتاب « الإمتاع والمؤانسة » وهما من أشهر كتبه .

أما فنّ أبي حيان فينحصر في هذه الكتب التي ألفها ، وكانت تمتاز بأسلوب قوي أقرب الى أسلوب الجاحظ من حيث تقطيع العبارة وتقصير الجملة والإحساس الرقيق بالموسيقى اللفظية ، وسلامة الإنشاء ، إذا كتب لم تشرد عنه لفظة ولم تندّ عنه كلمة ، وهو يؤثر في ذلك بأذن سامعه وإحساسه حتى يحتذيه اجتذاباً ، واللغة عند التوحيدي وسيلة للتعبير ، لا طريقة للنظرف والتكلف ، فإذا وضع الكلمة فهي لا بد أن تقع في محلها الذي خلقت له بحيث لا يمكن إبدال غيرها منها ، لأن هذه اللفظة ذات علاقة وشيجة بالصورة التي تتكون من اجتماع الكلمات بعضها إلى بعض في عقد واحد . وقد قال أبو حيان في هذا المعنى : « والكلام إذا خرج في غير تكلف وكدة وشدة تفكر وتعمل كان سلباً سهلاً ، وكان له ماء ورواء ورقراق ، وعليه فرند لا يكون على غيره ، مما عسر بروزه واستكره خروجه » .

ولعل هذه العبارة تعطيك صورة واضحة عن طريقة أبي حيان في الكتابة ، وبعده عن التكلف والتعمل ، وهي صنعة الأديب الموهوب المطبوع ، ولعل من أهم أسباب الخلاف الذي نشب بين أبي حيان والوزيرين ، أن الوزيرين كانا متكلفي الأسلوب متصنعين في إخراج أدبيها وهذا ما جعل أبا حيان يستثقل ظلها وينظر إليها نظرة لا يخالطها إعجاب وربما صرح بذلك ، وهذا ما أحسّ الوزيرين عليه ، إذ من المصير أن يصعب الأديب من لا يجود عليه بالإعجاب ، وهذه الصفة من مستلزمات الأدباء في كل الأمم والعصور .

واقراً هذه العبارة من كتابه ( غرات العلوم ) : « أطال الله بقاءكم ، وأدام كرامتكم ، وحرّض نعمه عليكم ، وحفظ مواهبه لديكم ، ولا أخلاكم من عوائده الجسيمة ، وقوائده الكريمة ، وقد كان يقال من لم

يفضب لنفسه ناصراً ، لم يقضب لبني جنسه منتصراً ، ومن لم يقف عند العظيمة منتصفاً ، لم يرج عند النواثب مسعفاً ، ومن لم يأنف من الفذع في عرضه آيباً ، لم يبت على الخسف إلا راضياً ، والغضب وإن كان مذموماً عند بعض الحلال ، فإنه محمود في بعض الأحوال ، وكما أن استمرار الغضب في جميع الأحوال ، نوع من فساد الأخلاق ، كذلك أيضاً الرضا في جميع الأمور ضرب من ضروب النفاق ، ولا بد من التقلب بين الرضا والغضب ، كما أنه لا بد من التردد بين الراحة والتعب .

ولقد سقت لك هذه العبارة لتبين قوة الفكر وصفاته وسلاسة الإنشاء

عند هذا المبقرى .

أما في الشعر فإن الزمن لم يحفظ لأبي حيان إلا بعض أبيات قالها مصادفة ، فإن نسكه كان ينعمه من ذلك ، لأن الشعر دوافع ودواعي لم تكن متوفرة له ، أما هذه الأبيات فقد جمعت في قطعة واحدة مشهورة مطلعها :

يا صاحبي دعا الملامة واقصرا ترك الهوى يا صاحبي خسارة

الى أن يقول هذا البيت المشهور :

يا من أحب ولا أسمي باسمها إياك أعني واسمعي يا جارة

وإني لأشك شكاً كبيراً في نسبة هذه الأبيات إلى أبي حيان فهي

لا تنسجم مع تاريخه وحياته وأسلوبه الكتابي ، أو ربما كانت من شعر الصبا

الذي يبدأ الأديب به حياته الأدبية حتى إذا وجد التقصير حليفه ألقه

عنه كما فعل الكثيرون من الأدباء في مطلع حياتهم .

وبما يؤسف له أسفاً شديداً أن التشاؤم قد امنتد بأبي حيان بعد

ما أصابه من أحداث الزمان فعمد الى إحراق كتبه ، ولولا أن سبق

للناس تلقف ما كتبه وحفظه لحسرت اللغة العربية كل آثار هذا الكاتب

العبقري . وأبو حيان يمتذر عن إحراق كتبه بأعذار واهية إن قبل بعضها بعض أهل عصره فنحن في زمننا نردّها إليه جملة ولا نقبل منها شيئاً ، لأن التناج العقلي ملك للناس جميعاً لا للشخص الذي خرجت على يديه ، والمتنحر لا يعذره الدين كما لا يعذره القانون ، لأن نفسه ليست له وإنما هي أمانة وضعت في جسمه .

ذلك هو الرجل الكبير الذي أوردت لك شيئاً من سيرته في هذا المقال لتقف على صورة من أزمى صور التاريخ الأدبي عند العرب في عصر من أزمى عصورهم الفكرية .

أحمد الجندي



# التعريف والنقد

( مكتب عنبر )

بقلم الأستاذ النقيب السيد ظافر القاسمي

عدد صفحاته ١٤٠ من القطع الوسط ، طبع في المطبعة الكاثوليكية  
في بيروت سنة ١٩٦٤

من تصفح هذا الكتاب للكاتب المؤرخ الأديب السيد ظافر القاسمي ،  
رأى فيه العجب العجيب ، من سيرة أئمة العربية والدين ، الذين كانوا  
مجدّين في تعليم الطلاب ، مختلف العلوم والآداب ، فقد كانوا قدوة  
صالحة في تربيتهم وتعليمهم ، وصدق وطنيتهم ، ودفاعهم عن بلادهم بما  
أوتوا من قوة ، وكان لطلابهم فيهم أسوة حسنة . رحم الله من مضى منهم ،  
وحفظ من بقي ذخراً لأمتنا وفخراً .

( مكتب عنبر ، وما أدراك ما مكتب عنبر ١ )

لقد كان معقلاً للوطنية ، ومرجعاً للغة العربية بأديها وأخلاق أهلها ،  
ومن أساتذة اللغة والدين ، هؤلاء العلماء الأجلاء : الشيخ عبد الرحمن سلام ،  
والشيخ محمد الداوودي ، والشيخ عبد القادر المبارك ، والشيخ سليم الجندي ،  
ومن كبار أساتذتها محمد البزم . ومن الأبطال الذين أقاموا صرح العلم  
والوطنية والأخلاق - كما قال المؤلف - : جودة الهاشمي ، ومحمد علي  
الجزائري ، وجميل صليبا ، وجودة الكيال ، ويحيى الشجاع ، وحسن  
يحيى الصبان ، وغيرهم من هذه الطبقة العالية الغالية . فقد تخرج على



أيديهم ألوف كثيرة من الطلاب . أما هذا الضعيف فقد جمعتني ببعضهم مهمة التعليم في المدارس الرسمية كتجهيزي الذكور والإناث . ومنهم من تولّى الإدارة مع التعليم . والرعيّل الأول ، الذي تخرج على أيديهم لا نظير لهم في من جاءوا بعدهم .

ثم ذكر المؤلف المحسن والمسيء من أساتذته الفرنسيين ، مقيماً ميزان النصفة والعدل بينهم ، ونوّه بالمودة الثابتة الدائمة ، على القرب والبعد ، بينه وبين أستاذ له وصديق في مكتب عنبر من الفرنسيين (١) وبينه وبين طالب مسلم تركي ، فأما الأستاذ فيكتبه بالفرنسية ، وأما الطالب فيكتب بالعربية بعد سنين طويلة ، إذ يرى أنها لغة كل مسلم ، ويجب المحافظة عليها . وفي طليعة الكتاب مقدمة حافلة بقلم الأستاذ الكبير الشيخ علي الطنطاوي وهو من طلاب مكتب عنبر أيضاً وزميل المؤلف في حياته العلمية والأدبية ، فكانت مواردها ومصادرها متشابهة ، وقلمها يجري في هذا السبيل جريان الماء العذب السلسيل .

### ( اللغة العربية والإسلام )

إن أفضل وسيلة لتعود اللغة العربية لنا ، لغة محادثة وكتابة وخطابة ، ويكون الإسلام لنا شيئاً ديناً ، علماً وعملاً واعتقاداً ، هو قيام أساتذة اللغة والدين ، بواجبهم العربي والإسلامي على الوجه المطلوب ، فإننا نرى الأجانب في بلادنا يكلمون أولادنا بلغتهم الأعجمية ليسهل عليهم تعلمها والنطق بها ، فهل يكون أساتذتنا أقل حظاً ونصيلاً في تعليم اللغة العربية والدين من الأجانب في ديارنا . وهذه كلمة لأحد حكماء الإسلام ، في هذا الموضوع العام ، قال : أما سير الإسلام مع اللغة فقد كان من العجائب التي لم يمهّد لها نظير في التاريخ :

(١) الأستاذ غوليه Gaulmier .

لم يمتد على انتشار الإسلام في بلاد الروم والفرس ، وبلاد افريقية  
وغربي أوربا إلا زمن يسير ، حتى علت اللغة العربية على لغات هذه  
الأمم ، بل نسختها كما تنسخ آية النور آية الليل ، من غير مدارس ولا  
معلمين ينصرفون إلى تعلم اللغة . فهذا دليل على أن الصحابة الكرام ،  
ومن امتدى بهم من الفاتحين كانوا يلقنون الناس الدين على وجه يبعثهم  
على تعلم العربية من أنفسهم ، وما كان ذلك الانتشار إلا بهذا الوازع  
النفسي الذي يفعل ما لا تفعل السياسة ولا المدارس ، وما أوقف هذا  
السير إلا ضعف الدول العربية ، ووثوب الأعاجم على عروشها ، وإقتناء  
علماء الأعاجم يجواز العبادة وقراءة القرآن والذكر في الصلاة  
باللغات الأعجمية .

ويلاحظ أن اللوحة ( بعد ص ١١٢ ) وفيها صورة زيارة الملك فيصل  
لمكتب عنبر ( عام ١٩٢٠ ) أنها كانت أخذت في دار المعلمين الأولية  
في كرخ بغداد ..

وأختم كلمتي بإسداء الشكر للأستاذ المؤلف السيد ظافر الذي نالني  
شرف تدريسه الحديث والتوحيد ، فقد نوه بي في هذا الكتاب الوحيد  
من نوعه ، بوصفي بما أملاه عليه فضله وقبلة ، على أنني أحسده سبحانه  
وأشكره على أن كنت تلميذ علامة الشام في المعقول والمنقول : والده  
أستاذنا الشيخ محمد جمال الدين القاسمي ، فإليه يعود الفضل كله ، رحمه الله  
تعالى ورضي عنه ، وحفظ لنا نجله الذي يعيد لنا مجد أبيه ، جدياً واجتهاداً ،  
وهمة ونشاطاً ، بمنه وكرمه .

محمد بهجة البيطار



ملاحظات وتعليقات<sup>(١)</sup>

على ( دِعبِل بن علي الخزاعي - دراسة تحليلية لحياته وشعره )

تأليف الدكتور : عبد الكريم الأشتر

نشر الدكتور عبد الكريم الأشتر الأستاذ بجامعة دمشق : دراسته التحليلية لحياة دِعبِل بن علي الخزاعي وشعره سنة ١٩٦٤ بدمشق ، وانتهت الي نسخة منها ، في وقت تعوقني فيه عدة عرائق 'قدّر' لها أن تتراحم وتتفاقم في وقت واحد ! فرأيت أن أؤجل النظر فيها إلى فرصة سانحة ، ثم إلى أن يصل إلي ما جمعه الدكتور وصنّفه من شعر دِعبِل ، ولكن الكتاب كان 'نصباً عيني من جهة' ، وموضع اهتمامي من جهة أخرى ، فتزكت ما يجب أن يكون إلى ما هو كائن ، وبدأت أقرأ .. في ضوء فكرة قديمة عن الدكتور في معاناته الطويلة ، وأتعبه الكثيرة ، لدراسة حياة دِعبِل وشعره ، وكانت هذه الفكرة مشبعة بالشعور بصبر الدكتور وجلده على مواصلة التتبع والتحري والاستقصاء فيما يخص هذا الشاعر الكبير والوقوف على منازعه واتجاهاته ...

وقد أفلح الدكتور الأشتر إلى حد بعيد في وقفاته على مختلف الأبحاث والدراسات والكتب والمقالات - على اختلاف مذاهب ومشارب ذويها ومؤلفيها - في هذا الشأن ... ولا أراني بعيداً عن الصواب إذا ما قلت أنه قد ألمّ بأكثرها الملامح محوداً ، وكانت الفِكرُ والإشارات التي قدّمها إلى القراء عما كتّبه عن الشاعر في الغابر والحاضر ، شيئاً منها ١ .

(١) أثبتنا أم للملاحظات والتعليقات الواردة في مقال الأستاذ الدجيلي ، وننتظر من نشر البحث كاملاً لطوله .  
( لجنة المجلة )

أما الدراسة التحليلية هذه فقد كان الدكتور موفقاً في أكثر مواردها كما وُفِّتْ هي الأخرى فكانت كتاباً مستقلاً عن حياة دجيل وسيرته مع لمحات عن شعره ، وقد دلت على مدى الجهود التي بذلها الدكتور فيها ، لولا ما شأها من تطويل في التعبير ، وتكرار في المعاني وتناقض في بعض الأفكار أو تفسير لبعض المواقف لا يتفق والواقع . ولولا عدم تبويبها .. وقد عنت لي في أثناء قراءتي ملاحظات وتعليقات هامة رأيت أن أدونها استجابةً للأخ الدكتور ، وخدمةً لهذا التراث الجليل ، وها أنا الآن أقدمها للقراء منبهاً إلى أنها بعض ما لاحظته على كتاب الدراسة ، ولعلي أعود مرة أخرى عند سنوح الفرصة ، راجياً منه تعالى أن يمدنا بالصحة والأمان ..



١ - لفت نظري عدم افتتاح الكتاب بالبسملة ! وهذه عادة درج عليها بعض كتابنا ، لم اهتم إلى تفسيرها !

٢ - في ص ٨ قال عن دجيل : « ولكنه في السنوات الأخيرة منها ( من حياته ) ، وقد استكان قليلاً ، كأنه خدمت الجنوة ، يلجأ إلى إلى النثر فيكتب كتابين في طبقات الشعراء ومثالب العرب ومذاقها ... »  
 آ - كيف نوفق بين هذه الاستكانة وهجائه للمتوكل في أيامه الأخيرة ، بالبداية ؟ بل وهجائه لمالك بن طوق الذي دبّر لاغتيال دجيل ؟ ثم أليس هذا يناقض قول الدكتور ص ١٩٤ « وكان دجيل بعد أن ولي المتوكل قد طعن في السن ولكنه لم يتعب من المغالبة » ! وقوله ص ١٩٧ : « فأى رجل في مثل السن التي بلغها دجيل تبقى له مثل هذه الأنياب الحاذقة ؟ وأي أنون لا يبرد في أعماقه .. »

ب- وما هو الدليل على أنه ألف كتابيه في أيامه الأخيرة ؟ أما ما ذهب إليه الدكتور من أنه ترجم لأحمد بن أبي دواد المتوفى ٢٤٠ هـ - كما في ص ٢٧٩ - فهو غير مقبول ، ولا يصح الاستدلال به على ذلك إذ قد يكون ترجم للمذكور في حياته - وقد كان شاعراً ، حتى اليوم تدوين ( التراجم ) في حياة ذويها ، وهو كثير في الكتب .

٣- في ص ١٨ قال : « فلا يبعد كثيراً اذن أن تكون النسبة الى بديل من عمل رجال من الشيعة ظنوا انهم يكسبونه به شرفاً يحو ما علق به من قالة السوء » .

هذا غير صحيح ، ان الشيعة لا تروى أبداً ، لأن قالة السوء هي من تقولات المؤرخين ، وذوي النيات غير الحسنة ، مع علمنا بأن إضفاء النسب أو عمله لا يدرأ عن صاحبه قالة السوء أو يحو ما علق منها .

٤- في ص ٢٣ قال « وقد كان دعبل يحل معنى اسمه حتى فسر له أبو عمرو الشيباني يوماً . » نقلاً عن الأغاني .

وأبو عمرو الشيباني هذا معاصر دعبل وقد توفي ٢٠٦ هـ وأعتقد ان الدكتور لو تأمل هذا الخبر لما كتبه ازدراء به ، إلا أن يكون قد تألى يميناً على كتابة كل شيء ! . كيف يُعقل أن يحل معنى اسمه ( أو لقبه ) رجل من صميم العربية ، وشاعر مثقف مثل دعبل بشهادات الدكتور ، مع أن هناك أخباراً يرويها دعبل أو يذكرها عن اسمه وما حدث له ، لم يذكرها الدكتور ! وكان قعيقبه على خبر الأغاني بقوله : « ونعتقد أنه لو كان لقباً لُقب به لما جهل معناه بعد أن تقدمت به السن » وهذا أعجب من الخبر ! ..

٥- وفي ص ٢٧ - ٢٩ قال : « وليس في الوسخ أن تقبل ما روي في مصدر من مصادر الشيعة من عده في المتصدين .. » نقلاً عن معالم العلماء



لابن شهر آشوب ص ١٣٩ ثم أخذ الدكتور يفند ذلك ، يفند كون دعبل مقتصدًا بما عرف عنه من إكرام الضيف ، وذمه البخل والمطل ، ويورد الشواهد من شعره على ذلك .. وغيرها .

ثم قال في ص ٢٩ « ونعتقد ان الأصل في رواية ابن شهر آشوب عن عدة في المقتصدين ما نعرف من زيارته لسهل بن هارون الذي كان يُرمى بالبخل ويحتج له ، ورواية دعبل عنه حكاية الديك .. »

آ - ليس في معالم العلماء لابن شهر آشوب ( - ٥٨٨ ) أية رواية بهذا المعنى إطلاقاً .

ب - وقد جاء في أواخر الكتاب ما يلي بالنص « باب في بعض شعراء أهل البيت عليهم السلام ، وهم أربع طبقات : المجاهرون والمقتصدون والمتقون والمتكافون » ثم أخذ المؤلف - أعني ابن شهر آشوب - يعدد أسماء رجال كل طبقة من هذه الطبقات بعنوان ( فصل ) . وكان دعبل مع جملة من مشاهير وكبار العلماء والأدباء والشعراء في فصل المقتصدين ... أي المقتصدين في الدعوة والمجاهرة بالتشيع ، لا المقتصدين بالإنفاق والبذل ! - كما وهم الدكتور - .

و على هذا فلم يقصد ابن شهر آشوب من عدة في المقتصدين المعنى الذي فهمه الدكتور .

ج - كان الأولى بالدكتور أن ينقد من اتهم دعبلاً بالبخل صراحةً ففي المنتخل - المطبوع بنزيل المنتحل للثعالبي - لأحمد الأزهرى أبي علي ص ٣٢٢ قال عن دعبل : « وكان شديد البخل ونوادره في ذلك شق » !! وكنت قد رددت ذلك في الديوان ص ٤٨ .

د - أما ما ذهب إليه الدكتور من تفسير المقتصدين بالبخل كما يفهم من كلامه فقير صحيح ، والذي نعرفه من اللغة ان الاقتصاد ضد الإفراط أي

ضد التبذير ، و الفرق بين البخل والاقتصاد ، والاقتصاد هو الاعتدال والاستقامة « والذين إذا أففقوا لم يُسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قَوَامًا - سورة الفرقان » وقيل قديماً : « لا وجود مع تبذير ولا بخل مع اقتصاد » ولا يصح تفسير ( ما عالَ مَنْ اقتصد ) - أو أعال - بمن بخل ..

٦ - وفي ص ٢٩ - ٣١ قال : « وكان يكثر من شرب الخمر على عادة أغلب شعراء العصر بدليل ما بقي من شعره ... وفي ص ٣٠ : ويغلب على الظن انه ظل يشربها حتى غلب عليه الكيِّر ... وفي ص ٣١ : على انه كان لا يشربها صرفاً بل يمزجها بالماء لأن العرف يورث الحتف ... » ثم : « وكان أولاده يعرفون - على ما يبدو - ولعه بالخمر حتى ان علياً وهو أكبرهم روى انه : لما حضرت أبي الوفاء تغير لونه وانعقد لسانه واسود وجهه ، فكدت الرجوع عن مذهبه فرأيت بعد ثلاثة أيام فيما يرى النائم وعليه ثياب بيض وقلنسوة بيضاء فقلت له يا أبتِ ! ما فعل الله بك ؟ فقال : يا بني ان الذي رأيته من اسوداد وجهي وانعقاد لساني كان من شربي الخمر في دار الدنيا .. » نقل الخبر عن ( عيون أخبار الرضا لابن بابويه ص ٣٧٠ وعنه في منتهى المقال لأبي علي ص ١٣٢ ) .

وقد يتر الدكتور الخبر من أوله وآخره ! وتتمته : « في دار الدنيا ولم أزل كذلك حتى لقيت رسول الله صلى الله عليه وآله وعليه ثياب بيض وقلنسوة بيضاء ، فقال لي : انت دعبل ؟ قلت : نعم يا رسول الله ! قال فأنشدني قولك في أولادي فأنشدته قولي :

لأضحك الله سنَّ الدهر إن ضحكت . وآل أحد مظلومون قد قهروا  
مُشردون تُفوا عن عُقر دارهم كأنهم قد جنوا ما ليس يُغتفر  
قال : فقال لي أحسنت ، وشفع في وأعطاني ثيابه وها هي وأشار الى  
ثياب بدنه .

هذه بقية خبر عيون أخبار الرضا ونقل الخبر عنه أبو علي في « منتهى المقال » .

أقول : أما الاستشهاد بالشعر في ذكر الخيرة ووصفها ومعاطاتها وغير ذلك من الأنبياء فيها ، فلا يدل على ثريتها واحتسائها وقد وصفها كثير من الشعراء وصف عالم بفعلها ، خبير بمرارتها وحرارتها ، دون أن تمس شفاههم قطرة منها ، ومن هؤلاء من هم في عداد رجال الدين والعلم ، ولو كان في هذا المجال متسع لشفت ذلك بالأمثلة الكثيرة ولأوردت نماذج غير قليلة في ذلك ، كما ادعى كثير من الشعراء دعوى عريضة في الفخر والشجاعة والكرم ، والوطنية وغيرها ولم يكن واقعهم ليدل على ذلك ! ..

٧- وفي ص ١٤٣ قال : « فأما الحجاج فلم يكن دعبل يطيقه لما نعرف من حرارة مزاجه وتوثب قلبه في الشعر ، ولأن دعوى الهاشميين في الخلافة وقد كانت قوية في أيام الكميث - ضعفت حجتها كثيراً بعد أن تولّى العباسيون الخلافة » .

والظاهر أنها دعوى العلويين في أيام الكميث وبعده لا دعوى الهاشميين من العباسيين ، ولم تضعف حجة هذه الدعوى - أعني دعوى العلويين في كلتا الدولتين كما هو معروف ..

٨- ص ١٩٤ قال : « فلما خرج المتوكل إلى تعقّب الشيعة شدد النكير عليهم وهدم قبور آل البيت في كربلاء والنجف سنة ٢٣٦ هـ . والمعروف عن المتوكل أنه تعرض لمرقد الإمام الحسين بن علي في كربلاء ومنع الناس من زيارته ، ولم يرد شيء عن تعرضه لمرقد الإمام علي في النجف . وفي طبقات الشافعية الكبرى « ٢١٦/١ » لتاج الدين السبكي ( - ٧٧١ هـ ) قال عن المتوكل « وأمر يهدم قبر الحسين وهدم ما حوله من الدور وإن يعمل مزارع ، ومنع الناس من زيارته ، وتألم المسلمون لذلك

وكتب أهل بغداد شتمه على الحيطان والمساجد ، وهجاء دعبل وغيره من الشعراء وقال قائلهم :

تالله إن كانت أمية قد أتت قتل ابن بنت نبيها مظلوما  
فلقد أتاه بنو أبيه بثله هذا لعمر ك قبره مهدوما  
أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا في قتله ، فتنبعود رميا

٩ - وفي ص ٣٠٣ قال - عن المقدمة التي قدمت بها ( ديوان دعبل ابن علي الخزاعي ) - « .. تجميع طويل جاد .. تحكمه فكرة مسبقة بالدفاع عن الشاعر وإعلاء شأنه ومذهبه ، ولو كلفه ذلك تكذيب الموثوق من أخباره ، والطمع على معاصريه ومهجوويه .. وقد أكثر الكاتب من ادراج النقول الواسعة عن كتب الشيعة حتى وقع في استطرادات غريبة ، ونحسب أنه لم يصل - مع ذلك - إلى شيء كبير يوقف عنده .. »

هذا هو رأي الأخ الدكتور ، وفيه تحامل على الكاتب وعلى ما كتب ! فهذه المقدمة التي بلغت الثمانين بالحرف الدقيق لم تصل إلى شيء كبير يوقف عنده في رأيه ! وهذه المقدمة التي لم تكن تجميعاً لفظياً ، بل تجميعاً للمعاني المضبوطة فيها ، مرتبة ومبوبة ، قال الدكتور عن كاتبها : تحكمه فكرة مسبقة بالدفاع عن الشاعر ! ...

هذا كلام ليس فيه نصف ، ولم يكن جديداً لما يتهم به الدكتور فكثيراً ما قال مثل هذا المنتقيدون غير المنصفين في المنتقدين !! وقلنا روعيت الحقيقة ، وقد وُجّه بالنقد إلى دعبل أكثر من مرة ولم يُحمد في بعض تصرفاته ، في هذه المقدمة التي عابها الدكتور .

أما ما قاله عن تكذيب الموثوق من أخباره والطمع على معاصريه ومهجوويه ، فهو في رأيه ، لأنني لم أكذب الموثوق من أخباره في رأيي ، والذي لا يحتمل الشك ورود أخبار وروايات بقصد الإساءة إليه والخط منه ،

وقد أورد أبو الفرج أخباراً متضاربة متناقضة ، بعيدة عن الحقيقة ، دون تحقيق أو تمحيص ، وجاء الذين أخذوا عنه فزادوا وأضافوا من ( عندياتهم ) الكثير من الطعوت ! . . .

ألم يقل الدكتور نفسه ص ٣ « فأكثر هذه الترجمات أخبار متفرقة وروايات متضاربة ، موجهة في بعض الأحيان . »

ألم يقل ص ٢١٤ - ٢١٥ « ونخشى أن يكون لما قدفته به أكثر مصادرها الأدبية ولما اختارت له من شعره أثر في الأحكام التي ترمي الشاعر بكل نقيصة حتى تجعله عصارة اللؤم المصنئ ، ونخشى أن يسأل أبو الفرج نفسه صاحب السلطان الواسع على معظم تراثنا الأدبي القديم عما شاع من ذلك في هذه المصادر ، كما يسأل عن كثير من مثل هذه الأحكام ! »

ليَعُدَّ الدكتور الى أقواله ويتأملها ! . . .

وأود - وأنا أرجو أن أعود الى تحليل « الدراسة التحليلية » أن أذكر شذرات قليلة جداً من أقوال العلماء والباحثين عن مقدمة ديوان بدعبل الذي نشرته سنة ١٩٦٢ م للموازنة بينها وبين قول الدكتور الأستر : قال العلامة الأمير الرئيس مصطفى الشهابي في ١٩٦٢/١٢/٩ من رسالة : « وأثنى على التحقيقات الدقيقة وعلى إنصاف ذلك الشاعر الغد » . وقال الأستاذ الكبير السيد جعفر الحسني في ١٩٦٤/١/١٤ من رسالة : « أهنيكم على هذا الجهد الكبير فقد أحسنتم الجمع والتحقيق والتعليق أحسن الله إليكم . . . » وقال الأستاذ البعثة كوركيس عواد في ١٩٦٢/٩/١ من رسالة « وهي تحفة أدبية رائعة قد أرفت على الغاية في بعد التحقيق والتدقيق ، وفي كل صفحة من صفحات هذا الديوان يتجلى ما بذل من جهد وعناية بالغين في إخراجه بهذا الوجه العلمي الذي يستوجب كل مديح وثناء ، وما أثنى هذه المقدمة التحليلية التي صدرتم بها هذا الديوان للتعريف بدعبل ، وعندي أنها خير ما كتب في هذا الشاعر . . . » وقال العالم المحقق توفيق



الفكيكي في بحثه الطويل المنشور في مجلة المكتبة ، تشرين الثاني ١٩٦٢ :  
 « . . . فقد كان الأستاذ الدجيلي موفقاً غاية التوفيق ، بالغاً الغاية المنشودة  
 التي كثيراً ما قصر عن بلوغها بعض أصحاب ( الدكتور ) والدراسات  
 الجامعية . . . »

هذه فقرات من عشرات ، ومنشرها ان شاء الله في المستدرك أو  
 في طبعة الديوان الثانية .

✱ ✱ ✱

#### ملاحظات وأخطاء :

لاحظت هذه الأخطاء في مصادر ومراجع ( الدراسة التحليلية ) ومنها  
 أخطاء هامة جداً ، ولم أجزم بأنها كل ما لاحظت :

١ - جاء في ص ٣٠٨ « الإرشاد لأبي علي الحسن بن محمد الطوسي  
 المعروف بالشيخ المفيد ( ت ٤١٣ هـ ) .

والصحيح : لأبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي .  
 وسنة وفاته كما ذكرها .

٢ - وجاء في ص ٣١٠ : البداية والنهاية لابن كثير القرشي . . .  
 عشرة أجزاء والصحيح : ١٤ جزءاً .

٣ - وجاء في ص ٣٢١ : سنة وفاة ابن النديم صاحب الفهرست  
 ( ٤٣٨ هـ ) والصحيح : ٣٨٤ هـ أو ٥ .

٤ - وجاء في ص ٣٢٣ « المصون لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن  
 سعيد العسكري ( ت ٣٩٥ هـ ) تحقيق عبد السلام محمد هارون . .

وقد اشتبه الدكتور والتبس عليه الأمر فنسب الكتاب لأبي هلال  
 العسكري وذكر وفاته ٣٩٥ بينا المصون لأبي أحمد العسكري المتوفى ٣٨٢ هـ  
 وهو أستاذ أبي هلال مؤلف ( ديوان المعاني ) و ( الصناعتين ) وعلى المصون

اعتمد أبو هلال في النقل والنقد في كتابيه المذكورين وقد اتفقا في اسميهما واسمي أبويها وجديهما !

٥ - وجاء في ص ٣٢٥ : تاريخ وفاة الميرزا محمد الاسترابادي صاحب منهج المقال ( ت ١٣١٣ ) وكان الدكتور قد ذكر تاريخ وفاته في ص ٢٩٢ بالهامية ( ١٣١٢ ) .

والصحيح أن تاريخ وفاته هو سنة ( ١٠٢٨ هـ ) .

٦ - وجاء في ص ٣٢٧ : تاريخ وفاة المؤرخ محمد بن يوسف الكندي سنة ٣٥٥ هـ والصحيح أنها سنة ٣٥٠ هـ .

\* \* \*

#### أخطاء الكتاب !

وقد صححت الأخطاء التي نبه عليها يجدرول في آخر الكتاب قبل قراءته غير أني عثرت على الأخطاء الآتية التي لم ينتبه اليها الدكتور لينبه عليها ، قدوتها أثناء القراءة ، وربما فاتني غيرها لم انتبه اليه :

| ص   | س  |                                                                               |
|-----|----|-------------------------------------------------------------------------------|
| ٤٩  | ٤  | تشيعرو - تشيعروا                                                              |
| ٥٧  | ٤  | الجائزة - الجائزة                                                             |
| ٦٢  | ٢  | بيلدته - بيلدته                                                               |
| ٦٨  | -  | تكرر رقم ٣ مرتين في الأصل .                                                   |
| ٧٧  | ٤  | من ولد - من ولد                                                               |
| ٩٢  | ١٣ | ثلاثون حجة ... حجة                                                            |
| ٩٢  | ١  | ويرامى له آل البيت مهزواين متعبين وخصومهم غلاظ عراض والصحيح : غلاظاً عراضاً . |
| ١٠٨ | ١  | ونكن - ولكن                                                                   |

| ص   | س                                    |
|-----|--------------------------------------|
| ١٠٨ | ٢ قبل شر الخلق - قبر شر الخلق        |
| ١١٣ | ١٢ سنوات قليلة - .. قليلة            |
| ١١٧ | ٣ على ضوء - والصحيح في ضوء           |
| ١٢٢ | ٨ بال يحينه - بأن ...                |
| ١٢٤ | ٧ علاقات - والصحيح علائق ، تكررت     |
| ١٢٥ | ٩ بالمبلون - بالمليون                |
| ١٤٣ | ١٣ الدعوة التي يدعزها - يدعو اليها . |
| ١٤٤ | ١١ علاقات - علائق                    |
| ١٤٤ | ١٢ فاعاد بذلك تصور - ... تصور        |
| ١٥٧ | ٤ وجيدة - وجيده                      |
| ١٦٨ | ١٣ انكرهم - انكرهم                   |
| ١٧٢ | - اختلاف أرقام الحواشي               |
| ٢٠٩ | ٣ واسقيهم - واسقيهم                  |
| ٢٣٥ | ١١ ستم - ستم                         |
| ٢٧٩ | ١١ مما خزائن - مما في خزائن          |
| ٢٨٠ | ١٦ المقرطة - المقرطة                 |
| ٢٩٠ | ٥ كتبه - كتبه                        |

هذا آخر ما لاحظته في قراءتي للكتاب السريعة وأرجو المندرة من  
الصديق الدكتور ومن القراء الكرام .

(النجف)  
عبد الصامب عمران الدجيلي الخزرجي



# آراء وأنباء

## انتخاب نائب رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق

عقد بتاريخ ١١/١/١٩٦٤ مجلس مجمع اللغة العربية بدمشق اجتماعاً قانونياً  
انتخب فيه بالإجماع العضو العامل الأستاذ عز الدين التنوخي نائباً لرئيس  
مجمع اللغة العربية الشاغرة وصدر بذلك قرار سيادة وزير التربية والتعليم الآتي :  
قوار رقم ( ٢٤٤٣ )

### وزير التربية والتعليم

بناء على القرار الجمهوري رقم ١١٤٤ لعام ١٩٦٠ ولا سيما المادة (٨) منه .  
وعلى القرار رقم (٣١) عام ١٩٦١ المتضمن اللائحة الداخلية لمجمع اللغة العربية .  
وعلى القرار الوزاري رقم (٤٨) تاريخ ١٦/٦/١٩٦١ الصادر بتنفيذاً لحكم  
المادة ٢٥ من القرار ١١٤٤ المذكور .

وعلى ضبط الجلسة القانونية التي عقدها الأعضاء العاملون بمجمع اللغة  
العربية بدمشق في اليوم الأول من شهر تشرين الثاني ١٩٦٤ والتي تم فيها  
انتخاب نائب الرئيس .

### يقرر ما يلي :

مادة ١ - يعين الأستاذ عز الدين التنوخي عضو مجمع اللغة العربية العامل  
نائباً لرئيس مجمع اللغة العربية بدمشق لمدة أربع سنوات من  
تاريخ هذا القرار .

مادة ٢ - يتقاضى الأستاذ عز الدين التنوخي نائب رئيس مجمع اللغة العربية  
بدمشق تعويضاً شهرياً معادلاً لراتب الدرجة الثالثة من المرتبة  
الأولى ، ويصرف من الباب الأول ( الراتب ) من موازنة المجمع .

مادة ٣ - ينشر هذا القرار ويبلغ من يلزم لتنفيذه .

دمشق في ١٧/٨/١٣٨٤ و ٢١/١٢/١٩٦٤

وزير التربية والتعليم

مصطفى هدار

## تجديد انتخاب أمين مجمع اللغة العربية بدمشق

عقد بتاريخ ١٩٦٤/١٢/١٩ مجلس مجمع اللغة العربية بدمشق اجتماعاً قانونياً جدد فيه انتخاب الأمين السابق الأستاذ جعفر الحسني بالإجماع وصدر بذلك قرار سيادة وزير التربية والتعليم الآتي (١) :

قرار رقم ( ٢٤٥٠ )

وزير التربية والتعليم

بناء على القرار الجمهوري رقم ١١٤٤ لسنة ١٩٦٠ ولا سيما المادة (٨) منه .  
وعلى القرار رقم ( ٣١ ) لسنة ١٩٦١ المتضمن اللائحة الداخلية لمجمع اللغة العربية ولا سيما المادة ٣٧ منه .

وعلى القرار الوزاري رقم ( ٤٨ ) تاريخ ١٩٦١/٦/١٦ الصادر تنفيذاً لحكم المادة (٣٥) من القرار ١١٤٤ المذكور .

وعلى ضبط الجلسة القانونية التي عقدها الأعضاء العاملون بمجمع اللغة العربية بدمشق في ١٩٦٤/١٢/١٩ والتي تم فيها انتخاب أمين المجمع

بقرار ما يلي :

١ - يحدد تعيين الأستاذ جعفر الحسني أميناً لمجمع اللغة العربية بدمشق لمدة أربع سنوات من تاريخ ١٩٦٥/١/٥ .

٢ - يتقاضى الأستاذ جعفر الحسني أمين المجمع تعويضاً شهرياً معادلاً لراتب موظفي الدرجة الثالثة من المرتبة الأولى . يعرض له من الباب الأول ( الرواتب ) من موازنة المجمع .

٣ - ينشر هذا القرار ويبلغ من يلزم لتنفيذ أحكامه .

دمشق في ١٣٨١/٨/١٨ و ١٩٦٤/١٢/٢٢

وزير التربية والتعليم

مصطفى مراد

(١) جدد انتخاب الأستاذ الأمير أميناً للمجمع للمرة الثالثة .



## أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق في سنة ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٥ م

### الرؤساء العاملون

١ - الرئيس : الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي

|   |                                 |    |                                        |
|---|---------------------------------|----|----------------------------------------|
| ٢ | الدكتور اسعد الحكيم             | ١٠ | الدكتور شكري فيصل                      |
| ٣ | =                               | ١١ | الأستاذ عارف النكدي                    |
| ٤ | الأمر جعفر الحسني (أمين المجمع) | ١٢ | الدكتور عدنان الخطيب                   |
| ٥ | الدكتور جميل صليبا              | ١٣ | الأستاذ عز الدين التتوخي (نائب الرئيس) |
| ٦ | =                               | ١٤ | الشيخ محمد بهجة البيطار                |
| ٧ | =                               | ١٥ | الدكتور محمد صلاح الدين الكواكي        |
| ٨ | =                               | ١٦ | =                                      |
| ٩ | الأستاذ شفيق جبوري              | ١٧ | الأستاذ محمد المبارك                   |

### الرؤساء المرسلون

| الجمهورية العربية السورية       | الجمهورية العربية المتحدة |
|---------------------------------|---------------------------|
| ١                               | ٦                         |
| الدكتور عبد الرحمن الكيالي      | الأستاذ أحمد حسن الزيات   |
| ٢                               | ٧                         |
| الأستاذ عمر ابو ريشة            | الدكتور أحمد زكي          |
| ٣                               | ٨                         |
| =                               | طاهر حسين                 |
| محمد سليمان الأحمد (بدوي الجبل) | ٩                         |
| ٤                               | الأمر يوسف كحل            |
| الدكتور قسطنطين زريق            | لبنان                     |
| ٥                               | ١٠                        |
| الأستاذ نظير زبتون              | الأستاذ أنيس المقدمي      |

|                                   |                                        |
|-----------------------------------|----------------------------------------|
| المملكة الليبية                   | ١١ الأستاذ بشارة اخوري (الأخطل الصغير) |
| ٢٨ الأستاذ علي الفقيه حسن         | ١٢ الدكتور صبحي المحمصاني              |
| الجمهورية التونسية                | ١٣ = عمر فروخ                          |
| ٢٩ الأستاذ حسن حسني عبدالوهاب     | فلسطين                                 |
| ٣٠ = محمد الطاهر ابن عاشور        | ١٤ الأستاذ قدري حافظ طوقان             |
| الجمهورية الجزائرية               | المملكة الهاشمية الاردنية              |
| ٣١ الأستاذ محمد البشير الابراهيمي | ١٥ الأستاذ محمد الشربقي                |
| المملكة المغربية                  | الجمهورية العراقية                     |
| ٣٢ الأستاذ عبد الله كنون          | ١٦ الأستاذ احمد حامد الصراف            |
| ٣٣ = علال الفاسي                  | ١٧ = ساطع الحمصري                      |
| تركية                             | ١٨ = عباس العزاوي                      |
| ٣٤ الأستاذ احمد انش               | ١٩ الشيخ كاظم الدجيلي                  |
| ايران                             | ٢٠ الأستاذ كور كيس عواد                |
| ٣٥ = الدكتور علي أصغر حكمت        | ٢١ الشيخ محمد بهجة الاثري              |
| الهند                             | ٢٢ الأستاذ محمد رضا الشيبلي            |
| ٣٦ الأستاذ آصف علي أصغر فيضي      | ٢٣ = الدكتور مصطفى جواد                |
| ٣٧ = أبو الحسن علي الحسيني الندوي | ٢٤ الأستاذ منير القاضي                 |
| باكستان                           | السودان                                |
| ٣٨ الأستاذ عبد العزيز الميني      | ٢٥ الشيخ محمد نور الحسن                |
| ٣٩ = يوسف البنوري                 | المملكة العربية السعودية               |
| فرنسة                             | ٢٦ الأستاذ حمد الجاسر                  |
| ٤٠ = الدكتور بلاشير (رجيس)        | ٢٧ = خير الدين الزركلي                 |
| ٤١ الأستاذ كولان (جورج)           |                                        |

|                                   |                            |
|-----------------------------------|----------------------------|
| اسبانية                           | ٤٢ الاستاذ لاوست ( هنري )  |
| ٥٢ الاستاذ غومز ( اميليو غارصيا ) | ٤٣ = ماسه ( هنري )         |
| النمسة                            | بريطانية                   |
| ٤٣ الدكتور اشتولز ( كارل )        | ٤٤ الاستاذ أربري ( أ. ج. ) |
| ٥٤ الاستاذ موجيك ( هانز )         | ٤٥ = جيب ( ٥. ١٠ ر. )      |
| ايطاليا                           | ٤٦ = غليوم ( الفرد )       |
| ٥٥ الاستاذ جبرائيل ( فرنسيسكو )   | المانية                    |
| هولاندة                           | ٤٧ الاستاذ ريتير ( هلموت ) |
| ٥٦ الدكتور شخت ( يوسف )           | ٤٨ = هارتمان ( ريشارد )    |
| الدانيمرك                         | السويد                     |
| ٥٧ الاستاذ بدرسن ( جون )          | ٤٩ الاستاذ ديدرنغ ( س. )   |
| فنلاندة                           | الولايات المتحدة الاميركية |
| ٥٨ الاستاذ كرميكو ( يوحنا اهنن )  | ٥٠ الدكتور خودج ( يبارد )  |
| البرازيل                          | ٥١ الاستاذ فيليب حتي       |
| ٥٩ الاستاذ رشيد سليم الخوري       |                            |



أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق الراحلون

| الجمهورية العربية السورية      |                                 |
|--------------------------------|---------------------------------|
| ١ الشيخ طاهر الجزائري          | ٢٣ الاستاذ قسطاكي الحمصي        |
| ٢ = سليم البخاري               | ٢٤ الشيخ كامل النزي             |
| ٣ = مسعود الكواكبي             | ٢٥ الاستاذ ميخائيل الصقال       |
| ٤ الاستاذ الياس قديمي          | ٢٦ الشيخ بدر الدين النعساني     |
| ٥ = أنيس ملوم                  | ٢٧ = راغب الطباخ                |
| ٦ = جميل العظم                 | ٢٨ = عبد الحميد الجابري         |
| ٧ = سليم عنخوري                | ٢٩ = عبد الحميد الكبيالي        |
| ٨ = عبد الله رعد               | ٣٠ = محمد زين العابدين          |
| ٩ = رشيد بقدونس                | ٣١ الدكتور صالح قنبار           |
| ١٠ = ادب التقي                 | ٣٢ الشيخ سليمان الأحمد          |
| ١١ الشيخ عبد القادر المبارك    | ٣٣ الاستاذ ادوار مرقص           |
| ١٢ الاستاذ معروف الأرناؤوط     | ٣٤ الشيخ سعيد العرفي            |
| ١٣ السيد محسن الأمين           | ٣٥ البطريك مار اغناطيوس افرام   |
| ١٤ الاستاذ الرئيس محمد كرد علي | ٣٦ الشيخ امين صويد              |
| ١٥ = محمد البزم                | ٣٧ الدكتور جميل الخاني          |
| ١٦ = سليم الجندي               | ٣٨ الاستاذ ميري قندلفت          |
| ١٧ الشيخ عبد القادر المغربي    | الجمهورية العربية المتحدة       |
| ١٨ الاستاذ الرئيس خليل مردم بك | ٣٩ الاستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي |
| ١٩ الدكتور مرشد خاطر           | ٤٠ = رفيق العظم                 |
| ٢٠ الاستاذ فارس الخوري         | ٤١ = احمد كمال                  |
| ٢١ الأب جرجس شلحت              | ٤٢ = احمد قيمور                 |
| ٢٢ = جرجس منش                  | ٤٣ = احمد زكي باشا              |
|                                | ٤٤ الدكتور يعقوب صروف           |

| لبنان                          |                                 |
|--------------------------------|---------------------------------|
| ٦٩ الاستاذ حسن بيهم            | ٤٥ السيد محمد رشيد رضا          |
| ٧٠ الأب لويس شيخو              | ٤٦ الاستاذ حافظ ابراهيم         |
| ٧١ الشيخ عبد الله البستاني     | ٤٧ = احمد شوقي                  |
| ٧٢ الاستاذ جبر صومط            | ٤٨ الشيخ احمد الاسكندري         |
| ٧٣ = عبد الباسط فنع الله       | ٤٩ الاستاذ اسعد خليل داغر       |
| ٧٤ الشيخ عبد الرحمن سلام       | ٥٠ = داود بركات                 |
| ٧٥ = مصطفى الغلاييني           | ٥١ الدكتور امين المعلوف         |
| ٧٦ الاستاذ عمر الفاخوري        | ٥٢ الاستاذ مصطفى صادق الرافعي   |
| ٧٧ = بولص الخولي               | ٥٣ الشيخ عبد العزيز البشري      |
| ٧٨ = امين الريحاني             | ٥٤ الدكتور احمد عيسى            |
| ٧٩ الامير شكيب ارسلان          | ٥٥ الأمير عمر طوسون             |
| ٨٠ الشيخ ابراهيم المنذر        | ٥٦ الشيخ مصطفى عبد الرازق       |
| ٨١ الاستاذ جرجي بني            | ٥٧ الاستاذ انطون الجميل         |
| ٨٢ الشيخ احمد رضا              | ٥٨ = خليل مطران                 |
| ٨٣ الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف | ٥٩ = ابراهيم عبد القادر المازني |
| ٨٤ = فيليب طرازي               | ٦٠ = محمد لطفي جمعة             |
| ٨٥ الشيخ فؤاد الخطيب           | ٦١ الدكتور احمد امين            |
| ٨٦ الدكتور تقولا فياض          | ٦٢ الاستاذ عبد الحميد العبادي   |
| ٨٧ الشيخ سليمان ظاهر           | ٦٣ الشيخ محمد الخضر حسين        |
| ٨٨ الاستاذ مارون عبود          | ٦٤ الدكتور عبد الوهاب عنان      |
| فلسطين                         | ٦٥ = منصور فهمي                 |
| ٨٩ الشيخ سعيد الكرمي           | ٦٦ الاستاذ احمد لطفي السيد      |
| ٩٠ الاستاذ نخلة زريق           | ٦٧ = عباس محمود العقاد          |
|                                | ٦٨ = خليل ثابت                  |



|                                 |                                     |
|---------------------------------|-------------------------------------|
| الهند                           | ٩١ الشيخ خليل الخالدي               |
| ١٠٩ الحكيم محمد أجمل خان        | ٩٢ الاستاذ عبد الله مخلص            |
| فرنسة                           | ٩٣ = محمد اسعاف النشاشيبي           |
| ١١٠ الاستاذ فران ( جبرئيل )     | ٩٤ الاستاذ عادل زعيتر               |
| ١١١ = هوار ( كليمان )           | ٩٥ الإب ١٠٠ م ٠٠ ص ٠٠ مرجعي الدومني |
| ١١٢ = برفا ( لوسيان )           | الجمهورية العراقية                  |
| ١١٣ = مانجور                    | ٩٦ الاستاذ محمود شكري الآلومي       |
| ١١٤ = كي ( ارتور )              | ٩٧ = جميل صدقي الزهاوي              |
| ١١٥ = بامه ( رينه )             | ٩٨ = معروف الرصافي                  |
| ١١٦ = مبشو بلير                 | ٩٩ = طاه الراوي                     |
| ١١٧ = مارسيه ( وليم )           | ١٠٠ الاب انستاس ماري الكرملي        |
| ١١٨ = دوسو ( رينه )             | ١٠١ الدكتور داود الحلبي             |
| ١١٩ = ماسينيون ( لويس )         | ١٠٢ الاستاذ طاه الهاشمي             |
| بريطانية                        | الجمهورية الجزائرية                 |
| ١٢٠ الاستاذ مرجليوث ( د ٠ م ٠ ) | ١٠٣ الشيخ محمد بن ابي شنب           |
| ١٢١ = بفت                       | المملكة المغربية                    |
| ١٢٢ = براون ( ادوارد )          | ١٠٤ الاستاذ محمد الحجوي             |
| ١٢٣ = كرينكو ( فريتز )          | ١٠٥ = عبد الحى الكداني              |
| المانية                         | تركية                               |
| ١٢٤ الاستاذ هومل                | ١٠٦ الاستاذ زكي مغامر               |
| ١٢٥ = ساخاو ( ادوارد )          | ايران                               |
| ١٢٦ = هوروفيتز ( يوسف )         | ١٠٧ الشيخ ابو عبد الله الزنجاني     |
|                                 | ١٠٨ الاستاذ عباس إقبال              |

|                               |                                 |
|-------------------------------|---------------------------------|
| ١٤١ = غريغيني (اوجينيو)       | ١٢٧ الاستاذ هارتمان (مارتين)    |
| سويسرة                        | ١٢٨ = مينفوخ (اوجين)            |
| ١٤٢ الاستاذ مونت (ادوارد)     | ١٢٩ = بروكلن (كارل)             |
| ١٤٣ = هنس (ج. ج. ٠)           | المجر                           |
| بولونية                       | ١٣٠ الاستاذ غولد صير (اغناطيوس) |
| ١٤٤ الاستاذ كوفالسكي (ت. ٠)   | ١٣١ = ماهر (ادوارد)             |
| تشكوسلوفاكية                  | الولايات المتحدة الاميركية      |
| ١٤٥ الاستاذ موزل (الوا)       | ١٣٢ الاستاذ ماكدونالد (د. ب. ٠) |
| هولاندة                       | ١٣٣ = هرزفلد (ارنت)             |
| ١٤٦ الاستاذ هورغرينيه (منوك)  | ١٣٤ = شارطون (جورج)             |
| ١٤٧ = اراندوك (ك. ٠)          | الاتحاد السوفياتي               |
| ١٤٨ = هوتسا (م. ت. ٠)         | ١٣٥ الاستاذ كراشكوفسكي (أ)      |
| الدانمارك                     | ١٣٦ = برنلز (ايفيكين)           |
| ١٤٩ الاستاذ بوهل (ف. م. ب. ٠) | اسبانية                         |
| ١٥٠ = استروب (ج. ٠)           | ١٣٧ الاستاذ آسين بلاسيوس (ميكل) |
| السويد                        | البرتغال                        |
| ١٥١ الاستاذ سترستين (ك. ف. ٠) | ١٣٨ الاستاذ لويس (دافيد)        |
| البرازيل                      | اطالية                          |
| ١٥٢ الاستاذ سعيد ابو حمرة     | ١٣٩ الاستاذ جويدي (اغنازيو)     |
|                               | ١٤٠ = فالينو (كارلو)            |



## بيان ما حققه

مجمع اللغة العربية بدمشق ( المجمع العلمي العربي ) (١)  
في دورة ( ١٩٦٣ - ١٩٦٤ )

ودع بجمعنا الدورة السابقة لعام ١٩٦٣ - ١٩٦٤ مرتاحاً للأعمال التي أنجزها من مشروعاته المقررة سابقاً للدورة المذكورة . وكان وافق على نشر ( ١٨ ) كتاباً ومخطوطة تم تحقيقها وأعدت للطبع بالإضافة إلى إصدار مجلته . وقد انجز المجمع طبع قسم منها على أن ينتهي من طبع البقية الباقية في الدورة اللاحقة . وهذه أسماء الكتب التي تم طبعها :

١ - أخطاء شائعة في ألفاظ العلوم الزراعية والنباتية : للأستاذ الأمير مصطفى الشهابي .

٢ - حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ( الجزء الثالث والآخر )  
لعبد الرزاق البيطار بتحقيق الأستاذ محمد بهجة البيطار .

٣ - الحيدة لعبد العزيز الكناني : بتحقيق الدكتور جميل صليبا .

٤ - خريدة القصر وجريدة العصر ( الجزء الثالث - في ذكر محاسن فضلاء الحجاز واليمن للعهد الأصفهاني الكاتب ) بتحقيق الدكتور شكري فيصل .

٥ - وصف المطر والسحاب لابن دريد : بتحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي .

٦ - شعر الراعي النميري وأخباره : للدكتور فاصر الحاني .

٧ - تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ( المجلد العاشر ) بتحقيق الأستاذ محمد أحمد دهمان .

(١) علام الأستاذ أمين المجمع في اجتماع مجلس المجمع المنعقد بتاريخ ١٠ تشرين الأول

- ٨ - سؤال في يزيد بن معاوية لابن قتيبة بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .
- ٩ - قرعة العيون في أخبار باب جيرون لابن طولون الصالحى : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .
- ١٠-١١ كتاب الأضداد في كلام العرب ( الجزء الأول والثاني ) لأبي الطيب اللغوي الحلبي : بتحقيق الدكتور عزة حسن .
- ١٢ - فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ( الفقه الشافعي ) وضعه الأستاذ عبد الغنى الدقر .
- ١٣ - فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ( قسم الشعر ) وضعه الأستاذ الدكتور عزة حسن .
- ١٤-١٥ فهرس مجلة المجمع العلمي العربي للسنوات العشر الثالثة ( الجزء الثالث - القسم الأول والثاني ) وضعه الأستاذ عمر رضا كحالة .
- ١٦ - الألفاظ العربية والموضوعة الواردة في السنوات العشر الثالثة في مجلة المجمع العلمي العربي جمعها الأستاذ عمر رضا كحالة .
- ١٧ - المقدمة في كتاب المسائل والأجوبة « مسألة رب » لابن السيد البطليوسي : بتحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي .
- ١٨ - النصف الثاني من المجلد ( ٣٨ ) والنصف الأول من المجلد ( ٣٩ ) من مجلة المجمع العلمي العربي .
- ونأمل أن يتم طبع الكتب التي تأخر طبعها بسبب تحيقها لأسباب مالية ، وذلك خلال دورة عام ١٩٦٤ - ١٩٦٥ .

الشؤون الادارية :

- ١ - جدد السادة أعضاء المجمع بالاجماع رئاسة سيادة الرئيس الأمير مصطفى الشهابي وصدر بذلك المرسوم ذو الرقم ( ٢٠٤ ) المورخ في ٢٦/١/١٩٦٤ .
- ٢ - تقرر بمناسبة بلوغ مجلة المجمع عقدها الخامس اصدار عدد ممتاز ، ذكرى هذه المناسبة ، يشترك بتحريره أعضاء المجمع العاملون والمراسلون وأعلام أدباء البلاد العربية .
- ٣ - وتقرر بهذه المناسبة ان يطبع بطريقة التصوير الجزء المخطوط النفيس ( ديوان الفرزدق ) المحفوظ بدار الكتب الظاهرية .
- ٤ - استكمل المجمع معاملة استملاك المقسمين من العقارين المجاورين لدار الكتب الظاهرية بغية توسيع دار الكتب وتحسينها .
- ٥ - اهدى المجمع مجموعات من مطبوعاته الى بعض الجامعات ودور الكتب في البلاد العربية .

دار الكتب الوطنية الظاهرية :

- أ - حققت دار الكتب بعض مشاريعها وادخلت تحسينات ادارية ملموسة منها : عدلت دوام موظفيها في شهور الشتاء والربيع والخريف من ست ساعات إلى اثني عشرة ساعة يومياً لتفصح مجال المطالعة لجميع فئات المواطنين .
- ب - جردت في أيام العطلة الصيفية مستودعات الكتب المخطوطة والمطبوعة ووجدت ما تلف من جزازات فهارسها .
- ج - صورت عدداً كبيراً من مخطوطاتها ، وقد تم حتى الآن تصوير نحو ثلثها ، كما انها أمنت تصوير كل ما طلب منها تصويره للبلاد الأجنبية .



د - عهدت إلى الأستاذ الشيخ ناصر الدين الألباني وضع فهرس لكتب الحديث المخطوطة ، وقد أنجز أكثره .

هـ - عهدت إلى السيدة أسماء المحمي أمينة المخطوطات وضع فهرس لكتب اللغة والأدب المخطوطة ، وقد بانرت عملها فيه .

#### اهداء كتب :

أهدى ورثة المرحوم عطا الأيوبي إلى دار الكتب الظاهرية كتب مورثهم ، كما أهدى ورثة المرحوم عبد الغني القادري كتب والدهم ، وهي كتب قيمة فاستمتعوا شكر الجمع وتقديره .

#### الوفيات :

فقد المجمع من أعضائه المراسلين في الجمهورية العربية المتحدة :

- ١ - المرحوم عباس محمود العقاد .
- ٢ - المرحوم خليل ثابت .

تغمدهما الله برحمته وأجزل ثوابهما .

جعفر الحسني



## مشروعات المجمع

لدورة ١٩٦٤ - ١٩٦٥ (١)

يستقبل بمجمنا دورته الحالية لسنة ١٩٦٤ - ١٩٦٥ بأمل أقوى وعزيمة أسمى تحمياً لأغراضه العلمية والإدارية ، معتمداً على جهود الأساتذة أعضاء المجمع وعلى مؤازرة أهل العلم والأدب .

ان نشر التراث القديم الذي أخذ بمجمنا على عاتقه إحياء نقائسه وبعث نواصره قد حظي بتقدير أهل الفضل في سائر البلاد العربية ، وتقدير المستشرقين في البلاد الأجنبية ، وزاد الإقبال على اقتناء كل ما نشره المجمع حتى نفد أكثره ، وهذا ما يشجع المجمع على المضي في خطته ضمن حدود مخصصاته المالية . وعزم المجمع في دورته هذه على طبع الكتب التالية :

- ١ - الجامع في أخبار أبي العلاء المعري ( الجزء الثالث والآخر ) لسليم الجندي : بتحقيق الأستاذ عبد الهادي هاشم .
- ٢ - تراجم الأعيان من أبناء الزمان ( الجزء الثاني ) للبوري : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .
- ٣ - أخلاق الوزيرين ( أو مثالب الوزيرين ) لأبي حيان التوحيدي : بتحقيق الأستاذ محمد بن ثابت الطنجي .
- ٤ - شعر دعبل بن علي الخزاعي : للدكتور عبد الكريم الأشتر .
- ٥ - جمهرة المغنين لخليل مردم بك : بمراجعة الاستاذين عدنان مردم بك وأحمد الجندي .

(١) تلاء الأستاذ أمين المجمع في اجتماع مجلس المجمع للنقد بتاريخ ١٠ تشرين الأول سنة ١٩٦٤ .

- ٦ - ديوان عبد الرحمن ابن النقيب : بتحقيق الأستاذ عبد الله الجبوري ومراجعة الأستاذ أحمد الجندي .
- ٧ - ما بنته العرب على فعال للصغاني : بتحقيق الدكتور عزة حسن .
- ٨ - معاني الشعر لسعيد بن هارون الأشنانداني : بتحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي .
- ٩ - فهرس المجلدة العاشرة من تاريخ دمشق لابن عساكر : وضع الآنسة ملك هنانو .
- ١٠ - فهرس مخطوطات الظاهرية ( قسم الحديث ) : وضع الأستاذ الشيخ ناصر الدين الألباني .
- ١١ - ديوان الغزي : بتحقيق الدكتور شكري فيصل .
- ١٢ - كتاب المفوات النادرة لغرس النعمة الصابي : بتحقيق الدكتور صالح الأشر .
- ١٣ - منتهى الطلب من أشعار العرب لمحمد بن المبارك بن ميمون ( بتحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي ) .
- ١٤ - خريدة القصر وخريدة العصر ( الجزء الرابع - قسم شعراء بلاد المعجم ) بتحقيق الدكتور شكري فيصل .
- ١٥ - ديوان الفرزدق .
- ١٦ - معجم مصطلحات الآثار ( فرنسي - عربي ) وضع الأستاذ الأمير يحيى الشهابي ، بمراجعة لجنة جمعية .
- ١٧ - مجلة الجمع العلمي ومنها العدد الممتاز .

الشؤون الإدارية :

- ١ - انتخاب نائب رئيس المجمع العلمي العربي .
- ٢ - ملء شواغر الأعضاء العاملين .
- ٣ - انتخاب أعضاء مراسلين .
- ٤ - انتخاب عضوي اللجنة الإدارية .

الإنشاءات :

توسيع دار الكتب الظاهرية .

وتحقيق هذه المشروعات منوط بما سيرصد لها في ميزانية عام ١٩٦٥ .

جعفر الحسني



# مجلة المجمع العلمي العربي

١ نيسان (ابريل) سنة ١٩٦٥ م ٣٠ من ذي القعدة سنة ١٣٨٤ هـ

## سوانح في اللغة والمصطلحات<sup>(١)</sup>

أقيمت في الدورة الماضية لمؤتمر المجمع جملة من السوانح في اللغة والمصطلحات . وهي خواطر شتى كانت ترد على البال عندما كنت أطلع في كتب قديمة أو حديثة .

والى الزملاء الأفاضل جملة أخرى من هذه الخواطر ليرأى رأيهم الصائب فيها :

### ١ - ضم كواسم أعجمية إلى ألفاظ عربية :

وجدت في بعض الكتب الحديثة المؤلفة بالعربية أو المنقولة إليها بعض مصطلحات عربية كل مصطلح منها مؤلف من قسمين قسم عربي وقسم أعجمي . ففي كتاب فلسفي وضع بالفرنسية ثم نقل الى لساننا بعنوان

(١) بحث أقامه الأمير مصطفى الشهابي رئيس المجمع في الدورة ٣١ ( ١٩٦٤ - ١٩٦٥ ) لمؤتمر جمع اللغة العربية في القاهرة .



« من الكائن الى الشخص » مؤلفه الفاضل الدكتور محمد عزيز الحبابي  
عميد كلية الآداب في الرباط وجدت مثلا مصطلحات عربية محدثة أطلقت  
على بعض العلوم ، أصولها عربية وكواسمها أعجمية كالمصطلحات الآتية :

فِكْرُولُوجِيَا : Idéologie

أُسْطُورُولُوجِيَا : Mythologie

جَمَالُوجِيَا ( إِسْتِيَتِيك ) : Esthétique

قِيَمُولُوجِيَا ( علم القيم ) : Axiologie

كَاثِنُولُوجِيَا : Ontologie

فالاقتصار على تعريب الكاسعة ( logie ) الدالة على العلم أو البحث ،  
أو المذهب ، ولصقها بكلمات عربية النجار ، أمر لا أظن ان الذوق العربي  
يسوغه . ومن الأصلح أن يقال على التتابع : علم الأفكار ، وعلم الأساطير ،  
وعلم الجمال ، وعلم القيم ، وعلم الكائن . وإذا أريد أن تُترجم الكلمة  
الفرنسية الواحدة بكلمة عربية واحدة يمكن اللجوء الى المصدر الصناعي  
فيقال : فِكْرِيَّات وأُسْطُورِيَّات الخ .

أما إذا جاز مسaire المتساهلين في شؤون التعريب وجب تعريب الكلمة  
الأعجمية كلها فيقال : إيدولوجية ، وميتولوجية ، وإستاتيك ، وأكسيولوجية ،  
وأنتولوجية ، ومع هذا فالتعريب لا يجوز في نظري اللجوء اليه في مثل  
هذه الكلمات التي تسهل ترجمتها .

ومن هذا القبيل كلمات قدل في علم الكيمياء على أجسام أو جذور  
عضوية كالكلمات الأعجمية الآتية ، فقد وجدت أنها نقلت الى العربية على  
الشكل الآتي :

خَلْثُون : Acétone

خَلْثِيل : Acétyle

قَحْمِيل : Carbonyle

|           |   |             |
|-----------|---|-------------|
| Formyle   | : | نَتْلِيل    |
| Allyle    | : | تَوْمِيل    |
| Glucoside | : | سُكْرِيد    |
| Glucides  | : | سُكْرِيَّات |
| Peptide   | : | مَضْمِيد    |
| Protéide  | : | مَيُولِيد   |

ولا أدري مبلغ الحاجة إلى التمسك بالأصول العربية صحيحة كانت أو غير صحيحة في مثل هذه الأجسام أو الجذور . والذي أراه تعريب الكلمات الأعجمية كلها لا الاكتفاء بتعريب الكواسع فيها . والكيمياء ، على ما هو معروف ، هي العلم الذي يكون فيه للتعريب المجال الأوسع ، لأن العناصر الكيميائية التي كُشف النقاب عنها حديثاً كثيرة ، ولأن المركبات الكيميائية التي تُصنع بإضافة الصدور والكواسع ، ولا سيما باستعمال التركيب المزجي ، لا حد لها .

وهذه الملاحظات ترد في علوم مختلفة . ففي الزراعة مثلاً لا نقول خيلولوجيا Hippologie بل نقول علم الخيل . وفي النبات لا نقول شجرولوجيا Dendrologie بل نقول علم الشجر . وهكذا في العلوم السائرة .

## ٢ — المتخصص والإخصائي والاختصاصي :

هذه ثلاث كلمات عربية تطلق على ما يسمى بالفرنسية Spécialiste . وقد لاحظت أن عدداً كبيراً من أعضاء مجعنا لا يستعملون في مكنوباتهم إلا كلمة متخصص ، أو أنهم قلما يستعملون غيرها . ولاحظت أن بعض الكتاب يرجعون كلمة إخصائي على غيرها لقربها من معنى الأعجمية ، فالإخصائي هو من يتعلم علماً واحداً ، فكأنه قصر عليه جهده . ولكن كتاباً آخرين تمج أدواقهم هذه الكلمة لأنها هي والخصية من أرومة واحدة .

وقد تُسهي عن ذكر الإخصاء بهذا المعنى في المعجم الوسيط . ولم يذكر فيه إلا المتخصص .

والكتاب الذي يستعملون كلمة اختصاصي قلة . أما أنا فكثيراً ما استعملتها . ولها أشباه كثيرة في العلوم الحديثة . فنحن كثيراً ما ننسب الى المصدر أو الاسم في مثل قولنا : « اقتصاديون واجتماعيون واشتراكيون وقوميون ووطنيون وجغرافيون » ، أو الى اسم الفاعل كقولنا : « مؤرخون ومتخصصون وزارعون » وهم جراً .

ويلوح لي أن استعمال المنسوب الى المصدر أصلح من استعمال اسم الفاعل في كثير من المصطلحات الحديثة الدالة على الذين يمارسون علوماً أو ينتسبون الى مذاهب خاصة . فالاقتصادي غير المقتصد . ولا أحد يجهل أن الأول في اصطلاحنا هو الذي يمارس علم الاقتصاد أو يكون له خبرة فيه ، وأن الثاني هو الذي لا ينفق إلا الضروري في معيشته ويوفر البقية من دخله . ونجد مثل ذلك أن الاشتراكي غير المشترك والشيوعي غير الشائع وهكذا . ومن الواضح أن النسبة الى المصادر والأسماء كثيرة في مصطلحات العلوم الحديثة .

٣ - هل يُعد قياسياً استعمال 'فُعِلَ' ( بضم الفاء ) لإصابة النبات بآفة ؟

صادفتُ غير مرة في المعجمات وفي كتب قديمة شتى مثل قولهم أرض الخشب : أكلته الأرضة ، وسُرِقَتِ الشجرة : أصابها السرقة .

وفي الخصاص ( ج ١٥ ص ٧٢ ) ورد باب سماء ابن سيده « باب ما جاء من الأفعال على صيغة ما لم يُسم فاعله » . وذكر من أفعال هذا الباب عُثِيَ بالحاجة ، وعُثِنَ في البيع ، وهُزِلَ الرجل . . . الى أن قال : « وأرقَ الزرع » : أصابه الأرقان وكذلك جميع آفات النبات .  
فهذه الجملة الأخيرة هي التي استوقفت نظري ، وجعلتني أتساءل هل يجوز

لنا اشتقاق أفعال على هذا الوزن من أسماء تدل على آفات تصيب النباتات وليس لتلك الأفعال ذكر في المعجمات ؟ كأن نقول مثلاً 'قُتِرَ الزرع' : أصابه فأر الحقول ، وقُتِعَ الخشب' : أصابه دود الفتّاع ، وشُقِرَ النبات' : أصابه مرض الشقيران وهو المسمى مرض الصدأ Rouille ، ورُصِعَ الزرع' : أصابه الرُصَع وهو اختناق الجذور لكثرة الماء في التراب Asphyxie ، ومُذِلَ الوز' : أصابه طفيلي المدال أي الدبقي Gui ، وكُشِتَ الكتان' : أصابه الكشوت Cuscute ( الحامول في مصر والهاوك في الشام ) وهكذا .

ومن الطبيعي أن اتخذ قرار في هذا الموضوع يحتاج إلى دراسة للمعشور على نص آخر علاوة على النص الذي يستوقف النظر في المخصص .  
 ٤ - أيقال وِقَاء الحريق أي من الحريق وَوِقَاء الصقيع أي من الصقيع ؟  
 كثيراً ما نحتاج في ترجمة المصطلحات الأعجمية إلى استعمال باب الإضافة في لساننا ، فالقضيبي المسمى Paratonnerre مثلاً سماه بعضهم موصل الصواعق ، وسماه آخرون حربة الصاعقة ، وقال غيرهم مانعة الصاعقة ودافع الصاعقة ، على حين أن هذا القضيبي لا يدفع الصاعقة بل يجذبها فتتقيها البيوت المجاورة .  
 فأرى أنه من المستحسن استعمال كلمة « الوِقَاء » في هذا الاصطلاح وأشباهه من المصطلحات الأعجمية المصدرة بالصدر Pare أو Para بمعنى الوقاية ، فيقال مثلاً وقاء الصاعقة ، ووقاء الحريق Pare - feu ، ووقاء الصقيع Paragelée ، ووقاء البَرَد Paragrêle ، ووقاء الصدمات Pare - chocs ، ووقاء الدخان Pare - fumée ، الخ . وكلها بمعنى ما وُقِيتَ به من الصاعقة أو الحريق أو الصقيع أو البَرَد أو الصدمات أو الدخان ، ولكن الوقاء ( بالفتح والكسر ) هو ما وُقِيتَ به الشيء لا ما وُقِيتَ به من الشيء .  
 فوقاء الصاعقة هو لغوياً ما بقي به الصاعقة ، لا ما بقي به من الصاعقة .  
 وهكذا في بقية الأمثلة . ويكون إذن قولنا وقاء الصاعقة معناه ما بقي

الصاعقة نفسها من شيء آخر يحل بها ، وهو عكس ما نريد . . وكذلك قولنا مثلاً وقاء الصدمات فقد يكون معناه واتي الصدمات لا الواقي من الصدمات

وقد فتشتُ فيما لديّ من كتب الصرف عن نص أو تخريج يحيز لنا في مثل هذه الإضافات إلقاء حرف الجرّ « مِنْ » ، فلم أعثِر على شيء . ولكنني وجدتُ في الكامل للمبرد ( ج ١ ص ٢٤٣ - ٢٤٤ ) شرحاً للبيت الآتي :

أهابوا به فازداد بعداً وصَدَّهُ  
عن القرب منهم ضوء برقٍ ووابله  
فقال المبرد : إن صاحب هذا البيت قد أضاف الوايل من المطر الى البرق وليس هو له . . الى أن قال : وقد يضاف ما كانت كذلك على السعة كما قال الشاعر :

حق أنحت قلوصي في دياركم بخير من يحتذي نعلًا وحافيا  
فأضاف الحافي الى النعل والتقدير حاف منها .

قلت في وسعنا إذن أن نعمل برأي المبرد ، وهو من هو ، فنقول على السعة : وقاء الصاعقة ووقاء الصقيع الخ . وبذلك نكون قد جعلنا المصطلح العربي مؤلفاً من كلمتين بدلاً من ثلاث كلمات . ولا يُحتمل حصول التباس في المعنى لأنه لا يتصور أحد أن المراد وقاية الصاعقة لا الوقاية منها . وكذلك في بقية الأمثلة .

هـ - صوغ مُفَعَّلَةٍ من أسماء الأعيان التي جاوزت ثلاثة أحرف ، للمكان

الذي تكثر فيه الأعيان .

من قرارات المجمع : « تصاغ مُفَعَّلَةٌ قياساً من أسماء الأعيان الثلاثية الأصول للمكان الذي تكثر فيه الأعيان ، سواء أكانت من الحيوان ، أم من النبات ، أم من الجاد ، .



وقد كنت وضعت على هذا الوزن عدة ألفاظ عربية أمام ألفاظ  
افرنسية تدل على أماكن أعيان مثل مَلْبَسَة ومَرْبَدَة ومَقْشَدَة ومَقْطَنَة  
وموردة ومرزقة ومقصبة ومأسلة ومفرسة ومبقرة الخ .

ولكن أسماء المواليد الثلاثة ليست كلها مؤلفة من ثلاثة أصول .  
والأسماء المؤلفة من أربعة أحرف أو أكثر ليست قليلة . وفي المعجمات  
جاءت صفات الأرضين التي تكثر فيها تلك الأعيان إما على وزن مَفْعَلَة  
أو على غيره . فما جاء على وزن مَفْعَلَة قولهم مَتَفَحَة من التفاح ومَدْرَجَة  
من الدُرَّاج ، ومَبْطَخَة من البطيخ ، ومَرْمَنَة من الرمان ، ومَقْنَأَة  
من القنأ . وما جاء على وزن فَعِيلَة قولهم : أرض جَرِيدَة من الجردان ،  
وضَبِيبة من الضباب . وقالوا على وزن مَفْعُولَة أرض مَذْبُوبَة من  
الذباب ، ومسروبة من السرو الخ .

والذي استوقف نظري في الخصاص قول ابن سيده ( ج ١٤ ص ٢٠٥ ) :  
« . . . وقد قدمت » ( ج ١٤ ص ١٩٨ ) أنهم لم يستعملوا مَفْعَلَة فيما جاوز  
الثلاثة ، وأبدلوا مكانه مَفْعَلَة كراهية الحذف كما قدمت وذلك قولهم  
أرض مُثْعَلِيبة من الثعالب ، ومعقرية من العقارب . وحكى أبو الحسن  
معنكية من المناكب . وقد قالوا أرض مؤرنبة من الأرناب ، ومخرنقة  
من الخرائق وهي أولاد الأرناب .

وجاءت هذه الألفاظ كلها على وزن لفظ المفعول . وعلل ابن سيده  
ذلك عن سيبويه ( ج ١٤ ص ١٩٨ ) بأن الوزن المذكور هو أيضاً لفظ  
المكان فيما جاوز ثلاثة أحرف . أما أصحاب الصحاح واللسان والتاج  
فقد جعلوا الألفاظ المذكورة بالكسر فقالوا مثعلبية ومعقرية وهكذا .  
وبعد أفى وسعنا ياترى أن نستعمل وزن مَفْعَلَة ( أو بالكسر )  
للمكان الذي تكثر فيه أجناس وأنواع من مختلف النباتات والحيوانات ،  
مشتقين هذا الوزن من أسماء جاوزت ثلاثة أحرف ؟ فالفرنسيون عديم

الكاسعة (aie) وهي تدل خاصة على مغرس نوع من أنواع الشجر .  
وعندهم الكاسعة (erie) وغيرها ، ومن معانيها مكان الشيء أو العمل .  
أما عندنا فوزن مفعلة في هذا الباب غير قياسي ، ثم ان بعض الكلمات  
التي تصاغ على هذا الوزن بما جاوز ثلاثة أحرف قد يعجبها الذوق أحيانا .  
وهاكم بضعة أمثلة .

|              |             |                                                                                |
|--------------|-------------|--------------------------------------------------------------------------------|
| مُصَنَّبَرَة | Pineraie    | حَرْجَة صنوبر                                                                  |
| مُزَيَّنَة   | Olivaie     | مغرس زيتون                                                                     |
| مَصْفَصَة    | Saulaie     | غضة صفصاف                                                                      |
| ممرنة        | Frênaie     | حرجة مران                                                                      |
| مسرخصة       | Fougeraie   | كثيرة السرخس ( أرض )                                                           |
| متدرجة       | Faisanderie | مربي التدرج                                                                    |
| مُدَجَّجَة   | Poulailler  | بيت الدجاج ، وهو الخُصم والناس<br>تقول مُدَجَّجَة على وزن مَفْعَلَة وهي أصلح . |
| مُتَنَّبَة   | Sapinière   | حَرْجَة تَنُوب . ويمكن أن<br>يقال مُتَنَّبَة على وزن مَفْعَلَة .               |
| مبرتقة       | Orangérie   | بستان برتقال                                                                   |

النخ .

ولا بد من التساؤل عما هو الأرجح ، أهو اشتقاق كلمة واحدة على  
وزن مفعلة أم الدوام على استعمال كلمتين عربيتين أمام كل كلمة فرنسية ،  
وهو ما اتبعته حق الآن ؟ والجواب عن ذلك رهن بالذوق ، ويجدى قبول  
كل كلمة مشتقة ، ومدى شيوعها .

مصطفى السراي



## بقايا الفصاح

ذكرت في مقالٍ متقدم أن العامة تتصرف في اللغة تصرفاً غريباً ،  
فتنقل معنى اللفظ من وجهٍ خاصٍ إلى وجهٍ عامٍ ، من هذا الشكل نقلها  
معنى الخشخشة ، فاتاً نجد في القاموس المحيط أن الخشخشة معناها :  
صوت السلاح وكل شيء يابس إذا حك بعضه ببعض . إلا أن هذه  
المادة لم تبق على وضعها ، فقد نقلتها العامة في عصرنا إلى معنى أعم (١) ،  
كما أن هذه المادة قد نقلت في القديم إلى مثل ما نقلت إليه في الحديث ،  
فقد نجد في المجلدة العاشرة من تاريخ ابن عساكر في أخبار بلال بن رباح  
ما يلي : أصبح رسول الله ﷺ فدعا بلالاً فقال : يا بلال ، يمّ سبقتني  
إلى الجنة ، ما دخلت الجنة قط إلا سمعت خشخشتك ، إني دخلت البارحة  
الجنة فسمعت خشخشتك أمامي . وقد تكرر هذا الحديث في الأخبار  
نفسها على أوجهٍ شتى .

من ذلك يتبين لنا أن الخشخشة لم يبق لها المعنى الذي أشار إليه  
الفيروزابادي . فالخشخشة في الحديث الشريف الذي وردت فيه تومي  
إلى صوت رجل لا إلى صوت سلاح ولا إلى صوت شيء يابس حك بعضه  
ببعض فمما تحدد معجمات اللغة معاني الألفاظ فإنها لا تستطيع أن تحدد  
هذه المعاني من مجامع وجوهرها ، فلا بد في كثير من الأحوال من الرجوع  
إلى المصطلح والمتعارف ، ولا بد لبعض الألفاظ من انتقال معانيها على

---

(١) وقوله ( وكل شيء يابس إذا حك بعضه ببعض ) هو معنى عام لا خاص بالسلاح .  
( لجنة المحلة )

تعاقب العصور من وجهٍ الى وجه . ولفظ الخشخشة دليل على ما ذكرت ، إلا أن الذي يهمننا في هذا المقام إنما هو بقاء هذا اللفظ الفصيح حتى يومنا هذا ، ونحن نظنه عامياً ، ولكنّه في هذا البقاء تحول من وجه الى وجوه كثيرة ، فإنا نطلقه على أصوات مختلفة لم تحدّد معانيها المعجمات ، فإذا زحفت مثلاً حية بين التعاشيب وسمعنا صوت زحفتها فإنا نقول في أحاديثنا : سمعنا خشخشة بين العشب (١) ، أو إذا سمعنا حركة ورقة تلعب بها الريح قلنا : سمعنا خشخشة ، وما أكثر المواطن التي تستعمل فيها الخشخشة على غير الوجه الذي ذكره الفيروزآبادي .

فالخشخشة من بقايا الفصحاح التي تقع على ألسن العامة كل يوم . ومن هذا القبيل لفظ نَسَرَ يده ، فقد يحوز أن نعتقد أن النثر عرفة وأن أصلها نثر ، بالهاء ، إلا أن النثر بالهاء فصيحة ولها معانٍ كثيرة ، في جملة هذه المعاني : الجذب يحفاء وتغليظ الكلام وتشديده ، وقد حافظت هذه المادة على أصل معناها ، فإنا نجد في تاريخ ابن عساكر ، في المجلدة التي تقدّم ذكرها ، في أخبار تميم بن أوس الداري حديثاً طويلاً جاء في تضاعيفه : ثمّ ينتره ملك الموت فترةً فينزع روحه من ركبتيه ، فيلقها في حقويه . فالنثر في هذا المقام يتضمن الشدة وهذا ما دلّت عليه معجمات اللغة ، ونقول في دمشق : نثر في وجهه ، ونحن نريد بذلك تغليظ الكلام وتشديده ، فلم نخرج في قولنا هذا عن أصل معنى المادة ، فكما تنتقل معاني الألفاظ على مرّ السنين من وجهٍ الى وجهٍ فكذلك قد تحافظ على أصل معناها ، كما حافظت مادة نثر على هذا الأصل .

ومن الألفاظ التي نستعملها كل يوم في أحاديثنا ونظنّ أنّها عامية لفظ باخ ، ولست أدري هل أشرت إليها في المقالات المتقدمة ، وكيف كان

(١) لأنها بمركنها تتحرك الأشياء البابتة تحتها كالأعشاب والأوراق والميدان فيسبح لها خشخشة .  
( لجنة اللغة )

الأمر فقد ظفرت بها في موطن جديد لا بأس بذكره ، في معجم الفيروزآبادي من معاني باخ : سكن ، فيقولون باخت النار ، وباخ الغضب . جاء في شعر الشريف الرضي :

قد مضى الدهر وعفى بعمكم لا الجوى باخ ولا الدمع رقا  
فالشريف ، نضر الله أعظمه ، استعمل هذه المادة على معناها الحقيقي ، فالجوى : الهوى الباطن أو الحزن أو الوجد الشديد ، وكل هذه الأمور قد تسكن ، إلا أن العامة في دمشق قد تصرفت في هذه المادة ، فنقلت معناها من وجه حقيقي إلى وجه مجازي ، فنحن نقول : باخ الثوب ، ونريد بذلك تغير لونه أو ذهب بريقه من وقع الشمس أو من الغسل وغير ذلك ، ثم توسعنا في باب المجاز فقلنا : نكتة بايخة ، أي باردة لا روتق لها .

ليست الغاية من بقايا الفصحاح الإتيان على الألفاظ الفصيحة في لغة العامة ، فأكثر ألفاظ العامة فصيحة ، مثل الأكل والشرب والنوم واللبس ونظائرها ، وإذا الغاية من بقايا الفصحاح ذكر طائفة من الألفاظ نظنها عامية وهي فصيحة وردت في كلام المتقدمين ، إما على أصل معناها وإما على معنى معدل ، من هذا النوع ألفاظ كثيرة تتصل بالمران والأكل واللباس ونحو ذلك ، أو ألفاظ تتصل بمخاطبة الحيوانات مثل : هيش ، وزعر بالجمش ترعيراً إذا دعاه للمقاد فقال : إزعر إزعر !

فمن لغة الأكل : الناطف ، وهي أكلة شامية معروفة في أيامنا ، فقد جاء في الأغاني في أخبار ابن هرمة ما يلي : وإذا حيال الدكان رجل بين يديه ناطف يبيعه في يوم شات ، شديد البرد ، ثم جاءت هذه المادة في شعر ابن هرمة نفسه :

لا تبتغي ابن البعير وعندنا ماء الزبيب وناطف المعصار



ولا بأس بأن تنتقل الآن من المواد المفردة الى بعض الجمل الفصيحة التي لا تزال شائعة على ألسن العامة على نحو ما شاعت في القديم ، فمن قولنا في دمشق "حط" عينه عليه ، والضمير في عليه إما أن يرجع الى شيء وإما أن يرجع الى شخص وغير ذلك ، ونحن نريد بقولنا : "حط" عينه عليه ، استحسنه وأراد الاستبداد به ، وقد ورد هذا التركيب نفسه في لغة المتقدمين على تعديل يسير ، قبلاً من "حط" ، قالوا وضع ، فقد جاء في الأغاني في أخبار حماد عجرد ما يلي : كنت في مجلس فيه حماد عجرد ومعنا غلام أمرد فوضع حماد عينه عليه وعلى الموضع الذي ينام عليه . . . الى آخر الخبر . وقد نتعرف في استعمال هذا التركيب تصرفاً كثيراً فنقول في بعض مخاطباتنا : "حط" عينه على الوزارة أو على الرئاسة أي أرادها وأخذ يسمى في سبيلها .

ومن الجمل الفصيحة قولنا : لا أخليه يمشي على الأرض . إنا نقول مثل هذا القول إذا بلغ منا الغضب على فلان كل مبلغ حتى كأننا عزمنا على قتله ، وقد جاء في السيرة لابن هشام في كلامه على إسلام عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ما يلي : فقال له فعيم : والله لقد غرتك نفسك يا عمر ! أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمداً ... فلم يتغير من قوة هذا التركيب شيء في عصرنا ، فقد بقي على قوته ، إلا أننا استعملنا في لغتنا العامية : خلّى بدلاً من ترك ، وليس في هذا الاستعمال ما يضعف من قوة الكلام .

والجمل الفصيحة التي لا تزال تقع على ألسن العامة في أيامنا كثيرة ولا بأس بذكر قليل منها في خاتمة هذا المقال .

إنا نقول في بعض أحاديثنا : إنتظر حتى تهدأ الرجل . ونحن نرمي في ذلك الى خفة الازدحام أو الى خلوة الطريق ، وقد نجد هذا التعبير نفسه في القديم ، فقد جاء في الأغاني في أخبار عدي بن زيد ما يلي :

وقال لعدي : ائتني الليلة إذا هدأت الرجل لتعلم حالي ... فلم يطرأ على هذا التعبير القديم طارىء ..

كما أننا نقول في مخاطباتنا : كإني أحكي مع الحيطان ، وهو قول يدل على موت حس من مخاطبتهم ، جاء في الأغاني في أخبار حنين الحميري : قال حنين خرجت الى حمص ألتبس الكسب بها وأرتاد من أستفيد منه شيئاً ، فسألت عن الفتيان وأين يجتمعون ، فقيل لي : عليك بالحمامات ، فانهم يجتمعون بها إذا أصبحوا ، فبحثت الى أحدها فدخلته ، فاذا فيه جماعة منهم ، فأنست وانبسطت وأخبرتهم أنني غريب ، ثم خرجوا وخرجت معهم ، فذهبوا الى منزل أحدهم ، فلما قمنا أتيننا بالطعام فأكلنا وأتيننا بالشراب فشربنا ، فقلت لهم : هل لكم في مقن يغتنيكم ، قالوا : ومن لنا بذلك ، قلت : أنا لكم به ، هاتوا عوداً ، فأتيت به ، فابتدأت في هنيئات أبي عباد معبد ، فكأنما غنيت للحطيان ، لا فكهوا لغنائي ، ولا سرّوا به . . . . فاذا جاوزنا ما يشتمل عليه هذا الخبر الطريف من إعلامنا بمجتمعات الناس في حمص أبتام حنين وهي الحمامات ، فإتانا نقف على هذا التعبير الطريف : فكأنما غنيت للحيطان ، وهل في اللغة تعبير أقوى من هذا التعبير في الدلالة على موت الحس والذوق ، ولم يفقد هذا التعبير شيئاً من قوته وطرافته في عصرنا هذا .

وأخيراً أي كناية أحلى من هذه الكناية : اغسل يديك منه ، نقولها كل يوم إذا قطعنا الأمل من أمر من الأمور شغلنا به أذهاننا ، أو من رجل من الرجال صرفنا إليه آمالنا ، لقد عاشت هذه الكناية في لغتنا العامية ألف سنة ، فاتاً نجدتها في شعر أحمد بن علي القاساني في أخباره في معجم الأدباء :

اغسل يديك من الثقات واصرهم صرم البتات

. وهكذا نجد ان العامة تميل في أحاديثها الى المجازات والكنايات وهي لا تشعر بأنها تستعمل لغة الشعراء في كلامها .

\* \* \*

أكتفي في هذا المقال بما ذكرته من بقايا الفصاح ، وسواء أكانت هذه البقايا من المفردات أم كانت من الجمل إنا لا نشك في قوتها ، وسأعود الى هذا الموضوع حتى نرى كيف نقلب معاني المفردات في بعض الحالات من وجه شريف الى وجه دنيء كما فعلنا في نقل معاني العصاة والجراثمة .

سفيان مبري



## أدب الفقهاء

- ٣ -

ولم أعرج على ذكر القضاة أمثال شريح ويحيى بن أكثم وأحمد بن أبي دؤاد ، فانهم بحكم منصبهم الكبير ومدخلتهم للخلفاء وتعلق آمال الناس بهم ومدح الشعراء لهم وقيامهم في المقامات المشهودة وتمكنهم من ناضية الكلام ، قد ارتفعوا عن مستوى الفقهاء الذين لا يُظَنُّ بهم الأدب وينتقد شعرهم بمجافاته لأساليب العرب . . على أن تتبع ذلك بطول فلنتقل الى طبقة الفقهاء المتقدمين من أتباع المذاهب بعد ما ذكرنا من شعر فقهاء التابعين والأئمة المجتهدين . فمنهم :

### أحمد بن الممّذل

من فقهاء المالكية الكبار ، ولم يكن لمالك بالعراق أرفع منه ، كان يسمى الراهب لفقّه ونسكه ، وكان يُعدّل بأحمد بن حنبل ، وهو أخو عبد الصمد بن الممّذل الشاعر المشهور وكان يسكن مع أخيه في دار واحدة . وكان عبد الصمد منهمكاً في الشراب ، فكان أحمد يبكر إلى صلاة الصبح وهو إمام المسجد ، فيسر بأخيه وهو سكران ، فيحركه ويقول : ( أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض ) الآية . وثارة يقول ( أفأمن أهل القرى أن يأتهم بأسنا ) الآية . فيقول عبد الصمد ويرفع رأسه ( وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ) الآية . ومن شعره ما رواه المبرد قال : رأيت أحمد بعرفات مضجياً للشمس لا يستظل . فقلت ما هذا يا أبا الفضل ؟ فقال :

ضَحِيَّتْ لَكِيَا أُسْتَظَل بِظِلِّهِ إِذَا الظِّلُّ أَضْحَى فِي الْقِيَامَةِ قَالِصَا  
فِيَا أَسْفَى إِنْ كَانَ سَعِيكَ بَاطِلًا وَيَا حَزَنًا إِنْ كَانَ أَجْرُكَ نَاقِصَا  
قَالَ فِي الْمَدَارِكِ : وَأَنْشَدَ لَهُ الْخَضِرْمِيُّ :

أَخُو دَنْتَ رَمْتَهُ فَأَقْصَدْتَهُ سَهَامٌ مِنْ لِحَازِكٍ لَا تَطِيشُ  
قَوَاتِلَ لَا قِدَاحَ سِوَى أَحْوَارٍ بَيْنَ وَلَا سِوَى اللَّحْظَاتِ رِيَشُ  
أَصْبَنَ سَوَادَ مَهْجَتِهِ فَأَضْحَى سَقِيًّا لَا يَمُوتُ وَلَا يَعِيشُ  
كُنَيْبٌ إِنْ تَحْمِلَ عَنْهُ جَيْشٌ مِنْ الْبَلَوَى أَلَمْ يَهْجُوشِ

وهذه الأبيات في رقتها وجزالتها لا تصدر إلا عن طبع مذهب وشعور عميق بالجمال ، وهو الجمال البشري المرموق المشوق ، لا ما يرمز إليه الصوفية من جمال الحضرة العلية ، فإن هذه النزعة لم تكن ظهرت في ذلك الوقت . وقد تستغرب من صاحب البيتين آنفي الذكر ، ولكن الأمر هو على ما يعمد في أصحاب النفوس ذات الحساسية البليغة ، من شدة التأثر بالمواقف العاطفية والمشاهد الوجدانية .

فشاعرنا الفقيه لما كان بعرفات متعرضاً لنفحاتها مستغرقاً في روحانية مشاعرهما لم يملك إلا أن يكون كما رآه المبرد ويقول ما قاله من ذلك الشعر المطبوع بطابع الزهد والتقوى . وفقهينا الشاعر أمام العيون التي في طرفها حور لم يستطع أن يخفي انفعاله بسحرها ووقوعه في أمرها ، فقال تلك الأبيات الرائقة للمعجبة التي لا تُؤْتَى من ضعف في الشكل ولا في المضمون . إنها طبيعة واحدة فما يصدر عنها وإن اختلف في صورته لا يختلف في مادته ، والشعر ليس خاصاً بالكاس والطاس وما كان من ذلك بسبيل ، فرب أبيات في المطالب العالية للنفس أقرب إلى الشاعرية من كثير من الشعر الذي يقوله أصحابه في الهوى والشباب بما يظن أنه مادة الشعر الأولى . على أنه لا بد من تدير النفس بين نزعاتها المختلفة والتنقل بها من حال إلى حال :



ولله مني جانب لأضيعة وللشور مني والبطالة جانب  
وقال المبرد : ذكر الدولابي في كتاب نزهة الأسرار أن ابن المعتدل  
قال له أهل حين ورد القاضي يحيى بن أكرم البصرة : لو أتيت يحيى  
فسألته ، وقد أصابهم ضرر ، فلم يجهم . ثم قال هذين البيتين :  
تَكَلَّفْتُني اذْلالَ نفسي لعزها وهان عليها أن أدل وتكبر ما  
تقول سل المعروف يحيى بن أكرم فقلت سليه رب يحيى بن أكرم  
مكذا جعل القاضي عياض في المدارك البيتين والحكاية ، لأحمد بن  
المعتدل وجعلها ابن خلكان في الوفيات لأخيه عبد الصمد وهما بحال  
صاحبنا أحمد أشبه .

### القاضي عبد الوهاب

ومنهم القاضي عبد الوهاب بن علي بن نصر ، من أعلام مذهب مالك  
من أهل بغداد ، ونبت به على عادة البلاد بذوي فضلها كما قال ابن بسام  
في الذخيرة فغادرها إلى مصر ، وشيعه جمع من أهلها وطلبة العلم فيها  
متأسفين لرحيله عنها فقال لهم لو وجدت بين ظهرائكم رغبين في كل  
يوم ما عدلت عنكم فأطرقوا ولم يجيروا جواباً . وفي ذلك يقول :

سلام على بغداد في كل موطن وحق لها مني سلام مضاعف  
فوالله ما فارقتها عن قلبي لها راني بشطبي جانبها لعارف  
ولكنها ضاقت علي بأسرها ولم تكن الأرزاق فيها تساعف  
وكانت كخيل كنت أرجو دنوه وأخلاقه تنأى به وتخالف  
وقال فيها لما ضاقت به الحال :

بغداد دار لأهل المال طيبة والمفاليس دار الضنك والضيق  
ظلمت حيران أمشي في أزقتها كأنني مصحف في بيت زنديق

قالوا واجتاز أثناء رحيله الى مصر بعمرة النعمان وبها يومئذ أبو العلاء المعري  
فأضافه وقال فيه من أبيات :

والمالكى ابن نصر زار في سفر بلادنا فحمدنا النأي والسفرا  
إذا تفقه أحيا مالكا جدلاً وينشر الملك الضليل إن شعرا  
والملك الضليل هو امرؤ القيس . وكفى بها شهادة لشاعرية هذا الفقيه من  
أبي العلاء فيلسوف الشعراء ، وطاب له المقام بمصر ورغد عيشه ولكنه  
مالبت أن اعتل ومات . وفي مرض موته قال الكلمة المأثورة :  
« لما عشنا متنا » وكانت وفاته عام ٤٢٢ .

ومن رقيق شعره في الغزل :

وثائمة قبلتها فتنيت فقلت لها إني فديتك غاصب  
فقلت لها إني فديتك غاصب وما حكموا في غاصب يسوى الرد  
خذها وكفني عن أئيم ظلامه وإن أنت لم ترضي فألقا على العمد  
فقلت قصاص يشهد العقل أنه على كيد الجاني الذئ من الشهد  
فقلت ألم تخبر بأنك زاهد فقلت بلى . ما زلت أزهد في الزهد

ونشير إلى استفلال القاضي عبد الوهاب لمعلوماته الفقهية وتضمينها في هذه  
القطعة الشعرية بما زادها طرافة ولم يبعد بها عن صناعة الشعر ، كما ألمعنا  
لذلك فيما مضى ، ونظراً لما له بأمثال من شعر المتنبي وغيره . والمسألة هنا  
تتعلق بالغصب وحكمه أن الغاصب إذا رد الشيء بحاله فلا تبعة عليه .  
وذلك ما تضمنته الأبيات المذكورة مع غابة التفنن .

وللقاضي عبد الوهاب أبيات في نقد المجتمع لم تزل على لسان كل واعظ  
ومصلح اجتماعي وهي قوله :

مضى تصل العطاش الى ارتواء إذا استقت البحار من الركايا  
ومن يثنى الأصاغر عن مراد وقد جلس الأكابر في الزوايا

وإن ترفع الوضعاء يوماً على الرفعاء من إحدى البلايا  
إذا استوت الأسافل والأعالي فقد طابت منادمة المنايا

### منصور الفقيه

ومنهم منصور بن اسماعيل عرف بالفقيه وهو من فقهاء الشافعية ،  
من شعره في مدح علم الفقه :

عاب التفقه قومٌ لا عقول لهم وما عليه إذا عابوه من ضرر  
ماض شمس الضحى في الأفق طالعة أن لا يرى ضوءها من بئس ذا بصر

قال ابن خلكان : ومن هذا أخذ أبو العلاء المعري قوله من قصيدته المشهورة :

والنجم تستصغر الأبصار رؤيته والذنب للعين لا للنجم في الصغر

فهذا فقيه شاعر يقتبس منه أحد فحول الشعراء ولا يقول في شعره مزرباً  
عليه أنه شعر فقيه :

وكان منصور ينحو في شعره منحى أخلاقياً وهو القائل في ذم الكذب :

لي حيلة فيمن ينمٌ وليس في الكذاب حيلة  
من كان يخلق ما يقول ل فحيتي فيه قليلة

ومن شعره في تزييف ادعاءات المنجمين :

ليس للنجم إلى ضر ولا نفع مبيـل  
إنما النجم على الأوقات والسمت دليل

وله أيضاً :

إذا رأيتَ امرأ في حال عشرته بادي الصداقة ما في وده دَخَل  
فلا تَمَنَّ له حالاً يُـرُ به فانه بانتقال الحال ينتقل

وكان منصور كفيفاً . وله تأليف في الفقه . وتوفي سنة ٣٠٦ بمصر .

الخطابي

أبرسليان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البُسْتِي 'عرف بالنسبة الى جده ، الفقيه المحدث الأديب صاحب التصانيف البديعة منها غريب الحديث ومعالم السنن وكان شافعي المذهب ، من شعره هذان البيتان المشهوران :  
وما غربة الإنسان في شقة الهوى      ولكنها والله في عدم الشكل  
وإني غريب بين بُستٍ وأهلها      وإن كان فيها أسرتي وبها أهلي  
وله أيضاً :

فسامح ولا تستوف حَقَّك كله      وأبقِ قلم يستقص قط كريم  
ولا تَغْلُ في نبيء من الأمور اقتصد      كلا طرقي قصد الأمور ذم  
وليس أدل على شاعرية المرء من أن يسير كلامه بين الناس مسير المثل  
ويتقبلوه ويستشهدوا به في مثل المناسبة التي قيل فيها كاليث الأول والثاني  
من هذين النموذجين من شعره ، وكلامهما ، ما ينبئ عن عارضة قوية  
ولا يستطيع ناقد أن يلزمها بعيب فني لأن قائلها فقيه .  
وله كذلك من هذا القبيل وارثكب فيه الجناس :

ما دُمتَ حياً فدارِ الناس كلَّهم      فانما أنت في دار المُداراة  
من يدرداري ومن لم يدرسوف يُرى      عما قليل تديماً للندامات  
توفي الخطابي ببلدة بَست سنة ٣٦٠ .

المعافي بن زكرياء

كان قاضياً ببغداد وكان على مذهب الإمام ابن جرير الطبري ،  
ولذلك يقال له الجَـريري ، روى عن جماعة من الأئمة منهم أبو القاسم البَغَوِي  
وعنه القاضي أبو العلي الطبري وغيره ، وكان مشاركاً في العلوم حتى

كان أبو محمد الباجي يقول : إذا حضر أبو الفرج وهي كنيته فقد حضرت  
المعلوم كلها ، وكان ثقة مأموناً في روايته وله شعر حسن منه هذه الأبيات  
السائرة في ذي الحسد :

ألا قل لمن ظل لي حاسداً أتدري على من أسأت الأدب ؟  
أسأت على الله في حكمه لأنك لم ترض لي ما رهب  
فجازاك عني بأن زادني وسد عليك طريق الطلب  
وله كتاب الجليس والأنيس وتوفي بالتهروان سنة ٣٩٠ ..

#### محمد بن داود الظاهري

يكنى أبا بكر ، وهو ولد الإمام صاحب مذهب الظاهر . وكان  
فقيهاً عالماً متمكناً من مبادئه مناظراً عن مذهب أبيه ، صنف في الانتصار له  
وفي أبواب الفقه والأحكام تصانيف جليلة . ولما توفي والده وجلس في حلقاته  
استصغره الناس فسأله أحدهم عن حد الشكر ومتى يكون الإنسان سكران ،  
فقال إذا عزبت عنه المهرم ، وباح بسر المكنوم ، فاستحسن ذلك  
منه وعُرف موضعه من العلم .

وصنف في عنقوان شبابه كتابه الذي سماه الزهرة وهو مجموع أدب  
أتى فيه بكل غريبة ونادرة وشعر رائع . وقسمه الى مائة باب ضمن  
كل باب مائة بيت ، يذكر في خمسين منها جهات الهوى وأحكامه وتصاريفه  
وأحواله ، ويذكر في الخمسين الثانية أفانين الشعر الباقية . فهو من أعظم  
الكتب التي ألفت في الحب بالعربية وأقدمها ، ويحتوي بهذا الاعتبار على  
١٠٠٠ بيت . وقد نشر منه النصف الأول باعتناء المستشرق الدكتور نيكل  
منذ أكثر من ثلاثين سنة . ولعله هو الذي فتح الباب لابن حزم في  
تأليفه لكتاب طوق الحمامة في الموضوع ، لاسيما وابن حزم كما هو معلوم  
على مذهب داود الظاهري والد مترجنا ومن أكبر أئمة ..



ومن شعر محمد بن داود في الحب والغزل :

أنزّه في روض المحاسن مقلتي      وأمنع نفسي أن تنال المحرما  
وأحمل من ثقل الهوى ما لو كانه      يُصب على الصخر الأصم تهتما  
وينطق طرفي عن مترجم خاطري      فلو لا اختلافي رده لتكلمنا  
رأيت الهوى دعوى من الناس كلهم      فما أن أرى حبا صحيحا مسلما

وحكى ابن أبي الدنيا أنه حضر مجلس محمد بن داود فبعاء رجل فوقف عليه ورفع له رقعة فأخذها وتأملها طويلا وظن تلامذته أنها مسألة ثم قلبها وكتب على ظهرها وردها الى صاحبها . فنظرنا فإذا الرجل علي بن العباس المعروف بابن الرومي الشاعر المشهور وإذا في الرقعة :

يا بن داود يا فقيه العراق      أقتينا في قوادل الأحداق  
هل عليهن في الجراح قصاص      أم مباح لها دم العشاق  
وإذا الجواب قوله :

كيف يفتيكم قتيل صريع      بسهام الفراق والاشتياق  
وقتيل التلاق أحسن حالا      عند داود من قتيل الفراق

فالفقيه الذي يساجل ابن الرومي الشاعر المكثر المبدع لا يمكن أن يقدح في شاعريته أو ينازع في صنعة الشعر . بل ان الفقيه الذي كان أول من وضع مؤلفا شعريا خاصا بالحب وشؤونه حري أن يكون حجة على كل من ينكر الشعر والأدب والفن على الفقهاء .

(يتبع)

عبد الله كنوه



# صفحات من تاريخ الاستشراق

- ٢ -

كيف بدأ الاستشراق في إيطاليا وفرنسا

## بداية الاستشراق في إيطاليا :

خلال القرن السادس عشر نشطت الدراسات الشرقية بعض النشاط في إيطاليا لأسباب خاصة بهذه البلاد ، فقد كانت القضية التي تستأثر باهتمام البابوية إذ ذاك هي مسألة توحيد الكنائس الشرقية والغربية . وكان لا بد من معرفة اللغة العربية وسائر اللغات الشرقية للاتصال بالكنائس واستمالتها . هكذا أمر البابا ( يوليوس الثاني ) في سنة ١٥١٤ بنشر الصلوات السبع بالعربية للأقباط اليعاقبة في مصر . وفي سنة ١٥١٦ نشر ( جوستينياني ) أسقف ( نابو ) الزبور بأربع لغات ، منها العربية .

وكانت روما في ذلك الوقت محط أنظار الزوار من الشرق سواء رجال الدين المسيحي أو بعض الأمراء والرحالة والتجار المسلمين . وقد أرسل السلطان العثماني ( بايزيد الثاني ) وفدين إلى روما للمفاوضة بشأن أخيه ( جم ) الذي كان قد ثار مطالبا بالعرش ثم لجأ بعد اخفاقه إلى البابا . وفي سنة ١٥٢٠ اختطف القراصنة رجلا من مراكش اسمه ( حسن بن محمد ) وسلموه إلى البابا ( ليون العاشر ) فتتصر الرجل على يدي البابا وأطلق عليه اسم ( ليون الإفريقي ) . وكان على علم بالجغرافية فألف في سنة ١٥٢٦ كتاباً

عن بلاد افريقيا اقتبس مواده من مشاهير الجغرافيين العرب مثل ( البكري ) و ( المسمودي ) و ( الإدريسي ) ، وأضاف إلى ذلك وصف رحلاته ومشاهداته الشخصية .

### الطباعة العربية :

من أهم العوامل التي ساعدت على تقدم الدراسات الشرقية في أوربة في القرن السادس عشر تأسيس الطباعة العربية . ويرجع الفضل في ذلك إلى الكاردينال ( فرديناند دي مديشي ) ( F. di Medici ) الذي أسس حوالي سنة ١٥٨٠ مطبعة عربية في ( طوستانا ) . وكان الدافع إلى ذلك رغبة البابا ( غريغوريوس ) الثامن في الدعاية إلى توحيد الكنائس . ول هذه الغاية قام أيضاً بتأسيس مدرستين في روما ، أحدهما للمارونيين والثانية للأرمن . فكان لا بد من طبع النصوص العربية اللازمة للدراسة والبحث . وقد تولى إدارة المطبعة شاب طلياني اسمه ( جوفاني باتيستا رايموندي ) ، كان قد أقام مدة طويلة في الشرق ، وقلم اللغة العربية ، وأتقن كتابة الخط العربي ، وبذلك استطاع أن يصنع حروفاً جميلة من السهل قراءتها . وبدأ سنة ١٥٨٦ في طبع كتابي ابن سينا : ( القانون ) و ( النجاة ) معاً ، وبسبب ضخامة المجلد لم ينته الطبع إلا في سنة ١٥٩٣ . وكان قد طبع أثناء ذلك الأناجيل ( في سنة ١٥٩٠ ) و ( الكافية ) لابن الحاجب و ( الأبرومية ) لابن آجروم ، ثم بعض الأجزاء من كتاب ( تزهة المشتاق في ذكر الأمصار والأقطار والبلدان والجزر والمدائن والآفاق ) للإدريسي . وكانت المطبعة قد نالت في سنة ١٥٨٨ امتيازاً من السلطان العثماني ( مراد الثالث ) يسمح لها بتوزيع وبيع ترجمة ( الطوسي ) لمبايدي ( اقليدس ) في أنحاء المملكة العثمانية كلها . ولكن طبع هذا الكتاب لم يتم إلا في سنة ١٥٩٤ .

ثم توقفت المطبعة عن العمل مدة من الزمن . ولعل السبب في ذلك هو أن مطبوعاتها لم تلتق في بلاد الشرق ما كان منتظراً لها من رواج . فقد كانت الأغلاط المطبعية كثيرة يلاحظها القارىء منذ صفحة الغلاف في كتابي ( القانون ) و ( مبادئ افليدس ) ، عدا أن الجمهور في الشرق كان يقابل كل ما هو غربي بمتنهي الحذر والريبة . ولم تستأنف المطبعة نشاطها إلا بعد أن اعتلى كرمى البابوية ( بولس الخامس ) [ ١٦٠٥ - ١٦٢١ ] ورصد الأموال اللازمة لنشر الكتب الشرقية . وبعد موت ( رايوندي ) في سنة ١٦١٤ تابع تقاليده تلميذه ( ستيفانوس بولينوس ) الذي استعان به السفير الفرنسي ( فرانسوا سافاري دو بريف F. S. de Brèves ) لتأسيس مطبعة عربية أخرى في روما .

وكان ( دو بريف ) قبل ذلك سفيراً لبلاده في استانبول ، فظل يتبع سياسة فرنسا التقليدية في الشرق ويؤيد جهود الكنيسة الكاثوليكية في سبيل الاتحاد . وقد طبع على نفقته الخاصة كتاب الصلوات للكاردينال ( بلاترين ) الذي ترجمه إلى العربية اثنان من الموارنة كانوا يعلمان اللغة العربية في روما . ولما عاد ( دو بريف ) إلى بلاده سنة ١٦١٥ اصطحب معه ( بولينوس ) وحمل حروفه العربية إلى باريس ، حيث أسس « مطبعة اللغات الشرقية » .

وسرعان ما نشأت مطابع أخرى في البلاد الأوروبية ولا سيما في هولندا من قبل المستشرق ( رافلنجيوس Raphelengius ) ، وفي ألمانيا من قبل الطبيب ( كورستن Kursten ) الذي كان قد تعلم العربية ليستطيع دراسة كتب ( ابن سينا ) وغيره من الأطباء والفلاسفة العرب في لغتها الأصلية . على أن ( كورستن ) لم يجد من يشجعه من حكام بلاده فحمل مطبعته وذهب إلى السويد ...

### الرحلات إلى الشرق :

من العوامل التي دفعت الأوروبيين إلى الاهتمام بالدراسات الشرقية كتب المغامرات التي نشرها بعض الرحالة في القرن السادس عشر يصفون فيها بلاد الشرق وعجائبها وعادات أهلها وقصور حكامها وخيراتهم ، ويتكلمون فيها عن أهمية العلاقات السياسية والاقتصادية مع هذه البلاد .

وكانت الوفود التي تبادلها ملوك أوروبا مع السلاطين العثمانيين وملوك الفرس والمغول ثم البعثات التبشيرية إلى الهند والصين قد مهدت الطريق أمام الرحالة المغامرين .

فإنه بينما كان ( فرانسوا الأول ) يرسل الوفود إلى تركيا لمخالفة السلطان ( سليمان القانوني ) ، أخذ ( شارلكن ) يتبادل الرسائل مع الشاه اسماعيل لمخالفته ضد الأتراك ، ومن المعروف أن الحروب كانت قد احتدمت منذ عهد السلطان ( سليم الأول ) بين الفرس والعثمانيين بسبب الاختلاف المذهبي .

سافر الرحالة الطلياني ( لودوفيكو فارتيا ) ( Lodovico Varthema ) في سنة ١٥٠٣ من البندقية إلى مصر ومنها انتقل إلى دمشق حيث تعلم اللغة العربية ، ثم انضم وهو في زي المسلمين إلى قافلة الحجاج ، فكان أول أوروبي زار مكة . وانتقل بعد ذلك إلى اليمن ومنها إلى فارس ثم إلى الهند . وقد أراد بعض الأمراء المسلمين هناك الاستفادة من مهاره ( فارتيا ) في الشؤون العسكرية ، وطلبوا منه مساعدتهم على صنع المدافع لمحاربة البرتغاليين ولكنه هرب إلى البرتغاليين وأخبرهم بأن ضميره لم يسمح له بتأييد المسلمين على المسيحيين .

ومناك مغامر آخر طلياني اسمه ( بترودلا " فليبي ) ( Pietro della Valle ) سافر في سنة ١٦١٤ من البندقية إلى استانبول حيث تعلم اللغة التركية .



وهو يشير إلى أنه لم يكن ليستطيع تعلم هذه اللغة في إيطاليا خلافاً للغة العربية التي كان كثير من الأساتذة الماهرين يقومون بتعليمها هناك ؛ ثم سافر إلى مصر فسورية ، وزار القدس ، وانتقل بعد ذلك إلى العراق ففارس . وقد نال مكانة عالية في بلاط الشاه عباس الكبير ، واشترك مع الفرس في محاربة الأتراك ، كما سعى إلى عقد تحالف بين الفرس والقوزاق الروس ضد الدولة العثمانية ، وفي الأخير رحل إلى الهند . وقد وصف مشاهداته وانطباعاته في مجموعة من الرسائل ، كما ألف كتاباً تاريخياً عن الشاه عباس . ولم ينشر في حياته سوى رسائله . وهذه الرسائل لا تقتصر على وصف البلاد وأهلها ، بل تبحث أيضاً في المسائل السياسية ولا سيما حروب الشاه الذي كان يساعده الانكليز على مقاومة البرتغاليين .

وكان ( دِلا فِلِّي ) أول أوروبي وصف أطلال ( بابل ) و ( برسبوليس ) ، كما أنه نقل إلى أوربة كثيراً من المخطوطات الشرقية وصوراً عن النقوش والكتابات الأثرية .

وقد أخذ الانكليز أيضاً يشتركون في استكشاف بلاد الشرق ودراية أحوالها بعد تطور الملاحة لديهم في القرن السادس عشر . ومن أشهر الرحالة الانكليز إلى الشرق الأخوة الثلاثة ( توماس وآنطوني وروبرت شيرلي ( Sherley ) . وقد سافر ( آنطوني ) و ( روبرت ) في سنة ١٥٩٨ إلى إيران وبرزا في بلاط الشاه ( عباس ) ؛ وكان لهما نفوذ كبير في المملكة لمهارتها في الفنون العسكرية . وقد قاما بتنظيم الجيش الفارسي على أسس جديدة ، فكان ذلك من أسباب انتصار الفرس على الأتراك في حروبهم التالية . ثم عهد الشاه إلى ( آنطوني ) برئاسة وفد أرسله إلى البلاد الأوربية لعقد محادثات ضد الدولة العثمانية ولكنه أخفق في مهمته . ويبدو أن ( روبرت ) قد زوج بنت أخيه من الشاه وأرسل

أيضاً بمهمة رسمية الى أوربة . أما الأخ الثالث ( توماس ) فقد سافر الى تركية وحاول كذلك أن يلعب دوراً سياسياً هناك ، ولكن اسم أسرته كانت له سمعة سيئة في استانبول بسبب مؤامرات أخويه في فارس ضد الدولة العثمانية فقبض عليه وألقي في السجن ولم يخرج منه إلا بعد ثلاث سنوات يجهود السفير الانكليزي . وقد نشرت مغامرات الأخوة الثلاثة في كتاب واحد في لندن سنة ١٦٠٧ .

وفي القرن السابع عشر زار بلاد الشرق كثير من الرحالة الفرنسيين . وكان مرشد هؤلاء الرحالة وشيخهم هو الأب رافائيل دومان ( R. du Mans ) الذي سافر في سنة ١٦٤٤ من حلب الى بغداد وانتقل بعد سنتين الى فارس ، حيث بقي حتى موته في سنة ١٦٩٦ . وقد كان له تأثير كبير في بلاط الشاه ( عباس الثاني ) ، لأنه خدم الحكومة الفارسية ترجماناً وخدمها بمعلوماته الرياضية والفلكية . وقد نشر المستشرق ( شيفر Schefer ) تقريراً كان قد كتبه الأب ( دومان ) عن ( حالة فارس في سنة ١٦٦٠ ) وأرسله الى الوزير ( قولبيرز ) يتضمن معلومات دقيقة عن البلاد والشعب والحكومة . وخلافاً للرحالين السابقين الذين كانوا يظهرون إعجابهم بالشرق فإن الأب ( دومان ) كان يحقر الشرقيين . وإذا رأينا فضل الفرس على غيرهم فذلك لأنهم ، حسب تصييره ، « كالأعور بين العميان » . ونستطيع القول بأن الباحثين الأوربيين أخذوا ، منذ القرن السابع عشر ، يشاطرون الأب ( دومان ) رأيه هذا . فقد بدأ يتجلى في هذا العهد تفوق الحضارة الأوربية الحديثة وصار الناس ينسأون عن أسباب تأخر الشرق .

وقد حاول الإجابة عن هذا السؤال رحالة فرنسي آخر هو ( فرانسوا برنييه F. Bernier ) الذي زار سورية وعاش أكثر من سنة في القاهرة حيث تعلم العربية ، ثم ذهب حوالي سنة ( ١٦٦٠ ) الى الهند ، وأقام هناك ( ١٢ )

عاماً ، فتجول في أنحاءها ، ووصف رحلته في قالب رسائل ، وقدم تقريراً خاصاً إلى الوزير ( قولبير ) عن حالة البلاد وعن شخصية ( المقول الكبير ) ووارداته ، كما تكلم على انخراط البلاد الشرقية عامة ، وعزا ذلك في الدرجة الأولى إلى فقدان الملكية الخاصة للأراضي سواء في الهند أو مصر وسائر بلاد الشرق الأدنى .

والى جانب أمثال هؤلاء الرحالين الذين تختلط لديهم الدوافع والأغراض المتنوعة من حب للمغامرة وميل إلى التبشير الديني وطمع في الربح المادي ونزعة إلى التجسس وطموح سياسي ، أخذ يبرز ، منذ أواخر القرن الثامن عشر ، رحالون آخرون قصدوا الشرق قبل كل شيء رغبة في الاطلاع وسعياً وراء غايات علمية . تذكر بين هؤلاء الرحالة الفرنسي ( أنكيتيل - دوبرون Anquetil — Duperron ) [ ١٧٣١ - ١٨٠٥ ] الذي درس اللغات الشرقية في باريس ودخل سنة ١٧٥٤ في خدمة الشركة الفرنسية للهند الشرقية كجندي عادي . ولكن الملك ( لويس الخامس عشر ) ، لما علم بشأنه ، أمر بتخصيص راتب سنوي له ، كما أن الشركة أيضاً زادت مرتبه وساعدته على التجول في أنحاء البلاد . وقد انصرف همه إلى البحث في مخطوطات الكتب الدينية الشرقية . فلما عاد إلى فرنسا سنة ١٧٧١ نشر ترجمة كتاب ( زند - آفستا ) المنسوب إلى ( زرادشت ) ، وكان هذا الكشف مرحلة هامة في تاريخ الدراسات الشرقية ..

ورحالة فرنسي هام آخر هو العالم ( فرانسوا فولني F. Volney ) الذي ولد سنة ١٧٥٧ ونال ثقافة عالية وقرر أن ينفق الثروة التي ورثها في الرحلات إلى الشرق . وبعد أن درس المؤلفات التي تبحث في الشرق سافر إلى مصر ، فسورية حيث قضى مدة ثلاث سنوات ( ١٧٨٣ - ١٧٨٦ ) ،

منها ثمانية أشهر في أحد الأديرة في جبل الدروز ، لالتقان اللغة العربية .  
 وكتابه المشهور ( الرحلة إلى سورية ) لا يتضمن ما اعترضه أثناء تنقلاته من  
 حوادث ، بل يقتصر على وصف البلاد وطريقة معيشة سكانها وعلى بيان  
 الأسباب التي أدت إلى تأخر مصر وسورية الاقتصادي تحت حكم الأتراك .  
 وهو يعارض الآراء التي كانت تقول بحدوث تبدل في إقليم البلاد الشرقية  
 ولا يسلم بأن حرارة الجو تضعف مقدرة السكان على الإنتاج إذ يشير إلى  
 أن الأحوال الطبيعية في مصر لا تختلف اليوم عما كانت عليه في عهد  
 ازدهار الحضارة المصرية القديمة . وقد ذهب ( فولني ) نفسه إلى أن تأخر  
 الشرق يرجع إلى فساد الإدارة الحكومية وإلى تأثير العقائد الدينية . وقال  
 إن من الوسائل التي يمكن أن تساعد على رفع المستوى الاقتصادي حفر  
 قناة في برزخ السويس ، إلا أنه كان يعتقد بصعوبة تحقيق هذا المشروع .  
 وقد استمرت الرحلات إلى الشرق وبلاد العرب منذ القرن الثامن عشر  
 حتى الوقت الحاضر ؛ ولكنها لم تكن دوماً لغايات علمية ، بل كثيراً  
 ما كان يقصد بها التبشير الديني أو التجسس والتأمر السياسي . ويكفي أن  
 نذكر أسماء ( بورتون Burton ) و ( دوتي Doughty ) و ( فون أوبنهايم  
 M. Von Oppenheim ) و ( لورانس Lawrence ) و ( فلي Philby )  
 لتؤكد من أن الاستشراق لا يكتفي بالدراسة العلمية ، بل يهدف أيضاً  
 إلى أغراض استعمارية : سياسية واقتصادية ودينية ...

### بداية الاستشراق في فرنسا :

في القرن السادس عشر ازدادت العلاقات السياسية بين الدول الأوروبية  
 المسيحية والدولة العثمانية . فقد اتسمت بمتلكات الدولة في زمن السلطان

سليم الأول ( ١٥١٢ - ١٥٢٠ ) الذي استولى على الشام ومصر ؛ ثم في زمن السلطان سليمان القانوني الذي تقدم في المجر والنمسا .

وانتهز ( فرانسوا الأول ) ، ملك فرنسا ، الفرصة للتحالف مع السلطان سليمان القانوني والاستنجد به ضد خصمه ( شارلكن ) . وبدأت الوفود تتعاقب الى استانبول ومنح السلطان رعايا فرنسة الامتيازات الأجنبية المشهورة التي تخولهم الإقامة في بلاده ومزاولة التجارة ، وتعطي القناصل حق الفصل في القضايا المتعلقة بهم .

هكذا كانت هناك حاجة عملية لتعلم اللغات الشرقية .

وقد أوفد ( فرانسوا الأول ) عدداً من رجال العلم الى استانبول مع سفرائه للاطلاع على أحوال الشرق وإتقان المحادثة بلغاته وشراء المخطوطات الضرورية للدراسة . وكان بين هؤلاء الموفدين ( غيليوم بوستل Guillaume Postel ) ، الذي كان أول من قام بتدريس اللغة العربية في جامعة ( باريس ) . وبين تلاميذ ( بوستل ) الذين تعلموا العربية قال ( جوزيف سيكاليجر J. Scaliger ) [ ١٥٤٠ - ١٦٠٩ ] شهرة واسعة لااختصاصي في اللغة اليونانية فحسب ، بل كمستشرق أيضاً . وكان أبوه طبيباً طليانياً في الأصل ولكنه ولد هو وعاش في فرنسة واعتنق البروتستانتية وتولى التدريس في انكاترة وإيطالية وهولندة حيث مات .

وقد أدرك أن أستاذه لم يكن يتقن حقاً كل اللغات التي ادعى معرفتها . وهو قد خالفه في مسائل كثيرة ، منها العلاقة بين العربية والعبرية ؛ إنه لم تخف عليه القرابة بين اللغتين ولم ينكر أن من يعرف العبرية يسهل عليه البدء في تعلم العربية ولكنه رأى أن التعمق في العربية يحتاج الى وسائل أخرى . كذلك لم يكن يشارك ( بوستل ) في إيمانه الخيالي بحكمة الشرق



السحرية . فكان يذهب إلى أن الحكمة لم تنحصر كلها عند السكلدانيين وفي الشرق ، وأن البشر في الغرب والشمال أيضاً هم كائنات تتصف بالعقل والحكمة . وقبل كل شيء كان ( سكاليجر ) بعيداً كل البعد عن اندفاع أستاذه في طريق التبشير ولم يخطر على باله أبداً أن يستثمر معلوماته اللغوية في خدمة الديانة المسيحية . إنه كان يسعى إلى معرفة حقائق التاريخ وقد انصرف في أحد كتبه إلى جمع كل ما أمكنه الحصول عليه من أنواع « التقويم » في جميع البلدان ومن جميع العصور ، ثم رتبها ووصفها وقارنها بالتقويم الجولياني وشرح كيف يمكن حساب الاختلافات بينها . وكان هذا الموضوع حديث الساعة إذ ذاك بمناسبة الإصلاح ( الغريغوري ) للتقويم .

وقد قام ( سكاليجر ) بمراصة ( أغناطيوس ) بطريرك أنطاكية اليعقوبي الذي جاء إلى رومة في أواخر سنة ١٥٧٧ للقيام بمفاوضات الاتحاد والذي عرف بعنايته بمسائل التقويم الزمني . وهو يذكر في كتابه أجوبة البطريرك على أسئلته بنصها العربي . ثم اتصل ( سكاليجر ) بالسامريين في مصر وفلسطين ، فأرسلوا إليه من مصر تقويم سنة ١٥٨٤ مكتوباً بحروف سامرية . كذلك حصل بواسطة تاجر طلياني على تقويم الكنيسة الحبشية لسنة ( ١٥٧٨ ) نقله رامب حبشي بحروف عربية مع ملاحظات حول كل من التقويم القبطي والانطاكي والحبشي .

على أن الرأي العام في فرنسة قد اتجه في القرنين السادس عشر والسابع عشر بكل حماسة إلى أخبار الصين وحضارتها أكثر من غيرها من بلاد الشرق . وكان المبشرون قد تسللوا إلى تلك البلاد وأخذوا ينشرون

الكتب عنها . في هذه الفترة لا نجد إلا القلائل من المستشرقين الذين انقطعوا إلى دراسة العربية والشؤون الإسلامية .

ولم تنشط هذه الدراسات إلا في عهد الوزير ( قولبير ) الذي اهتم بالشرق الأدنى وقام في سنة ١٦٩٩ بتأليف بعثة باسم « شباب اللغات » تدرس اللغة العربية في باريس على نفقة الملك ثم ترسل إلى استانبول لإتمام الدراسة ، وبعد ذلك يلحق أفرادها بالسلك السيامي . وقد تكرر تأليف مثل هذه البعثة في سنة ١٧١٨ ثم في سنة ١٧٢١ . وهكذا فقد اتسم الاستشراق في فرنسا منذ بداية الأمر بالنزعة الدينية - التبشيرية والصيغة الاقتصادية - السياسية معا .

( للبحث صلة )

محمد كامل عباد



# الاصطلاحات الفلسفية

- ٢٢ -

## الخطيئة

|          |               |
|----------|---------------|
| Peccatum | في اللاتينية  |
| Péché    | في الفرنسية   |
| Sin      | في الانكليزية |

الخطيئة الذنب ، وقيل المتعمد منه وجمعها خطايا ، وفي الاصطلاح التهاون بشريعة الله ، أي ارتكاب ما نهى الله عنه ، والامتناع عما أمر به . وكل اثم خطيئة . ويشترط في مخالفة الأوامر والنواهي أن يكون الفعل متعمداً .

وعلماء اللاهوت يردون أصل الخطيئة الى ارتكاب أيينا آدم ما نهى الله عنه ، وليس أحد من البشر في نظرهم مجرداً من الخطيئة . وتسمى خطيئة آدم بالخطيئة الأصلية ( Peccatum originans ) وخطيئة بنييه من بعده ( Peccatum originatum ) ، وهي حالة للانسان لازمة عن الخطيئة الأولى . وللخطيئة أنواع : خطيئة للموت ، وخطيئة ليست للموت ، وخطيئة تغفر ، وخطيئة لا تغفر ، ومتى نزع الانسان روح الله من قلبه ، ابتعد عن كل شفاعة .

والفرق بين الخطيئة اللاهوتية والخطيئة الفلسفية ان الأولى تقوم على مخالفة شريعة الله ، على حين أن الثانية تقوم على مخالفة أحكام العقل ، ( راجع : الخطأ ) .

## الـخـفـي

|          |               |
|----------|---------------|
| Occultas | في اللاتينية  |
| Occulte  | في الفرنسية   |
| Occult   | في الانكليزية |

الـخـفـي هو المستتر ، أي ما خفي المراد منه . ويرادفه السري والباطني ،  
مثل قولنا : لهذا الشيء تأثير خفي .

ويطلق الخفي على كل ما نجعل أسبابه ، أو على كل كيفية لا يتمثلها العقل  
تمثلاً واضحاً لمجزئه عن إرجاعها الى غيرها . قال ( شوبنهاور ) ، كل قوة  
طبيعية حقيقية فهي كيفية خفية ( Qualité occulte ) تعمل بالأسباب  
الإلهية لا بالأسباب الفلسفية .

ويطلق الخفي أيضاً على القوى المادية أو الروحية التي يحفل العلماء  
أسبابها ، أو على طرق البحث في هذه القوى ، أو على الأساليب المستعملة في  
إظهارها . فبينما نحن نجد العلماء يقيّدون أنفسهم بطرق البحث الموضوعي  
نجد الباحثين في هذه القوى الخفية يحقّقون الطرق الموضوعية ويمجازونها .  
انهم يشفقون من دأب العلماء في البحث ، رديب عقولهم على الأرض ،  
ويريدون أن يخلقوا في الفضاء ، حتى يحيطوا بكل ما كان ، وبكل ما يكون .

والعلوم الخفية ( Sciences occultes ) هي السحر ، والتنجيم ، وعلم  
الكيمياء القديم ، والعلوم الروحانية ( Spiritisme ) وغيرها .

## الحلاء

Vacuus في اللاتينية

Vide في الفرنسية

Voide. Emptiness . في الانكليزية

خلا المكان يتخلو، خلواً وخلاء إذا لم يكن فيه أحد ولا شيء فيه ،  
ققول خلت الدار خلاء إذا لم يبق فيها أحد ، وخلا لك الشيء وأخلى بمعنى  
فرغ ، ومنه الإثناء الخالي من الماء ، والحجرة الخالية من التلاميذ .

والخلاء عند الفلاسفة خلو المكان من كل مادة جسمانية تشغله ، فإذا  
قلت مع ( ديكارت ) مثلاً : إن المادة امتداد لزمك القول ان الخلاء المطلق  
متناقض ومحال .

ويطلق الخلاء عند بعضهم على الامتداد الموهوم المفروض في الجسم  
أو في نفسه ، الصالح لأن يشغله الجسم ، ويسمى أيضاً بالمكان ، والبعد  
الموهوم ، والفراغ الموهوم ، وحاصله البعد الموهوم الخالي من الشاغل .  
ويطلق الخلاء أيضاً على خلو المكان من مادة معينة توجد فيه بالطبع  
كخلاء ( البارومتر ) ، وعلى الخلو من الفكر : كخلو الجملة من المعنى ، وخلو  
الشعر من الخيال .

ويرى بعض الحكماء أن الخلاء هو البعد المجرد القائم بنفسه سواء كان  
مشغولاً بجسم أو لم يكن ، ويسمى عندهم بعداً مفطوراً وفراغاً مفطوراً .  
وما يسميه أفلاطون بعداً مفطوراً يسميه المتكلمون فضاء موهوماً ، وهو  
الفضاء الذي يتبته الهم كالفضاء المشغول بالماء أو الهواء داخل الإناء .  
فهذا الفضاء الفارغ هو الذي من شأنه أن يحصل فيه الجسم ، وأن يكون



ظرفاً له ، وبهذا الاعتبار يكون حيزاً للجسم ، وباعتبار فراغه عن شغل الجسم إياه يكون خلاء . فالخلاء عند المتكلمين هو هذا الفراغ الذي لا يشغله جسم من الأجسام ، وهو غير موجود في الخارج بالفعل ، بل هو أمر موهوم . ومن الحكماء من لم يجوز خلو البعد الموجود من جسم شاغل له ، مثل ( أرسطو ) الذي قال : إن الطبيعة تهرب الخلاء ، ومنهم من جوزه . وهؤلاء المجهزون وافقوا المتكلمين في جواز المكان الخالي من الشاغل وخالفهم في أن ذلك المكان بعد موهوم .

### الحلف

|           |               |
|-----------|---------------|
| Absurtdus | في اللاتينية  |
| Absurde   | في الفرنسية   |
| Absrud    | في الانكليزية |

الحلف بالضم خلاف المفروض ، وهو في اصطلاحنا الحال الذي يناقض المنطق ويخالف العقول . ويرادفه المتناقض والممتنع والباطل ( راجع هذه الألفاظ ) .

والحلف هو القياس الاستثنائي الذي يقصد فيه إثبات المطلوب بإبطال نقيضه ، ويقابله القياس المستقيم . ( راجع كشف اصطلاحات الفنون للتهانوي ، الجزء الأول ص ٤٨٢ ) . ونحن نطلق قياس الحلف على القياس الذي يقصد فيه البرهان على صدق القضية أو كذبها بإبطال إحدى النتائج اللازمة عنها ، وله وجهان : أحدهما دليل الحلف ، وهو إثبات القضية بإبطال إحدى النتائج اللازمة عن نقيضها ، والثاني الرجوع ، وهو إبطال القضية باستخراج مايلزم عنها من نتائج كاذبة أو مخالفة للمطلوب .

وقد سمي الخلف خلفاً لأن المتمسك به يثبت مطلوبه بإبطال نقيضه ،  
فكأنه يأتي مطلوبه من خلفه أي من ورائه ، وقيل أيضاً سمي خلفاً أي  
باطلاً لأنه ينتج الباطل .

### الخلق

في الفرنسية Caractère

في الانكليزية Character, Temper

الخلق في اللغة السجية ، والطبع ، والعادة ، والمروءة ، والدين . وهو في  
اصطلاحنا حال للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير  
حاجة إلى فكر وروية . وعلى ذلك فغير الراسخ من أحوال النفس  
لا يكون خلقاً . مثال ذلك أن من يبذل المال في أحوال عارضة لا يقال  
إن خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه .

وفرقوا بين الخلق والفعل فقالوا قد يكون خلق الإنسان السخاء ولا  
يبذل المال إما لفقده أو لمانع آخر . وقد يكون خلقه البخل وهو يبذل  
المال لباعث أو رياء .

وينقسم الخلق الى فضيلة ورذيلة ، أما الفضيلة فهي كما قال (أرسطو)  
وسط بين الإفراط والتفريط ، فإذا اعتبرنا النفس الإنسانية مؤلفة من  
ثلاث قوى : العقلية ، والشهوانية ، والغضبية ، كانت الفضائل الأساسية ثلاثاً :  
الحكمة ، والعفة ، والشجاعة ، لأن الحكمة وسط بين الجريزة والبلاهة ، والعفة  
وسط بين الفجور والجود ، والشجاعة وسط بين التهور واللين . وإذا  
اجتمعت هذه الفضائل الثلاث في نفس واحدة حصلت من اجتماعها  
فضيلة العدالة .

والخلق قد يكون حالاً للفرد أو حالاً للجماعة ، ويجمع على أخلاق ،  
فتقول أخلاق زيد أو عمر ، وأخلاق العرب أو أخلاق الفرس .  
والخلق الكريم في فلسفة الأخلاق هو أن يملك الإنسان نفسه ، وأن  
يكون سلوكه ثابتاً ومتمسكاً ، وأن يتصف بالعلم .

والخلق العظيم عند السالكين هو الإقبال على الله تعالى ، وقيل أيضاً  
هو أن لا يخاصم المرء ولا يخاصم وأن يكون متجلداً في الشدائد والهن .  
وفسروا قوله تعالى : « وإِنَّكَ لَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ » بأن الخلق هنا هو العمل  
بالقرآن من غير تكلف ، فإذا وصل الإنسان من قطعه وعف عن ظلمه ،  
وأحسن إلى من أساء إليه ، كان على خلق عظيم .  
وعلم الأخلاق هو علم السلوك . وهو من أقسام الحكمة العملية ،  
ويسمى أيضاً تهذيب الأخلاق ، والحكمة الخلقية .

### الخلق

في اللاتينية Creatio

في الفرنسية Création

في الانكليزية Creation

خلق الله العالم صنعه وأبدعه ، ويقال خلق فلان شيء أبدعه ، وخلق  
القول افتراه . وفي القرآن الكريم : « إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا  
وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا » . والخلق أيضاً التقدير بمعنى المساواة بين الشئين ، يقال  
خلقت النمل إذا قدرته ، فأطلق على إيجاد شيء على مقدار شيء سبق  
له الوجود .

والخلق أيضاً المخلوق ، ويطلق على الجمع ، ومنه الخليقة أي الجماعة  
من المخلوقات . تقول : إن الإنسان سيد الخليقة .

والخلق هو الإيجاد ، وقد يكون من مواد مخصوصة ، وصور وأشكال معينة ، كخلق الأشياء الصناعية ، وقد يكون مجرد إيجاد من غير نظر إلى وجه الاشتقاق . وليس الخلق الذي هو إيجاد الشيء من لا شيء إلا لله تعالى . وقد يطلق عليه اسم الإبداع .

وجلة القول أن للخلق معنيين : الأول هو إحداث شيء جديد من مواد موجودة سابقاً ، كخلق الأثر الفني أو خلق الصور الخيالية ، والثاني هو الخلق المطلق وهو صفة لله تعالى ، لأنه جل جلاله موجد ومبني ، وبقاؤه مسار لإيجاده ، يحدث العالم بإرادته ويبقيه بإرادته ، ولو لم يرد بقاءه لبطل وجوده . فإذا كان العالم باقياً فرد ذلك إلى أن الله يدعم وجوده . هذا ما يسميه ديكارت بالخلق الدائم ، أو الإبداع الدائم ( راجع لفظ الإبداع ) .

### الخلود

|               |              |
|---------------|--------------|
| في اللاتينية  | Immortalitas |
| في الفرنسية   | Immortalité  |
| في الانكليزية | Immortality  |

الخلود هو الدوام والبقاء ، تقول خلد في النعم دام وبقي ، ومنه خلود النفس ، أي بقاؤها بعد الموت ، ودار الخلود الجنة .

ومعنى خلود النفس بقاؤها بعد البدن بقاء غير محدود محتفظة بالصفات المقومة لذاتها الفردية . والقول بخلود النفس الفردية مذهب أصحاب الديانات السماوية ومذهب الفلاسفة الروحانيين . إلا أن بعض الفلاسفة المعاصرين يذهبون إلى أن الخلود كلي لا فردي . ومعنى ذلك أنه لا بقاء بعد الموت إلا للجوهر العاقل ، وهو واحد وكلي . أما النفس الفردية فلأنها إذا فارقت

البدن انضمت إلى هذا الجوهر الكلي واتحدت به . وقريب من ذلك أيضاً مذهب القائلين ان البقاء للانسانية لا للأفراد ( أوغوست كونت ) . والقول بخلود النفس عند ( كانت ) موضوعة من موضوعات العقل العملي ، وهي القول إن الموجود المتناهي يستطيع أن يحقق الكمال الخلفي ، وأن يرتقي ارتقاء غير محدود حتى يبلغ درجة القداسة .

وقد فرق ( غوبلو ) بين خلود النفس والحياة الثانية ، فقال : إن الحياة الثانية ذات ديمومة تبتديء عند انفصال النفس عن البدن ، على حين أن خلود النفس حياة مستقلة عن الزمان ، ليس لها قبل ولا بعد . ونحن نرى أن معنى الخلود المستقل عن الزمان لا يختلف عن معنى الأبدية . والأفضل أن لا يفصل الخلود عن معنى الزمان ، وأن يكون معناه ومعنى الأبدية متميزين .

### الخيال

في اللاتينية Imago , Imaginis

في الفرنسية Image

في الانكليزية Image

الخيال الشخص ، والطيف ، وصورة تمثال الشيء في المرآة ، وما تشبه لك في اليقظة والنام من صور .  
والخيال أيضاً الظن والتوهم . وهو يدل في اصطلاحنا على الصورة الباقية في النفس بعد غيبة المحسوس عنها .  
فلما أن تكون هذه الصورة تمثيلاً مادياً لشيء خارجي مدرك بحاسة البصر ، كارتسام خيال الشيء في المرآة ، أو تمثيله بخطوط بيانية .  
وإذا أن تكون تمثلاً ذهنياً لشيء مدرك بحاسة البصر أو غيرها من الحواس .



ومن عادة علماء النفس أن يجعلوا هذا التمثيل الحسي مضاداً للتمثيل العقلي ، إلا أن الفلاسفة الحسنيين لا يرون ذلك ، بل يذهبون إلى أن التمثيل العقلي متولد من التمثيل الحسي .

ونحن نطلق اليوم لفظ الخيال على الصور البصرية ، والسمعية ، والشمية والبسية ، والذوقية ، والحركية وغيرها . ونطلق لفظ الصورة التالية ( Image Consécutive ) على الصورة التي تتلو الإحساس وتعقبه مباشرة . مثال ذلك إذا حدثت إلى شيء خارجي ثم أغمضت عيني رأيت صورة ذلك الشيء في الظلام ، وإذا حدثت إليه ثم نظرت إلى ستار أبيض رأيت صورة ذلك الشيء بألوانه الطبيعية . وقد أراه بألوان متممة للأولى . فإذا رأيت بألوانه الطبيعية كانت صورته إيجابية ، وإذا رأيت بألوانه المتممة كانت صورته سلبية .

ويطلق لفظ الخيال المركب أو الصورة الجنسية أو النوعية ( Image générique ) على الصورة المركبة من صور الأشياء المتشابهة ، كالصور المركبة التي حصل عليها ( غالتون ) بجمع صور الأشياء المتشابهة بعضها فوق بعض بواسطة الفانوس السحري ، أو كصور أفراد الأسرة الواحدة التي ألف منها صورة متوسطة تمثل الأسرة كلها . أو كتأليف صورة واحدة من صور مختلفة تمثل الشخص الواحد في مختلف أدوار حياته ( راجع كتابنا : علم النفس ، ص ٤٧٦ - ٤٧٧ من الطبعة الثانية ) .

ويطلق الخيال على الصورة المشخصة التي تمثل المعنى المجرد تمثيلاً واضحاً . وهذا المعنى مأخوذ في الأدب والشعر والفن ، ويرادفه التشبيه والجاز والرمز . والخيال عند فلاسفتنا القدماء قوة للنفس تحفظ ما يدركه الحس المشترك من صور المحسوسات بعد غيوبة المادة . ونحن نسمي ذلك تخيلاً وله نوعان أحدهما تمثيلي والآخر مبدع . ( راجع لفظ التخيل ) .

والخيال عند الصوفية أصل الوجود ، لأن الناس كما قيل نيام لا يرون في هذه الدنيا إلا خيالاً ، فاذا ماتوا انتبهوا . وكل من تجلى عليه الحق فعرفه أدرك أن هذا العالم المحسوس خيال قائم ، وان الارتقاء الى الله لا يكون إلا بالانتباه من النوم .

### الخيلاء

في الفرنسية Paranoia

في الانكليزية Paranoia

الخيلاء في اللغة التكبر والعجب ، ولهذا اللفظ في اصطلاحنا معنيان : الأول هو الخيال الذي يعتري الإنسان فيورثه اضطراباً كالجنون ، والثاني هو هذيان العظمة ( Délire de grandeur ) أو جنون العظمة ( Mégalomanie ) . والمختال أو الخائل ( Paranoïaque ) هو الشخص المفرط في تقدير نفسه ، المتوهم أنه أعظم الناس وأحقهم بالتقدم . وله حالتان احدهما الخيلاء الخفيفة ، وهي مؤلفة من هذيان متناسقة غير مصحوبة باختلال العقل تزداد يوماً فيوماً من غير أن تؤدي الى الجنون ، والثانية الخيلاء الشديدة ، وهي مؤلفة من هذيان مصحوبة باختلال العقل . وسواء أكانت الخيلاء خفيفة أم شديدة فإنها تورث صاحبها خطأ في الحكم على نفسه ، وحذراً ، وارتياباً وظنوناً ، وحساسية مفرطة تجعله محباً للعزلة قليل الثقة بالناس .

### الخير

في اللاتينية Bene . Bonum

في الفرنسية Bien

في الانكليزية Good

الخير اسم تفضيل كقولنا الحياة خير من الموت ، وهو يدل على الحسن

لذاته ، وعلى ما فيه نفع أو لذة أو سعادة ، وعلى المال الكثير الطيب ، وعلى العافية والإيمان والعفة . وهو بالجملة ضد الشر ، لأن الخير هو وجدان كل شيء كالاته اللاتقة ، أما الشر فهو ما به فقدان ذلك .

والخير المطلق هو أن يكون مرغوباً لكل إنسان ، والنسبي هو أن يكون خيراً لواحد وشرّاً لآخر . وعلى ذلك فالخير قسمان : خير بالذات ، وخير بالعرض ، وكذا الشر . إلا أن بعض الفلاسفة يطلقون الخير على الوجود ، والشر على العدم ، فيقولون إن الوجود خير محض والعدم شر محض ، وكذلك الصوفية ، فإنهم يقولون : إن الوجود خير محض وبالذات لكونه مستنداً إلى العزيز الحكيم ، والعدم شر محض وبالذات لعدم استناده إليه . وليس المهم أن نقول إن الوجود خير محض ، وإن الخير هو الوجود ، وإنما المهم أن نبين أن كلا من هذين المعنيين مستند إلى الآخر . فالفلاسفة العقليون يجعلون الوجود مبدأ الخير ، أما فلاسفة القيم فيجعلون الخير مبدأ الوجود .

والخير المطلق عند معظم الفلاسفة هو الوجود الذي ليس لذاته حد ولا لكماله نهاية ، لأنه خير لذاته وبذاته . وهو عند ( أفلاطون ) أعلى المثل ، ويسمى بالخير الأعلى ( Souverain bien ) ، وقد أطلق ( أرسطو ) هذا المعنى على غاية كل فعل ، وأطلقه ( كانت ) على الفعل الذي يلائم الإنسان بكيّيته ، لا من جهة ما هو عاقل فحسب ، بل من جهة ما هو عاقل وحسّاس وفاعل .

ومفهوم الخير هو الأساس الذي تبقى عليه مفاهيم الأخلاق كلها ، لأنه المقياس الذي نحكم به على قيمة أفعالنا في الماضي والحاضر والمستقبل .

وقد فرقوا بين الخير والواجب ، فقالوا : إن مفهوم الواجب يتضمن معنى الطاعة والانقياد للسلطة ، على حين أن مفهوم الخير لا يتضمن ذلك ، بل

يتضمن معنى الكمال . وقالوا إن الفعل ليس خيراً من حيث أنه كان صادراً عن إرادة الفاعل الطيبة ، بل هو خير بذاته لا بنية فاعله .

ويرى المتفائلون أن خلق الخير عند الإنسان هو الغالب عليه في زمان صباه ، لأنه مخلوق على الفطرة المقتضية للخيرات ، وإن الخير في الوجود غالب على الشر ، وأن منافع الأشياء أكثر من مضارها ، فليس يناسب الحكمة أن يترك الخير الكثير لأجل الشر القليل . فإن قال قائل : إن الله كان قادراً على خلق خير محض لا يشوبه شر ، قلنا : إن ذلك لا يكون حينئذ مناسباً لهذا النمط من الوجود ، ولا متفقاً مع ما تقتضيه الحكمة الإلهية من حرية الاختيار الإنساني ، ومع ذلك فنحن نستطيع أن نتصور موجوداً كاملاً ليس فيه شر أصلاً ، وهذا الموجود الكامل هو الله .

جميل صليبا



# تقاربات في المعجم الوسيط

- ٩ -

سابعاً : تعريف الرتب والمصطلحات العسكرية<sup>(١)</sup>

| الكلمة   | تعريفها في المعجم الوسيط                        | الملاحظات                                                                                                                             |
|----------|-------------------------------------------------|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| المُشيرُ | ( في الجيش ) : مَنْ بلغ أعلى رتبة . ( محدثة ) . | تعريف غير دقيق ، يخشى معه بعض اللبس ، ويفضل عليه القول : المشير : رتبة عسكرية ، تعتبر ، في الدول الموجودة فيها ، أعلى رتبة في الجيش . |

(١) تنبسط الدول العربية في استعمال الألفاظ الدالة على الرتب والمصطلحات العسكرية المختلفة ، على أن النهضة العربية ، التي أثرت استقلال كل من سورية والعراق ولبنان ، دفعت الدول المذكورة ، غير متفقة ، إلى إيجاد الألفاظ العربية الثلاثة للرتب العسكرية المتعددة ، وإل وضع المصطلحات لمختلف أقسام الجيوش وأنواع الأسلحة الحربية ، وانتهى الأمر في الجمهورية العربية المتحدة إلى صدور « قانون الجيش » الذي وضع الألفاظ العربية الدالة على مختلف الرتب العسكرية ، وإلى تأليف لجنة لترجمة « المعجم العسكري الكندي » مستهدفة وضع المصطلحات العسكرية ، وتوحيدها في جيوش الجمهورية .

وقامت « لجنة المعجم العسكري » وكانت برئاسة الأمير مصطفى الشهابي رئيس المجتمع العلمي العربي ، بوضع المصطلحات العربية وفقاً للقواعد القياسية والتوصيات التي اتخذها مجمع اللغة العربية في القاهرة ، وضمن منهج دقيق أشارت إليه في مقدمة المعجم الذي انتهى طبع النسخة الفرنسية منه في أوائل سنة ١٩٦١ م . ثم صدرت نسخته الإنكليزية بعد ذلك بقليل ، ومنذ صدور هذا المعجم ، أصبحت المصطلحات المدونة فيه ، معمولاً بها في مختلف القوات المسلحة في كل من مصر وسورية .



الفريق رتبة من رتب الجيش كان من المستحسن الاكتفاء في تعريف الفريق العليا ، فوق اللواء ، بأنه : رتبة عسكرية فوق اللواء ، ودون ودون المشير . (محدثة) . المشير (١) .

اللواء رتبة فوق العقيد ، ودون يلاحظ أن ورود رتبة (العقيد) في هذا الفريق ، واللواء في الشرطة التعريف خطأ ، صحتها (العقيد) ، كما يلاحظ أعلى رتبة من رتبها . أن ذكر كون اللواء ، أعلى رتبة في الشرطة تزيد يخرج عن طبيعة المعجم اللغوي ، لأن هذا الأمر تنظيمي يختلف باختلاف النصوص القانونية . وكان من المستحسن أن يكون التعريف هكذا : رتبة عسكرية فوق العقيد دون الفريق .

العقيد رتبة من رتب الجيش كان من المستحسن الاكتفاء بتعريف العقيد والشرطة فوق العقيد بأنه : رتبة عسكرية فوق العقيد ودون ودون اللواء . اللواء .

= ومن سزايا المعجم الوسيط ، أخذ ، بالترتيب الحديث للرتب العسكرية السائد في مصر وسورية ، وهو لا يختلف عن الترتيب المعمول به في كل من العراق والأردن ولبنان ، إلا في بعض الألفاظ ، أما في بقية المصطلحات العسكرية ، فإن المعجم الوسيط ، اكتفى بنقل التعريفات الواردة في المعاجم القديمة ، مع إيراد تعريفات حديثة لبعض الأسلحة والآلات الحربية ، إلا أنها جاءت متفاوتة من حيث دقتها تفاوتاً كبيراً ، فما عرّفه المعجم الوسيط تعريفاً حديثاً : الدبابة والمصفحة والمدعة والنواصة والبندقية والرشاش والماروخ ، وإنا لنأمل أن تكون طبعة المعجم الوسيط الثانية تتضمن تعريف جميع المصطلحات العسكرية الهامة والآلات الحربية تعريفات حديثة دقيقة ، مستهدفة توحيداً في مختلف البلاد العربية .

وسندين في هذه النظرات ما نراه من ملاحظات ، أو ما عثرنا عليه من هنات ونصحيات ، شابت تعريف الرتب العسكرية ، مع غاذج من المصطلحات العسكرية الواردة في المعجم الوسيط وبعض الملاحظات عليها .

(١) إن التفريق بين الرتب العليا والرتب الدنيا في الجيش مرده لس القانون ، والقانون يطلق على كبار الضباط اسم « الأمراء » وعلى من دونهم « القادة » وعلى سفارهم « الأعوان » .

|        |                         |                                              |
|--------|-------------------------|----------------------------------------------|
| العقيد | رتبة من رتب الجيش       | كان من المستحسن الاكتفاء بتعريف العقيد       |
|        | أو الشرطة فوق المقدم    | بأنه : رتبة عسكرية فوق المقدم ودون           |
|        | ودون العميد .           | العميد .                                     |
| المقدم | رتبة من رتب الجيش       | الخطأ في التعريف واضح ، وصحته : فوق          |
|        | والشرطة ، فوق الرائد    | الرائد ودون العقيد .                         |
|        | ودون النقيب .           |                                              |
| الرائد | من رجال الجيش والشرطة : | ليس من ضرورة قدعو إلى هذه الصياغة            |
|        | ضابط فوق النقيب ودون    | في التعريف ، ويستحسن أن يكون : رتبة          |
|        | المقدم .                | عسكرية فوق النقيب ودون المقدم .              |
| النقيب | رتبة من رتب الجيش       | يلاحظ أن الرتبة العسكرية التي تلي رتبة       |
|        | والشرطة فوق الملازم     | النقيب هي : الملازم الأول وليست رتبة الملازم |
|        | ودون الرائد .           | كما ورد في التعريف ، لهذا وجب أن يكون        |
|        |                         | التعريف كما يلي : رتبة عسكرية فوق الملازم    |
|        |                         | الأول ، ودون الرائد .                        |

يلاحظ أن رتبة الملازم هي أدنى رتب الضباط ، أما العريف فهو من صنف الجنود (١) ، لذلك كان التعريف غير دقيق ، ومن المستحسن أن يكون تعريف الملازم : أدنى الرتب العسكرية لضباط الجيش والشرطة .

الملازم الأول رتبة في الجيش والشرطة فوق الملازم ودون النقيب .

الملازم رتبة في الجيش والشرطة فوق العريف ودون الملازم الأول .

(١) يلاحظ أن المعجم الوسيط نفسه لم يفر إلى كلمة عريف في مادة [ع ر ف] .

الضابط مرتبة من مراتب الشرطة والجيش. (ج) ضباط .  
المرتبة والرتبة كما وردت في المعجم الوسيط نفسه: الدرجة من السلم، وعلى هذا فتعريف الضابط المذكور غير صحيح، لأن جميع أصحاب الرتب التي سبق ذكر الملاحظات على تعريفاتها، هم من الضباط، لهذا كان التعريف الصحيح لكلمة (ضابط) هو: كل عسكري من أفراد الجيش والشرطة من رتبة ملازم على الأقل .

هذا وكان من المستحسن أن يشار في تعريف الضابط، إلى معنى كل من ضابط احتياط Officer de réserve، وضابط تلميذ Élève-officier، وضابط صف Sous-officier.

جنيرال قائد الجيش (يقابله في الجيش المصري: القائد أو الفريق) . (د) .  
لم يكن ضروريا إثبات تعريف هذه الكلمة الدخيلة في المعجم، بعد أن ذكرت جميع الرتب العسكرية، كما اصطلح على تسميتها بكلمات عربية أصيلة، هذا وإن التعريف غير دقيق، فكلمة (جنرال) هي: رتبة عسكرية تقابل كلا من الرتب التالية: الفريق واللواء والعميد، بحسب الأحوال. كأن يكون مثلاً (جنرال) فيلق أو (جنرال) فرقة أو (جنرال) لواء .

الجيش الجنود - جماعة الناس في الحرب . (ج) جيوش .  
الفيصلت الكتيبة العظيمة من الجيش .  
اختلفت الجيوش القديمة في تسمياتها، لذلك اختلف مدلول الألفاظ العربية التي كانت تطلق على الوحدات التي تنقسم إليها الجيوش، وانعكس هذا الاختلاف على المعجمات القديمة، فكان للكلمة

|                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                            |                                                                                                 |
|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-------------------------------------------------------------------------------------------------|
| الواحدة ، من الناحية العسكرية تعريفات غير دقيقة أو غير واضحة .                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                             | الفرقة من الجيش عدد من الألوية . ( محدثة ) .                                                    |
| وفي العصر الحديث تختلف الدول العربية ، في تسمية بعض الوحدات العسكرية ، أما لجنة المعجم العسكري ، التي سبق أن أشرفنا عليها . فقد انتقت من الكلمات العربية الصالحة (١) الألفاظ التالية : الجيش ، الفيلق ، الفرقة ، اللواء ، الفوج ، الكتيبة ، السرية ، الفصيلة ، الزمرة ، على التتابع أمام الألفاظ الفرنسية التالية : Armée , Corps d'armée , Division , Brigade , Régiment , Bataillon , Compagnie , Section , Escouade . ولقد نقلنا التعريفات التي أوردتها المعجم الوسيط لهذه الكلمات ، وبرغم أنه أشار في بعضها إلى المعنى المحدث ، فإن التعريفات جاءت متداخلة غير دقيقة . | اللواء في الجيش : عدد من الكتائب . ( محدثة ) .                                                  |
| والأمل أن يتلافى المعجم الوسيط هذا النقص في طبيعته القادمة ، فيعرف المصطلحات المذكورة تعريفاً علمياً حديثاً .                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                              | الفوج الجماعة من الناس . و - الجماعة المارة السريعة . (ج) فؤوج وأفواج .                         |
|                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                            | الكتيبة الجيش . و - الفرقة العظيمة من الجيش تشمل على عدد من السرايا . ( محدثة ) .               |
|                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                            | السرية قطعة من الجيش ما بين خمسة أنفس إلى ثلثائة (٢) . أو هي من الخيل نحو أربعائة . (ج) سرايا . |
|                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                            | الفصيلة ( في الجيش ) ثلاث جماعات (والجماعة اثنا عشر جندياً) .                                   |
|                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                            | الزمرة الفؤوج والجماعة . (ج) زمرة .                                                             |

(١) هناك ألفاظ عربية صالحة لإطلاقها على الوحدات العسكرية وبعضها يطلق فعلاً في بعض الجيوش

المرية ، مثل : الطليعة والكوكة والنسر والتفصيل والجناح والرتل الخ ...

(٢) كذا في الأصل ، وصحتها : ثلاثائة .

التأبور جماعة المسكر من ثمان  
هائة الى ألف . و -  
الصف . و - الخامس  
( في العرف السياسي ) :  
أنصار العدو من أهل البلد  
أو المقيمين فيه . واللفظ  
بجميع معانيه ( د ) من  
التركية .  
[ مادة ت ب ر ]

( الطابور ) لفظة تركية يكتبها الأتراك بالطاء ،  
وكذلك يكتبها رجال الصحافة العربية ويلفظها  
الناس ، ولكن المعجم الوسيط ، لم يثبتها إلا  
بالتاء ، تبعاً لرأي قال به أصحاب نادي دار  
العلوم سنة ١٩١٠ م ، ورأينا أن لا ضرورة  
لإثبات هذه الكلمة العامة في معاجنا اللغوية ،  
مادام في العربية ما يقوم مقامها ، فإذا أريد  
إثباتها فيجب أن يكون ذلك بالطاء كما في  
لغتها الأصلية ، وكما يلفظها الناس في مختلف  
الأقطار العربية .

أما قول المعجم الوسيط : إن ( الطابور  
الخامس ) اصطلاح في العرف السياسي ، فمسألة  
فيها نظر ، رغم شيوع هذا الاصطلاح على ألسنة  
الناس منذ الحرب الأهلية الإسبانية سنة ١٩٣٦ ،  
إلا أنه لم يرق الى مستوى العرف السياسي ،  
كما أنه لم يدخل في أي معجم لغوي أجنبي  
يشبه الوسيط بالصفة المذكورة .

تاوَر فلاناً . شامه . و -  
خَدَعَه . ( مو ) . و -  
فِرَقُ الجيش بعضها  
بعضاً : قاتل بعضها بعضاً  
تاوَرَه إذا خادعه .

وشاع في عصرنا استعمال كلمة ( مناورة )  
تريب كلمة Manœuvre الفرنسية للدلالة على  
شبه المارك التي يقوم بها الجيش على سبيل  
[ مادة ن و ر ]



التدريب ، ومنها ولّد رجال الجيش وتبصمهم  
الناس فقالوا : تاور الجيش إذا قام به ( مناورة )  
وهو فعل يقابله بالفرنسية فعل *Manœuvrer* ؟  
هذا تاريخ فعل ( تاور ) بلألماني الثالث الذي  
ورد في المعجم الوسيط ، وأشير إلى أنه مولد  
وهو في حقيقة دخيل .

ويلاحظ أنه كان من المستحسن أن يثبت  
المعجم الوسيط في مادة [ ن ر ر ] كلمة مناورة بمعنى  
*Manœuvre* . فقد أثبت المعجم العسكري هذه  
الكلمة المعربة والشائعة في الجيوش .

أورد المعجم الوسيط تعريف هذه الكلمة  
الدخيلة في مادتين دون أن يربط بينها بأي  
إشارة ، وهذا نقص كبير ، يضاف إليه أن  
التعريفين جاءا مختلفين بعض الاختلاف ، وكان  
إيراد الكلمة في مادة [ ت ر ب ] مستغرباً لأن  
الكلمة شاعت على الألسنة معربة بالطاء دون التاء .  
وأصل الكلمة في الفرنسية *Torpille* ،  
وقد وضع المعجم العسكري عربيته :  
النسيفة .

التربيد نوع من القذائف الشديدة  
الانفجار تطلقه الغواصة  
أو الذبابة . ( ج )  
ترابيد . ( د ) .  
[ مادة ت ر ب ]

الطربيد قذيفة ضخمة تطلقها  
غواصة أو زورق أو طائرة  
على سفن العدو أو  
بلاده . ( د ) .  
[ مادة ط ر ب ]

شاعت كلمة النسيافة للدلالة على السفينة الحربية المسماة بالفرنسية Torpilleur ، وقد أثبتنا المعجم الوسيط كما وردت في المعجم العسكري ، لذلك كان من حق القذيفة التي تطلقها هذه السفينة أن تسمى : النسيفة ، كما في المعجم العسكري .  
أما النسيقة ( بتثنية النون ) وكذلك النسيقة والنسيقة التي في الأمهات فهي قد وضعت أمام حجارة الحرّة المسماة Basalte . وقد أقرها مجمع اللغة العربية مع المعربة (١) .

النسيافة سفينة حربية تنسف القلاع ونحوها . ( محدثة ) .

النسيف المنسوف .

النسيقة النسيقة .

النسيقة حجارة سرود ذات مخاريب يُنسف بها الوسخ عن الأقدام في الحمامات ..

المنجنيق كلمة فارسية دخلت العربية قديماً ، وفي القاموس : المنجنيق ، وبكسر الميم ، آلة ترمى بها الحجارة ، كالمنجنوق مُعَرَّبَةٌ ، وقد تذكّر . ج منجنيقات ومجانيق ومجانيق ، وقد جنتوا يحنقون وجنتقوا تجنقاً ، وحنقوا عند من جعل الميم أصلية .

والمعجم الوسيط أثبت فعل ( جنتق ) المولد في مادة [ ج ن ق ] دون أن يشير إلى أصله ، أرحيل إلى المادة التي أورد فيها تعريف المنجنيق كما فعل في مادة [ م ن ج ] بدون ضرورة ؟ وفي مادة [ م ج ن ] عرف المنجنيق دون أن

جنتقه - جنتقا : رماه بالمنجنيق فهو جانيق .

جنتقه جنتقه .

الجنتق أصحاب تدبير المنجنيق .

و - حجارة المنجنيق .

[ مادة ج ن ق ]

المنجنيق انظر : ( م ج ن ق )

[ مادة م ن ج ]

المنجنيق آلة قديمة من آلات

الحصار ، كانت ترمى بها

حجارة ثقيلة على الأسوار

(١) انظر معجم الشامي ص ٧٨ .

فتهدمها . ( مؤنثة ) .  
 ( مع ) .  
 [ مادة م ج ن ]

يذكر فعل ( مجتق ) أو يشير الى فعل ( جتق )  
 كما ذكر فعل جَلَّقَ وجَلَّتَقَ وكأنها عربيين  
 لا معريين !

جَلَّقَ الحِصْنَ ونحوه : رماه  
 بالمتجَلِّق .  
 جَلَّتَقَ الحِصْنَ ونحوه : جَلَّقَهُ .  
 المتجَلِّقُ : آلة تُرمى بها الحجارة .  
 ( ج ) تجاليتق .  
 [ مادة ج ل ق ]

ونلاحظ أن المعجم لم يذكر جموع المنجنيق ،  
 بينما ذكر جمع صيغة منجليق ، وهو لم يشر  
 إلى أن الكلمة قد تذكّر ، كما في القاموس .  
 كما أن المعجم لم يشر أيضاً الى صفة كلمة ( المنجاليق )  
 وقد أوردها صاحب القاموس بصيغة التذكير .  
 وفي كل هذا نقص واضطراب يستحسن تلافيه .

العَرَّادَةُ آلة من آلات الحرب ،  
 وهي منجنيق صغير .  
 كان من المستحسن أن يقال في التعريف :  
 العَرَّادَةُ : من آلات الحرب القديمة .

البارجة سفينة من سفن الأسطول  
 الحربي . ( مع ) . وقد  
 استعمالها السعودي .  
 المعروف أن البارجة ، وهي بالفرنسية  
 Cuirassé ، سفينة كبيرة من السفن الحربية ،  
 وجاء في المعجم العسكري أنها تسمى الدارعة  
 أيضاً . وهي في الجملة أكبر من الطَرَّادَةُ المسماة  
 بالفرنسية Croiseur ، لهذا فتعريفها في  
 المعجم الوسيط ناقص ، أما انها معربة فلم أجد  
 عليه دليلاً .

الطَبِيرُ نوع من السلاح له فأس . ( مع ) .  
 الطير هو : الفأس من الأسلحة القديمة .

الضَّبْرُ الدَّبَابَةُ كانت تتخذ من تعريف مسهب ، وكانت من المستحسن  
 خشب ينشئ بالجلد ، الاكتفاء بالقول بأن الضَّبْر : من آلات الحرب  
 يحتمي به الرجال ويتقدمون القديمة تشبه الدبابة .  
 إلى الحصون لدق جدرانها  
 ونقيا .

المعرض العسكري : مرور فيرق نموذجية من القوات المسلحة  
 أمام رئيس الدولة في يوم مجموع له الناس . (محدثه) .  
 [ مادة عرض ]  
 هذا التعريف أقرب لأن يكون في كتاب  
 أدبي من أن يكون في معجم لغوي ، إذ ليس  
 من شروط المعرض العسكري أن تفرق نموذجية  
 أمام رئيس الدولة في يوم مجموع له الناس ،  
 فقد يكون المعرض لقوات محاربة ومن قبل  
 شخصية رسمية غير رئيس الدولة ، ودون أن  
 يجمع الناس لرؤية ذلك ا

(يتبع)

عدنان الخطيب



## استدراكات ومقترحات

كان عمر بن عبد العزيز يقول للناس : «تحدثون ونحدث لكم»  
يريد : تحدثون أفعالاً ، فنحدث لها أحكاماً ..

وعلى قدر ما يصح هذا في الشريعة ، يصح في اللغة أيضاً . فلا بد  
للغة من أن تضع أو تستعير من الألفاظ والمباني ، ما يفي بحاجة ما يجد  
من المقاصد والمعاني . والعربية لم تخرج ، ولا تملك أن تخرج عن  
هذه السنة .

«يحدث فتحدث» وإلا وقعت في جمود يأخذ بخناقها ، فيقطع  
عليها أنفاسها .

ومن فضول القول - وقد كرره كل من كتب في اللغة ، أو في  
موضوع لغوي - أن المصور تتعاقب ، ويحدث في كل عصر من الحاجات  
ما لم يُعرف مثله في عصر غير . فالزمن يسير ، والأغراض والأشياء  
تجدد ، فلا بد من السير في ركب الحياة ، وقافلة الحضارة .

على أن يكون لوضع الألفاظ ونقلها ، أو استعارتها ، قواعد وقيود ،  
فلا يكون الأمر مباحاً لا رابط له ، بل يجري على سنة صحيحة ،  
وأصول قوية ، وهو الرأي الذي عليه الثقات المخلصون من أبناء العربية .  
ومن حق المجامع العربية ، من لغوية وعلمية ، أن تفرض على محدثي  
الألفاظ وباعثيها ، عرض ما يختارونه ، وإن تستمع لما يعرض عليها ،  
وتتناوله بالبحث والتمحيص ، ولا سيما ما ينشر في مجلاتها .



وقد يكون من المفيد ، إبداء الرأي في اللفظة ، والاستماع الى مختلف الآراء فيها ، ليكون قرار القبول أو الرفض ، مستنداً الى اجماع - أو في أقل ما يكون الى اتفاق ، يكسب اللفظة حق دخول حرم اللغة . وعلى هذا أحسبت أن أتناول الألفاظ التي اقترحها الأستاذ وديع فلسطين ، ونشرت في الجزء الثالث من المجلد التاسع والثلاثين من مجلة المجمع العلمي العربي . فهو يرى :

١ - أن تترجم لفظة Téléphoner بـ « هاتف » . وما أحسب أننا في حاجة الى هذا ، ذلك أن ( هاتف ) الثلاثية التي ورد عليها النص ، تفني عن استعمال كلمة لم يرد عليها نص .

ففي لسان العرب : هَتَفْتُ بفلان : أي دعوته . وفي حديث حنين : « اهتِفْ بالأنصار » أي نادهم وادعهم .

ولا يُراد من « هاتف » المقترحة غير ما تضمنته ( هاتف ) من معنى (١) .

٢ - المحرزات Achievement تترجم اليوم بـ « المنجزات » ولعلها أدل على معنى الكلمة من المحرزات .

(١) ملاحظة : « الهاتف » ، أول من استعملها المجمع العلمي العربي بدمشق .

وقد تكون من موضوعات الأستاذ للفربي رحمه الله .

وهي ترجمة موقفة للتدوين . والتلفون معناه الحرفي : ( صوت من بعيد ) وقد استُند في وضعها الى ما في ( الهاتف والهاتف ) من معنى يتصل اتصالاً وثيقاً بما وضع له . فن ماني ( الهاتف ) و ( الهاتف ) الصوت الجسافي العالي ، والصوت الشديد وتقول : سمعت هاتفاً يهتف ، إذا كنت تسمع الصوت ، ولا تبصر أحداً . وقد قام جدل طويل في هذه اللفظة انتهى باتخاذها ، ونحو أن استعمالها وعم ، ولا يقدح بصحة هذا الاستعمال ، إذا رافق - في مستقبل الأيام - صوت التكلم صورته . فالعبارة للصق الذي توضع له الكلمة أول ما توضع ، ولا عليها ما يطرأ بعد ذلك من تطور وتبدل .

٣ - مقالة الصدر . خير استعمالاً من الافتتاحية ، غير أن هذه شاعت منذ زمن بعيد . وهي لفظة مفردة ، والمفرد خير من المركب . على أنه لا خير أن تستعمل اللفظتان ، إلى أن تغلب احدهما اختها فتميتها .

والغريبيون يقولون : Article de fonds

ويقولون : Article éditorial

٤ - المواعدة : حسنة جداً . وتصلح للزمان والمكان . يقال : واعدته الوقت والموضع . وهي من الألفاظ القرآنية وكما جاءت ( واعد ) جاءت ( تواعد ) .

٥ - انطباعات ( Impressions ) يقول الأستاذ فلسطين : ( وقد جرى كثير من الكتاب على ترجمة Impression بلفظة انطباعات . وشاعت هذه اللفظة كثيراً في الصحف والإذاعات وعنوانات الكتب ، وفي ظني أنه ربما كان من الأوقع في الأذن ترجمة هذه اللفظة بجملة متعددة الكلمات مثل : « ما انطبع في نفسي » ) : نقول : إن ترجمة اللفظة الواحدة بجملة غير مستحب إلا في الضرورة القصوى . وانطباعات : تفيد معنى شيء انطبع في الذهن أو في النفس ، وفي ذلك غنى عن ترجمة اللفظة بجملة . فان كانت هذه اللفظة لم تؤد هذا المعنى ابتداءً ، فقد أقره الاستعمال .

أما ( الارتسامات ) التي استعملها الأمير شكيب أرسلان - رحمه الله - في كتابه « الارتسامات اللطاف » فما أحسب العلامة الارسلاني أراد أن يترجم لفظة ( Impressions ) فهو قد ألّف كتاباً عربياً عن قطر عربي ، لا موضع فيه للترجمة .

على أنه مهما يكن من أمر ، فان « الانطباعات » أبلغ أثراً في النفس من « الارتسامات » وان تشابه المعنى فيها بعض الشيء ، ولا ينبغي استعمال احدهما في موضع ولمعني ، من استعمال اللفظة الأخرى في موضع آخر ، ولمعني آخر .

٦ - ( Laissez - faire ) ترجمة هذه اللفظة بـ ( دع المقادير تجري في أعنتها ) ترجمة توافق الأستاذ في أنها صحيحة ، كما أنا نوافقه في أنها شعرية ، ونقف عند هذا ، فلا نغني معه في جواز استعمالها مع « شعريتها » في المجال الاقتصادي ، فكل علم ولكل فن لغته وأسلوبه .

ويمكن أن يترجم هذا المعنى في المعاملة التجارية بـ ( دع الأمر في مجراه ) أو ( دع الأمور في مجاريها ) وهو اختصار لاقتراح الأستاذ . أما في غير المجال الاقتصادي فقد تترجم بـ ( دعه وشأنه ) أو ( أنت وشأنك ) .

٧ - ( ذات العلاقة ) هذه من التعبيرات التي استقبحها الأستاذ وفضل عليها ( ذات الشأن ) أو ( المعنية بالأمر ) والقول : ( الدول المعنية بالأمر ) تفضيل في محله . وقد يستغنى مع الزمن عن ( بالأمر ) ويكتفى بـ ( الدول المعنية ) فيصبح التعبير أوجز .

وفي اللسان : « عنت بجأجتك » أعنى بها ، وأنا بها معنى ، على مفعول .... ويقال : هذا أمر لا يعني ، أي لا يشغلي ولا يهمني . . (٨) رجل دولة : هذا تعبير حسن بليغ ، يؤدي المعنى المقصود منه على أتم وجه . فإذا قلنا : ( فلان رجل دولة ) معناه : أنه الرجل الذي يصلح أن يتولى الحكم . كما ان قولنا : ( فلان رجل الدولة ) معناه أنه القائم بأعباء الحكم ، الملقاة على عاتقه مهامه بحق .

ولا نرى أن ( السامي المنك ) الذي يقترحه الأستاذ ، تقوم هنا مقام ( رجل الدولة ) .

٩ - ( فلان استدارت شخصيته ) هذا تعبير يخالف الأستاذ فيه كل المخالفة . فالاستدارة والشخصية تعبير لا تستسيغه العربية ، فهو يخالف

لأسلوبها يحملته وبفرده . والعربية غنية عن ( الاستدارة ) و ( الشخصية )  
بكثير من تراكيبها ، نقول : هذا ( رجل كل الرجل ) ، و ( رجل  
جيد رجل ) و ( تام الرجولة ) و ( كاملها ) ، و ( رجل وحده )  
و ( قريع دهره ) - الى عشرات من هذه التراكيب التي تدل على  
( استدارة الشخصية ) . . . . . وتقني عنها .

١٠ - يقول الأستاذ فلسطين : ( وكثيراً ما يرد في مصادر القضايا  
الجنائية تعبير في وصف زيد من الناس دارت من حوله الشبهات ، وظن  
أن له في القضية يدأ . وقد لاحظت أن المترجمين يضربون في ترجمة هذه  
العبارة في متاهات شتى . فمنهم من يقول ( متورط ) ومنهم من يرى استعمال  
( داخل ) أو ( مشارك ) لوصف من طاردته الاتهامات . وفي ظني أن  
خير ترجمة لهذه اللفظة هو ( له ضلع ) أو ( له يد ) .

عبارة الأستاذ يحتمل ظاهرها معنيين : التعبير القانوني ، أو التعبير  
الإنشائي ، أي الاستعمال المطلق غير القانوني . فان كان يريد هذا الأخير  
فكل الكلمات التي انتقدتها صحيحة جائز استعمالها ، في المواطن التي يقتضيها  
المعنى وسياق الكلام ، كما ان ما يقترحه صحيح بليغ .  
أما إذا أراد التعبير القانوني فملاحظته في غير محلها .

فالمشاركة في الجريمة ، غير المداخلة فيها . فهي حالات مختلفة ، لكل  
منها عقوبة تختلف عن أختها فلا يصح التعبير عنها تعبيراً واحداً ، فيقال  
لفلان ( ضلع ) أو ( يد ) قولاً مطلقاً في جميع الحالات ، وعلى الحصر في  
الحالتين اللتين أشرنا اليهما (١) .

(١) والفريق من يشترك مع الفاعل مشاركة ما كان الجرم لولاها ليم . وأما التدخل  
فهو من يساعد الفاعل بمساعدة بالواحدة . ولو قيل : الدخيل ، بدلاً من التدخل ،  
فكان الاستعمال أفضل وأوزن .

١١ - المتهمرجون : أطلقها السيد فلسطين على القوم يجمعهم المهرجان ، قال : وقد وافقه عليها الأستاذ تيمور . وهي لفظة نترك أمرها لرأي الجمهور . فقد يصفقها الاستعمال فتألفها الآذان ، فيستأغ مذاقها ، ويحوز استعمالها .

١٢ - أما « تحت الطلب » و « رهن الطلب » اللفظتان اللتان اقترحتهما للواتي « يحترفن فنون الحب وتوجه الدعوة اليهن بالهاتف » فقد يكون أصلح منها أن يقال : ( قتيات الهاتف ) أو ( بنات الهاتف ) أو ( بنيات الهاتف ) وهي الترجمة الحرفية التي أشار اليها الأستاذ . ولا غبار عليها من حيث المبنى والمعنى . وقد تكون ألطف وقماً من ( تحت الطلب ) . هذه تعليقات عابرة على ( الألفاظ المرتجلة ) .

عارف النكدي





## « كلمات » من المغرب الأقصى

كان الأمير شكيب أرسلان ، رحمه الله ، يقول : المغرب والمشرق في العروبة صنوان ، وقد جعل هذه القولة عنواناً لبعض مقالاته التي كتبها للدفاع عن عروبة المغرب وأصالة بنيهِ في التمسك بلغة الضاد تمسكاً جعل منها اللغة القومية الوحيدة التي احتضنت تراثهم الأدبي والعلمي والفني منذ الامتداد العربي الأول إلى الآن ...

وكانت العوامل الإقليمية في الوطن العربي الفسيح الأرجاء تحمي وتُميت من الألفاظ والتراكيب ما لا عدد له ، فتحيا كلمة عربية في القيروان أو في فاس أو تلمسان أو قرطبة أو غرناطة ، بينما تموت في دمشق أو بغداد أو القاهرة ، والعكس واقع أيضاً .

وجاءت راجفة الامتداد التركي وتبعته رادفة الاستعمار الأوروبي فكانت كل منها للعربية بالمكيال المعروف ، وزاحت كلتاهما اللغة القومية في الماديات والمعنويات ، لكن لغة الضاد أقوى وأعمق من أن تكون فريسة راجفة من الرواجف ، أو ضحية رادفة من الروادف ، وكان لسان حالها يقول :  
كناطح صخرة يوماً ليؤمها فلم يغيرها وأوهى قرنته الوعل

ولعله قد حان الوقت ليصفي العرب حسابهم مع الطفيليات اللغوية التي نشأت هنا وهناك ، ولينظروا بعين وتبصر في قائمة الأموات والأحياء هنا وهناك ، وليتعهدوا الضعيف ، ويقوموا بالمعوج ويقتبسوا ويعربوا باختيارهم ما هم في حاجة إليه من مصطلحات الحضارة التي نعيش فيها ، والثقافة التي نفكر بها .

ويجب أن تكون عملية التصفية والتعمد نتيجة لعملية تسبقها وهي عملية الإحصاء والجمع والاطلاع والدراسة لكل الألفاظ والتعابير المستعملة حالياً في الوطن العربي بشرقه ومغربيه .

ففي اللهجة التي نسميها دارجة أو عامية ألفاظ ومصطلحات حية ماتت في المعاجم والمراجع وعند امعان النظر فيها نجد ما عريضة المبني والمعنى ولكنها ليست قاموسية .

وفي الأمثال التي نسميها دارجة أو عامية الشيء الكثير من هذا القبيل . وأنا شخصياً قد وجدت مادة خصبة عندما كنت أجمع الأمثال المغربية . وليس في هذه العملية إحياء للهجات العامية على حساب اللغة العربية ، وليس فيها خطر على لغتنا القومية الفصحى التي هي لغة الضاد ، ولكن فيها شيء آخر هو إحياء ما أماتته المعاجم من الألفاظ الفصحى .

وقد ارتأيت أن أبدأ بتقديم كلمات من المغرب الأقصى لما مدلول خاص توارثه الخلف عن السلف واستعمله المغاربة في آثارهم الأدبية والعلمية والفنية منذ قرون ، وما زال هذا المدلول معروفاً إلى الآن بينهم .

وفي الوقت نفسه أربط الصلة بين المدلول الاصطلاحي والمدلول اللغوي وأعني به القاموسي إذ دائرة اللغة أوسع من دائرة القواميس .

وأمل أن تجد هذه الفكرة صداها عند المعنيين بالحفاظ على اللفظ العربي في حاضره ومستقبله لنقدم للأجيال المقبلة لغة محيطة بالألفاظ والمعاني ، ومعاجم جامعة لكل التراث الذي اشتركت في تكوينه عبريات من مشرق العروبة ومغربها .

## القيسارية

في التنظيم العمراني للمدن المغربية القديمة منها والحديثة نجد السوق المركزية لأنواع الثياب وأصناف البز يطلق عليها اسم القيسارية .  
وتحتل هذه السوق مكانة مرموقة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية لسكان المدن المغربية لاسيما في العصور القديمة حيث كانت أثمان البز بمنزلة «البورصة» للمنتوجات المغربية في الميدان الفلاحي والصناعي ، كما أن تجار هذه السوق كانوا يمثلون العنصر النشط في الحياة المغربية العامة .

لهذا نجد المؤرخين لمدينة فاس لا يذنون الكلام على هذه السوق وتاريخ تأسيسها وما يتعلق بها من قضايا ومشاكل شغلت الفكر العام ودفعت العلماء الى التأليف والفتوى فيمن يحوز اعتماره بهذه السوق ، ومن يُمنع من ذلك لاعتبارات خاصة .

كما أن الرحالين والجغرافيين الذين تكلموا على مدينة فاس ومراكش لم يهتموا الحديث عن القيسارية وحوانيتها وتجارها وما يعرضون من أنواع مختلفة من ثياب الصوف والقطن والحرير .

غير أن هناك شيئا أساسيا من فاحشي البحث اللغوي والعلمي يتعلق بكلمة قيسارية أمل إمالاً عند الباحثين المتقدمين ولا سيما رجال المعاجم والمراجع مما جعلنا نتساءل عن هذه الكلمة :

ما أصلها ؟

أهي قيسارية أم قيسارية ؟

وهل هناك علاقة بينها وبين قيسر ؟

وما شأن هذه الألف التي جاءت بعد السين أو الصاد ؟

كل هذه الأسئلة تشيرها كلمة قيسارية .

والمعاجم التي بين أيدينا لها موقف معروف من هذه الكلمة ، فتارة تهملها إهمالاً فلا تذكر لها اسماً ولا مُسَمًّى وتارة تشرح المسى وتهمل الاسم وأصله ، وتارة تشير الى أنها محرفة عن القيسارية .

ونحن في هذا التحقيق اللغوي حول هذه الكلمة يجب أن نجعل أمامنا هذه النتائج التي وصلنا إليها بعد الاستقراء والتتبع للكلمة عند المؤرخين والرحالين واللغويين والموثقين ، وذلك قبل أن نذكر الدليل .

لا علاقة لغوية بين كلمة قيسارية وكلمة قيصر .

لا علاقة لغوية بين المدينتين : قيسارية الشامية وقيسارية الرومية اللتين ذكرهما ياقوت الحموي في معجم البلدان وبين كلمة قيسارية التي استعملها الأندلسيون والمغاربية اسماً للسوق المعروفة عندنا وعندهم .

ان المؤرخين والرحالين الذين كتبوا عن القيسارية حافظوا على رسمها بالسين ولم يشذ عن ذلك ، فيما فعل ، إلا صاحب الاستبصار وهو من رجال العصر الموحدى ، فقد رأيناها عنده ص ( ١٤٠ ) مكتوبة بالصاد ، مع أنه كتبها مرة أخرى في نفس الكتاب بالسين . ولعل ذلك تصحيف . هذه هي النتائج التي هدانا إليها البحث عن أصل الكلمة ؛ وبطبيعة الحال لا بد للباحث أن يشرح دليلاً شرحاً يعطي للنتائج قيمتها اللائقة بها . وكلمة قيسارية كلمة عربية المبنى والمعنى دخلها تغيير بسيط وهو زيادة الألف فقط . وذلك أننا نجد في اللغة القيسَريُّ بمعنى الكبير (١) . فالرجل القيسَريُّ والسوق القيسَريَّة يعني الرجل الكبير والسوق الكبيرة . أو العظيمة . ولعل الأصل في هذا الاستعمال اللغوي الفصح أنهم كانوا يقولون :

(١) القاموس المحيط مادة قسر .

السوق القيسرية أول الأمر ، ثم حذفوا الموصوف واقتصروا على الصفة . كما هو الشأن في كثير من الأعلام الاصطلاحية حيث تلعب الصفة دورها الأساسي في غيبة الموصوف .

وإذن فلا مجال هنا للصاد ولا لقيصر . فالكلمة عربية في أصلها واستعملها ولو كره أصحاب المعاجم والمراجع الذين أهملوها إهمالاً أو ذكروا المسمى دون للبحث في الاسم وأصله اللغوي الصحيح .

على أن هناك ملاحظة لا بد من الإشارة إليها وهي هذه الألف التي جاءت بعد السين ما شأنها ؟

والحقيقة التي يصل إليها الباحث بالتتبع لرسم الكلمة عند المتقدمين والمتأخرين ، ولا سيما في رسوم الأملاك والعقارات والأحياس ، هي أن الألف زيدت على السنة العوام ثم انتقلت إلى الأقلام على مر العصور والأجيال . والغريب المستغرب أنني وقفت على كتابتها بدون ألف بخط بعض المحققين من علماء وموثقين فيقولون مثلاً :

« الحانوت الرابعة عن يمين الداخل للقيصرية » بلا ألف ، وهذا دليل على أنهم كانوا يعرفون ، في الغالب ، الأصل اللغوي الصحيح للكلمة . هذا تحقيق لغوي لكلمة القيسارية ، أما دور هذه السوق في الحياة الاجتماعية والفكرية فله قصة أخرى ستعرفها فيما بعد .

## الْمَخْزَن

في التنظيم السياسي والإداري للمغرب الأقصى نجد كلمة « مخزن » تعني الحكومة وسلطتها التنفيذية بمصالحها ومظاهرها تفوذها في الشرطة والجيش ورجال الحكم الممثلين لها في المدن والأقاليم ، بل حتى في بعض العادات والتقاليد وهيئة اللباس وأسلوب الرسائل والمحادثات ونظام الحياة العمرانية في البناء والزخرفة في الدور والقصور وغيرها .



فالمخزن يعقد المعاهدات مع الدول الأجنبية .  
 والمخزن يجمع الجيوش وينظم القلاع والحصون .  
 والمخزن يؤدب العصاة ويحكم بين الناس بالعدل .  
 والمخزن يسهر على حماية الأمن الداخلي والخارجي للبلاد .  
 والمراسلات المخزنية تكتب بأسلوب خاص بلغ النهاية في الجودة والدقة  
 واستعمال المحسنات البديعية مع الاصطلاحات الخاصة التي صارت من التقاليد  
 المغربية المعروفة عند رجال المخزن .

وكلمة « مخزن » اسم مكان من ( خزن مخزُن ) كما هو واضح أما كيف  
 أصبح يدل اصطلاحياً على الحكومة فهو ما سنحاول اجماله في هذه السطور .  
 في تاريخ المغرب السيامي لا نجد ظلاً لهذه الكلمة على عهد دول الإدارة  
 والمرابطين والموحدين . ولكننا نجدها في دولة بني الأحمر بقرطبة وعند  
 وزيرهم لسان الدين بن الخطيب في كتابه « الإحاطة » على الأخص .  
 ودولة بني الأحمر ووزيرها لسان الدين بن الخطيب عاصرا دولة بني  
 مرين في فاس . ووجود الكلمة في قلم ابن الخطيب أولاً معناه أن الاصطلاح  
 كان أندلسياً أولاً ثم مغربياً ثانياً .

وابن خلدون وهو معاصر لابن الخطيب ومن كتاب دولة بني مرين لم  
 يستعمل كلمة « مخزن » فيما نعلم من آثاره .

ومن أجل ذلك نستنتج أن هذا الاصطلاح انتقل من الأندلس إلى  
 المغرب في أواسط القرن الثامن الهجري على عهد بني مرين .  
 ولا نشك أن الاطلاق كان من أجل أن الحكومة كانت لها ( مخازن )  
 للسلاح والميرة والمال . وتلك المخازن هي رصيد قوتها ودليل وجودها  
 واستمرارها في نظر أصدقائها وخصومها .

ومن أجل أن « المخزن » قوام الحكومة أطلق عليها وصارت  
 لا تعرف إلا به .

وبدأت كلمة « مخزن » تتوارى لتفسح الطريق أمام كلمة « حكومة » في السنوات الأخيرة .

### السَّيْبَة

كانت الأقاليم التي تشق عصا الطاعة على الحكومة الشرعية « المخزن » يقال لها أقاليم السَّيْبَة أو بلاد السَّيْبَة ، ثم صارت هذه الكلمة تعني الفوضى واضطراب الأمن والنظام .

ولا شك أن المادة لغوية قاموسية فسَّاب الماء : جرى وذهب كل مذهب ، والسَّابَّة في الجاهلية الناقة التي تُسَيَّب أي تُهْمَل وتُتْرَك لِتَنْذِرٍ أو نحوه .

فالكلمة إذن عربية المبنى والمعنى فهي إذن اسم مرَّة أي فَعْلَة من سَابَ يسيب ، ثم حُرِفَتْ بكثرة الاستعمال فَكُثِرَتْ سِينُهَا بعد الفتح .

### المَشْوَر

تطلق هذه الكلمة في المغرب ، وقد أطلقت في الأندلس من قبل ، على الرحاب الواسعة التي يتخطاها الزائر قبل أن يدخل إلى القصر الملكي « دار المخزن » .

وتكون هذه الرحاب عادة محل وقوف الحراس والجنود واستعراض خيل « المخزن » وجنده في الأعياد والمواهم والحفلات .

وفي القواميس نجد المَشْوَر بالآلف المكان الذي تُعرض فيه الدواب . فهل يكون الاصطلاح المغربي جاء من هنا حيث أن رحاب « دار المخزن »

تعرض فيها الخيول؟ ثم حُرِّفَت الكلمة فحُذِفَت أَلِفُهَا وَفُتِحَت مِيمُهَا  
هذا احتمال أول .

وهناك احتمال آخر وهو أن كلمة « مَشَوَّر » اسم مكان من شَاوَرَ  
على غير قياس إذ القياس في اسم المكان من غير الثلاثي أن يكون على صيغة  
المصدر الميمي « مُشَاوَر » .

وهذا الاحتمال الثاني يثبته أن زائر القصر لا بد أن يقف منتظراً في  
المشور نتيجة المشاورة التي يقوم بها حارس خاص يُسَمَّى « المشاري »  
الذي يكون واسطة بين الزائر والمزور ، يعني يشارر المزور هل يمكنه  
استقبال الزائر في ذلك الوقت ؟

### المَرُوزِيَّة

المروزية طعام مغربي يحضر باللحم والزبيب وعدة توابل يسمى مجموعها  
« راس الحانوت » .

وهو منسوب إلى مدينة « مرو » الفارسية ولا شك أنه ينسب إلى  
هذه المدينة على القياس فيقال : مروي . وعلى غير قياس فيقال : مَرُوزِي ،  
كما يقال في النسبة إلى الري رازي .

وقد حافظ المغاربة على هذه النسبة الغريبة منذ أقدم العصور إلى  
الآن . وما زالوا يستعملون المروزية إلى هذا الزمن .

فاس ( المغرب الأقصى )

عبد القادر زمام



## مصطلحات شدياقية

بين الآثار العديدة النفيسة التي خلفها جبار القرن التاسع عشر - كما يحلو للأستاذ شفيق جبري أن يسميه - أحمد فارس الشدياق ، كتابان ضمها في مجلد واحد ، سمي الأول منها : « الواسطة » ، في معرفة أحوال مالطة ، وسمى الثاني « كشف المُنخبأ » ، عن فنون أوربا <sup>(١)</sup> . وقد طبع الكتابان طبعة أولى ، لم أعتز عليها ، ولم أعرف تاريخها ، ثم طبعا طبعة ثانية في عام ١٢٩٩ هـ ، في مطبعة الجوائب بالقسطنطينية . وقد اعتمدت الطبعة الثانية في هذا البحث .

الكتابان يدخلان في أدب الرحلة - وهو فن قديم معروف - وليس غرضي دراسة ما جاء في الكتابين ، فلا يتسع لذلك مقال في مجلة ، بل إنها خليقان بأن يفرد لهما كتاب برأسه أو أكثر ، لما تضمننا من المعلومات الجغرافية والتاريخية ، والاحصاءات العديدة ، والطرف الأدبية ، والفوائد اللغوية ، والإحاطة في وصف ما رأى المؤلف في ديار لم يكن يعرف عنها أحد من أهل المشرق شيئا ، والفصوص على أخلاق الشعوب وخصائصها ومزاياها ومحاسنها ومساوئها ، والمقارنات بينها ، والدراسة للحياة الاجتماعية في مختلف مظاهرها ، والأنظمة السياسية التي عرفها ، والمناهج الثقافية التي اطلع عليها ، وغير ذلك مما حفل به الكتاب من ألفه إلى يائه - دون أحمد فارس ذلك كله بأسلوب اتسم بالجد حيناً ، واقتصف بالتهكم أحيانا .

---

(١) كذا رسم « أوربا » بالألف ، والعرب رسمتها « أوربة » بالباء المربوطة . ثم إنه سمي كتابه في ص ٦٧ « كشف المنخبأ » ، عن تمدن أوربا .

وما أعرف كتاباً من الكتب التي ألفت خلال القرن التاسع عشر ، في هذا  
اليسير الذي عرفت ، خلا من التكلف ، وتنزه عن الإسفاف في الأسلوب ،  
وبعث العربية بعثاً كان مزيجاً بين طبع العصر الأموي ، وتقيد العصر العباسي  
تقيداً مقبولا ، كهذا الكتاب الفريد ، وكالكتب الأخرى التي خلفها الشدياق .  
وانما غرضي أن أعرض ناحية من نواحي الكتاب تتصل بأهداف الجمع  
العلمي العربي ، وبأغراض مجلته : تلك هي المصطلحات الحديثة التي وضعها  
أحمد فارس في كتابه هذا .

عاش أحمد فارس في مالطة حيناً من الدهر أستاذاً للغة العربية ، في  
النصف الأول من القرن التاسع عشر ، فرأى في هذه الجزيرة مظاهر حضارة  
حديثة جاء بها الإنكليز الذين استعمروها ، وكانت هذه المظاهر متصلة  
بالحياة السياسية والاجتماعية والثقافية وغيرها ، ثم رحل في عام ١٨٤٨ الى  
بريطانية ، مجتازاً بلاد الفرنسيين . وأقام في الأولى عشرين شهراً أو أكثر ،  
وسكن الثانية مدة لم يحددها ، فرأت عينه ، ووعى عقله أموراً ليس لها  
وجود في بلاده التي فارقها ، فسجلها على النحر الذي بدا له ، فجاء  
بالعجب العجيب .

وآية أحمد فارس التي تميز بها بين الأقران ، أنه اصطدم بهذه المخترعات ،  
فدهش لفوائدها ، وعرف أنظمة الحكم السائدة يومئذ قادرك أسسها  
ومناهج تطبيقها ، ودرس ما في المجتمع كله دراسة عميقة كل العمق ، وأخذ  
بعد ذلك في تطويع لغة العرب لهذا الباب الضخم الذي فجاء ، وحده من  
غير أن يستعين بإنسان ، أو لجنة من اللجان . كان عمله وحده هو الذي  
أوحى بما وضع من مصطلحات .

أضف إلى ذلك أنه استعمل ألفاظاً ليست من المصطلحات الحديثة ،  
وانما هي ألفاظ عربية موجودة في المعاجم ، أمهلها الناس فأحيها .



ومهما يكن من أمر ، فإن أحمد فارس قد كان مفردة مجمعا علميا ، أصاب حظا من التوفيق مرات ، وأخطأه التوفيق مرات . وسأرى من المفردات التي تتبعها في هذا الكتاب وحده ، أنه قد سلك طرقا عدة : أولها - بحث ألفاظ عربية تقابل المصطلحات الأعجمية ، أو اعتقد أنها تقابلها .

ثانيها - الترجمة الحرفية ، وقد عمد إلى إيضاحها ليقينه أنها ستكون مغلقة على الناري .

ثالثا - التعريب ، وإجراء الألفاظ المعربة على أوزان المريسة إذا أمكن ، وإلا فابقاؤها على حالها .

رابعها - التعبير بجملة عن اللفظ حين الحاجة .

خامسها - استعمال ألفاظ عامية درجت على الألسن وألفها الناس . واليك هذه الألفاظ كما وردت في مرتبها بالكتاب ، وربما فاقني منها شيء لم أنتبه إليه :

١ - البَدَل . داء المفاصل ص ١٤ Rhumatisme ، وقد اختير له اليوم لفظ الرُّثِيَّة .

٢ - فلانة : Flanelle وقد سماها : غلائل الصوف ، ص ١٤ .

٣ - كشك (١) : Kiosque ، وسماها : روشن ص ١٨ . واللفظ يستعمله حتى اليوم أهل حمص وحماه ودير الزور لما يدل عليه اللفظ الأعجمي ، ويراد منه المأوى الذي يقام على خفاف الأنهر ، أو في الحدائق ، من أعمدة خشبية ، ومن أوراق الشجر .

(١) كشك كما جاء في لاروس تركية ، والعرب سموه الجوسق وهو في معجم الألفاظ الفارسية من (جوسه) بمعنى القصر . (لجنة الترجمة)

٤ - أَطَنَ الجرس : Sonner ص ٢٠ ، واصطلاح اليوم على لفظ « دَقَّ » بدل « أَطَنَ » وهو غير صحيح ، ولكن شاع استعماله ، وأضحى من ألقاط المولدين .

٥ - المتشكزون : أراد بها : المواطنين الذي قلدوا الانكاز في لباسهم وعاداتهم ... ص ٢١ .

٦ - الكرنيفال : Carnaval - كذا رسمها بالياء . قال موضعاً ( ص ٢٣ ) : « ومن ذلك - أي اللهو - ثلاثة أيام في المرفع ، ويعرف بالكرنيفال ، وهي : الأحد والاثنين والثلاثاء . يلبس فيها الرجل كالمرأة ، والمرأة كالرجل ، ويتزيون بهيئات متنوعة ، وأشكال مختلفة ، وينطون وجوههم بخلود على هيئة الوجه ، ويطوفون في المدينة حيارى سكارى ، ويسمون هذا التشكل مسكرة ، وكأنه يحرف عن المسخرة ... »

٧ - الملهى : Théâtre ( ص ٢٤ ) قال : الملهى وهو المسمى عندهم بلفظة « الشياطر » أو « الشياطرو » . ورد إطلاقه هذا اللفظ الى نص عربي قديم جاء فيه : « والظاهر ان المسلمين كانوا يطلقون على هذا الموضع اسم الملهى ، فقد كتب عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب ما نصه : اني فتحت مدينة المغرب وفيها أربعمئة ملهى » . والمعروف اليوم : المسرح .

٨ - البدال : بيع الأطعمة ( ص ٢٥ ) صحح فيها ما جاء في القاموس من أن بيع الأطعمة هو البقال .

٩ - القربى : دكان البقال .

١٠ - مدرسة جامعة : Université ( ص ٢٥ ) .

١١ - المشائخ ج شيخ : Professeur ( ص ٢٦ ) . واستعمل في ص ١٢٥ لفظي : المعلم والأستاذ . وشاع اللفظان الأخيران في هذا الزمان ، واقتصر الأول على رجال الدين .

- ١٢ - دار كتب : Bibliothèque (ص ٢٦) ويقال اليوم أيضاً : مكتبة .
- ١٣ - المستشفى : أطلقه في ص ٢٧ على مآري العجزة ، ووصف مكانه وصفاً بالغ التأثير . وسماه في مكان آخر : المارستان . راجع فقرة ١٣٥ .  
Asile des vieillards .
- ١٤ - الدستور : Constitution (ص ٢٩) .
- ١٥ - برنيطة : Chapeau ، (ص ٣١) وما رأيت استعمل لفظ «قبعة» أبداً .
- ١٦ - الخواتين ج خاتون : (ص ٢٣) وهو لفظ أعجمي ، معناه : المرأة ذات الصون . ونص عبارة القاموس : المرأة الشريفة . وما زالت مستعملة عند العامة في العراق حتى اليوم .
- ١٧ - الجُبَّات والجُبَّ ج جبَّة : Pardessus (ص ٣٤) ، واستعمل الناس الآن لفظ : معطف .
- ١٨ - المتعة أو التسري : أراد بها الزواج العرفي (ص ٣٨) Concubinage .
- ١٩ - بارون : Baron (ص ٤١) .
- ٢٠ - مركيز : Marquis (ص ٤١) .
- ٢١ - دكتور ودكتور : Docteur (ص ٤١) وجعل مؤنثها : دكاترية ص ١٧٥ . قال (ص ١٩٧) : « يوصف بها كل من الطبيب والرباني والفيلسوف على حد سوي » . والمشهور اليوم بالناء لا بالطاء .
- ٢٢ - بوسطة المكاتب : Postes ص ٤٥ . وورد في ص ١٤٤ لفظ : البريد . ولا يستعمل اليوم إلا اللفظ الأخير : البريد .
- ٢٣ - تقييد الصكوك : Notariat (ص ٤٥) . وسمى الكاتب بالعدل Notaire : كاتب الصكوك والعقود (ص ٢٢٨) .
- ٢٤ - الكرنطينة : Quarantaine (ص ٤٥) واصطلح على تسميتها : الحجر الصحي ، أو العزل .

- ٢٥ - الحاكم : Gouverneur ( ص ٤٥ ) .
- ٢٦ - كاتب السر : Secrétaire ( ص ٤٥ ) .
- ٢٧ - ناظر الخزينة : Trésorier ( ص ٤٥ ) ويعرف اليوم باسم :  
خازن ، أو أمين صندوق .
- ٢٨ - مدير الحسابات : Directeur des finances ( ص ٤٥ ) ، ويسمى  
اليوم : مدير المالية .
- ٢٩ - مستوفي الأموال : Percepteur ( ص ٤٥ ) ويطلق عليه الآن  
لفظ : الجابي .
- ٣٠ - ناظر الجمر : Douanier ( ص ٤٥ ) .
- ٣١ - كبير القضاة : Juge suprême ( ص ٤٥ ) .
- ٣٢ - كبير الشرطة : Directeur de la police ( ص ٤٥ ) وهو  
اليوم : مدير الشرطة .
- ٣٣ - الجيعة : La bière ( ص ٤٦ ) .
- ٣٤ - هرموني : Harmonie<sup>(١)</sup> أوضعها بقوله : « أي ان الأصوات  
تتألف على الغناء » ( ص ٥٢ ) .
- ٣٥ - حافلة المُجيد : Diligence ( ص ٧٠ ) وأضاف في ص ٧١ :  
« حافلة المجد : المعروف بالدليجانس » ( كذا ) ولعله خطأ مطبعي ،  
فالصواب : المعرفة . فأما لفظ « حافلة » فلعل الشدياق أول من وضعه  
لوسائل النقل المشتركة وأضاف اليه « المُجيد » تعبيراً عن السرعة . وهو  
كما ترى وإن كان ترجمه حرفية ، إلا أنها ترجمة مرفقة .
- ٣٦ - قَبْوَة : lunelle ( ص ٧٠ ) قال : « دخل الرتل - أي  
القطار - في قبوة مظلمة منقورة في الصُخور فسار فيها نحو عشر دقائق ،
- (١) وتمايل اليوم بكلمة الجمام والاساق . ( لجنة المراجعة )

فكان أمراً عظيماً لمن لم ير مثله من قبل » ( راجع فقرة رقم ١٨١ ) .  
واقصر الناس في هذا العصر على لفظ : نَتَقَ .

٣٧ - جرنال : Journal ( ص ٧٤ ) وسماها أيضاً صحيفة الأخبار  
( ص ١٦٢ ) . قال ( ص ٣٥١ ) : « ومعنى الجرنال يومية ، وهي لفظة  
فرنساوية » . ولا يستعمل الناس في هذا الزمان إلا لفظ : جريدة ،  
أو صحيفة .

٣٨ - فقهاء الشرع : Avocats ( ص ٧٤ ) وسماهم ( ص ٢٣١ ) وكلاء  
الدعوى . ويسمون اليوم : المحامون .

٣٩ - دوائي : Pharmacien ( ص ٧٤ ) وسماه : عقايري ( ص ٢١٨ )  
وسماه : صيدلي ( ص ٣٧٢ ) . وشاع استعمال الأخير وحده .

٤٠ - دواوين الميري : Ministère des finances ( ص ٧٥ ) وتسمى  
اليوم : وزارة المالية .

٤١ - القورمة : وهو لفظ عامي ، لعله تركي الأصل ، يراد منه :  
« اللحم الذي يقلى ويحفظ طول السنة » .

٤٢ - الميزر : La bière في القاموس : الميزر نبيذ الذرة والشعير .  
( ص ٧٨ ) راجع فقرة ٣٣ لفظ : الجمعة ) .

٤٣ - ميزان الهواء : Baromètre ( ص ٩١ ) ، ويسمى اليوم : مقياس  
ضغط الجو ، وسماه الأستاذ التنوخي : مضغط ، واختار لهذه الموازين  
المنتهية بـ Mètre وزن ميفعال .

٤٤ - إبرة المغنطيس : Boussole ( ص ٩٨ ) ، وعرف باسم : بوصلة ،  
وحك ، وبيت الابرة .

٤٥ - رسم النقطة ( ص ٩٨ ) Fleur de lys . قال : « ولم يعلم مخترعه .  
وزعم الفرنسيين أنه من مخترعاتهم . وان رسم النقطة الأربع الأصلية انما



هو رسم عما يقال له ( فلور دولي ) أي : زهر السوسن ، إنما هو رسم عما يسمى بالمربية موسالا<sup>(١)</sup> ( لعلها مسلة ) ، وكانت العرب تتخذها لإدارة الأبرة . ا هـ .

ولم أفهم المقصود ، ولعل أهل الاختصاص يوضحون ما أراد .

٤٦ - أداة الأبرة : Compas ( ص ٩٩ ) قال : « فأما اختراع أداة الأبرة المسماة عند الأفرنج بالكومباس . . . » ويسمى اليوم : فرجار ، أو بيكار ، أو دوار .

٤٧ - سكك الحديد : Chemins de fer ( ص ٩٩ ) .

٤٨ - الرتل : Train ( ص ١٠٠ ) وقد ورد للمرة الأولى في ص ٧٠ ولا يعرف اليوم إلا باسم : القطار .

٤٩ - مجلس الشورى : Conseil d'administration ( ص ١٠٠ ) ، واصطلح اليوم على تسميته : مجلس الإدارة .

٥٠ - مُزْنَجِيَّة Locomotive ( ص ١٠١ ) . قال : « وهي الآلة التي يقال لها انجن ( بالانكليزية ) Engine » . وعرفت اليوم باسم : القاطرة .  
٥١ - التلغراف : Télégraphe ( ص ١٠٢ ) وشاع استعمال لفظ « البرق » للدلالة عليه .

٥٢ - كواغد مالية : Monnaie en papier ( ص ١٠٣ ) والمستعمل في هذا الزمان : الأوراق المالية .

٥٣ - المثابات الحافلة : Lieux publics ( ص ١٠٤ ) قال : « حيث يكثر تردد الخواتين للشراء وغيره . . . » وتعرف اليوم باسم : « الأماكن العامة » . وأرى أن اصطلاح الشدياق أرشقى .

(١) اللفظة الإيطالية Bussola ولها كانت الباء مبدلة من الياء موسالا أي مسلة وهي الأبرة .  
( لجنة المجلة )

٥٤ - المرافد (ص ١٠٧) ، لم أفهم مراده . قال : « فأما نساء الفرنسيين ، فانهن أكثر زهواً واعجاباً من جميع نساء الافرنج . وقد كانت النساء هنا يرسلن على طلائهن سوائف مجمدة ، تفعل ذلك منهن الطويلة الشعر ، عجباً به ، فصرن الآن يسوينه منسرحاً على أفرادهن ، اقتداء بالملكة ، إلا ما قدر . ومثل هذه العادة في النقة عادة المرافد . » اهـ ولعل من عنده علمها يعلنا .

٥٥ - الظِّلَل ج ظِلَّة : Parasol ، للاتقاء من الشمس . وقال الفرنجة عما يتقى بها من المطر : Parapluie ، ونحن اليوم لا نفرق بينها قنمي كُنَّيها شمسية .

٥٦ - الجِلَاء (ص ١١٢) قال : « ليس لهم جِلَاء : أي لقب تعظيم » . وعبارة القاموس : « وما جلاؤه ؟ - بالكسر - أي : بماذا يخاطب من الألقاب الحسنة . » Titre de grandeur .

٥٧ - الرث (ص ١١٥) قال : « ومن طبع الانكليز الرث وهو البلادة وقلة الفطنة .. » ولم أجدها في المعاجم .

٥٨ - اليف ستيك (ص ١١٥) ، قال : « أعني شواء البقر المشرح » Beaf - stak ورسمه في ص ١٨٠ « بيقتك » .

٥٩ - جيني (ص ١٢٠) : أراد بها الجنيه ، ورسمها كما يلفظها الانكليز Guinée .

٦٠ - الملاكمة (ص ١٢٠) : Boxe .

٦١ - المسابقة : Escrime .

٦٢ - التفقه (ص ١٢٥) قال : « وان تكن - كمبريج - لا تشوق

أحدًا للسكنى فيها غير من يقصدها للتفقه في الفنون ... » كأنه أراد :

الاختصاص Spécialisation .

- ٦٣ - الفقه ( ص ١٢٧ ) : Droit واصطلاح اليوم على إطلاق لفظ : حق ، بدلاً من الفقه .
- ٦٤ - صك ( ص ١٢٧ ) : Diplome ، وتعرف اليوم باسم : شهادة .
- ٦٥ - المندل ( ص ١٣٣ ) . قال : « ومنهن من تدعي احضار الغائب وتشخيصه لعين السائل في مرآة ونحوها كما في مندل مصر » . والمندل معروف في بلاد الشام بهذا المعنى أيضاً . وهو من الفاظ المولدين .
- ٦٦ - مجلس المشورة ( ص ١٣٦ ) : Parlement ، وصفه في ص ١٤٦ بقوله : « النائب عن الجمهور » . قال في ص ٣١٣ و ٣١٤ : « واعلم أن أهل المجلس ينقسمون الى قسمين : الأول يقال له مجلس الأعيان Chambre des Lordes والثاني مجلس النواب Chambre des Communes » . وقد ألف الناس لفظ ( البرلمان ) العربي في هذه الأيام .
- ٦٧ - المسبب ( ص ١٣٦ ) : Anesthésique ، وقد اختير له في هذه الأيام لفظ « المخدر » .
- ٦٨ - الجوري ( ص ١٣٦ ) : Jury ، وهم المعروفون اليوم بالمحلفين .
- ٦٩ - الفقهاء : علماء القانون ( ص ١٣٧ ) : Juriste .
- ٧٠ - المجلة ( ص ١٣٧ ) ، قال : « المجلة التي يسمونها مكنا كارتا Magna carta وترجمتها الحرفية : الميثاق الكبير ، وهي بمعنى الدستور .
- ٧١ - الصك ( ص ١٣٧ ) ضبط Procès - verbal ، ويسمى اليوم : الضبط .
- ٧٢ - الشرع ( ص ١٣٨ ) Loi . وغلب اليوم استعمال اللفظ الثاني : القانون .
- ٧٣ - المناصب ( ص ١٣٩ ) : Pissoires publiques — urinoires . قال ( ص ٢٧٣ ) : « هي المواضع التي يتخلى فيها الإنسان للبول أو لقضاء الحاجة » . وهذا نص عبارة القاموس .

- ٧٤ - كُتَاب الصكوك : Notaires ( ص ١٤٠ ) ، ويعرفون اليوم باسم : الكتاب بالعدل . وفي الشمال الافريقي باسم : الموثقوث .
- ٧٥ - الأحكام الديوانية ( ص ١٤٠ ) : Arrêté administratif ، واصطلاح اليوم على تسميتها : القرارات الادارية .
- ٧٦ - الامضاء ( ص ١٤٢ ) : Signature .
- ٧٧ - شرطة الديوان ( ص ١٤٥ ) : Police Secrète « وسماها « الثقافة » ( ص ٣٠٣ ) قال : « ومن هؤلاء الشرطة من يتزيا بزي العامة حتى لا يكون معروفاً ويسمى الثقافة . . . » ولم أجده في المعاجم . وتعرف اليوم باسم : الشرطة السرية ، أو شرطة المباحث .
- ٧٨ - الطابع ( ص ١١٧ ) : Timbre .
- ٧٩ - صاحب البوسطة : Directeur des postes ، ص ١٤٧ . ويسمى اليوم : مدير البريد .
- ٨٠ - بنك ( ص ١٢٧ ) : Banque . وسماه المصرف ( ص ٢٤٦ ) .
- ٨١ - الديوان ( ص ١٤٨ ) : كأنه أراد به النيابة العامة أو قاضي التحقيق . قال : « وليس للشرطي حق أن يدخل بيت أحد إلا بأذن الديوان لسبب خطير . . . » Parquet — Juge d'Instruction .
- ٨٢ - ديوان المشورة ( ص ١٤٩ ) : كأنه يعني مجلس العموم . قال : « حق ان ديوان المشورة لا يبت شيئاً إلا بعد استقراغ الكلام فيه . . . »
- Chambre des Communes .
- ٨٣ - ناظر ( ص ١٥١ ) : وزير Ministre ، « ناظر الخارجية » .
- ٨٤ - ناظر ( ص ١٥١ ) : رئيس Président ، « ناظر مجلس المشورة » .
- ٨٥ - تذكرة ( ص ١٦٠ ) : Carte visite ، قال : « لا بد من أن يعطي - الزائر - الحاجب تذكرة مكتوبة باسمه فيناولها الخادم سيده في صفحة من الفضة . . . » . وشاع اليوم استعمال لفظ « بطاقة » بدلاً من تذكرة .

- ٨٦ - جنتل مان ( ص ١٦٢ ) : Gentilman قال : « أي متخصصاً متصفاً بصفات الخاصة » ، واشتق منها « الجنتلمانية » ص ١٦٤ .
- ٨٧ - المتدى ج متديات ( ص ١٦٩ ) : Club . قال : « المتديات أي الكلوب » .
- ٨٨ - «نجي» ( ص ١٧٠ ) : Secrétaire ، ويسمى اليوم : أمين سر ، كاتب ، أمين .
- ٨٩ - كُتّاب الحوادث ( ص ١٧٠ ) : Rédacteurs . كآفه أراد به : محرري الصحف . ويعرفون اليوم باسم : المنشئين .
- ٩٠ - حصص مضاربة ( ص ١٧١ ) : Actions . وقد عرفت في هذه الأيام بالأسهم .
- ٩١ - ديوان الحكم ( ص ١٧٣ ) : Justice .
- ٩٢ - الجهاز ( ص ١٧٣ ) : Dot .
- ٩٣ - قمر العسل ( ص ١٧٤ ) : Lune de miel ، واصطلاح على ترجمتها بتعبير : شهر العسل .
- ٩٤ - الست ( ص ١٧٦ ) : La dame . ولا أدري لماذا لم يقل : السيدة !
- ٩٥ - السهرية ج السهريات : Bal — soirée .
- ٩٦ - الكمفورت ( ص ١٧٩ ) : Confort . قال : « وهذا هو أوفر الهناء الذي يعبرون عنه بلفظة كمفورت » .
- ٩٧ - هسبتياليتي ( ص ١٩٧ ) : Hospitalité . قال : انهم يقتخرون بالمسبتياليتي وهي قيرى الضيف وبره الغريب .
- ٩٨ - طوست ( ص ١٧١ ) : Toast ، قال : « ومن هنا جرت العادة عند الانكليز أن يشربوا على ذكر احدى الخواتين ويقال لها : طوست ... » .
- م ( ٦ )



- ٩٩ - ركطر القرية ( ص ١٨٦ ) : شيخ البلد Rector .
- ١٠٠ - ضابط البلد ( ص ١٨٦ ) Maire . ويعرف اليوم باسم : مختار ، أو عمدة .
- ١٠١ - ديوان الأسقف ( ص ١٨٦ ) : Tribunal - Conseil - Ecclésiastique . المحكمة الروحية .
- ١٠٢ - المزمر ( ص ١٩٤ ) : Hypnotisme . قال : « وهي امرار اليد على وجه انسان حتى يغيب عن الإدراك ، وهي نسبة الى رجل غساري اسمه مزمر ، فاشتقوا منه فعلاً . يقال : مزمره أي عاجله بامرار اليد . . . » . وقد اصطلح على تسميتها في هذه الأيام بالتنويم المغناطيسي . وسماء ( ص ٢٥٢ ) السمنبول Somnambule ، وواضح أنه يعني المشي في النوم (١) ، وهو غير التنويم المغناطيسي .
- ١٠٣ - كاتب الجمعية ( ص ١٩٨ ) : Secrétaire .
- ١٠٤ - مستر ( ص ١٩٨ ) : Mister .
- ١٠٥ - قاعة البلد ( ص ٢٠٠ ) : Hôtel de ville . وتسمى اليوم : دار البلدية .
- ١٠٦ - جمل ( ص ٢٠٦ ) : Taxe ، ولا يستعمل الناس في هذه الأيام إلا لفظ : رسم .
- ١٠٧ - الجمعية ( ص ٢٠٧ ) : Société ، ولعلها هنا بمعنى الشركة .
- ١٠٨ - كاتب ديوان التلغراف ( ص ٢٠٧ ) : Télégraphiste ، ويسمى اليوم : موظف البرق ، أو مبرق .

---

(١) وأطلق عليه الأستاذ ساطع المصري اسم السرمنة أي السير في المنام .  
( لجنة المجلة )

- ١٠٩ - الطائرة ( ص ٢٠٩ ) : Avion وما أدري إذا كان قد عني  
 الطائرة المعروفة اليوم . ففي وصفها ، كما أورده ، التباس واضح .
- ١١٠ - آلة تنقط الحبر على ورق ( ص ٢١٠ ) : من أدوات البرق ،  
 ولم أعرف مقابلا .
- ١١١ - المكتبة الموقوفة ( ص ٢١٠ ) : Bibliothèque Nationale ،  
 واصطلح اليوم على تسميتها : المكتبة الوطنية .
- ١١٢ - الكنارة ( ص ٢١١ ) : Clarinette .
- ١١٣ - النيشان ( ص ٢١٢ ) : Médaille ، وعرف في هذه الأيام  
 باسم : وسام .
- ١١٤ - دوفان ( ص ٢١٢ ) : Dauphin ، وهو ولي العهد .
- ١١٥ - الألواح ج لوح ( ص ٢١٤ ) : Pancarte ، وشاع اليوم اسم :  
 لافتة ، أو لوحة إعلانات .
- ١١٦ - متحف ( ص ٢١٥ ) : Musée .
- ١١٧ - عَيْبَة ج عياب ( ص ٢١٦ ) : Valise ، وغلب اليوم  
 استعمال لفظ : حقيبة .
- ١١٨ - جواز ( ص ٢١٦ ) : Passe - port ، قال : « واعلم أنه  
 من يدخل فرنسا فلا بد له من أن يبرز جوازه في الثغور ، أي : الباسپورت » .
- ١١٩ - ديوان الخزانة ( ص ٢٢٠ ) : Trésorerie ، ودرج اليوم  
 استعمال لفظ : الخزانة ، والخزينة .
- ١٢٠ - البلفار ( ص ٢٢١ ) : Boulevard ، ويستعمل اليوم الناس  
 لفظ : الجادة ، مقابلا له .
- ١٢١ - الأزج آزاج أو القنطرة ( ص ٢٢٥ ) : Arc ، وغلب لفظ  
 « قوس » اليوم على ما عدا .

- ١٢٢ - كارتيه (ص ٢٢٦) : Quartier ومعناه : حي ، وأصله أن باريس لما بنيت بعد أن أحرقها النورمان ، كانت أربعة أحياء ، فأطلق على كل حي لفظ كارتيه أي الربع . .
- ١٢٣ - هوتيل دوفيل (ص ٢٢٦) : Hôtel de Ville ، راجع فقرة ( ١٠٥ ) .
- ١٢٤ - بستان النباتات (ص ٢٢٦) : Jardin botanique ، واصطلاح اليوم على تسميتها : حديقة النبات .
- ١٢٥ - غيضة شانزلزي (ص ٢٢٦) : Champs Elysées . وسماها (ص ٢٤٠) : غيضة الأصفياء .
- ١٢٦ - بالي روابال (ص ٢٢٧) : Palais Royal يعني : القصر الملكي .
- ١٢٧ - مجلس المشورة العام (ص ٢٢٧) : Parlement (راجع فقرة ٦٦) .
- ١٢٨ - سقيفة ، معبر (ص ٢٢٧) : Passage .
- ١٢٩ - التنفل (ص ٢٢٨) : Batard .
- ١٣٠ - ذور الأحكام النظامية (ص ٢٢٨) : Avocat . قال : « وفي باريس تسعة آلاف من ذوري الأحكام النظامية ، وهم أهل علم ودراية ... » (راجع فقرة ٣٨) .
- ١٣١ - مكتب (ص ٢٢٨) : Communal (كومونال) .
- ١٣٢ - انستيتوسيون (ص ٢٢٨) : Institution . وتسمى اليوم : مؤسسة .
- ١٣٣ - مراب (ص ٢٢٨) : Pensions . قال : « وفي باريس ألف وسبعة مراب ويقال لها بنسيونات » . ولم أعرف اشتقاقها بالعربية (١) .
- ١٣٤ - قابلة (ص ٢٢٨) : Sage - femme .

(١) مراب جمع مربر : مكان العيش والتربية ، ويطلق أيضاً على Pension كلمة مكنة لأن أصحاب الدار يكفلون مبيدة المتأجرين . (لجنة المراجعة)

- ١٣٥ - مارستان ( ص ٢٢٨ ) : مأوى عجزة . Asile des vieillards .
- ١٣٦ - مجزر ج مجازر ( ص ٢٢٩ ) : Abattoire . ويسمى أيضاً : مسلخ .
- ١٣٧ - الهال ( ص ٢٣٠ ) : Halles .
- ١٣٨ - حقة النساء ( ص ٢٣٠ ) : Sac .
- ١٣٩ - مشيخة ( ص ٢٣٠ ) : Académie . وسماها أيضاً : مشيخة للعلوم ( ص ٢٥٨ ) . واتفق على تسميته اليوم : مجمع :
- ١٤٠ - ميداي ( ص ٢٣٠ ) : Médaille . ( راجع فقرة ١١٣ ) .
- ١٤١ - الكومسيون ( ص ٢٣١ ) : Commission ( العمولة ) .
- ١٤٢ - المصور على نور الشمس ( ص ٢٣١ ) : Photographe .  
واقصر اليوم على لفظ : مصور .
- ١٤٣ - موقف سكة الحديد ( ص ٢٣١ ) : Gare . وعرف اليوم باسم : محطة .
- ١٤٤ - المجلس ( ص ٢٣٢ ) : Assemblée .
- ١٤٥ - أوبرا ( ص ٢٣٢ ) : Opéra .
- ١٤٦ - ثريا ، نجفة ( ص ٢٣٢ ) : Lustre .
- ١٤٧ - المكس ( ص ٢٣٢ ) : Taxes municipales البلدية الرسوم .
- ١٤٨ - دين الأمة ( ص ٢٣٣ ) : Dette nationale .
- ١٤٩ - وزير ( ص ٢٣٣ ) : Ministre .
- ١٥٠ - مجلس المشورة العام والخاص ( ص ٢٣٣ ) : Chambre - Sénat .
- ١٥١ - رتاج ( ص ٢٣٣ ) : Entrée . ويقال له اليوم : مدخل .
- ١٥٢ - بواب ( ص ٢٣٣ ) : Concierge .
- ١٥٣ - مصب للماء ( ص ٢٣٥ ) : Siphon . ويسمى اليوم :  
سحارة ، ومصب .

- ١٥٤ - دفتر ( ص ٢٢٦ ) : Carte - Menu . قال : « وأول ما يجلس المستظم يأتيه الخادم بدفتر فيه أسماء الطعام . . . » ويعرف اليوم باسم قائمة الطعام ، وعرب فمرف الناس لفظ ( كارت ) .
- ١٥٥ - مائدة عمومية ، تأبل دوت ( ص ٢٣٧ ) : Table d'hôte . قال : « ان بعض الديار يصنعون مائدة عمومية يسمونها تأبل دوت ، أي : مائدة الضيوف . . . » .
- ١٥٦ - أرباب الرئاسة ( ص ٢٣٧ ) : Police municipale . قال : « واعلم أن أرباب الرئاسة هنا يتعهدون صحة الرعية فيما يباع من المأكول والمشروب . . . » والتعبير غريب ، ولا ندري كيف ولماذا وضعه ! . ويقال لهم اليوم : الشرطة البلدية .
- ١٥٧ - تأبلو فيفان ، الصور الحية ( ص ٢٣٩ ) : Tableau vivant .
- ١٥٨ - جاردن ( ص ٢٤٠ ) : Jardin . وتعرف اليوم باسم : حديقة .
- ١٥٩ - المجلس الخاص ( ص ٢٤٥ ) : Sénat . وأطلق عليه اليوم اسم : مجلس الشيوخ ، أو الأعيان .
- ١٦٠ - ديوان الحسابات ( ص ٢٤٥ ) : Cour des comptes . ويسمى اليوم : ديوان المحاسبات .
- ١٦١ - دار مجتمع العلماء ، انستيتو ( ص ٢٤٥ ) : Institut . وعرف اليوم باسم : معهد . . .
- ١٦٢ - دار السكة ( ص ٢٤٥ ) : Hotel de la monnaie . ويسمى : دار المسكوكات .
- ١٦٣ - المصر ( ص ٢٤٦ ) : لعله أراد به المصفق Bourse . قال : « المصر ، أي مجمع التجار . . . إذا سمعهم أحد ظن أنه بين غمور تهمهم . . . » وفي ( ص ٢٥٨ ) : بورس .



- ١٦٤ - بارجة ( ص ٢٤٨ ) : Cuirassée .
- ١٦٥ - مادام ( ص ٢٥٧ ) : Madame .
- ١٦٦ - إعلام ( ص ٢٥٩ ) : Affiche . ويقال اليوم : اعلان .
- ١٦٧ - أهل الشورى ( ص ٢٦١ ) : Députés . ويسمون اليوم : النواب .
- ١٦٨ - الجيل ( ص ٢٦٢ ) : Nation . ولا يعرف اليوم لها مقابل إلا لفظ : الأمة .
- ١٦٩ - نقود زائفة ( ص ٢٧١ ) : Fausse - monnaie .
- ١٧٠ - كواغد بنك مزورة ( ص ٢٧١ ) : Faux billets de banque .
- أوراق مزورة .
- ١٧١ - ديوان المدينة ( ص ٢٧٢ ) : Municipalité . وتسمى اليوم : البلدية .
- ١٧٢ - ناظر المكتبة ( ص ٢٧٣ ) : Bibliothécaire . واصطلاح اليوم على تسميته : القيثم .
- ١٧٣ - معرض التحف ( ص ٢٧٥ ) : Exposition . قال : دوهو المسمى عند الفرنسيين اكسبوزسيون . وعرف اليوم باسم : معرض .
- ١٧٤ - وكيل دولة ( ص ٢٧٦ ) : Représentant . ويعرف اليوم باسم : ممثل .
- ١٧٥ - أصونة ومخادع ( ص ٢٧٦ ) : Pavillon . ويعرف اليوم باسم : جناح ، راية ، خيمة ، فسطاط .
- ١٧٦ - التصوير السخري ( ص ٢٧٧ ) : Caricature .
- ١٧٧ - المنطاد ( ص ٢٧٧ ) : Ballon .
- ١٧٨ - رئيس كتاب الدولة ( ص ٢٧٩ ) : - Président du Conseil Premier Ministre . وما زال هذا الاصطلاح مستعملاً حتى اليوم في تونس .
- وقد اختارت بقية الأقطار العربية لفظ : ( رئيس مجلس الوزراء ) .

- ١٧٩ - كالن ( ص ٢٩١ ) : Galon .
- ١٨٠ - التربيعة ( ص ٢٩٢ ) : Place . وتسمى اليوم : موقع ، موضع ، مكان ، ساحة ، ميدان .
- ١٨١ - الهجاز ( ص ٢٩٦ ) : Tunelle . قال : « ومعنى الطنل : القبر أو السرب أو النفق » . ( راجع فقرة رقم ٣٦ ) .
- ١٨٢ - ورقة مطبوعة ( ص ٢٩٨ ) : Ticket . قال : « ومتى دخلت العاجلة أعطاك السائق ورقة مطبوعة .... » .
- ١٨٣ - الغمان ( ص ٢٩٩ ) : Assurance . وقد يسمى اليوم : التأمين .
- ١٨٤ - جمعية شرعية ( ص ٢٩٩ ) : Société ( بمعناها التجاري ) . ولا يطلق عليها اليوم إلا لفظ : شركة .
- ١٨٥ - المصرف ( ص ٣٠٠ ) : Banquier .
- ١٨٦ - الكنج اكنان ( ص ٣٠٥ ) : Loge ( للمسرح ) ويسمى اليوم : مقصورة . الحضيض Orchestre .
- ١٨٧ - لاعب ولاعبة ( ص ٣٠٥ ) : Acteur, actrice . ويستعمل اليوم لفظ : ممثل .
- ١٨٨ - « وقد يوارون شخصاً بيده الكتاب الذي تحفظ منه تلك الحكايات في مكان حق اذا ذهل المتكلم عن شيء رده » ( ص ٣٠٦ ) Souffleur . ويسمى اليوم : الملقن .
- ١٨٩ - تراجيدي ( ص ٣٠٧ ) : Tragédie . واصطلح على تسميتها اليوم : المأساة .
- ١٩٠ - كوميدي ( ص ٣٠٧ ) : Comédie . واصطلح على تسميتها اليوم : الملهاة .
- ١٩١ - « ومن أعجب ما يرى من أحوال هؤلاء اللاعبين واللاعبات

هو أن الشيخ منهم يتفق في زيه وأطواره وكلامه حتى لا تحسبه إلا فتى ،  
والفق يتشيخ بحيث تحسبه هماً رماً ، فلو ظهرا في المرة الآتية ما عرفت  
منهم أحداً . ( ص ٣٠٩ ) Maquillage . وزبجا كان لفظ « التخفي »  
يفيد المعنى .

١٩٢ - بنطوميم ( ص ٣١٠ ) Pantomime قال : « وهو لعب بالإشارة  
والحركة من دون محاوره » وهو ما يسمى اليوم : التمثيل الإيمائي .

١٩٣ - تمثيلية ( ص ٣١٢ ) : Pièce théâtrale .

١٩٤ - بانوراما ( ص ٣١٢ ) : Panorama .

١٩٥ - دار الاختبارات العلمية ( ص ٣١٣ ) Centre de Recherches  
Scientifiques . ويسمى اليوم : مركز الأبحاث العلمية .

١٩٦ - راموز ج رواميز ( ص ٣١٨ ) : Affiches .

١٩٧ - المألك العام ( ص ٣١٨ ) : Postes .

١٩٨ - القبطان ( ص ٣٢٧ ) : Capitaine .

١٩٩ - الكلة <sup>(١)</sup> ( ص ٣٣٠ ) : Bombe . وشاع اليوم استعمال  
لفظ « القنبلة » . والقنبلة صحيحة أيضاً .

٢٠٠ - الضريبة ص ( ٢٣٦ ) : Impôt .

٢٠١ - إسكاف ( ص ٣٤٣ ) : Gordinnier . وهو المعروف بالحذاء ،  
وعند العامة : كندر جي .

٢٠٢ - اليد القصيرة ( ص ٣٥٣ ) : Short hand . وهو المعروف  
اليوم بالاختزال .

---

(١) مصحفة عن (قناة) لأن هذه القذيفة كانت بشكل القلة العراقية ، فهي أفصح  
من قنبلة وقنبرة .  
(لجنة المطبعة)

٢٠٣ - المجلة (ص ٢٥٦) : Constitution . واتخذ اليوم لفظ « الدستور » مقابل له .

٢٠٤ - جرائد الضحك والتهكم (ص ٢٦٠) : Journaux satiriques . وعرفت اليوم باسم : « الجرائد الهزلية » .

هذا ما هدتني اليه دراسة هذين الكتابين الفريدين . ولا بد لي من أن أوضح أن الألفاظ الأعجمية الموضوعة الى جانب الألفاظ العربية ، ليست من الأصل ، وإنما افترضت انها هي التي نقلها الشدياق أو فسرهما ، وقد أورد بعضها مرسوماً باللغة العربية كما رأيت .

وعني عن البيان أن قسماً من هذه المصطلحات لم يمش ، وإنما بقي في تاريخ المحاولات الجريئة التي بذلها هذا العالم الجريء وحده في أواسط القرن التاسع عشر ، في موضوع يكاد يكون بكرة ، لم تعد اليه إلا أقلام بعض علماء مصر الذين أوقفهم محمد علي الكبير للدراسة في فرنسا ، وعادوا منها لينقلوا الى لغة العرب بعض ما عرفوا . إلا أن قسماً آخر من هذه المصطلحات قد عاش ، وما زال على أقلام العلماء والكتاب حتى اليوم ، وأصبح من الشائع المألوف .

وقسم ثالث جدير بالإحياء ، كم أتمنى أن يكتب له الانتشار . نخذ مثلاً لفظ ( المناصع ) . فلقد عرفت اليوم في المدن الكبرى ، في جميع أنحاء العالم العربي ، وكانت معروفة بالقرب من المساجد ، ووضعت لها ألفاظ ينقصها الجمال ، وحسن الوقع في السمع ، كالمباول والمطاهر والمراحيض وما مائلها ، وأظن أن لفظ المناصع ، إذا درج على الألسن والأقلام ، وألفته الآذان ، كان أحسن بالقبول من غيره .

ولست أرى بأمراً في أن نستعمل لفظ (نجي) ، بدلاً من مكرتير  
الذي درج على الألسن والأقلام ، أو بدلاً من لفظ أمين سر ، أو من  
غيرهما ، لما فيه من دقة في أداء المعنى ، ومن رقة في اللفظ .  
كذلك أرى أن لفظ (الجهاز) يؤدي كل ما يراد من لفظ (دوطة)  
الذي لا يكاد الناس يعرفون غيره .

وقل مثل ذلك في كثير من الألفاظ التي مرت بك .  
كان أحمد فارس الشدياق حجة زمانه ، وباقعة عصره ، وأضحت  
كتبه نادرة الوجود ، حتى في المكتبات العامة ، ولعل المهمة تجدد لإحيائها ،  
 وإعادة طبعتها ، على نحو ييسر الفائدة منها ، ويقربها من أيدي العامة  
والخاصة من القراء .

ظافر القاسمي





# الشيخ عبد القادر المغربي

( جانب مجهول من سيرته )

كان ذلك سنة ١٣٣٨ ( ١٩٢٠ م ) أي قبل أكثر من أربعين عاماً حيث كنت نزيل دمشق الشام مقيماً في فندق يطل على شارع بغداد<sup>(١)</sup> وكانت لنا ندوة في الفندق يغشاها - عدا أصدقائنا من دمشق - رهط ممن أنجبتهم بلاد العراق والشام وفلسطين ولبنان من المعتمدين بالقضايا القومية سياسية واجتماعية . وفي أصيل يوم من تلك الأيام أقبل علينا كهل يهي الطلبة بادي البشر حسن العمة فأخذ مكانه بيننا وكان برفقة الشيخ زائر آخر من أبناء المدينة .

تحدث الشيخ إلينا بلهجة عذبة في بعض المسائل الأدبية ، وتساءل عن مميزات الشعر العراقي في جزالته وشدة أمره ، ورغب إليّ في تحليل نهضة الشعر الأخيرة ونبوغ النوابع ( حلة بني مزيد ) ( والنجف ) وشعراء آخرين في العراق فأجبت به جواباً أعجب به وأقرني عليه . وقلت للشيخ : لا شك أن حرارة العاطفة وصدق الشعور من بواعث الإبداع والتجويد في نظم الأشعار .

ما كان ذلك الزائر أو العالم الباحث غير الشيخ عبد القادر المغربي رحمه الله . فإلى ذلك العصر - وقد مضى عليه أكثر من أربعين سنة -

---

(١) في سنة ١٩٢٠ م لم يكن شارع بغداد قد افتتح ، لعله يريد أن يقول شارع النصر .  
( لجنة المحلة )

تعود أول معرفة لي به وبطبيعة من شيوخ الأدب وأعلامه في دمشق وجمهرة من شباب العرب المعتمين بالشؤون القومية في الشام نفسها . وكنا ننتدي في مكاتب بعض الصحف وفي دور الكتب ومعاهد العلم ومنها المدارس المحسنة نسبة إلى مؤسسها العلامة السيد محسن الأمين العاملي ، وكنا نقضى أيضاً بعض الأندية وفي مقدمتها ( النادي العربي ) . وكان هذا النادي في الواقع منبراً يتعاقب عليه خطباء موهوبون وشعراء مجودون في تلك الفترة . وكانت تقام في النادي حفلات أدبية وتنفذ اجتماعات سياسية ، هذا ولم ينشأ المجمع العلمي العربي بعد ( وإنما انشأ بعد مبارحتي دمشق الشام إلى العراق بأكثر قليلاً من سنة واحدة ، ومعنى هذا ان ( النادي العربي ) أقدم قليلاً من ( المجمع ) من حيث التأسيس<sup>(١)</sup> .

مضت لنا إذ ذاك عهود جميلة وأوقات حميدة في الشام كنا نقطع الليالي بالقراءات والسماعات . والخلاصة كان ذلك في أعقاب الحرب العالمية الأولى . وقد غمرت العالم العربي يقظة انتظمت أقطاره وفي مقدمتها العراق وسورية وفلسطين ولبنان فراودتها أعذب الأمانى وأحلى الأحلام في بحث الأجياد القومية والحضارة العربية ، وكان من مظاهر تلك اليقظة أيضاً ضرب من التزاور والتعارف وتعزيز الصلات من سياسية واجتماعية .

لم يقدر لي بعد ذلك الاجتماع العابر بالشيخ المشرقي في دمشق أن أتحدث إليه مرة أخرى ، فإني بارحت دمشق إلى بيروت وتركت الداخل إلى الساحل . ولم يطل لبثي كثيراً بين جبل لبنان وجبل عاملة وإن كانت لي في صيداء ذكريات لا تنسى من وفاء أهلها ومحبتهم في تلك الأيام فعدت ثانية إلى دمشق الشام .

كانت دمشق إذ ذاك في شغل شاغل من السياسة . وكان شيوخها

( لجنة المجلة )

(١) أسس المجمع العلمي العربي بدمشق في سنة ١٩١٩ م .

وشبابها وزعمائها معنيين بالشؤون القومية والنهضة العربية ، حتى ان السياسة استنفذت بجهود الناس واستغرقت أوقاتهم في ( وقائع المؤتمر السوري ) وفي التظاهرات السياسية ، ولاحظت يومئذ أن شباب العرب المعنيين بالشؤون القومية قد ابرزوا من كل ناحية إلى الشام كما تآزر الحية إلى جحرها ، فكان منهم فريق يمثل العراق ، وآخر يمثل فلسطين ، إلى آخرين يمثلون مختلف الأقطار العربية . وكان في طليعة من لقيناهم يومئذ من طبقة المغربي أو من زملائه السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار . وكان لقائنا في الجهة الغربية من ( الجامع الأموي ) حيث كان للسيد حلقة يلي فيها درساً في التفسير . ومن ثم أخذنا سبيلنا إلى شارع بغداد<sup>(١)</sup> المؤدي إلى محطة قطار الحجاز وقد احتفلوا قريباً بفتح هذه الجادة . وكان السيد رشيد يتحدث عن شؤون الساعة ويتناول حديثه قضايا الإصلاح الاجتماعي والسياسي وذلك قبل التثام ( المؤتمر السوري ) الذي اختير رئيساً له . وهو مؤتمر نادى باستقلال البلاد وحريتها وان سورية دولة مستقلة ذات سيادة ( ٨ آذار سنة ١٩٢٠ م ) .

كانت دمشق حافلة بطبقة واعية مجهزة بضرب من الكفاية علمياً وعملياً . وعلى الإجمال كان أول لقائي بالشيخ المغربي بالشام في تلك الفترة أي في أعقاب الحرب العالمية الأولى ( ١٩٢٠ م ) . وكنت قد وصلت إلى الشام من الحجاز حيث ناهزت إقامتي في سورية سنة كاملة عدت بعدها إلى العراق فور احتلال الفرنسيين لدمشق كما فعل كثير من العرب المناوئين للاستعمار . وظلت الرسائل بعد هذه الفترة أحسن واسطة للاتصال بيني وبين الشيخ المغربي فقد رافقتي بعض رسائله إلى بغداد في التاريخ المذكور ، وبعد ذلك إلى سنة ١٩٢٥ م . وقد حمل إلي بعض رسائله شباب قدموا إلى العراق

(١) يريد أن يقول شارع النصر .

( لجنة المحلة )

تحدوهم الخدمة في معاهد التعليم فكان لهم ما أرادوا ، وأدى فريق منهم واجبه على أحسن ما يرام . ثم حالت الشواغل والقواطع حتى عن المراسلة مدة طويلة ولم يقدر لنا الاجتماع إلا في أعقاب الحرب العالمية الثانية وذلك في القاهرة وفي دار المجمع اللغوي سنة ١٩٤٨ ثم في دورات مؤتمرات المجمع السنوية المتوالية إلى أن وافاه الأجل المحتوم وكانت فرصة اللقاء في القاهرة عظيمة بعد ذلك الفراق الطويل الذي دام نحواً من ثلاثين سنة .

شاء زملاؤنا في مجمع اللغة العربية في القاهرة أن انضم إلى حظيرتهم سنة ١٩٤٧ حيث كان الشيخ الزميل عضواً عاملاً في المجمع قبل ذلك . وفي أول لقاء لنا استعرضنا ذكريات دمشق الشام وعهودها الجميدة . وما دار بيننا من المراسلات بعد ذلك . استعرضنا ذلك في قاعة المؤتمر اللغوي وفي مكاتب المجمع وكنا لا نفترق في أعقاب كل جلسة من جلسات المؤتمر إلا لللتقي في ناد أو فندق أو في حفلة أو دعوة ، وقد لاحظت أن روح الصداقة والألفة والمحبة من سجايا الشيخ القوية الراسخة فيه فإن له في بلاد العرب - دع عنك دمشق - أصدقاءه الكثر . ولا شيء أحب إليه من زيارة أصدقائه ومعارفه ولا بد للشيخ أينما كان أن يأوي في سهراته إلى ناد يتجاذب مع من فيه أطراف الأحاديث . وكم حدثني عن تلك السهرات الجميلة .

ما كان يدور في خلدي أن دورة المؤتمر اللغوي التي عقدت صبيحة الخميس ١٥ من جمادى الأولى سنة ١٣٧٥ ( ٢٩ كانون الأول سنة ١٩٥٥ ) ستكون آخر دورة يشهدها الشيخ ، فبينما كنت متأهباً للذهاب إلى المؤتمر اللغوي في مقره من القاهرة ابلفتني إحدى كريمتيه رهم نزلاء الفندق الذي اقيم فيه قائلةً إن أباهما نقل إلى المستشفى لأن رجله أصيبت ، وقدمه زلت . وقلت لها سأزور المستشفى بعد قليل ، ثم اتجهت إلى دار المؤتمر ومن هناك ذهبت إلى المستشفى ومعي مراقب المجمع الذي شاطرني كثيراً من الأمس في

الحادثة . ويقع المستشفى الذي نقل الشيخ اليه ويدعى ( مستشفى الجمهورية ) في شارع عابدين . دخلنا على الشيخ وهو مسجى في سريره ، لم تفارقه بشاشته ولطف سيئه ، وأخبرنا أن الحادث لا يعدو أن يكون رضا بسيطاً وانهم لم يحدوا كسراً في الساق . والواقع أن الإصابة كانت أبلغ من ذلك . وهكذا دعوة له بالشفاء وتميننا له العافية . وهكذا ثم يشهد الشيخ إلا الجلسات الثلاث الأولى من دورة المؤتمر المذكور . واضطره الحادث إلى الغياب عن بقية الجلسات . وكان له في الجلسة الثالثة من تلك الدورة بحث لغوي موضوعه ( الفرنسية وكيف دخلت إلى العربية ) ألقاه بنفسه . أما بقية بحوثه التي أعدها للمؤتمر فقد القيت بالنيابة عنه ومنها بحث عنوانه ( أصل كلمة التضحية ) . ولا بد لنا من القول ان المغربي كان يعالج الموضوعات اللغوية في بحوثه التي يعدها للمؤتمر غالباً ، وقلما عالج بحوثاً أدبية أو ثقافية فيه . فالمغربي والحق يقال عالم مجرم بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة . ولذلك كانت مصيبة الجامع اللغوية بفقده فادحة بل كانت ثلماً يصعب سدها . فانه انتقل إلى جوار ربه بدمشق في ٢٧ من شوال سنة ١٣٧٥ هـ الموافق لليوم ١٩٥٦/٦/٧ م بعد جهاد طويل وصبر جميل تقمده الله برحمته .

محمد رضا الشيباني

( بغداد )





نظرة في  
معجم المصطلحات الطبية

الكثير اللغات

للدكتور ا . ل . كيرفيل

تلاه إلى انثوية الأساتذة مرشد خاطر وأحمد حمدي الحباط

ومحمد صلاح الدين الكواكبي

( لجنة المصطلحات الطبية في كلية الطب من جامعة دمشق )

استدراك وتعقيب

— ٨ —

رقم المصطلح

رقم المصطلح

E

4548 Eau Albumineuse

٤٥٤٨ ماء آحيني

وأقر بجمع اللغة ترجمة ( Albumine ) بزال (١) ، فتصبح ترجمة اللفظة

ماء زلالي .

4549 Eau alimentaire , Eau de boisson , potable , de table

ماء الشرب ، ماء شروب

وأملت اللجنة ترجمة اللفظتين الأولى والأخيرة ، فتكون الترجمة الكاملة :

ماء التغذية أو المشرب ، ماء الشرب ، ماء شريب (٢) ( كما أقرها

بجمع اللغة ) ماء المائدة .

(١) الصفحة ٦٤٨ من المجلد السابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) في اللسان : المشرب الماء الذي يشرب . والماء الشروب والشريب : الذي بين

المذنب والملتح . وقيل الشروب الذي فيه شيء من عذوبة وقد يشربه الناس

على ما فيه ، والشريب دونه في العذوبة وليس يشربه الناس إلا عند ضرورة ،

وقد تشربه البهائم ، وقيل الشريب المذنب وقيل الماء الشروب الذي يشرب .

- ٤٥٥٠ ماء المِزْج Eau d'arnandes douces 4550  
وأرجح ماء اللوز المر دفعا للالتباس (١) .
- ٤٥٧٠ ماء معدني بثاني فحمات أو ماء قلوي Eau minérale bicarbonatée ou alcaline 4570
- ٤٥٧١ ماء معدني بثاني فحمات الكيلس Eau minérale bicarbonatée calcique 4571
- ٤٥٧٢ ماء معدني بثاني فحمات الصود (قلوي) Eau minérale bicarbonatée sodique (alcaline) 4572
- ٤٥٧٣ ماء معدني بثاني فحمات وكبريتات الصود Eau minérale bicarbonatée sulfatée sodique 4573
- وأرجح تعريب Carbarbonate بـكربونات شأن ما تقدم في لفظة Carbon (٢) وكما أقره جمع اللغة . لذا تصبح ترجمة هذه الألفاظ : ماء معدني بثاني كربونات أو ماء قلوي ، وماء معدني بثاني كربونات الكلس وماء معدني بثاني كربونات وكبريتات الصود .
- ٤٥٧٥ ماء معدني بكأورور الصود أو ماء ملح Eau minérale chlorurée ou salée 4575
- ٤٥٧٦ ماء معدني بكأورور الصوديوم Eau minérale chlorurée sodique chaude 4576

(١) في القاموس : والمِزْج والمِزْج التَّكْلُ ، وفي التهذيب التَّهْدُ قال أبو حنيفة : من مِزْجاً لأنه مزاج كل شراب حلو طيب به . وفي مكان آخر : والمِزْج المِزْج المر ، قال ابن دريد لا أدري ما صحته ، وقيل إنما هو المِزْج .

(٢) الصفحتان ٦٣٢ و ٦٣٣ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة . وجاء في تعريف لفظ Carbon في المجلد الأول من مجموعة المصطلحات الطبية والفنية التي أقرها الجمع ( الصفحة ١٦٥ ) : كربون . عنصر لا فلزي يوجد على صور مختلفة بعضها غير متبلور كالساج والفحم وهما صورتان اقشيتان وبعضها متبلور كالاس والحرايت .

ولا أرى لزوماً للترجمة اللفظية الفرنسية لكتلورور الصود أو الصوديوم ،  
والصحيح في اللفظة الأولى ماء معدني بكلور الصود أو ماء مِلْح وفي  
الثانية ماء معدني حار بكلور الصوديوم .

٤٥٨٠ Eau minérale oligomé- ماء معدني حار قليل المعادن  
tallique chaude , Eau  
thermale oligométallique ,  
Eau inerte indéterminée chaude .

وأرجح كَحَّة قليلة الفلزات أو ماء معدني حار قليل الفلز ( وقد أقر  
بجمع اللغة ترجمة Métale بفلز ) ، كَحَّة غُفْل (١) ( غير معروفة الخواص )  
وقد أهملتها اللجنة .

٤٥٨٢ Eau ( minérale ) ماء ( معدني ) مُسَهِّل ، ماء  
purgative , Eau sulfatée بكبريتات الصودا والمائِزِا  
sodique et magnésienne

وأرجح : ماء ( معدني ) مُسَهِّل ، ماء كبريتاتي صودي ومغنيسي ، مخصصاً  
لفظة صودا ترجمة لـ ( Carbonate de soude ) ومائِزِا لـ ( Magnésie )  
( شأن ما فعلته اللجنة في اللفظة ٨١٠٨ ) ، وقد أقر بجمع اللغة تمريب  
المعدن ( Magnésium ) بمغنسيوم . ولفظة ( Sufate ) بكبريتات وسلفات .

٤٥٨٣ Eau minérale sulfatée ماء معدني بكبريتات الصودا  
وأرجح ماء معدني سلفاتي صودي أو كبريتاتي صودي .

٤٥٨٦ Eau minérale sulfureuse ماء معدني كبريتي حار  
chaude

وأرجح كَحَّة كبريتية .

( ١ ) في اللسان : الغفْل المبتدئ الذي أغفل فلا يرحى خيره ولا يختار شره .

- 4588 Eau oxygénée ، ماءً مؤكسج ، محلول فوق اكسيد  
soluté de peroxyde الهيدروجين ، محلول ثاني اكسيد  
d'hydrogène. soluté الهيدروجين  
de bioxyde d'hydrogène

وقد أقر جمع اللغة تعريب ( Oxygène ) بأوكسيجين و ( Hydrogène )  
بايدروجين . لذا تصبح ترجمة هذه الألفاظ : ماء اكسيجيني و ( أراها  
الطيف من مؤكسج ) ومحلول فوق اكسيد الايدروجين ومحلول ثاني  
اكسيد الايدروجين .

- 4598 Eau souterraine ماء الفؤور

وأقر جمع اللغة ترجمة اللفظة بالمياه الجوفية . وجاء في التعريف : الماء  
الذي يتخلل الصخور تحت الأرض .

- 4606 Ébranlement émotif ، هزّة  
secousse émotionnelle انفعالية ، صدمة تأثرية  
choc émotif

وأرجح ارتجاج انفعالي ، هزّة انفعالية ، صدمة انفعالية .

- 4607 Ebranler ، émouvoir خلخل ، زلزل

وأرجح زعزع وزحزح .

- 4624 Ecchymosé ، ée قارت

وأقر جمع اللغة ترجمة ( Ecchymose ) بكدم ( ج كدوم ) وهي  
اللفظة الدارجة (١) فتكون ترجمة اللفظة مكدم أو مقروت .

(١) في اللسان : الكدم والكدم أثر العنق ووجهه كدوم . والكدم اسم أثر الكدم  
يقال به كدوم والكدم المفضض . وقترت الدم وقترت وقترت فرماً ولمروناً ،  
وقترت يابس بفضه على بعض أرمات في الجرح ، ورم قارت قد يابس بين  
الحل والاعم وقترت الظفر مات فيه الدم وقترت جلده اخترت عن الفرب .

- ٤٦٣٥ نموذج Echantillon 4635  
وأقر مجمع اللغة عيشة . وجاء في التعريف جزء من المادة يؤخذ من  
أجزاء المختلفة نموذجاً لسايرها .
- ٤٦٣٩ استحمام، اغتسال بالماء الحار. Echandage, échandure 4639
- ٤٦٤٠ استحمام ، اغتسل بالماء الحار Echander 4640  
والصحيح كما جاء في معجم لاروس للقرن العشرين سخن الشيء تسخيناً  
خفيفاً أو حرقه بسرعة فائقة ، وغسل الشيء بالماء الحار . هذا بالنسبة إلى  
لفظي ( Echandage ) و ( Echander ) ، أما لفظة ( Echandure ) فيقصد  
بها الحرق بالماء الحار<sup>(١)</sup> .
- ٤٦٤١ مستحيمون Echandés 4941  
والصحيح نوع من الحلويات الفرنسية ( Gateau ) المصنوعة بالمعجن المغطوس  
في الماء الغالي بضع دقائق<sup>(٢)</sup> وعلى ذلك جاءت ترجمة اللفظة بالإنكليزية في  
المعجم الأصلي ( Puff - pasty ) أي الحلوى المورقة .
- ٤٦٤٧ داء المكوّرات المشوكة Echinococcose 4647
- ٤٦٤٨ شريطية مشوكة Echinocoque , ténia 4648  
échinocoque
- وأقر مجمع اللغة تعريب اللفظة الثانية بأخينوك وعرفها بأنها ديدان شريطية  
صغيرة . وتصبح اللفظة الثانية داء الإخينوك أو الاكينوكية<sup>(٣)</sup> .
- ٤٦٥٢ إرجاج Eclampsie 4652
- ٤٦٥٣ إرجاجي Eclamptique 4653

(١) لاروس القرن العشرين ( Larousse du XXe siècle ) في لفظتي

( Echandage ) و ( Echandure ) .

(٢) المرجع نفسه في مادة ( Echande ) .

(٣) الصفحة ٦٠٦ من المجلد الثامن والثلاثين من هذه المجلة .



وأقر بجمع اللغة ترجمة اللفظة الأولى بتشجيع كحلي وإكلمسية ، وجاء في التعريف : تشنجات وغيبوبة تحدث أثناء الحمل بسبب قسَم ، وتصبح ترجمة اللفظة الثانية : كسمي .

٤٦٥٦ Eclatement إنشداخ ، انقطاع ، تفرقع

وأرجح انفجار وانفلاق (٢) .

٤٦٥٧ Eclateur , déchargeur ( كهربا ) مُفْرِغَة ، ملئمة ( electe. )

وأرجح مُفَجِّرَة ومفْرِغَة .

٤٦٥٩ Economie hydrique إدخار مائي

والصحيح تناسق الماء كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٢) . وسبق لي أن ترجمت لفظة ( Economie ) بالانسجام الحيوي في موضع آخر (٣) . وما يعنى باللفظة ليس ادخار الماء كما ذهبت اليه اللجنة بل التناسق (٤) والنسبة بين ما يرد منه إلى البدن وما يخرج منه من الطرق المختلفة وبالأشكال المختلفة .

٤٦٦٩ Écoulement purulent سَيْلَانٌ قَيْحِي إصْدَادٌ

وأرجح سَيْلَانٌ قَيْحِي أو صديدي وليس للفظ إصْدَادٌ أن ققي بالمعنى (٥) .

(١) في اللسان : وانفلق المكان به انشق وفلقت النخلة وهي فائق الثقت عن الطلع

والكافور والجمع فُلُق . الشَّدَخ الكسر في كل شيء وقيل هو التشميم يعني به كسر اليابس وكل أجوف . الفرقعة تنقيض الأصابع وقد لرقعها فتفرقت .

(٢) ( Fluid intake and out put ) ومناه الوارد من السائل والمطروح منه ، شأن

ما يكون في مقدار ما يعطى للمريض من الماء أو أي سائل آخر عن طريق الفم أو الوريد أو تحت الجلد وما يخرج منه بشكل سائل أو بخار الماء .

(٣) الصفحة ٢٩٦ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٤) في اللسان التَّـنَـاقُ من كل شيء ما كان على طريقة نظام واحد . وثاني بين

الأمرين قُبِعَ بينهما . أقول وأرى في المتابعة بين الصادر والوارد من الماء إلى البدن ومنه تناسقاً .

(٥) في اللسان : وأصده صرعه .

٤٦٧١ رِبْدَة Ecouvillon 4671

٤٦٧٢ تنظيف الرَّحِيم بِقَطِيلة Ecouvillonnage 467

وأرجح ترجمة اللفظة الأولى بِخِرْفَة التنظيف أو ماسحة والثانية التنظيف بِخِرْفَة أو ماسحة (١) .

٤٦٧٦ كِتَابَة بَيْتَة ، على صفائح لَامِيَة . Ecriture en miroir ,  
écriture spéculaire 4676

والصحيح عكس ما ذهبت اليه اللجنة ، إذ تدل اللفظة على اضطراب يتن في الكتابة يصادف في بعض الخلط الطارئ على مراكز الإفصاح في الدماغ . فقد جاء في معجم لاروس القرن العشرين (٢) في تعريف اللفظة ماييلي : فساد الكتابة بحيث يكون تتابع الكلمات والأحرف من اليمين إلى اليسار يخلل معه كأن ما كتب يقرأ بالمرآة ( من المصابين بالخَرَس Aphasia من يعدد الى الكتابة بالمرآة باستعمال اليد اليسرى ) والكتابة المستشفة ( Ecriture spéculaire ) لا تكون نوعاً من الخَرَس بل هي الكتابة الغريزية ( Instinctive ) الطبيعية عند استعمال اليد اليسرى . لذا أقول في ترجمة اللفظة الأولى الكتابة بالمرآة والكتابة المستشفة (٣) .

٤٦٨١ طَبَقَة المَضَغَة الظَاهِرَة Ectoderme , ectoblaste 4681

وأقر بجمع اللغة ترجمة اللفظة الأولى بالأدمة البرانية . وتكون الثانية

(١) جاء في اللسان : والرَبْدَة واحدة الرَبْد وهي مِعْوَن تعلق في أذن الإبل ، والرَبْدَة الخرقَة مِعْوَناً بها والرَبْدَة خرقَة الخائض وخرقة الصائغ التي يجلوها الحلي . وأما اللَطِيلَة ، فقد جاء في اللسان : واللَطِيلَة قطعة كداء أو ثوب ينشف بها الماء ، ولا أراها تنفي بالمعنى المطلوب .

(٢) ينظر في لفظة ( Miroir ) في المعجم المذكور .

(٣) في اللسان : النَبْ والثَبْ والثوب الرقيق وقيل الستر الرقيق ميري ما وراءه . وجمعها خُفوف ، وشف الثريشيف شفوفاً وشفيداً واستشف ما ظهر وراءه واستشفه هو رأى ما وراءه .

الأرومة الظاهرة أو البرانية أو البلاستولة الظاهرة كما أقره الجمع (١)  
(وقد أمثلتها اللجنة) .

٤٦٨٤ طبقة الميولي البرانية Ectoplasme 4684  
وأقر جمع اللغة الحيطة الخارجية ، وجاءت في مصطلحات علم الرمد  
البلازما الخارجية .

٤٦٨٥ شتر خارجي Ectopion 4685  
وأقر جمع اللغة الشتر الخارج ( انقلاب الجفن ) (٢) .

٤٦٨٨ كتملة ( اكزما ) Eczéma 4688  
وأرجح تعريب اللفظة باكزيما (٣) .

٤٦٨٩ كتملة حماموية Eczéma érythrodermique 4689  
وأفضل اكزيما إحرارية أو حمراء لتخصيص لفظة حمامي ترجمة  
لـ ( Erythème ) شأن ما فعلته اللجنة ( اللفظة ٥١٧٦ ) .

٤٦٩٥ تنمّل ، اتخاذ شكل النملة Eczématisation 4695  
وأرجح التعريب بتاكزم ، لا تباس لفظة تنمّل (٤) بالنمّل  
( Forumillement ) .

٤٧٠١ إخماء العنق ( قبالة ) Effacement du col ( obs. ) 4701  
وأقر جمع اللغة إخماء العنق وجاء في التعريف : اتساع العنق تدريجياً

(١) الصفحة ٤٧٣ من هذا العدد .

(٢) في اللسان : الشتر انقلاب في جفن العين فلما يكون خللاً والشتر عذبة فملك بها .

(٣) في اللسان : والنملة شيء في الجلد كالقرح وجها كتمّل ، وقيل النمل والنملة  
فروح في الجنب غيره . انول لا أراها تدل على معنى اللفظة .

(٤) في اللسان : ولنمّل القوم غمركوا ودخل بعضهم في بعض .

بحيث يصبح جزءاً من الشُدفة السقلى . وإعلاء العُنُق أفضل (١) .

٤٧٠٢ مُنْجِيز ، مُتَمِّم Effecteur 4702

وأرجح 'مُحَقِّق' ومُنْجِز تاركاً لفظة متم ترجمة لـ ( Complément )  
كما فعلته اللجنة ( اللفظة ٢٩٤٧ ) .

٤٧٠٣ تَأْنِث ، تَخْنِث Effémiation 4703

والصحيح تَأْنِث أو تَخْنِث بالتعدية ، وتَأْنِث أو تَخْنِث هي ترجمة  
( Féminisation ) كما فعلته اللجنة ( اللفظة ٥٥٨٩ ) .

٤٧٠٩ حَادِثَةٌ كُنْتَنٌ ، كَهَيْرُوبَةُ النَقْهَرُ ، Effect Compton 4709  
électron de recul

وأقر بجمع اللغة تعريب لفظة ( Electron ) بالكثرون وقد شاعت .

٤٧١٤ فِعْلٌ وَقَاهُ Effet tampon 4714

وأرجح قَائِرٌ رَاصِدٌ (٢) .

٤٧١٦ مُذَلِّقٌ Effilé — ée 4716

وأفضل ترجمة اللفظة بِمُسْتَدَقٍ (٣) وحاد ، وعلى ذلك فقد جاء شرح  
اللفظة في لاروس القرن العشرين ( Mince long et étroit ) أي رقيق  
طويل وضيق وكذلك جاءت ترجمة اللفظة بالانكليزية في المعجم الأصلي (٤)  
أما المذَلِّق فهو الحاد (٥) وقد تكون هذه اللفظة أحد معاني الكلمة .

(١) في اللسان : عما النية يحويه ويحياه تحوياً ومحيماً أذهب أثره . وامتنع الشيء يمتنع  
امتناع الفعل وكذلك امتنع إذا ذهب أثره ، وكره بعضهم امتنع والأجود  
امتنع والأصل له امتنع .

(٢) الصفحة ٤٨ من المجلد السابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) في اللسان ومُسْتَدَقٌ كل شيء مَادِقٌ منه واسترق .

(٤) ( Tapering ) .

(٥) في اللسان : اللاتق جيدة الشيء وحده كل شيء ذاته ، وذَلَّتْ كل شيء حده ويقال  
شيئاً مُذَلِّقاً أي حاد .

4717 Effiler

٤٧١٧ ذَلَّقَ

لم ترد في الترجمة الانكليزية للمعجم الأصلي ولا الترجمة الألمانية (١) ما يشير إلى هذا المعنى الذي ذهبت اليه اللجنة في ترجمة اللفظة ، كما ان معجم لاروس القرن العشرين (٢) لم يذكر في شرح لفظة ( Effiler ) ما يدل على الذَلَّقَ . وعلى ذلك فإن معنى اللفظة هو التَدَفُّف (٣) أو نتف الألياف أو اتلاف النسيج .

4718 Effiler ( un tube de verre )

٤٧١٨ ذَلَّقَ ( أنبوباً زجاجياً )

والصحيح دَقَّقَ أنبوب الزجاج (٤) ، إذ المقصود باللفظة جعل أنبوب الزجاج الغليظ دقيقاً من أحد طرفيه ، وذَلَّقَ تدل على جملة حاداً الأمر الذي لا يمكن أن يكون في أنبوب الزجاج (٥) .

4719 Effleurage

٤٧١٩ كَسَسَ ، مَسِسَ

وأرجح ذلك (٦) خفيف كما جاء في الترجمة الانكليزية (٧) للمعجم

(١) to tease out في الانكليزية و Auszupfen و Ausfasern في الألمانية وكما يدل على تبديد النسيج أو تميل أليافه أو إزالة ما بدا من تشعب في الشعر وما إليه .

(٢) جاء في شرح اللفظ : effiler une toile : défaire, détisser fil à fil : أي تبديد وتفكيك النسيج خيطاً بعد خيط : تبديد الشاش أو ( التوال ) .

(٣) في اللسان : التَدَفُّف طرق اللسان باللسان ، والتدَفُّف تزع الشعر وما أشبهه .

(٤) في اللسان : دَقَّقَت الشيء وادققته بجملة دقيقاً . والدقيق الذي لا غلط له خلاف الغليظ .

(٥) لقد جاء في الترجمة الانكليزية لللفظة في المعجم الأصلي ( to taper , to draw out glass tubes ) ومعناه تدقيق أنبوب زجاج وسحب وكذلك في الترجمة الألمانية ( Ausziehen ) .

(٦) في اللسان : ذَلَّقَت الشيء بيدي أدلكه دلماً قال ابن سيده ذلك الشيء يدلكه دلماً سرسه وعركه .

(٧) وهو : effleurage, stroking, light massage



الأصلي وفي لاروس القرن العشرين نفسه تاركاً لفظة لمس ومس ترجمة لِـ ( Toucher ) كما فعلته اللجنة ( اللفظة ١٣٥٠٠ ) .

٤٧٢٨ استنضاب ( الخِضار ) Egoutter ( les légumes ) 4728

. وأرجح تَشْف (١) ماء الخُفَر أو الخُضراوات (٢) لا الخِضار .

٤٧٢٩ قراءة الصُّور بالبصيرة . Eidétisme 4729

وأفضل التَّخْيِيل الفكري ، أذ لا صلة لهذه القراءة بالصور الشماعية كما قد يفهم من الترجمة .

٤٧٣٢ إنضاج ، إحكام Elaboration 4732

وأرجح استِصْناع (٣) ، إذ يقصد باللفظة مجموع الأعمال التي يقوم البدن بها لتحويل المواد الغذائية الداخلة في أنبوب الهضم إلى نسيج ومواد أخرى كالدم والصفراء واللعاب وغيره .

٤٧٣٣ ناضج ، مُحْكَم ، مُنْتَظِم Elaboré , ée 4733

وأرجح مصنوع .

٤٧٣٤ داء التخرش الزيتي الفُجاري Elaïoconiose , bouton 4734

بَشَر الزيت d'huile

وأرجح داء الاغبرار الزيتي وحبّة الزيت (٤) أو عُد الزيت (٥) .

٤٧٣٥ أخيف Elancé . ée 4735

والصحيح تَمَشُّوق . لأن ما يعنى باللفظة الفرنسية هو الطويل مع النحافة .

(١) في اللسان : كَشَف الماء ييس وتَشِف الأرض تَشْفاً والاسم للتَشَف .

(٢) معجم الألفاظ الزراعية الأمير مصطفى الشاهي .

(٣) في اللسان : واستَصْنَع الشيء دعا إل صنعه .

(٤) سبق للجنة ان ترجمت لفظة Bouton بحبة ( اللفظة ١٨٤٤ ) .

(٥) ترجمة لللفظة الإنكليزية Oil acne في المعجم الأصلي .

ولا أرى لفظة أهيف تقي بالمعنى (١) .

٤٧٣٨ كَهْرَطِيس (مغنطيس كهرباوي) Electro - aimant 4738

وأقر بجمع اللغة ترجمة ( Electromagnetism ) بالمغنطيسية الكهربائية .  
وجاء في التعريف : العلم الذي يبحث فيه عن العلاقة بين المغنطيسية والكهربية  
بوجه عام وعن حدوث المغنطيسية بفعل التيارات الكهربائية على الوجه الخاص .

٤٧٤٢ خَشْرَبَة (تخثير كهرباوي) Electrocoagulation . 4742

تخثير بالحرارة النافذة diathermocoagulation

والأفضل التخثير الكهربائي والتخثير بالحرارة النافذة .

٤٧٤٣ مَمَوْتٌ بالكهرباء ، صَعَقَ Electrocution 4743

وأقر بجمع اللغة ترجمة اللفظة بالصعق الكهربائي . وجاء في شرحها : الموت  
من أثر التيار الكهربائي .

٤٧٤٤ مَنَقَذَ كَهْرَبَاوِيّ Electrode 4744

وأقر بجمع اللغة تعريب اللفظة بالكترود وجاء في تعريفها : وهو الموصل  
الذي عنده يدخل أو يخرج التيار الكهربائي عند مروره في سائل أو غاز .

٤٧٤٦ مَنَقَذَ كَهْرَبَاوِي لا يَسْتَقْطِب Electrode non 4746

polarisable

وأرجح الكترود لا مُسْتَقْطِب

(١) في اللسان : والتأليف بالتعريبك رفعة الحمر وضور البطن مَيِّفٌ مَيِّفٌ وهاف  
مَيِّفٌ فهو أهيف .

وَرَجُلٌ مَشِيقٌ وممشوق خفيف اللحم ، وَاَرَسٌ مَشِيقٌ وممشوق أي ضامر ،  
يقال فرس مشيقٌ ممشوق أي فيه طول وقلة لحم وجارية ممشوقة حسنة  
الدوام قليلة اللحم . وجاء في معجم لاروس اللزن العشرين في شرح لفظة  
Greele, mince : elance et de haute taille أي نحيل ، دقيق وطويل القامة .

- ٤٧٤٧ Electrolyte (متحلل بالكهرباء) 4747  
وأقر بجمع اللفظة : الما ينحل بالكهرباء ( الما ينحل بالكهرباء ) وجاء في التعريف : هو ما يتحلل بواسطة التيار الكهربائي .
- ٤٧٤٨ Electrophorèse استشراد 4748  
وأرجح تعريب اللفظة بكثرة قياساً على تعريب اللفظتين المائلتين ( Cataphorèse ) بكثرة (١) و Anaphorèse بأثرة (٢) ، وإن اللجنة استعملت لفظه استشراد ترجمة لـ ( Ionophorèse ) ( اللفظة ٧٥١٠ ) .
- ٤٧٥٣ Élément morphologique عنصر تقطيعي 4753  
جاء في المعجم الأصلي وحذاء الرقم المذكور ( Élément figuré ou morphologique ) لذا أرجح ترجمة اللفظة عنصر مصور أو عنصر مشكل أي ذو شكل (٣) . ولا أرى لفظه تقطيعي بقي بالمعنى .
- ٤٧٥٦ Éléphantiasis, التهاب الجلد الجسئي 4756  
pachydermie  
وأقر بجمع اللفظة ترجمة اللفظة الأولى بداء الفيل ، وأرجح في الثانية التهاب الجلد الضخامي أو الجسئي إذ سبق للجنة أن استعملت لفظه جُسَاء ترجمة لـ ( Ankylose ) ( اللفظة ٧٨٤ ) (٤) .
- ٤٧٦٥ Elimination, excrétion , إخراج ، إفراز 4765  
sécrétion  
وأقر بجمع اللفظة ترجمة لفظه ( Excrétion ) بإفراز وجاء في التعريف : إخراج الفضلاب .

(١) الصفحة ٢٥٧ من المجلد الثامن والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) الصفحة ٦٥٤ من المجلد السابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) وجاء الترجمة الانكليزية للمعجم الأصلي : Elementary constituent , formative , morphological element

(٤) الصفحة ٢٧٠ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

- ٤٧٧٧ Emasculation, castration. وَاَمَصَّ ، خِصَاءً ، مَتَلَسَّ 4777  
 Stérilisation d'un homme تعقيم رَجُلٍ .  
 وأقر مجمع اللغة ترجمة (Stérilisation) بإعقام وعرقها : تعطيل الإنسال .
- ٤٧٧٨ Emaux radioactifs . مَوَانِيءُ مُشِعَّةٌ ، أَجْزَاءُ مُسَطَّحَةٌ 4778  
 من أملاح الراديوم  
 appareils plats aux  
 sels de radium  
 وأرجح ترجمة اللفظة الأولى بالصفائح المشعة وفقاً لما جاء في الترجمة  
 الانكليزية للمعجم الأصلي<sup>(١)</sup> ولأن لفظة موانيء جمع ميناء ( Email )  
 استبعد صلاحها .
- ٤٧٨١ Embarrure كسر القحف المنخفض 4781  
 وأقر مجمع اللغة إختصاص عظام الجمجمة .
- ٤٧٨٥ Embolie graisseuse سَدَّةٌ دَسْمِيَّةٌ 4785  
 ٤٧٨٦ Embolus . embolie سِدَادٌ صِمَامٌ 4786  
 وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة الأولى بالسداد الشحمي والثانية بالسداد  
 فقط . وقد جاء في التعريف : جلطة صغيرة دموية أو كتلة من البكتريا  
 أو جسم غريب آخر تسد وعاء دمويًا .
- ٤٧٩٢ Embryologie علم المَضْفَعَةِ 4792  
 ٤٧٩٣ Embryon مَضْفَعَةٌ 4793  
 وأقر مجمع اللغة ترجمة لفظة Embryon بالجنين . وجاء في التعريف :  
 ثمرة الحمل في الرحم حتى نهاية الأسبوع الثامن وبعدد يدعى بالحميل .  
 لذا تصبح ترجمة اللفظة الأولى علم الأجنة .

(١) Flat applicator for radium

- ٤٧٩٤ مُضْغِي Embryonnaire 4794  
جنيني كما أقرها مجمع اللغة .
- ٤٨٠٢ مَشَارِبُ أوردَة سنْثُوريني Emissaires , veines de Santorini 4802  
وأقر مجمع اللغة ترجمة ( Veines émissaires ) بالأوردَة المصدره .
- ٤٨٠٣ قَذْفُ المُنْطَا ، تَمْنَطُ Émission des glaires 4803  
والصحيح قذف المنطاط (١) ولا أرى لفظة المنطاط (٢) والتنمط تقيان بالمعنى .
- ٤٨٠٦ مُطْمَنَاتُ Emménagogues 4806  
وأقر مجمع اللغة : مدرات الحيض ومدرات الطمث .
- ٤٨١٣ مُؤَثِّرٌ ، مُنَبِّهٌ العاطفة Emotif . ive . affectif . ive 4813  
وأفضل انفعالي وعاطفي .
- ٤٨٢٢ انتفاخ الأنعمَة Emphysème cellulaire , sous - cutané 4822  
وأقر مجمع اللغة تعريب اللفظة بأمفزيما .
- ٤٨٤٤ ذُبَالٌ ، ذات جنب قَيْحِيَة Empyème . pleurésie purulente 4844  
وأرجح تعريب اللفظة الأولى بأمبيا ، وذات الجنب القَيْحِيَة ولا أرى  
لفظة ذُبَالٌ تقي بالمعنى ، كما أن لها معاني أخرى (٣) .

(١) فقد جاءت الترجمة الانكليزية في المعجم الأصلي : Discharge of mucus  
(٢) في اللسان : امتنط من الشيء يستطيله وخص بعضهم به من الشيء اللين كالصمران  
ولحوه والتنمط في معدو الفرس ان يجد ضيقه حتى لا يزيد مزيداً في جريه .  
(٣) في اللسان : ذبّل النبات والعن والإسنان يذبّل ذبلاً وذبُولاً ذقّ بهد الرمي  
فهو ذابل أي ذوى وكذلك ذبّل . والذالة النية التي تسرج والجمع ذبال .  
والذبال النفايات وكذلك الذبال فالذال والذال .



- ٤٨٤٨ *Emulsif, ive* يُسْتَحْلَب  
٤٨٤٩ *Emulsificateur, émulsifiant* مَحْلَبَة، مُسْتَحْلِب  
وأرجح في اللفظة الأولى مُسْتَحْلَب ومُسْتَحْلَبَة لأنها جاءت صفة  
بدليل إلحاقها بأداة التانيث . أما اللفظة الثانية فأرجح ترجمة الأولى منها  
بأداة أو آلة الاستحلاب . والثانية بِمُسْتَحْلِب كما أقرته اللجنة ، ولا أرى  
لفظة محلبة على وزن مَفْعَلَة تنفي بالمعنى .
- ٤٨٦٧ *Encéphalographie* رَئِم الدِّماغ  
وأرجح تخطيط الدماغ ، وهو الشائع قياساً على ما أقرته اللجنة  
يترجمتها لفظة ( *Electro - cardiographie* ) بتخطيط القلب الكهربائي  
( اللفظة ٤٧٤٠ ) .
- ٤٨٦٨ *Encéphalopathie arsénobenzolique* آفة دِماغ زرنِخية بنزولية  
ودرجت على ترجمة الكاسعة ( *Pathie* ) باعتلال . أقول الاعتلال  
الدماغي الأرسنوبنزولي باعتبار لفظة أرسنوبنزول اسم مركب خاص ، كما  
ان اللجنة سبق لها أن خصصت لفظة آفة ترجمة لـ ( *Lésion* ) ( اللفظة ٧٨٠٥ ) .
- ٤٨٧٠ *Enchâtonné, ée* مُنْذَمَج  
٤٨٧١ *Enchâtonnement du placenta* اندماج السُّنْخَر  
وأرجح ترجمة اللفظة الأولى بِمَحْتَبَسٍ أو محصور ، إذ سبق للجنة ان استعملت  
لفظة اندماج ترجمة لـ ( *Inclusion* ) ( اللفظة ٧١٦٧ ) ، أما اللفظة الثانية  
فأرجح ترجمتها باحتباس السُّنْخَر ، وفقاً لما جاء في الترجمة الانكليزية  
للمعجم الأصلي (١) .

- ٤٨٧٣ ز'كام 4873 Enchifrénement  
وأفضل ترجمة اللفظة بالزكام المزمّن وفافاً لما جاء في الترجمة الإنكليزية للمعجم الأصلي (١) .
- ٤٨٩٠ جندعة داخلية 4890 Endoblaste  
وأقر مجمع اللغة تعريب لفظة Blast ببلاستولة كقوله أدمة البلاستولة ترجمة ( Blastoderm ) وقد عرف البلاستولة بأنه طور جنيني تنتظم فيه الخلايا في طبقة واحدة تحيط بتجويف . لذا أرجح ترجمة اللفظة بالبلاستولة الداخلية أو الباطنة ، وسبق للجنة أن استعملت لفظة جذع ترجمة لـ ( Tronc ) ( اللفظة ١٢٧٤٢ ) .
- ٤٨٩٢ مشغوف 4892 Endocardiaque  
والصحيح شغافي ، فقد جاء في المعجم الأصلي حرف A بجذاء اللفظة للدلالة على أنها حفة ، كما أن الترجمتين الإنكليزية والألمانية للمعجم المذكور تؤكدان ذلك (٢) .
- ٤٨٩٤ ذات الشغاف الحميدة المهيمنة 4894 Endocardite bénigne  
الثلولية plastique , verruqueuse  
وأرجح التهاب الشغاف السليم التنبّي (٣) ، الثلولي .
- ٤٨٩٥ ذات الشغاف البطيئة الحمجية الخبيثة 4895 Endocardite lente ,  
داء جاكود - أوسلر infectieuse maligne ,  
maladie de Jaccoud - Osler  
وأفضل التهاب الشغاف البطيء الانتاني (٤) الخبيث ، داء جاكود أوسلر .

(١) Chronic coryza, chronic nasal catarrh

(٢) في الإنكليزية endocardial, endocardiac وفي الألمانية Endokard .

(٣) في الترجمة الإنكليزية للمعجم الأصلي ( Vegetative endocarditis ) .

(٤) الصفحة ٦٥٢ من المجلد الخامس والثلاثين من هــنـدـة الجـلة .

- ٤٨٩٨ Endocrânien , enne داخلُ القَحْف  
وأقر مجمع اللغة داخل الجُمُجُمة .
- ٤٩٠٠ Endogène نام من الداخل ، تَكُونُ داخلاً  
وأرجح داخلي المنشأ إذ لا يشترط أن يكون ثمة نمو .
- ٤٩٠٣ Endométrisme , التهاب بطانة الرحم ، التهاب  
solénome بطانة قَرْنِي الرحم  
وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة الأولى بورم بطاني رحمي والصحيح في الثانية  
ورم بطانة قرني الرحم .
- ٤٩٠٥ Endométrite déciduale التهاب بطانة الرحم الساقطي  
وأقر مجمع اللغة التهاب الساقط . وجاء في التعريف وهو التهاب  
بطانة الرحم في الحمل .
- ٤٩٠٦ Endométrite déciduale التهاب بطانة الرحم الساقطي  
catarrhale , hydorrhée النزلي ، سيلان الرحم الحامل  
sacculaire , hydorrhée الساقطي  
déciduale de l'utérus gravide وأرجح التهاب الساقط النزلي ، السيلان الساقطي في الحامل .
- ٤٩١٢ Endosmose تحال ، تَنَافُذ  
وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة بتناضح .
- ٤٩١٣ Endotoxine ذيفان داخلي  
وأقر مجمع اللغة تعريب لفظة (Toxine) بتكسين فتصبح اللفظة توكسين داخلي .
- ٤٩١٧ Endurcissement de la peau تصلب الجلد  
وأرجح قساوة الجلد تاركاً تصلب الجلد ترجمة لـ ( Sclerodermie ) .
- ٤٩١٨ Energie cinétique ، قُدْرَة نَغْضَانِيَّة ، قُدْرَة  
énergétique ، قُدْرَة التَّأثير ، حَرَكِيَّة  
d'action

وأقر مجمع اللغة ترجمة ( Energie ) بطاقة ( وهي الدارجة )  
و ( Cinétique ) بحركية وتعريب ( Dynamique ) بديناميكا وديناميكية  
في النسبة إلى اللفظة .

وجاء في تعريف اللفظة الأخيرة : يغلب إطلاق الاسم في الاصطلاح  
الحديث على علم القوى على الوجه الشامل سواء نشأت عنها الحركة أو اتزنت  
وترتب على ذلك سكون الأجسام ، وهذا الاعتبار يقسم قسمين : ( علم الحركة )  
Kinetics ويبحث فيه عن الحركة على الوجه الذي يراعى فيها القوى المحركة  
والثاني ( الاستاتيكا ) ويبحث فيه عن شرائط اتزان القوى وسكون الأجسام .  
وعليه تصبح ترجمة اللفظة : طاقة حركية ، طاقة ديناميكية وطاقة العمل  
( وأرجعها على الثانية ، لأن هذه اللفظة مستعملة ترجمة لـ Induction )<sup>(١)</sup> ،  
ولا أرى حاجة لاستعمال التنغضان ترجمة للفظه<sup>(٢)</sup> .

٤٩٢٤ طِفْلٌ مُغَذًى بِالرَّضَاعَةِ      Enfant élevé au biberon      4924

وأرجح رَضِيعٌ بِالرَّضَاعَةِ أَوْ بِالمَصَاصِ كما هو دارج في سورية .

٤٩٣٥ طِفْلٌ مُغَذًى بِالرَّضَاعَةِ ( بِالثَدِيِّ )      Enfant élevé  
ou sein      4925

والأفضل رَضِيعٌ مِنَ الثَدِيِّ . وقد أقر مجمع اللغة ترجمة ( Allaitement  
au sein ) بالإرضاع والرضاعة . وجاء في التعريف إرضاع الرضيع من الثدي .

( للبحث صلة )      الدكتور حسني سبيع



(١) الصفحة ٦٥٢ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .  
(٢) في اللسان : تَنَفَّسَ الشَّيْءُ يَنْتَفِضُ تَنْفِضًا وَتَنْفِضًا وَتَنْفِضًا وَتَنْفِضًا وَتَنْفِضًا  
تَحْرُكٌ وَاضْطِرَابٌ وَانْتِفَافٌ هُوَ أَيْ حَرَكَةٌ كَمَا لَمْ تَجِبْ مِنَ الشَّيْءِ . وَيُقَالُ تَنَفَّسَ  
فُلَانٌ أَيْضًا رَأْسَهُ يَنْتَفِضُ وَلَا يَنْتَفِضُ . وَالتَّنَفُّسُ تَنْفِيسُ الرَّأْسِ وَالْأَسْنَانِ فِي  
الْزَّجَفِ إِذَا رَجَعَتِ قَدُولُ تَنَفَّسَتْ .

# ومضات من التاريخ

## وفترات دامية من بدء عصر الانهيار

.. في تاريخنا الكثير من القصص والحكايات ذات الدروس والعبر لو أخذ الناس يقيسونها على ما يجري في عصرنا هذا لما وجدوا أي فرق من حيث النتائج ، وانتهوا إلى أن الطبيعة البشرية هي عند انسان اليوم . وان ما يتبدل في الواقع هو المظهر لا أكثر ولا أقل .

ويتناول هذا البحث بعض خلاصاء العصر العباسي ، وبعض مظاهر الحياة في ذلك العصر ، ولا سيما فترات الانهيار التي سادت فيها الفوضى ودب الفساد بعد ان زال أو كاد ذلك الملك الضخم الذي وطّد أركانه أولئك الهداة الأطهار والبناة الأخيار منذ صدر الإسلام حتى بداية العهد العباسي .

### ثامن الخلفاء

ريعلم الذين درسوا تاريخ العرب في عصورهم المختلفة أن عوامل الانهيار قد بدأت منذ خلافة المعتصم محمد بن هارون الرشيد « ٢١٨ - ٢٢٧ هـ » ، ٨٣٢ - ٨٤١ م ، ثامن الخلفاء العباسيين - هذا الخليفة الذي لا يذكر المؤرخون من صفاته بالنسبة لإخوته سوى قواه العضلية حتى قالوا انه كان يحمل ألف رطل من الحديد ويمشي بها خطوات ، وانه إذا اعتبد بأصبعه



السبابة والوسطى على ساعد انسان دقه ! وكان يلوي الحديد حتى يصير  
قلوفاً (١) ، أو يشده على الدينار باصبعه . فيمحو كتابته !  
وسواء أكانت هذه الصفات صحيحة أو مبالغاً فيها ، وقد تكون إلى  
التحويل أقرب ، فالشيء المتفق عليه انه كان أمياً قليل الذكاء ، وان قواه  
العضلية هي أبرز صفاته ! ..

### بداية الانهيار

أقول ان انهيار الدولة العباسية قد بدأ منذ عهد المعتصم الذي جزّ  
على العرب كل البلاء .

فقد اعتمد على الجنود الأتراك فأقبل على ثرائهم من مواليهم بالعشرات  
والمئات حتى اجتمع له منهم أربعة آلاف جندي ألبسهم أنواع الدياج والمناطق  
والحلي المذهبة وميئزهم على سائر جنود المملكة من أبناء العرب الخالص !  
وقد كان لهؤلاء الجنود الدخلاء الذين اصبحت السلطة بيدهم ويبد قادتهم  
الأثر السيء في نفوس الأهالي وفي نفوس الجنود المواطنين .

وبالرغم من المحس الذي ساد أوساط الشعب وبعض وحدات الجيش  
فلان المعتصم لم يصح لهمسات المعارضين ولا لصيحات الناقين بل ازداد في  
رعايته لهم وعطفه عليهم بأن أقطعهم أماكن ومزارع خاصة بهم وظلّت  
الكلمة العليا لهم حتى نهاية خلافته . وحتى خلافة ولده « الواثق » الذي  
كانت له بعض صفات أبيه وأهمها الميل إلى مجالس اللهو والفناء ..

ولم تطل خلافة الواثق ولم تتميز بجداث جسيم سوى بظهور بعض  
الانتفاضات والثورات الداخلية التي أخذت فوراً .

---

(١) الفلق : نصف النصف .

### نيرون العرب

وجاء بعده المتوكل الذي اتفق بعض المؤرخين على أن يطلقوا عليه لقب « نيرون العرب » ففي عهده بدأ انحلال الامبراطورية العربية وتسرب الفساد في جسم الدولة « ٢٣٢ - ٢٤٧ م = ٨٤٨ - ٨٦١ م » .  
وليس هذا فقط بل اتجه إلى هذه التصرفات التي تمس كرامة الخلافة وصولجان الملك - فقد اتجه انجاساً رجعياً في ادارة شؤون المملكة - كانت من نتائجها أن أقصى رجال الفکر عن مناصب الدولة وزج الأبرياء في السجون وعطلت الحلقات العلمية التي كانت تلقى فيها دروس العلم والفلسفة . واضطهد اليهود والنصارى ، ولم يكتف باقصائهم عن الوظائف الكبرى بل حرّمهم جميع الامتيازات التي كانوا يتمتعون بها في عهد أسلافه الخلفاء ! ..

### كرهه لآل البيت

نعم ، لم يقف في تصرفاته الشاذة عند هذا الحد ، أي لم تكن كراهيته موجهة إلى الدّمين وإلى المفكرين وأصحاب العقول الرجیحة بل بلغ من كراهيته لعلي بن أبي طالب وآل بيته انه أمر يهدم قبر الحسين في كربلاء .. وأمر بزرعه وسقيه ..

ان الثفرة التي فتحها المعتصم للأتراك وجاء المتوكل فوسع من نطاقها . ان هذه الثفرة قد جرت عليه البلاء كما جرت الرّبال على خلافته ..  
فقد استعمل الشدة في ادارة شؤون المملكة ، وكان من نتائجها أن طغت حرية الفكر في الصميم .

ولم يشفع له ازدهار الحياة الاجتماعية في عهده ، فكانت في مظاهرها بريقاً زائفاً ، وقل مثل هذا عن انضام بعض رجال العلم والأدب حوله

للمحوار والمناظرة فقد شطرت هذه المجادلات العقيمة الناس شطرين دون  
أن تؤدي الفائدة المرجوة ..

### كان ينثر الأموال بغير حساب

هذا ، وقد كان ينثر الأموال بغير حساب ! ..  
فقد دخل عليه البحتري يوماً - وكان من شعرائه المقربين اليه وقد  
أخلص اليه وأفاد منه أموالاً طائلة - أقول دخل عليه وهو في مجلس شراب  
يبدسه بقصيدة مطلعها :

عن أي ثغر تبسم وبأي طرف تحتكم  
وكان في هذا المجلس شاعر آخر اسمه أبو العنبر وقف يلقي قصيدة  
ثانية يعارض فيها البحتري ، وكانت من الهجاء المقذع .  
وليس أكثر إثارة لقرائح الشعراء المداحين من هذه المناسبات التي يتأكل  
الحسد فيها قلوب بعضهم بعضاً ..

ماذا كان مطلع قصيدة أبي العنبر ؟

لقد خاطب البحتري بقوله :

من أي سَلَح تلتقم وبأي كف تلتطم  
أدخلت رأسك في ... وعلتُ انك منهزم

وقبل أن ينتهي من قلاوتها ترك البحتري المجلس لأنه لم يملك أعصابه  
لسماع هذا الهجو المقذع الذي أضحك المتوكل حتى استلقى على قفاه !  
وقد روى أحد شهود هذه المعاشة بقوله :

جاءني البحتري فقال لي يا أبا خالد : أنت عشير وابن عم وصديق ، وقد  
رأيت مما جرى عليّ ، أترى أن أخرج إلى منبج بغير إذن ، فقد ضاع  
العلم وهلك الأدب ، فقلت : لا تفعلن من هذا شيئاً ، فالملوك تمزح بأكثر

من هذا ، ومضيت معه إلى الفتح بن خاقان فشكا إليه ذلك . فقال له نحواً من قولي ، وعوضه ، فشكر لي ذلك .

وكان رصيد هذه المعايضة بين الشراء ان خسر بيت المال أو خسرت موازنة الدولة بتعبير اليوم ، مبلغاً ضخماً ثمناً لهذه المفاكمة الباردة ! . عشرة آلاف درهم للشاعر الهجاء أبي العنبس . وعشرة آلاف درهم للبحثري ترضية له .

وعشرة آلاف درهم لرجل من البصرة .. يظهر ان دوره في هذه الجلسة كان دور المهرج الذي يقوم بفصول « كشكشية » .. وإذا كان الدينار عشرة دراهم كما قدره أحد المؤرخين فيكون المتوكل قد دفع في ساعة من ساعات لهوه وشرابه وعلى مفاكمة باردة ثلاثة آلاف دينار ذهبي ! .

وهذا مبلغ ضئيل بالنسبة للمبالغ الطائلة التي كان ينفقها على لهوه وشرابه ! .

### حكم دام خمسة عشرة سنة

كانت هذه المناسبات تتكرر كل يوم مدى حكمه الذي دام خمس عشرة سنة وكانت الامبراطورية العربية في طريقها إلى الانهيار والاضمحلال سواء بما بدا منه أو بمن كان على طرازه !

ويصف المؤرخون المتوكل بأنه كان أنيق الملبس ، يعنى بهندامه وزينته كل العناية .

وكان يلبس في الربيع ، وحين تفتح الورد ، الثياب الحر ، ويأمر بالفرش الأحمر ولا يرى الورد الا في مجلسه .

وكان يقول :

« أنا ملك السلاطين والورد ملك الرياض ، وكل منا أولى بصاحبه .. »

بعض مظاهر التخنث

وقبل أن يتولى الخلافة كان يرسل شعره على قفاه في زمن أخيه الراحل الذي كان يرى في ذلك لونا من التخنث ، فأمر وزيره ابن الزيات ، وكان وزيراً حازماً صلد القلب ، مهيب الجانب ، تخافه الرعية - أمره ان يحز شعر المتوكل وان يعيد له مظاهر الرجولة .

فلم يتردد الوزير ، فحز شعر قفاه . وضربه في وجهه ا .  
وقد أثرت هذه العملية في نفسه فتلقى الإهانة بصبر ، وسكت على مضض ا .  
ولما أصبح خليفة أحب أن ينتقم من الوزير . فأى لون من الانتقام فكر فيه ؟  
هل يقلبه من منصبه ؟  
هل يصادر أمواله ؟  
هل يأمر بنفيه ؟

لا . . فمن وسائل التعذيب المعروفة في عهده زج المغضوب عليه في تنور من الحديد ، رؤوس مساميره إلى داخل قاعة مثل رؤوس المسال .  
فإذا غضب على فرد من أفراد الرعية أدخل فيه وحبس عنه الطعام حتى يقضى عليه ا

وهذا التنور من اختراع وصنع الوزير ابن الزيات الذي أمر بصنعه للذين كان يغضب عليهم من الرعية .

اذن من أولى بهذا القصر الجهنمي من الوزير الذي حز شعر قفاه وضربه في وجهه ؟ ..



### الوزير في التنور

ففي ساعة من ساعات غضب المتوكل وحقده . وبإجاء من خصوم  
ابن الزيات صدرت أوامر الخليفة - المتوكل على الله أو على الشيطان لا أدري -  
صدرت أوامره بـ "ج" الوزير في ذلك التنور الجهنمي الذي اخترعته مخيلته  
ليعذب فيه الأبرياء ..

من القصر الفخم إلى التنور المظلم ..  
وحين ضمه هذا القفص الحديدي الخائق احسن بنهايته ودنو أجله ..  
لقد ذهب نفوذه وجبروته وسطوته نتيجة هفوة لا يد له فيها !  
وقبل أن تحين منيته طلب دواة وبطاقة ليطلب فيها كلمة استرحام .  
ولبى طلبه .

فماذا كتب ؟

فكر طويلاً ثم كتب البيتين الآتين :

هي السبيل فمن يوم إلى يوم      كأنه ما تريك العين في النوم  
لا تجزعن رويداً انها دول      دنيا تتقل من قوم إلى قوم  
ولكن هذه العظة التي أراد أن تصل إلى أذن الخليفة وان تمس شغاف  
قلبه فيتعظ ، ويذكر القبر الذي ينتظر كل جبار عنيد ، لم تصل إلى  
« نبيرون العرب » إلا بعد أن قضى الوزير نحبه !

### من جنود مرقاة إلى حكام متسلطين

وقد لعب القواد الأتراك ، خلال هذه الفترات ، أو في عهدي المعتصم  
والمتوكل - لعبوا أدواراً خطيرة ..

فبعد أن كانوا «جنوداً مستأجرين» استخدمهم لدعم نفوذهم أصبحوا الكل في الكل .

ولما تولى المتوكل الخلافة قوي نفوذهم طمعاً منهم في مناصرتهم له على « الشيعة العلوية » فما عثموا ان قويت شوكتهم وبسطوا سلطانهم على الخلافة نفسها . يرفعون مَنْ شايهم ويمزلون أو يقتلون من ثار على طغيانهم . وقد اطمأن المتوكل إلى اخلاص مواليه من الفرس والترك فانصرف إلى أهوائه وملذاته ، يشرب ويطرب ، يلهو ويلعب ، ويقضي الليالي الحمراء مع خلّاته وخليلاته ..

ولم يكن في هذا الاطمئنان بعيد النظر . فقد ظن ان سطوته المستمدة قوتها من القواد الأعاجم . وتصرفه بأموال الدولة ينفق منها على المحاسيب والأنصار بسخاء ، ظن ذلك كفيلاً بدوام سيطرته .

وان هذا الملك العريض الذي آل إليه سيظل في حوزته ما دام قواده الأتراك يعملون تنكيلاً بـ « الشيعة العلوية » ، خصومه الألداء .. ! وبلغ به الغرور والخيلاء ان فكر في ساعة من ساعات صفوه ولهوه ان يقسم الدنيا التي آلت إليه بين أولاده الثلاثة .

فما هي لحظات حتى جمع وزيره الفتح بن خاقان وبعض أصحابه وخلّاته ومَنْ بيدهم أمور المملكة وقسم الدنيا التي تحت حوزته كما يلي :

### تقسيم الامبراطورية

١ - أعطى ابنه الأكبر محمداً المنتصر رقعة واسعة من عرش مصر إلى افريقيا - المغرب كله - حيث سلطانه ..

وأضاف إليه جند قنسرين والعوامم والشغور الشامية والجزيرة وديار بكر وربيعة والموصل والفرات وهيت وعانة والخابور ودجلة والحرمين واليمن

واليامة وحفر موت والبحرين والسند وكرمان وكور والاهواز ومايندان  
ومهرجان وشهرزور وقشم وقاشان وقزوين والجبالي ..

٢- وأعطى ابنه المعتز بالله خراسان وطبرستان وماوراء النهر والشرق كله ..

٣- وأعطى ابنه المؤيد بالله ابراهيم أرمينية وأذربيجان وجند  
دمشق والأردن وفلسطين ..

هكذا ، قسم الامبراطورية الكبرى التي جاءت بعد أن قام أولئك  
الفاطمون البررة بفتحها بقوة ايمانهم - هذه الامبراطورية العظيمة المترامية  
الأطراف التي تناثرت وتفككت بعد أن آلت إلى افاس لم يحسنوا صناعة  
الملك فأصبحت مناطق نفوذ لأمرأه مختلفي المذاهب والميول ومختلفي  
العقائد والمصريات ..

### في ثورة من الزهو والكبرياء

كان المتوكل ، بعد أن قسم دنياه العريضة على أولاده - في ثورة طاغية  
من الزهو والكبرياء .. - أي كان في غفلة عن أحداث الدنيا وتقلباتها ،  
وفاته ان الدنيا كما وصفها الحكماء - لا يدوم نعيمها ، ولا يؤمن غدرها  
ونكباتها ، ولا يتم فيها سرور ، ولا يؤمن فيها محذور ، قد قرنت السراء  
بالضراء ، والشدة بالرخاء ، والنعم بالسلوى . فمع نعيمها البؤس ، ومع  
سرورها الحزن ، ومع صحتها السقم ، ومع حياتها الموت ! ..

ان المتوكل لم يكن من الغفلة بحيث لا يدرك هذه الأشياء ، ولكن  
أهواءه طفت على تفكيره ، فما كاد يصحو من سكرته الطويلة حتى رأى  
نفسه أمام الكارثة وجهاً لوجه ..

آية كارثة ؟

مؤامرة تحاك له في الخفاء لازاحته عن صولجان الملك والقضاء عليه .  
وَمَنْ هم المتآمرون ؟

القواد الأتراك الذين اعتمد عليهم في بسط سيطرته ودعم نفوذه !  
لقد شعر في أيامه الأخيرة ان أوامره لم تعد نافذة كما كانت سابقاً ..  
أي أخذ يشمر ، وبعد فوات الأوان ، ان سطوة الخليفة أخذت في  
التقلص والانكماش ..

أصبح جوّ بغداد في نظره موبوءاً ..

ولم يعد يطيب له فيه المقام ..

لقد تفرق أولئك الذين كانوا عدته وأصفياءه وقبوعوا في بيوتهم بعد  
أن أصبحت السلطة المطلقة بيد الحثالات من الأعجام يفرضون طغيانهم  
ويسيطرون على خلص العرب من السادة والأشراف -

أصبحت إشرافة بغداد ظلمة اصطفت بالنجيع الأحمر ..

كيف الخلاص من هذا الجوّ الموبوء ؟

لقد قرر الهجرة ..

من بغداد إلى دمشق

قرّر أن يهجر بغداد إلى دمشق ، وأن يعيش في جوّ عربي خالص .

وبالفعل فقد شدّ الرحال إلى دمشق ..

وفي عاصمة الأمويين تنفّس الصعداء ، وكأنه قد لقي ذاته ..

وقد أشار شاعره البحتري إلى هذا بقوله :

قد رحلنا عن العراق وعن قطبها النكد

حبذا العيش في دمشق إذا ليلها برد

حيث يستقبل الزمان ويستحسن البلد  
سفر جددت لنا اللـهـ وأيامه الجدد

جاء دمشق ليحيي لياليه الساحرة في بغداد .. ولكن مواليه الأتراك  
كانوا له بالمرصاد ، فلم يتركوه ينعم في هذا الجو الجديد ويقضي أياماً هنيئة  
في جزء من أجزاء مملكته بل لحقوا به إلى دمشق وأخذوا يضايقونه .  
فتركها وتزل في قصر المأمون بعيداً عن دمشق ، وهو قصر فخيم  
يقع بين داريا ودمشق ..

لقد ابتعد زيادة في الحيلة والحذر ..

ولكن نبأ قدومه دمشق لم يكد ينتشر حتى انتهت عليه الطلبات من  
مختلف الأفراد والهيئات .. وكل فرد يريد قضاء مصالحه وحاجاته ..  
وكان كمادته يبذل بسخاء ولا يرد طلب أحد ..

### ثورة الجنود

وكان من الممكن ان يوطد مركزه في دمشق ولكن مواليه الأتراك  
قد أثاروا الجنود وحرضوهم على الثورة ..  
لقد أمسكوا عنهم رواتبهم وجعلوا الخليفة هو المسؤول عن ذلك ..  
وثار الجنود يطلبون رواتبهم المتأخرة .  
ولم تكن ثورة لفظ وكلام بل ثورة دامية لعب فيها السلاح والرمي  
بالنشاب فكانت السهام ترتفع في الرواق مستهدفين الخليفة بالذات مما  
آثاره وأقلقه وأقضى مضجعه ..

ومرعان ما أصدر أمره بتوزيع الرواتب على الجنود .  
وما هي إلا ليلة ظلماء تأكلته فيها المواجه حتى قرر العودة إلى العراق .



وكانت المؤامرة قد نسجت خيوطها لقتل المتوكل وهو في دمشق .  
ولكنه استطاع بفطنته وقطنة وزرائه أن يسلم بنفسه وأن يعود إلى العراق ..  
وقد قصد المتآمرون أن يتخلصوا من المتوكل وأن يستلزموا هم زمام السلطة .  
وكانت مؤامرتهم في ظاهرها الدفاع عن العلويين ، وفي باطنها التخلص  
من الخليفة واستصفاء السلطة للعنصر التركي .

### خصومة بين الأب والابن

وإذا عرف المتوكل ببغضه للعلويين فقد جعلوا من ابنه خصماً له .  
... والواقع أن ابنه المنتصر كان يخالف أباه في هذا الاتجاه ..  
وتروى قصص مثيرة بين الأب والابن حول حب علي وكراميته ، ولا نريد  
أن نتوسع في هذا الموضوع وهو ذو ذيل طويلة ومريضة في آن واحد .  
وهكذا ، فقد حيكت هذه المؤامرة من خيوط هذا الخلاف وان  
كان الاتجاه في حقيقة القضاء على الأب والابن معاً !

### المتوكل في أيامه الأخيرة

عاش المتوكل أيامه الأخيرة في جوٍّ موبوء من الدسائس والتزلف والرياء ،  
وقد اعتلّت صحته من كثرة السهر والادمان على الشراب ، وكان المحيطون  
به يقاسون كل يوم ، بل كل ساعة ، بنجر لا يدخل السرور إلى نفسه ..  
كان كمن سبقه من الخلفاء يصلي الجمعة بالناس ، ولكنه امتنع في  
الأيام الأخيرة عن الصلاة بالناس .

وأقبل عيد الفطر ، وكان يريد في هذا الجرم المحموم ، أن يقبع في  
قصره .. ولكن جاءه وزيره ابن خاقان يقول له :

يا سيدي لقد تطلع الناس إلى رؤية أمير المؤمنين في يوم الجمعة فاجتمعوا  
واحتشدوا فلم يركب أمير المؤمنين .

ولا نأمن ان هو لم يركب أن يرجف الناس بعثته ، ويتكلموا في أمره ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يسر الأولياء ويكبت الأعداء بركوبه فعل ..

### صلاة وتوبة

وكان لمشورة وزيره أثرها في نفسه فأمر رجال القصر بالتأهب والتهيؤ للصلاة .  
 وضرب له المصاف نحو أربعة أميال .  
 وترجل الناس بين يديه .  
 فصلّى ورجع الى قصره .  
 ولم يكذ يدخل عتبة القصر حتى أخذ حفنة من التراب ووضعها على رأسه .  
 وسئل عن ذلك . .  
 فقال : إني رأيت كثرة هذا الجمع . . ورأيتهم تحت يدي . .  
 فأسيبت أن أتواضع لله عز وجل . .  
 وقبع في قصره خلال أيام عيد الفطر الثلاثة دون أن يدعو اليه ندماءه . لا لمزوف نفسه عن اللوم والعبث بل كان يشكو العلل والأمراض فكانت توبته توبة العاجزين !  
 وقد انتهى لحم الجزور فسمح له به أطباؤه . وأمر بمدّ الأسمطة ودعا اليه الندماء والأصدقاء وشعر في ذلك اليوم بسرور لم يعرفه من أيام ملكه !

### هدية زوجته قبيحه

يقول ابن الحنفى : لم يكن أمير المؤمنين في يوم من الأيام أمر منه في ذلك اليوم .

لقد أخذ مجلسه ودعا بالندماء والمقنين فحضروا ، وأهدت اليه « قبيحة »  
مطرف خزّ أخضر لم ير الناس مثله حسناً ..

وقبيحة هذه فتاة رومية ، كانت فائقة الجمال ، وهذا من أسماء الأزداد .

تزوجها المتوكل وأنجبت له المعتزّ الذي أصبح خليفة ..

ونظر المتوكل الى هديتها الجميلة وأطال النظر .. فاستحسنه ، وكثر

تمجيده به . وأمر به فقطع نصفين ثم أمر برده عليها ..

وقال للرسول : أشكرهما على صنيعهما وعلى هديتها ، وعلى ذكراهما لي ..

ثم التفت الى ندمائه يقول :

إن نفسي لتحدثني أني لا ألبسه ، وما أحب أن يلبسه أحد بعدي ،

وانما أمرت بشقه لئلا يلبسه أحد بعدي ..

### نهاية رهيبة

كان المتوكل يشعر من الأعماق أن أيامه الأخيرة قد دنت . وأنه قد

اقترب أجله نتيجة هذه المؤامرات التي يحوكمها له قواده الذين اعتمد

عليهم في السيطرة !

قال له الندماء : يا أمير المؤمنين هذا يوم سرور ونعيذك بالله أن تقول هذا ..

وسكت على مضض .. وبدأ يشرب على غير وعي منه .. وما كاد

يفرغ الكأس الرابع أو الخامس حتى انهمرت الدموع من عينيه وقال :

أنا والله مفارقكم عن قليل ..

وطمأنه الندماء وخلص أصحابه ..

وعاد إلى الشرب . واستمر في لهوه ومروره إلى آخريات الليل ..

ولكن هذا السرور كان مشوباً بمخاوف .

م (٩)

كان يشعر في قرارة نفسه أن المتمرّين يدبرون خطة جهنمية للتخلص منه والقضاء عليه ، ولا سيباعد أن سيطر الأتراك على الموقف سيطرة تامة .. وفي ليلة من ليالي شوال ، وفي اليوم الرابع بالضبط ، وبعد أن أعدوا كل خيوط المؤامرة دخلوا عليه بالسيوف ، فلم يكد الحراس يشعرون بدخولهم القصر من باب التسطّ حتى صاحوا بهم ما هذا أيها السفلاء .. ولكن السيوف كانت قلّعت في دجّة الليل .. وإذا هم وجهاً لوجه مع القواد الأتراك ، مع بفلون التركي وباغر ومومى بن بغا وهارون بن صواريكن وبغا الشرايبي ..

وأفاق المتوكل مذعوراً على دوي هذه الجلبة وسأل قائده : ما هذا ؟ قال : هؤلاء الحرس الذين يبيتون على باب سيدي أمير المؤمنين .. وتراجع المتأمرون خطوات .. وقرروا الفرار .. ولكن بغا التركي صاح بهم محرضاً وقال : أيها الأندال انكم مقتولون ان لم تقتلوا المتوكل ، وعليكم أن تقدموا وأن تموتوا كراماً .

وعادوا الى باحة القصر ..

ونزل المتوكل يواجه الموت بإيمان قوي ..

وبالرغم من وقوفه في وجههم موقف الصنديد الشجاع دفاعاً عن نفسه ، ووقوف وزيره الفتح بن خاقان أمامه ليحميه ، فقد انهالوا على الوزير فبجّوا بطنه - أي طعنوه بالرمح - ثم انهالوا على المتوكل فقطعوه إرباً إرباً .. وهكذا ، فقد لقي حتفه ومات أبشع ميتة نتيجة اعتمادة على رجال من غير بني قومه ، على القواد الأتراك الذين سولوا لابنه بريق الملك ولذة الحكم فاندفع وراءهم دون أن يحسب لجسيات الأمور أي حساب فنفذت المؤامرة وكانت نهاية رهيبة واجهها المتوكل بعد أن تربّع على صولجان الحكم خمس عشرة سنة كاملة ..

رثاء شاعره البحري

وقد كان البحري من شهود هذه المأساة ، وقد أشار في رثائه للخليفة المتوكل الى أكثر ظواهرها فمن قوله :

|                                   |                                 |
|-----------------------------------|---------------------------------|
| ولم أنس وحش القصر ، إذ ريع سربه   | وإذ ذُعِرَتْ أطلاؤه وجاذره      |
| وإذ صبح فيه بالرحيل ، فهُتِكَتْ   | على عَجَلٍ أَسْتارُه وستاره     |
| وَوَحْشَتُهُ ، حتى كان لم يَقم به | أنيسٌ ، ولم تحسُنْ لعينِ مناظره |
| كان لم تبيت فيه الخلافة طَلَقَةً  | بشاشتِها ، والملك يشرق زاهره    |
| ولم تجتمع الدنيا اليه بِناءها     | ويهجتها ، والعيش غَضٌّ مكاسره   |

الى أن يقول :

|                                  |                                |
|----------------------------------|--------------------------------|
| حلومٌ أضلتها الأمانى ، ومُدَّةٌ  | تناهت ، وحُفٌّ أرشكته مقادره   |
| ومغتصبٍ للقتل لم يُخَشِ رَهْطُهُ | ولم تحتشم أسبابه وأواصره       |
| صريع تقاضاه السيوف حُشاشَةً      | يحود بها ، والموت حمر أظافره   |
| أدافع عنه باليندين ، ولم يكن     | ليثي الأعادي أعزل الليل حامرُه |
| ولو كان سيفي ساعة الفتك في يدي   | درى الفاتك العجلان كيف أساوره  |
| حرامٌ عليّ الراح بعدك ، أو أرى   | دماً بدم يحري على الأرض مائره  |

ثم يشير الى تقرير قواد الأتراك بآبن المتوكل بقوله :

|                               |                                  |
|-------------------------------|----------------------------------|
| وهل أرتجي أن يطلبَ الدم واترٌ | يدُ الدهر ، والموتور بالدم واتره |
| أكان وليّ العهد أضمر غدره     | فمن عجب أن ولّيَ العهد غادره     |

وفي مثل هذه الأحداث التي تتكرر كل يوم عظة وأي عظة !!

سامي الكبيالي





# شعر دعبل

## في نظر القدامى والمحدثين

هذه مجموعة لأهم الأحكام التي وصلت إلينا على شعر شاعر آل البيت دعبل بن علي الخزاعي ؛ مرتبة ترتيباً تاريخياً يبين نموها ويصور من خلالها ذوق النقاد والأدياء على اختلاف العصور ، منذ عصر الشاعر حتى اليوم . ولهذا الأحكام قيمتها الفنية الذاتية ، فقد أبدى القديم منها قوم كان شعر الشاعر كله في أيديهم ، فأحكامهم عامة تستغرق ما وعوا من شعر الشاعر وتصور تأثرهم به . فمن النافع حقاً - وقد ضاع اليوم شعر الشاعر فلم يتبق منه في أيدينا إلا قصائد قليلة ومقطعات وأبيات موزقة<sup>(١)</sup> - أن نراجع هذه الأحكام ونقرأ ما تبقى من الشعر في ضوءها ، لتكتمل لنا صورة هذا الشعر وتجتمع لنا نواحيه كلها .

ومن النافع أيضاً أن نقرن أحكامنا الحديثة فيه بالأحكام القديمة حتى يبين ما قلناه عن معرفة وذوق وتذوق ، وما قلناه عن تقليد وترديد وتعميم مفرط .

وأحسب أنه يحسن أن نصنع مثل هذا السرد التاريخي للأحكام الفنية التي وصلت إلينا في شعر كل شاعر من شعرائنا ، ليكون لنا من ذلك ما يقرب أن نسميه - حين نجمع بعضه إلى بعض - خرائط نقدية عامة نقيدها فيها في دراساتنا ومواردنا ، ونستخلص منها ، في أيسر كلفة ،

---

(١) جمنا هذا الشعر وصنعنا منه منهجية فانظره في مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق لسنة ١٩٦٤ .

آراءنا في النقد والنقاد والشعر والشعراء ، وفي العصور الأدبية وأدراكها وتفسيرها للأدب والحياة .

على أن هذا كله يرتبط ، دون شك ، بحركتنا الناشطة في نشر تراثنا المخطوط ورعايته والسهر عليه ، والتخطيط لعملنا فيه تخطيطاً عاماً علمياً متكاملًا يستمد حوافزه من إدراكنا العميق لقيمة هذا التراث الإنساني الرفيع في فهم حياتنا العامة ، وحياتنا الوجدانية بصورة خاصة ، فضلاً عن قيم الجمال الفني المبثوث فيه إحساساً وتعبيراً .

— P —

### أعظم القدامى

١ - « لم أقل فيه [ يعني : أباسعد الخزومي ] إلا أبياناً مخيفة يلعب بها الصبيان والإماء » .

دعبل  
الأغاني ٢٠ / ١٣٣

٢ - « فيها أخبار وغريب » .

دعبل ( عن نصبه اليانية الكبيرة : أنفي من ملاك يا ظمينا ... )  
الأغاني ٢٠ / ١٢٤

٣ - « وسئل [ دعبل ] وأنا حاضر عن أجود شعره فقال : القديمة » .

ابن قتيبة ( ت ٢٧٦ هـ )  
الشعر والشعراء ٢ / ٨٢٧

٤ - « إن أجبتَه [ يعني : أباسعد الخزومي ] يجواب مثله انتصفت » .

وإلا فإن هذا اللعز الذي فخرت به يسقط وتفضح آخر الدهر » .

محمد بن علي الطائي ( معاصر لدعبل ) من كلامه لدعبل  
الأغاني ( ١٣٣ )

٥ - « أحسنت ملء فيك وأسماعنا » .

أبو نواس ( ت ١٩٨ هـ ) حين أنشد دعبيل :  
أين الشباب وأية سلكا  
قاربخ بغداد ٣٨٥/٨

٦ - « وأي شيء ينفعني ؟ إني أجود الشعر فلا يروى ، ويرذل  
[ دعبيل ] فيروى . ويفضحنى برديته ، ولا أفضحه بحيتدي » .

٧ - « . . . » فما أجتاز بموضع إلا ميمته [ رديء دعبيل ] من سفة  
يهذون به هذا . فمنهم من يعرفني فيعبث بي ، ومنهم [ من ] لا يعرفني  
فأسمعه منه لسمولته على لسانه » .

أبو سعد الخزومي ( ت حوالي ٢٣٠ هـ )  
الأغاني ١٢٢/٢٠ - ٤

٨ - « سألت مولاي أبا تمام عن نسب دعبيل فقال : هو دعبيل ابن :  
ضحك المشيب برأسه فبكى » .

الفتح ( غلام أبي تمام المتوفى سنة ٢٣١ هـ )  
الأغاني ١١٣ / ٢٠

٩ - « ختم الشعر بدعبيل » .

القاسم بن مهرويه ( معاصر لدعبيل وأحد المتحاملين على أبي تمام )  
الأغاني ٧١/٢٠

١٠ - « أهجى أهل زماننا » .

أحمد بن علي الأباري ( معاصر لدعبيل )  
الأوراق ( أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم ) ٣٣٠

١١ - « كنا في مجلس الأصمعي فأنشده رجل لدعبيل قوله :  
لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى

فاستحسنه . فقال الأصمعي : إنما سرقه من قول الحسين بن مطير :

. . . . .

كل يوم بأقحوان جديد      تضعك الأرض من بكاء السماء .

الأصمعي ( ت ٢١٢ هـ )  
الأغاني ٧٧/٢٠

١٢ - « ومن عسى في هؤلاء [ أبي الشيص ودعبل وابن أبي الشيص  
وداود بن رزين وطاهر بن الحسين وابنه عبد الله ] أن يسأل عن شعره  
سوى دعبل ؟ » .

١٣ - « قاتله الله [ يعني : دعبلًا ] ما أغوصه وأدهاه ! » .  
١٤ - « إنه [ يعني : دعبلًا ] وجد والله مقالاً ، وقال ببعيد ذكركم  
[ آل البيت ] ما لا يناله في وصف غيرهم » .

١٥ - « لقد أحسن في وصف سفر سافره فطال ذلك السفر عليه ،  
فقال فيه :

ألم يأن للسفر الذين تحملوا . . . . .  
ما سافرت قط إلا كانت هذه الأبيات نصب عيني في سفري وهجيتراي  
ومسليتي حتى أعود » .

الأمون ( ت ٢١٨ هـ )  
الأغاني ١٠٧/٢٠ - ٨

١٦ - « شديد الأمر ، محكم الصنعة ، قليل الطلاوة ، مفحش  
المجاء ، غير مقنع المديح » .

أبو حاتم البستانى ( ت ٢٥٥ هـ )  
ديوان أبي نواس ( المقدمة ) ١١

١٧ - « قال مسلم بن الوليد :

مستعبر يبكي على دمنة ورأسه يضعك فيه المشيب  
فسرقه دعبيل فقال :

لا تهجي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكي  
فجاء به أجود من قول مسلم ، فصار أحق به منه .

أبو هذان ( ت ٢٥٧ هـ )  
الأغاني ٢٠/٧٥

١٨ - « دعبيل أشعر عندي من مسلم بن الوليد ... لأن كلام دعبيل  
أدخل في كلام العرب من كلام مسلم ، ومذهبه أشبه بمذاهبهم » .

١٩ - « يدخل يده في الجراب ولا يخرج شيئاً » .

البحري ( ت ٢٨٤ هـ )  
الأغاني ٢٠/٨٧ والموشح ٣٢١

٢٠ - « قال دعبيل بن علي يرثي ابن عم له من خزاعة فمي إليه ...  
ولقد أحسن فيها ما شاء ! » .

المبرد ( ت ٢٨٥ هـ )  
الأغاني ٢٠/٨١

٢١ - « وما يستملح لدعبيل أرجوزته في المأمون . وهي فصيحة سهلة » .

٢٢ - « وهو صاحب القصيدة الثائية في آل الرسول ... وهي  
أشهر من الشمس » .

ابن المعتز ( ت ٢٩٦ هـ )  
ملقات الشعراء ٢٦٦ و ٢٦٨

٢٣ - « شاعر متقدم مطبوع » .



٢٤ - « قصيدته : مدارس آيات ... من أحسن الشعر وفاخر المدائح المقولة في أهل البيت عليهم السلام » .

أبو الفرج الأصفهاني ( ت ٣٥٦ هـ )  
الأغانى ٦٨/٢٠ و ٦٩

٢٥ - « دعبل بن علي الخزاعي . . من المطبوعين » .

الأمدي ( ت ٣٧٠ هـ )  
الموازنة ٢٤٦

٢٦ - « وكان دعبل هجاء ، هجاء الخلفاء واحداً بعد واحد ، ووجه كتابهم وقوا أدم وحاشيتهم . وهجاء حق قبيلته وأخاه وزوجه وجاريته . ولم يكن يفلت من هجائه وطعنه أحداً نظماً ونثراً من أحسن إليه ، فضلاً عن أساء إليه . وكان ينتقل في البلدان خوفاً على نفسه . وكان مع ذلك يرجع إلى مروءة وحسب وحسن رياس . فجري يوماً بين يدي عبد الله بن طاهر ذكره ففض منه ، فقليل له : إنه صاحب مروءة . فقال : تباً له ولو كان كذلك . كيف تكون مروءة لمن يعصي الرحمن ويطيع الشيطان ويهجو السلطان » .

التالي ( ت ٤٢٩ هـ )

مرآة المروءات ورقة ٣٤٥

٢٧ - « دعبل أكثر القوم [ قومه : الشعراء من أمرته ] شعراً . وهو وأبو الشيص بجران » .

٢٨ - « وكان دعبل مع جودة شعره وفخامة لفظه رجلاً ذاممة ونبل في نفسه . ويهجو من الخلفاء فبا دون . وكان شعره أكثر من شعر نظرائه » .

٢٩ - « وشعره قليل السقط » .

٣٠ - « وكان دعبل عالماً بصيراً بالغريب والأخبار وأيام العرب . وشعره يدل على ذلك » .

التالي ( ت ٤٢٩ هـ )

تراجم الشعراء المنسوب إليه ، الورقة ٨٥ و ٨٦

٣١ - « وكان دعبيل مداحاً لأهل البيت ، كثير التعصب لهم والفخر  
فيهم . وله المراثية المشهورة [ الثانية ] وهي من جيد شعره » .

الحصري القيرواني ( ت ٤٥٣ هـ )

زهر الآداب ١٠٢/١

٣٢ - « ومن طبقة أبي نواس : العباس بن الأحنف ومسلم بن الوليد  
وصريع الغواني والفضل الرقائبي وأبان اللاحقي وأبو الشيص والحسين بن الضحاك  
الخليع ودعبيل ونظراء هؤلاء . ساقتهم دعبيل . ليس فيهم نظير أبي نواس » .

٣٣ - « ودعبيل ما أصاب مع أبي تمام طريقاً ، على تقدمه في السن والشهرة » .

ابن رشيق ( ت ٤٥٦ هـ )

السدة ١٠١/١

٣٤ - « وأما دعبيل فمدير مقبل : اليوم مدح وغداً قدح . يجيد في  
الطريقتين ويسيه في الخليقتين . وله أشعار في العصبية تحسنها الحمية والطبيعة  
الغضبية . وكان شاعر علماء وعالم شعراء » .

ابن شرف القيرواني ( ت ٤٦٠ هـ )

رسائل الانتقاد ٢٣

٣٥ - « خيث اللسان ، قبيح الهجاء » .

الخطيب البغدادي ( ت ٤٦٣ هـ )

تاريخ بغداد ٣٨٣/٨

٣٦ - « له شعر رائع » .

ابن عساكر ( ت ٥٧١ هـ )

تاريخ دمشق ٣/ورقة ٢٧ و

٣٧ - « شاعر مطبوع مقلق » .

يانقوت ( ت ٦٢٦ هـ )

معجم الأدباء ١٠٠/١١

٣٨ - « كان شاعراً مجيداً ، إلا أنه كان يذو اللسان ، مولعاً بالهجو والخط من أقدار الناس » .

ابن خلكان ( ت ٦٨١ هـ )  
وفيات الأعيان ٣٤/٢

٣٩ - « شاعر زمانه ... كان خبيث اللسان والنفس ، حتى إنه هجا قبيلته خزاعة » .

٤٠ - « الشاعر مقلق » .

٤١ - « رافضي بغيض سباب » .

الذهبي ( ت ٧٤٨ هـ )

سير أعلام النبلاء ٨/ ورقة ١٣٨ ظ وميزان الاعتدال ٣٢٨/١

٤٢ - « كان هجاء خبيث اللسان ، حثيث الركائب بالأذى إلى كل إنسان . يأكل الأعراض أكلاً ، ولما ، ويحب الاعتراض بالمعائب خباً جماً . ألف ألا يعرف إلا ذماً ، لا يبري من السب أباً ولا أما » .

٤٣ - « له شعر شان ، الاختيار فيه منخفض . شان المختار منه أنه لما تعدى ولاء أهل البيت إلى الرفض رفض » .

ابن فضل الله العمري ( ت ٧٤٩ هـ )

مسالك الأبحار في ممالك الأمصار ٩/ ورقة ٢٨٤ و ٢٨٦

٤٤ - « كان خبيث اللسان قبيح الهجاء » .

الصفدي ( ت ٧٦٤ هـ )

الروابي بالوفيات ٨/ ورقة ٤٣

## - ب -

## أطاس المحدثين

٤٥ - « إذا نظرنا إلى أشعار دعبيل نظرة نقدية فإننا لا نجد فيها إلا القليل من الشعر الذي يسو إلى مرتبة الشعر الجيد . كما أننا لا نجد له من الشعر الذي يمتاز بجلال موضوعه إلا بضع قصائد مفردة . وبعض قصائده معانيث مسلية قليلة الغناء . أما أغلب قصائده فهجاء مفحش وأغان مبتذلة تغنى الناس بها في الطرقات » .

شادة Schaade

دائرة المعارف الإسلامية ٩/٢٤٤

٤٦ - « ظل يحيد أساليب الشعر القديم حتى كان البحري يفضل على مسلم بن الوليد لإحسانه مسالك القدماء . ولكنه انحرف بعد ذلك عن منهجه بهجائه المتأدي في الفحش لأبي سعد الخزومي بضع سنين ، حيث أخذ يذكر مثالب عدنان ويفخر عليها بمناقب قحطان . ثم اجتراً على هجاء الرشيد وبني العباس . حقاً لقيت نغمته السوقية في الهجاء ذريعاً ونجاحاً موقوتاً . ولكنها فضحت ذكره ، وأخلت شعره عند المتأخرين » .

بروكلمان Brockelmann

تاريخ الأدب العرب (ترجمة النجار) ٣٩/٢

٤٧ - « فانت ترى شاعرية هذا الرجل . لكن شعره خمل بسبب هجوه الخلفاء » .

جرجي زيدان

تاريخ آداب اللغة العربية ٨٢/٢

٤٨ - « وما كان هجوه ، لو بحثت في أسبابه ، إلا ضرباً من قطع الطريق على الناس اشتهاه ، في أكثر الأحيان ، للذة الصيد والقتل ونزوة المطاردة والتخويف ، لا طمعاً في المال أو طلباً للثرات . »

عباس محمود العقاد

مراجعات في الآداب والفنون بعد ١٦٤

٤٩ - « بل لعله [ يعني : شعر دعبل ] أدخل في كلام العرب من شعر كل الشعراء الذين تقدموه في الدور الأول للدولة العباسية . »

٥٠ - « متين السبك ، شديد أسر التراكيب ، فحل الأسلوب حق لو دعت الضرورة أن يقول شعراً في أقل الأمور التي لا تدعو إلى الاحتفال بالشعر ولفظه . »

عبد الحليم عباس

مجلة الرسالة : السنة ٥ ص ١٥٨٧

٥١ - « إن الفرق بينهما [ يعني : مذهب دعبل ومذهب ابن الرومي في الهجاء ] كان فرقاً بين المذهب البدوي والمذهب الحضري في الهجاء . فقد كان دعبل بدوياً نافرأ بفطرته ، وكان ابن الرومي حضرياً أنيساً بفطرته . فإذا تبرم ابن الرومي بالناس فإنما يتبرم بهم تبرم من يألفهم ويأنس إليهم ويعاني ما يعاني من عشرتهم . ثم يسخط عليهم لأنه مقيد بهم لا يستطيع الفكك منهم . فسخطه أساسه المودة والآلفة وليس أساسه القطيعة والنفرة ، كما كان السخط في نفس صاحبه دعبل الخارج على الجماعة ، القاطع الطريق . ولهذا الفرق أثره في موضوع المثالب التي يلقيها كل منهما على مهبويه . فدعبل يسلب المهجو جميع الفضائل التي تعتز بها النفس الصارمة البدوية : يسلبه النخوة والكرم والبأس وطيب النخيزة ، ويحمله رجلاً يسمع البدوي صفاته فيقول : إنه حقير مرذول . وابن الرومي يسلب مهبوه الفطنة



والكياسة والعلم ، ويلصق به كل عيوب الحضارة التي يجمعها التبذل والتهالك على اللذات . .

٥٢ - « نشأ ابن الرومي ودعبيل . . مستحسن الشعر بين من يؤثرون الفعولة اللغوية ، مفضل على المحدثين من طبقته كما قال البحتري » .

هبار محمود المقاد

ابن الرومي : حياته من شعره ٢٢٦ و ٢٤٥

٥٣ - « ولا غرو أن يعتمد دعبيل عن التصنع ويأنس بكلام العرب الخالص ، فهو عربي النبعة لا أعجميتها كاستاذة [ مسلم بن الوليد ] ، بدوي النزعة لا حضريتها . وقضى حياته هارياً من وجه السلطان مستخفياً في الجبال والقفار ، فلم تملك نفسه زخارف الحضارة ومباهجها ، فظل شعره أقرب إلى الطبع من شعر مسلم ، وأدخل منه في كلام العرب الصرخاء » .

٥٤ - « يمتاز شعره برشاقته وحسن انبجائه وطلاوقه ووقع أنغامه . فهو لطيف على غير ضعف ، قوي على غير خشونة . ولولا إيمانه في هجاء الخلفاء وإسرافه في سفاسف القول لكان من أمير الشعراء شعراً لسهولة ألفاظه ووضوح معانيه . ولكنه أفسد هذا الشعر بالفحش والإقذاع وشم الملوك والأمراء ، فأهمله الرواة بعد موته وأخلوا ذكره » .

٥٥ - « منزلة دعبيل قائمة على شعره الهجائي ، ولا سيما السيامي منه . وهو يشبه بشاراً بإقذاعه وفحشه وسلاطته على الأعراض ، ولكنه يفوقه خطراً لنسبته في خزاعة وقشيعه للعوليين » .

بطرس البستاني

أدباء العرب في العصر العباسي ١٣٥ - ٦

٥٦ - « كان الشعر الشعبي يجمع بين الاحتجاج والتصوير . وكان الكميّ الأسدي يتزعم فاحية الاحتجاج في هاشمياقه ... ولعل دعبيل

الخرزاعي في مقدمة الذين نهضوا بالجانب التصويري المؤثر في تأنيته التي قصد بها علي بن موسى الرضا بخراسان .

أحمد الشايب

تاريخ الشعر السياسي ١٩٢

٥٧ - « صار شاعراً فقلبت سجية اللؤم على شعره » .

٥٨ - « مع هذا الشاعر العربي الخالص بلغ الهجاء الذروة . كان مع الأخطل وجريرو والفرزدق هجاء أموات أو هجاء أثاس أحياء كالأموات ، فصار هنا هجاء ملوك ووزراء كالملوك ، صار هجاء سياسياً » .

٥٩ - « لقد بدت طلائع هجاء دعبيل السياسي مع بشار العقيلي ، ولكنه بلغ حده وتجاوز المدى الأبعد مع هذا الشاعر الشاطر » .

٦٠ - « تراني أخالف غيري فأجعل دعبلاً من الرؤوس ، وهو عندي من كبارها ، اللهم في الهجاء الذي جاء فيه بالبدع » .

٦١ - « أما هجاء الوجه فابتدأ مع دعبيل ، وتم عند ابن الرومي » .

٦٢ - « إذا قرأت شعر دعبيل فلا ترى إلا عريان الكلام ، ومع ذلك تجد شعره حياً ينبض ، لأن روح قائله الشائرة المتوردة تتردد فيه » .

مارون عبود

الرؤوس ١٣٦ و ١٣٩

٦٣ - « إلا أن دعبلاً ما فتى سحابة حياته بدويًا ينفر من التصنع المفرط والتعقيد . فلم يكن تأثره بمسلم إلا كتأثر البحتري . وقد حرص على ألا يدخل في شعره شيئاً من الصعب وغير المألوس ، وحفظ صناعته أبداً بسيطة قريبة إلى الطبع العربي الصافي الصريح . ولم يتورط في إسراف إبي تمام وغموضه ... وهو ، على الإجمال ، سهل الالفاظ واضح المعاني حسن الانسجام ، تتردد فيه أنغام موسيقية عذبة » .

حنا الفاخوري

تاريخ الأدب العربي ٥٠٧

٦٤ - « اختلط الهجاء - في صورة عامة - بالمديح اختلاطاً شديداً عند شعراء هذا العصر [ عصر ازدهار الأدب كما سمّاه ] . ويمكن أن نذكر في هذه المناسبة شاعراً قتل سنة ٨٦٠ م وهو دعبل الخزاعي . . . . وكان شعره بخاصة مقطعات لاذعة في لغة منحطة ! »

شارل بلا C. Pellat

Langue et littérature arabes P. 114

٦٥ - « لم يسلك دعبل سبيل كثير والسيد الحميري في هجاء الصحابة وسبهم ، بل اكتفى بمدح العلويين والظعن في أعدائهم من أمويين وعباسيين ، .

محمد سيد كيلاني

أثر التشيع في الأدب العربي ١٣٠

٦٦ - « أوحى صنيع الرافضة في السب إلى الشعراء المجتبان أن يلنوا الهجاء ، فينقلوه من طابعه العربي إلى طابع يتفق وما عليه هؤلاء المجتبان من استهتار بالأعراض . . . وها هو ذا دعبل الخزاعي ، وإن لم يكن قد عاشهم فقد تأثر بمنهجهم ، وجرى في حلبتهم . . . قال يرمي المتوكل بالآينة . . . » .

٦٧ - « بقي الهجاء [ في الكوفة ، بعد ذهاب الأمويين ] طعناً وسباً ونهشاً في الأعراض . . . وحمل لواءه دعبل الخزاعي . . . فكان هجاءه طعناً وكذباً ، وفيه كل ما اتصف به هجاء المجتبان من تعريض بالأعراض ، وإلصاق التهم بالأبرياء . » .

. . . . .

ومخلاصة القول في هذا الهجاء الكوفي الذي شهدته القرنان الثاني والثالث الهجري ، أنه كان أثراً من آثار البيئة التي ضمت بين ظهرانها الروافض ، ومنهم السبابون الذين أخذوا طريقة السب والشتم ونهش الأعراض وسيلة لنقد خصومهم من المسلمين الأحياء والأموات . » .

الدكتور محمد جابر عبد المال

حركات الشيعة التطرفين ١١٤ و ١٢٢ و ١٢٥

٦٨ - « كان [دعبل] يتخذ من هجاء هؤلاء [يعني : خلفاء بني العباس] وسيلة لمُدح أوليائه من آل البيت ، في بعض الأحيان » .

٦٩ - « ... كدعبل بن علي الخزاعي الذي قلند لمسلم بن الوليد فتأثر به أول الأمر ، ثم خرج عليه وعاد إلى تقليد القدماء واتبع طريقتهم » .  
٧٠ - « ظهر عند هؤلاء المحدثين [ في العصر العباسي ] هجاء ليس من طراز الهجاء القديم ولا من قبيل ما روينا من الهجاء البذيء المسف . ولكنه هجاء يعتمد على السخرية من المجهو والاستهزاء به وإضحاك الناس عليه . . . . وقد كان هذا الطراز من الهجاء مما شاع عند شعراء القرن الثاني ، ومن أخذ فيه من شعراء القرن الثالث دعبل بن علي الخزاعي » .

الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى

الشعر في بغداد ١٠٧ و ٢٣٣ و ٢٤١ - ٢

٧١ - « ولم ينس الأدب الشيعي في هذه الفترة [ العصر العباسي ] أن يتحدث عن الفواجع العلوية . . . . ولدعبل من هذا النوع كثير ، ولكنه ضاع ولم يبق إلا القليل النادر . ولو وصلنا كله لورثنا أدباً قوياً جريئاً يمثل نفس دعبل وقوتها وجراتها » .

عبد الحبيب طه حميدة

أدب الشيعة إلى نهاية القرن الثاني الهجري ١٥٨ - ٩

٧٢ - « إن دعبلًا ، بالرغم من قسوته وربما إقذاعه في الهجاء ، يمثل في الشعر العربي ملصقاً من ملامح الكرامة الإنسانية لم يكد يسمو إليه المتنبي الذي لم يتجرأ على هجاء كافور إلا بعد أن هرب من بلاطه ، والذي أمر في التذلل للأمراء والخلفاء » .

٧٣ - « هجاؤه يرمض من خلال حدس متفوق قائم تتعفى فيه بقايا المعاني الهجائية القديمة ، وتنبري لنا معان جديدة تثيرنا ببكارتها وموافقتها

لمقتضى الحال . ولقد سما دعبل بهذه المعاني عن شعراء الهجاء السابقين ،  
حيث كان الهجاء نوعاً من السباب والشتائم دون أي قضية فنية .

٧٤ - « لئن كان دعبل في هجائه السيامي يدافع عن عقيدته بشجاعة  
لا نكل ، إنه في هجائه العادي المباشر يتخطى الخطيئة في الإلحاح والتهديد  
والانتكاص . ونكاد لا نشهد له هجاء إلا وكان قد سبقه بمدح . ذلك أن  
الشاعر كان يتوسل بشعره في سبيل اكتساب المال . »

٧٥ - « شعر دعبل ليس أقل إيلاماً من شعر أولئك [ الهجائين الذين  
سبقوه ] وليس أقل توسلاً بالمعاني المنكرة المقذرة ، لكنه يختلف عنهم  
بأنه يعمد إلى الصور الكثيرة التفصيل ، والمقتبسة من الواقع ، بينما كان  
أولئك يتوسلون باللفظة العارية الموبقة منحطين بالعمل الفني إلى مستوى  
الشتيمة السوقية الرعناء . »

٧٦ - « لقد اعتمد دعبل في هجائه السخرية الداخلية التي تتولد من  
اختلال الأحوال في النفس . فهو يتولى العامة اليسيرة الضئيلة ، ويفتق لها  
بتعليل كثير الغلو والغرابة ، حتى نقطن لكل ما يستر من مضاعفات  
وجدانية . لا شك أنه لا يتعمق في دراسة النماذج تعمق الجاحظ ولا يستوفي  
وجوها استيفاء ابن الرومي ، ولكنه بالرغم من ذلك فهو يوفق باستثارة  
التحكم والاستخفاف ، ويترجح في هجائه بين اللينة والنقمة ...  
والهزء والتندر ، . »

إيليا حاري

فن الهجاء ١٤١ و ١٤٢ و ١٥١ و ١٥٢



يتبين لنا من استعراض هذه الأحكام أن القدامى اتفقوا على أن الشاعر لم يسلك مسلك المجددين في عصره وتمسك بما سماه النقاد من بعد ( عمود الشعر ) حتى عد البحتري شعره أدخل في كلام العرب من شعر مسلم بن الوليد . فإذا ذكرنا أن الخصومة الأدبية المثمرة بين التاميين والبحتريين ، أو بين أصحاب الصناعة وأصحاب الطبع لم تكتب مقدماتها الصحيحة في كتب النقد القديم عندما أدركنا أن هذه الخصومة بين أصحاب مسلم وأصحاب دعلج هي - وإن لم تدرك أخبارها كلها - بدايتها المثيرة . على أنها لم تثر من الفيلسوف ما أثارته في مراحلها الأخيرة بين أصحاب أبي تمام وأصحاب البحتري .

فأما المحدثون فأحكامهم على شعر دعلج يقع كل منها على قدر ما عرف من هذا الشعر . وما عرفوه لا يتجاوز أكثره - في أحسن حال - ما جاء في كتاب الأغاني . وأحسنه - في رأينا - رأي العقاد في هجاء الشاعر ، وأضله رأي المستشرقين . وما تبقى فأكثره ترديد لأراء القدامى وأحكامهم وأقله ينظر إلى ما سبقه من أحكام المحدثين .

الدكتور عبد الكريم الأشتر



# التعريف والنقد

## فصول في اللغة والأدب

الأستاذ السيد ظافر القاسمي

عدد صفحاته ٢٤٠ من القطع الوسط طبع في المطبعة الكاثوليكية

بيروت سنة ١٩٦٤

الأستاذ الفاضل ظافر القاسمي الذي كان نقيباً للمحاميين بدمشق ، لم يعرفه الناس إلا محامياً مبدعاً ، ووطنياً مخلصاً متحمساً يدرك عن قومه ويحمي دمار وطنه ، ويتعصب لحزبه وينافح عن مبادئه ، وطالما قلت في نفسي متمنياً لو أنه أهتم بالعلم كوالده الجليل القاسمي عالم الشام والإسلام وانصرف إلى البحث والدرس والتصنيف لحفظ ذكر أبيه وأمرته ، وقد كانت دمشق تفتخر الدنيا بعلمائها وأدبائها وبيوتات العلم والفضل فيها ، واشتغل أبناء الأسر العلمية بغير ما اشتغل به آباؤهم فانطفأت بدمشق بمشاغل العيش وفرط حب أبنائها للوظائف مشاعل تلك الأسر ومصابيح المعارف .

وكتابه هذا ( فصول في اللغة والأدب ) يشتمل على أبحاث متنوعة طريفة عن الإيلاف أو المعونات غير المشروطة ، وعن ( اليازجي والقرآن والأمثال ) ، ولغة العرب ، وتمازجها مع اللغات الأخرى الفصحى ، والدولة والعروبة ، وعن الفنون الجميلة وفكتور هوغو ، والصداقة والصديق للتوحيد ، وعن أرض السحر ، وعن قرطبة دمشق الأندلس ، وصورة من صور الثورة السورية ، ومرآة نابوليون في يومياته السرية ، وابن المقفع والمرآة ، ونداء الباعة في دمشق القديمة ، وعهد المدينتين العامة والفاخرة ، إلى غير ذلك من طرائف القول والأبحاث الممتعة .

وفي بحثه عن العربية وقمازجها بغيرها من اللغات بحث عن معجم دوزي (ملحق المعاجم العربية) ، وأعجب بفرط تتبعه واستقصائه مع كثرة أخطار الأسفار في عصره ، وقلة المراجع العربية من المخطوطات الموزعة في بلاد الغرب والشرق ، كما أعجب بإتقانه لكثير من اللغات الحية والميتة فضلاً عن العربية وألفاظها العامة .

ويرى الكاتب الفاضل أنه بتمازج الثقافات ، واختلاط الأمم يتسرب إلى لغاتها كثير من الألفاظ الأجنبية ، وإن مثل ابن بسام صاحب الذخيرة لم ير بأساً ولا حرجاً في تعريب الألفاظ الأجنبية فيقول : قنبانية للفة Compagne وهي في الفرنسية تطلق على عدة معان كالصاحبة والرفيقة والشريكة والقرينة ، ومثل ابن بسام في ذلك ابن حيان صاحب تاريخ الأندلس . ثم بحث عن لفظتين إحداهما عربية انتقلت إلى اللغات الأخرى ، والثانية أعجمية انتقلت إلى لغة العرب ، فالعربية لفة (معونة) وعرفها دوزي بأنها ضريبة استثنائية يفرضها الأمير حين تنفذ أموال الخزانة العامة ، وانتقلت إلى اللغات اللاتينية الأصل باسم Almonya أو Almaona ، وأما الأعجمية المنتقلة إلى العربية فهي ( طارقة ) اقتبسها العرب من الصليبيين ، وهي لا تعني غير ما يعنيه اللفظ الفرنسي Targe وهو الترس الكبير الذي يزيد طوله على عرضه ، ودخلت هذه اللفة في كلام أدباء العرب فقال العماد الاصبهاني : ( لمت برارق بيارقه ، وراعت طوارق طوارقه ) . وفي كتاب اصلاح الدين : ( ساعو هؤلاء الصليبيين ما وجدت مع واحد منها طارقة ولا رحاً إلا النادر ) ، وكان في القاهرة شارع يسمى ( حارة الطوارق ) ، وقد تطور معنى هذا اللفظ (الترس) في أوربة إلى معنى الجدار المتنقل الواقي ، أو لوح من خشب الصنوبر كان المحاربون يقفون وراءه ليتقوا السهام والحجارة . وفي هذا الكتاب أقصوصة المروءة لصورة من صور الثورة السورية بطلها عثمان الغبرا صهر المؤلف ، وقد أبدى من خروب الفتوة والمروءة

العربية ما هو مضرب المثل ، ولولا ضيق النطاق في هذه الكلمة لقصصت قصة هذا الرجل الدمشقي يوم ضرب الفرنسيون دمشق بالقنابل ( ١٩٢٥/١٠/١٩ ) وخشي أهل حي قصر الحجاج من هدم المنازل فهربت منه الرجال والنساء والأطفال إلى حيّ العمارية ، وفيه حارة البطل المعروفة بزقاق عبد الهادي ، وإلى هذه الأقصوصة الصادقة ألفت نظر القراء ، وهي لعمرى جديرة بأن تشتمل عليها كتب القراءة المدرسية عسى أن يحذو الصبيان حذو البطل عثمان ! ولا عيب في الكتاب إلا اشتغاله على كثير من الطرائف والنوادر والمحاسن السوافر ، ولا ينقصه إلا بعض الشروح البسيطة فقد ذكر مثلاً في الصفحة ١١٨ ديوجانس وثيقانوس وأنكساغورس وكل من هؤلاء الفلاسفة الثلاثة في حاجة إلى بضعة أسطر من الحاشية .

وهناك من السهو الذي لا يحتاج إلى مجود إذ لا عصمة منه لمؤلف قوله ص ٥٨ في السطر الأول : ( ولا أراها متسقة النغم مع السخر والسكر والراح أليس كذلك ؟ ) والصواب ( مع السحر ) بالحاء لا الخاء المعجمة ؛ وقوله في السطر الثامن : فما بال شاعرنا ( يصغور من ورد الحدود وتقاحها ؟ ) والصواب ( يصحور ) بالحاء المهملة .

وفي الصفحة ٦٠ والسطر الخامس هذا البيت وهو من البسيط :

إذا تلاحم متقارهما اختلجا وامتدعتان من عطشى ومكتاح

والصواب ( متقارهما ) بدليل ثنية ( اختلجا ) .

وقوله ( ١٧ / ٦٠ ) أي في الصفحة ٦٠ والسطر ١٧ : ( . . . ) ولكن اللفظ حوشي - ألا ترى أن فيه من الحوشية حرفي الشين والحاء ؟ ألم ينهنا أسانذتنا عن استعمال الألفاظ الحوشية في الترسل فما بالك في الشعر ؟ ) .

أما قوله أن اللفظ حوشي مشيراً إلى لفظ ( شاح ) من عجز البيت الثاني : ( هذي 'تزق' وذا مستطعم شاح ) وجعلت لناقذة هذا اللفظ حوشياً لأن فيه من الحوشية حرفي الشين والحاء ! والحوشية منسوبة إلى

الحوش من الجن ، والحوشي من الليل المظلم ومن الكلام الغامض المستبهم وهو الغريب الذي لا يفهم ، و ( شاح ) اسم فاعل من شحافه اذا فتحه ، وليس كل لفظ فيه شين وحاء من الحوشية الغريبة النافرة فهذان الحرفان في شحط الديار والبلدان ، وشحم الغنم والبقرات السمان ، وفي الحشى من الإنسان ، وفي شعوب الألوان ، وفي الشعارير من أطيوار الألحان ، الى غير ذلك من الألفاظ المستعملة الفصاح الحسان .

ورما لا يحتاج الى بيان قوله ( ١٢/٧٧ ) : ليس هنالك من لفظ يوم مقام الضوضاء ، والصواب : ( يقوم مقام الضوضاء ) ؛ وقوله ( ٢٠/٧٩ ) : تزیده رواء وقد قرده قبيحاً ، والصواب : تردّه قبيحاً ؛ وقوله ( ٨٦ ) في الحاشية : قول ابي ضخر الهذلي ، وهو أبو صخر الهذلي ؛ وقوله ( ٥/٨٩ ) : ولا أجود كتابة ولا خطأ ، ولعل الصواب ولا خطأ ، بدون همز ؛ وقوله ( ٣/٢٣٨ ) : ليست في دول من أول العرب ، والصواب : من دول العرب ؛ وقوله ( ٨/٢٢٩ ) : ورئيس جناجم البيض ، والصواب : جماجم البيض لأنها ترجمة للاسم الانكليزي Egg Head ؛ وقوله ( ١٢/٢٤١ ) يتساوى في ذلك فيزيائهم ، يريد فيزيائهم مثل كيميائهم . . . الى غير ذلك مما لا يخلو منه كتاب لا ينظر صاحبه في تصحيح تجاربه حين الطبع ، وهذا لا يتيسر لكتاب يطبع في بيروت ومؤلفه المهام في دمشق الشام . والله أسأل أن يطيل عمر المؤلف الأديب البارع ابن شيخه الجمال القاسمي حتى أراد بين الكتاب الأدباء كما رأيت أباه بين العلماء ، « ليعالج كما يقول الأستاذ شفيق جبري من دقيق الموضوعات ما يقوي روح القومية أي روح اللغة والأدب » فيخدم بذلك قومه العرب .





## رحلة الى المغرب الأقصى للأستاذ محمد رضا الشبيبي

مقتبسة من المجلد الثاني عشر من مجلة المجمع العلمي العراقي ، عدد صفحاتها ( ٥٣ ) صفحة  
من قطع الوسط . طبعت بمطبعة المجمع العلمي العراقي في سنة ١٩٦٥

دوّن في هذه الرحلة صاحبها وقائع رحلته التي قام بها في خريف سنة ١٩٦٠ من العراق الى المغرب لحضور مهرجان جامعة القرويين في مدينة فاس .  
تشتمل هذه الرحلة بالإضافة الى تعريف البلدان وصفاً لجملة أوضاع المجتمع المغربي وأحواله ، ومن طريف ما كتبه أبحاثاً عن مجالس المغرب وبرامج التعليم ، وبحث في التربية ، والتقديم والجديد ، والحلي الجامعي ، وخزانة الكتب ، وفكرة التوحيد ، والمحافظون والمجددون ، والعربية في المغرب ، ولهجة المغاربة ، والمصطلحات في العامية المغربية ، والبربرية واللغة البربرية ، والتعليم في عهد الاستقلال ، والخط المغربي ، وغيرها من الأبحاث .  
وما أحوج أبناء أقطار المشرق العربي الى مثل هذه الرحلة ليتعرفوا من جديد الى بلاد أشقائهم في المغرب العربي بعد أن باعدت بينهم الأوضاع السياسية والسيطرة الأجنبية .

نحمد لصاحب الرحلة هذه المأثرة ونشكر له ما دون فيها عن مشاهداته  
في هذه الرحلة .

ع.ع.



## عصر النبي عليه السلام وبيئته قبل البعثة

صور منتبسة من القرآن الكريم ، ودراسات وتحليلات قرآنية

تأليف : الأستاذ محمد عزة دروزة

طبعة ثانية منقحة ، ومن منشورات دار البقعة العربية للتأليف والترجمة والنشر في بيروت

عدد صفحات الكتاب ٨٤٨ صفحة من قطع الوسط ، طبع سنة ١٣٨٤ = ١٩٦٤

أقسام مواضيع الكتاب الرئيسية هي :

الباب الأول - في الإقليم والسكان ومعايشهم .

الباب الثاني - في الحياة الاجتماعية .

الباب الثالث - في الحياة العقلية .

الباب الرابع - في الأديان والمقائد .

عالج الأستاذ المؤلف هذه المواضيع باتزان وتروي وأناة وتبصر .  
صور فيها عصر النبي ( ﷺ ) وبيئته قبل البعثة أصدق تصوير ، استخلص  
جل أبحاثه من القرآن الكريم وهو أوثق المصادر وأقدم ما يمكن أن  
يعتمده كاتب أو باحث . وزاد الكتاب طرافة وفائدة المواضيع الجديدة  
التي توصل إليها وأتملتها كتب السير القديمة مما يجعله فريداً في هدفه  
وأسلوبه ومصدره .



## شعر الراعي النميري وأخباره

جمه وقدم له وهلق عليه

الأستاذ فاصر الحاني

راجعه وجمع شواهد ووضع فهرسه

الأستاذ عز الدين التنوخي

من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ، في ٢١٥ صفحة من القطع المتوسط

طبع في مطبعة الترقى بدمشق

حقق الأستاذ فاصر الحاني هذا الديوان ، بما لا يدع فضلة لمستزيد ، أو باحث وراء شعر هذا الشاعر دون أن يجد إشارة في صلب هذه المجموعة إلى الشوارد التي تبعثت هنا وهناك في شق المراجع ، أو كتب الأدب ، أو دواوين الشعراء .

ولقد بدأ المحقق ديوان الراعي النميري بمقدمة ، تناول فيها تحقيق لقب الشاعر واسمه ، واختلاف مؤرخي الأدب حول هذا الاسم الذي عرف به الشاعر ، وأورد رأي البغداديين وغيره ، وأثبت كثيراً من الشعر الذي يدل على هذا الاسم ، ثم ذكر مقام الشاعر من قومه ، ومقامه بين الشعراء ، وهجاء جرير له ، والعمل على هدمه ، حتى هرب قومه من غير ، وفضلوا الانتساب إلى عامر بن صعصعة ، خوف الفضيحة ، ووصمة العار ، وإن يكن الشاعر قد قضى نحبه في تلك السنة غماً وكداً ، فضلاً عن انكسار شوكته ، وترديه في الضعة في أواخر حياته .

على أن تواضع الأستاذ فاصر الحاني ، في تحقيق هذا الديوان ، ولم هذا الشعر المتناثر في أرجاء الكتب ، يتسم بالانتصاف لهذا الشاعر ، الذي ضاع في أواخر عمره ، وهو لا يخلو في الوقت نفسه ، من إعطاء القارئ صورة ،

لما كان عليه هذا الشعر : « لأن هذا الذي جمعنا من شعره قليل بالإضافة إلى كنه الحقيقي كله ، وكل ما يقال عنه ، صور مُنتزعة من بعض شعره ، وإذا ما تهيأ لنا غداً العثور على الضائع منه ، وهو كثير ، فإن هذه الصور قد تبدو بعيدة عن حقيقة الشاعر الصادقة ، ولكي نعطي القارئ فكرة عن حجم شعره ، يكفي أن نتذكر أن ياقوتاً الحموي ، قد استشهد به بأكثر من مائة موضع بكتابه الفند معجم البلدان ، وهذه الشواهد تشير إلى معرفة الراعي بالجزيرة العربية ومعالمها ، وبالأماكن التي تقع بين الشام والبصرة خاصة ، ولعله مر على الكثير منها بأسفاره . »

ومع أن الراعي النجيري ، وقف شعره على الإبل ، إلا أن الأستاذ المحقق ، قد تعدى هذا إلى أن للشاعر : « ابتكاراً فاجعاً ، وصوراً فريدة ، ليس بينها وبين ما نعرف من شعر الجاهليين أو المخضمين نسب بين ، ولعل هذا ما جعل الجاحظ يفرد باليديع بين شعراء عصره . »

وتناول الأستاذ ناصر الحاني ، ولد الشاعر « جندل » وأهل بيته وكرمه وحسن ضيافته وعفته ، وشهامته وجراته ، وقصته مع الخليفة عبد الملك ابن مروان ، وصفاته الجسمية . وضروب الشعر التي تناولها ، والخلفاء والحكام الذين خصهم بشعره .

ولقد وقف المحقق وقفة تحمد له ، فقلّيب وجوه الرأي بين كتب المراجع في إثبات شعر الراعي ، وساق البراهين على وجوه هذا الشعر وإن كان البغدادي قد أسقطه من خزائنه ، إلا أن « ياقوت الحموي » قد قال ، عند الحديث عن قول الراعي :

يحث بين الحاديان كأننا      يحثان جنباً بيمين مكرعا  
« قال ثعلب ... عيين مكان بشق البحرين به نخل ، والمكرع ، الذي يسرع في الماء . »

ولم يفت الحق قول علي بن المفيرة ، صاحب الأصمعي وأبي عبيدة ، وإشارة ابن النديم إلى أن أول من صنع كتاباً بشعر الراعي هو أبو سعيد السكري ، وأبو بكر محمد بن القاسم الأنباري ، وإن كان صنع هؤلاء من بين تراثنا الضائع ، الذي ينتظر البعث ، ويبغى الحياة .

والذي استحق به الثناء ، الأستاذ قاصر ، وإن كان ثناء لا يحمل في طياته الإغراء بهذا الفعل المقرون بالحمد ، أنه قد عانى الشيء الكثير في جمع هذا الشئ الذي تنثر في كتب اللغة والتراجم والمعاجم ، وضاع منه ما ينفع أو يفيد ، وأخرجه في هذه المجموعة الميسرة ، والموضحة بأقلام أصحابها .

ومهما يكن من أمر هذا الجمع ، فإن الأستاذ قاصر الحاني ، والأستاذ عز الدين التتويحي ، قد قدما إلى قراء العربية ثمرة جهاد نافع ، وقرباً ما كان مستعصياً على كثير من الذين يعنيهم هذا الشعر ، فليس من الهين أن يجمع باحث ، بيت شعر ، ثم يحري وراء آخر في مرجع قد لا يكون ميسوراً ، أو تحت يد أحد ليضم بيتاً إلى آخر ، ثم يعمل بصره وفكره وراء ثالث ، ويلم الشروح ، وينقب عن التعليقات إلا أن يكون هذا من الذين رهبوا أنفسهم لخدمة العلم ، واستلذوا التعب ، وكتبوا على أنفسهم الجهاد ، والصبر ، والاستشهاد .





## كتاب الحيدة

للإمام عبد العزيز بن يحيى الكناني

تحقيق وتقديم الدكتور : جميل صليبا

من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ، في ٢٤٨ صفحة من القطع الوسيط

طبع في مطبعة الترقى بدمشق

كانت المكتبة العربية ، وما تزال ، في حاجة إلى بحث هذا التراث  
المجيد ، الذي يتصدى له هؤلاء الأعلام الأفذاذ ، ممن أخذوا بهذه الأبحاث  
العربية الثالدة . التي تين عن كنوز العرب ، وغنى الضاد في جلّ المجالات .  
وكتاب الحيدة فريد وحده ، بين كتب التراث العربي ، فهو يحوي تلك  
المناظرة العاصفة التي كانت بين عبد العزيز الكناني وبشر المريسي بين يدي  
المأمون في مسألة خلق القرآن ، وما تبع ذلك من شغب العامة على ذلك  
العالم الجليل .

لذلك كان اختيار الدكتور جميل صليبا ، تحقيق هذا الكتاب ،  
واستخلاصه من بين الأشتات الكثيرة التي أحاطت به ، اختياراً موقفاً  
من عدة وجوه :

- ١ - اكتنف هذا الكتاب الشك في نسبته إلى صاحبه .
- ٢ - كان هذا الكتاب لا يزيد على عشر ورقات .
- ٣ - كثرة الحذف والتزويد في بعض أجزاء المناظرة .
- ٤ - مصادقة هذه الرسالة لهوى الناس .
- ٥ - وجل عبد العزيز الكناني من المأمون .
- ٦ - ثورة المعتزلة على عبد العزيز .

٧ - المجادلة في أخطر مشكلة .

٨ - موقف المأمون بجانب بشر المريسي .

٩ - دين الدولة بخلق القرآن .

١٠ - اتجاه الرأي العام .

واقف أراد الدكتور جميل صليبا ، أن يكون طليعة في هذا التحقيق ، شأنه دائماً في تحقيقاته وتفرعاته ، فعمني بمناقشة كل مسألة من هذه المسائل على حدة ، مسهباً في بيان كل دقيقة من دقائقها الكثيرة التي يختار دونها العقل ، ويقف مشدوهاً أمام تياراتها المختلفة ، التي تحف بها من كل مكان .

لكن لا يأخذ القارئ العربي العجب ، إذا عرف إمام الدكتور صليبا الواسع ، بما تظم المراجع العربية من مناقشة هذه المسائل الكثيرة المنشعبة ، ولا يكون جديداً بالنسبة للذين يعينهم هذه المباحث ، إذا ما أورد المحقق شكك بعض المؤرخين في إسناد كتاب الحيدة إلى عبد العزيز الكناني ، وناقش ما ذهبوا إليه ، ورد كل قول إلى صاحبه ، ووقف أمام كل رأي من هذه الآراء وقفة العالم المتسكن من هذه الأمور الشائكة ، إذا ما علمنا أن الدكتور صليبا ، قد اجتاز هذه الشكوك كلها ، وأثبت أن كتاب الحيدة هو من وضع عبد العزيز الكناني وحده .. !

على أن الدكتور المحقق ، قد أورد اسم الكتاب من عدة مراجع ، وأثبت اسمه وما دار حول هذا الاسم من انحرافات ، وأبدى رأيه في مسألة خلق القرآن ، معتمداً على براهين المعتزلة ، والكناني نفسه ورأي الجاحظ في هذه المسألة ، وساق آراء الفقهاء والمحدثين ، وفصل القول في المسائل التي خالف فيها المعتزلة عقيدة أهل الحديث ، وموقف المأمون من جل هذه المسائل وعرض مسألة الخلق في زمن خلفاء المأمون ، أو من أتى بعده من الحكام ...

غير أن الأمر الذي يشهد للدكتور صليبا ، بطول المعاناة ، ويجعله على رأس المحققين ، إحاطته الشاملة الواعية ، بالنص الحق ، واستيعابه لكل ما فيه من أمور ، وإلمامه بكل الاتجاهات التي يدخل في إطارها البحث . فتلخيص كتاب ووضعه في هذه المجالة ، لا يمكن أن يتسع له عقل ، إلا من قمرس بنثل هذه الأعمال ، وعرك نافرما ، وطامن من غلوائها ، وبلا من مرها ، حتى إن من يقرأ هذه الخلاصة ، يصيبه الغنى عن تصفح المناظرة ، أو الكتاب الذي أهيل له :

ومن دون شك ، أن الدكتور جميل ، قد أتى على كتاب الحيدة فهماً ، قبل أن يأتي عليه تحقيقاً ، فرأى أن يصب ما يحويه الكتاب في قالب من بيانه ، ليسهل على القارئ مشقة المطالعة ، ويضع يده على مضمون الكتاب ، قبل الغوص في ثنايا لججه ، وتياراته المتلاطمة .

بدأ التلخيص بمسألة الخلق ، ثم نشئ بمسألة العلم ، والإخبار والجعل ، والقول المفصل ، والقول الموصل ، والنظر والقياس ، ثم مساق حجج كل من الجانبين بما يريد : « وأحسن ما يقال في هذه المناظرة ، أنها محاورة جميلة بين عالمين ، يمثلان اتجاهين مختلفين ، فبشر المريسي يمثل أهل التأويل والنظر والقياس ، وعبد العزيز الكناني يمثل أهل الحديث والسنة ، وإذا علمنا أن بشراً المريسي كان من الموالي ، وأن عبد العزيز كان من كنانة ، أمكننا أن نقول إن مناظرتها تمثل جانباً من الصراع الفكري الذي قام في بغداد بين الشعبية والعرب » .

ولقد اعتمد الدكتور جميل صليبا ، في تحقيق كتاب الحيدة على أربع مخطوطات : ثلاث منها في دار الكتب الظاهرية بدمشق ، والرابعة في مكتبة « توبنجن » بألمانيا ، ولم يكتف المحقق ، بذكر هذه المخطوطات ، دون شرحها ، فذكر عدد صفحات كل مخطوطة ، وعدد أسطر كل صفحة ، وقطعها ، وقلعها ، ومدادها ، ونوع ورقها ، وما أثبت على كل صفحة ،

والنسخة المطبوعة ، وعدد صفحاتها وأسطرها ، وهي مطبوعة بمطبعة السعادة بحرار محافظة مصر ، وأشار إلى تصحيحها وتحريفها وأغلاطها ، وتقديمها وتأخيرها ، والشبه الكبير بينها وبين النسخة الظاهرية .

ولشد ما يأخذ القارئ العربي المعجب ، حين يطالع أمانة الدكتور جميل صليبا في طريقة تحقيقه الفريدة : « أما طريقتنا في التحقيق ، فهي الطريقة التي مرنا عليها في تحقيق الرسالة الجامعة . . فقد كنا نقرأ النص في إحدى النسخ ، ونعارضه بغيره من نصوص النسخ الأخرى ، فنختار منها ما هو أصح وأصدق ، ونذكر في ذيل الصفحات ، اختلاف الروايات في سائر النسخ » .

ثم رمز إلى النسخ المختلفة برموز ، لتسهيل على القارئ مشقة البحث ، وترجع به إلى المخطوطات دون عناء ، وأورد نصوصاً مختارة من كتب التراجم وغيرها ، ونشر صورة خطية من كل نسخة اعتمد عليها وهي صفحة واحدة ، للتأمل والمقابلة والدقة ، ثم أثبت الهوامش في كل صفحة من صفحات المناظرة ، مرقمة حسب ورودها في صلب الكتاب ، مراغياً في ذلك كل صفحة على حدة ، حتى لا يختلط هامش بهامش ، أو يفضل القارئ في هذه المتاهات ، غير فهرس الأعلام ، والبلدان والمواضع ، والشعوب والقبائل والدول والفرق والمذاهب ، والمصطلحات ، والفهرس العام .

والواقع ، أنني لا أخال الدكتور جميل صليبا ، إلا رجلاً اكتملت لديه كل مقومات التحقيق ، من علم وفن ووقت ، حتى كان هذا الكتاب الذي يغني عن كتب ، والذي يعتبر بجهوداً مفضياً ، يسجل للدكتور جميل ، بكل ما يتضمن من مسائل ، وما يحوي من مقابلات ، وما بذل من وقت وسهر ، وهو له يوم توزن الأعمال ، ويأتي كل واحد بكتابه في يمينه .



## جمهرة المغنين

تأليف : خليل مردم بك

تطبيق : عدنان مردم بك وأحمد الجندي

من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق في ٢٩٧ صفحة من القطع الوسيط

طبع في الطبعة الهاشمية بدمشق

القيمة الكبرى في هذا الكتاب ، انه وليد عقلية لم تتجاوز الثامنة عشرة ، عكفت على البحث ، وثابتت على المطالعة والدرس ، وهي في سن ، لا يحوز فيها ، أن تدرك ما يدركه الشيوخ ، أو تعي من هذا الزاد ، ما يميز عن بلوغ كنهه الفحول من الأدباء ، وأرباب اللسان من الكتاب .

فالجمهرة ؛ « تاريخ موجز عن المغنين المسلمين وسيرهم في أزهى عصور الخلافة الإسلامية ، أيام بني أمية وبني العباس إلى زمن الرازي ، وبه بحث ممتع عن تاريخ الغناء والمغنين وتأثير الغناء وآلاته ، ومن دوقت له صنعة في الغناء من الخلفاء وأرلادهم مع ترجمة لابن النقيب » .

والمطالع لهذا الكتاب ، يأخذه العجب ، ويستولي عليه الرعب ، حين يدرك أن صاحبه لاقى من الصعوبات في جمع مادته ، والتنقيب عن الأخبار في مصادر أكثرها لم ير النور بعد ، أو هو حين يطالع : « ما زلت ألتقط من كل كتاب نادرة ، وسفر شاردة ، وكناش فائدة ، ونشرة نكتة ، فيما له مساس بعلمي هذا ، أهمها بعضها إلى بعض ، وأقرب المسافات بينها بالمناسبات حتى أتمته في حولين إلا إياماً » يدرك أن خليل مردم بك ، قد أدت ملكة محمد عليها ، وجلداً في البحث قل أن يجتمع في غيره ، فهو أديب وشاعر ومحقق ، لذلك فقد صادفت هذه الجمهرة ، هوى في نفسه ،



وتنقذت إلى أعماقه فنخلع عليها من مطالعاته الكثيرة ، ما أصبحت به فريدة وإن كان قد حاكى فيها : الجاحظ ، شيخ البيان .

استهل المؤلف جهرته بمقدمة ، عرّف بها الغناء ، ثم أتى على تاريخه ، وأول من دورته ، وتأثيره وآلاته ، ومن دونت له صنعة في الغناء من الخلفاء وأولادهم وأولاد أولادهم ، وما احتج به في جواز الغناء ، وتاريخ المغنين ومنزلتهم ، وترجمة بليغة للسيد عبد الرحمن حمزة ، ثم شرح القصيدة ، وترجمة من ذكر فيها اسمه من المغنين والأعلام ، والمستدرك على الجهرة ، ثم ذلك الفصل الذي أُلحق بها عن المغنية العربية : أم كلثوم ...

والواقع ، أن هذا الكتاب الذي توافر صاحبه عليه نحو عامين ، ينقب في ثنايا غانية وعشرين مرجعاً ، ما أخذ مكانه اعتباطاً بين كتب المكتبة العربية ، أو سلك مسلكه بإشارة من صاحبه ، وإنما هو دراسة وافية للغناء وأدواره ، ورجالها وقيناته ومجالسه ، وما أحيط به من صنوف المتع ، وضروب اللهو ، وما لعب من أدوار في حياة الخلفاء والحكام .

ولقد كان خليل مردم بك في كل مساقه للأخبار ، وتدوينه ، يتعفظ ، ولا يسلم بكل خبر يحده في كتب الرواية ، وإنما يعمل فيه عقله ، ويستعرضه على كافة وجوهه ، ثم يصوغه صياغة من يعلمه من مصادره ، بأسلوبه الجاحظي المتدفق الذي يسيل رقة وتدفقاً ، ويستطرد به في غير التواء أو تعثر .

ومهما قيل في الدافع لخليل مردم بك ، على تأليف هذا الكتاب ، فليس أقن من أن يقول هو نفسه : « الغناء عصك الله ، راحة الروح ، وترجمان الوجدان ، ومثير الحس ، ترشح إليه النفوس على السراء والضراء وحين اليأس ، وينفث الإنسان به ما أكنه صدره من كمين التأثيرات ، وجن في حنايا ضلوعه من خفي السرائر ، بما لا يدركه الوهم ، ولا يتوهمه الإدراك ... »

وليس أفعل في النفس من مساق الخليل رحمه الله ، قول ابن عبد ربه في العقد الفريد فيما احتج به في جواز الغناء ، قال بعض أهل التفسير في قول الله تعالى : « يزيد في الخلق ما يشاء » هو الصوت الحسن ، وقال النبي ﷺ لأبي موسى الأشعري ، لما أعجبه حسن صوته ، لقد أوتيت زمماراً من مزامير آل داود . وقال ﷺ : حسن الصوت زينة القرآن ، وقال أيضاً : حسنوا القرآن بأصواتكم ، فإن الصوت الحسن يزيد في القرآن حسناً .

بهذا التوجيه ، كان خليل مردم بك ، أول من فكر في شرح قصيدة ابن النقيب ، وترجمة من ورد بها من المغنين والأعلام ، وهي قصيدة استطرادية ، تعرضت لكثير من شغلوا بالغناء ، أو لعبوا الدور الهام في السمو به ، وبخاصة من ولي الخلافة ، أو كان ممن اتصل بهم ، أو انحاز إلى مجالسهم ، غير الشرح المائع لجل الألفاظ ، والمعنى الإجمالي لكل بيت من أبيات القصيدة على حدة ، ثم ذكر أكثر الأخبار التي تتصل بالغناء ، وما وقع في مجالس اللهو ، أو مجالس الجدة ، من النكات النادرة ، والفكاهات المستملحة ، وتحقيق ما ورد من أسماء البلدان ، ومناقشة الروايات المختلفة التي وردت تحمل كثيراً من الاختلافات حول اسم من الأسماء ، أو موضع من المواضع . . .

على أننا لا ننسى فضل أستاذين عظيمين ، وقفنا على طبع هذا الكتاب القيم ، وعلقا عليه بما يستاهل من بذل الجهد ، في التصحيح ، والترتيب وعمل الفهارس ، حتى إن عملهما يعد مفخرة ، حبذا لو أتبعنا عملهما هذا بأعمال أخرى ، تكون لها ، وإن سُبَّحَل اسمها من قبل في مقدمة العاملين : المحققين والمؤلفين .

أبرطال زيان



# آراء وأبناء

## مصطلحات جدد

### ( لكلمات افرنجية )

سألني بعض الزملاء الأساتذة الأفاضل : ألم يجد لديك مصطلحات حديثة لكلمات أفرنجية ليس لها بعد ، مقابل ؟ قلت بلى ، وقد بلغت عشرات في مختلف العلوم والشؤون العامة . وسأشرها ، ان يسر الله ، في مجلّتنا التي تعنى بذلك عنايتها بالموضوعات العديدة : التاريخية واللغوية والأثرية ( المخطوطات ) ، بما هو من صميم أغراض المجمع العلمي العربي .

ومرّت أيام مريرة عليّ حالت ، برهة ، دون الإنصراف الى جمع ما تناثر منها بين طيات الأوراق ، وترقيتها على شكل يناسب النشر .

وما أنا اليوم ، وقد سنحت الفرصة ، أنشر هذه المصطلحات الجدد التي قيسر لي وضعها لما يقابلها من الكلمات الأفرنجية . فمضى أن يفيد منها من يراها ملائمة للغرض الموضوع له ، أو تكون موضوعاً للنقد والتعديل والتصويب فيكتب البقاء للأصح والأصلح من كثير يحاكها موضوع قبل ، أو بما يضع لها الناقد التزيه مستهدفاً وجه الصواب .

### ١ Analeptique منَعَشَة

وزان مفعلة من ( نَعَشَه الله ) كمنع ، رفعه كأنعشه . وفلاناً جَبَّرَه بعد فقر . وانتعش العاثر ، انتفض من عثرته . أطلقتها على الأدوية التي تنعش

## ٢ Archéologue قائف (١)

وهو ( من يعرف الآثار كما في القاموس ، جمعها قائفه ) بدلاً من ( عالم بالآثار ) .

## ٣ Astic مصنقل

من ( الصنقل ) للقطعة العظيمة التي يصقل بها صانعو الأحذية ، الجلود .  
والكلمة الافرنجية : ( قطعة من عظم الخيل تتخذ لصقل الجلد ) .

## ٤ Bocale بوقال

وهو الكوز بلا عروة ، كما في القاموس . ولعل الكلمة الافرنجية مأخوذة من العربية لفظاً ومعنى وإنما خصصت عندهم لقاورة زجاجية فوهاء ( قطرميز ) .

## ٥ Chélaté متحجن

من ( حجن المود يحجنه عطفه كحجنه ... وفلاناً جذبه بالمحجن ) :  
أطلقتها على الحالة التي تكون عليها الشاردة المعدنية متحجنة ، أي مجذوبة ،  
في الذرة الهيولية كأنها مشبوكة بالكُلاب .

## ٦ Chélater حجن

من الكلمة الآتية ، للعمل الذي يتم به جذب الشاردة المعدنية في  
الذرة الهيولية .

## ٧ Chélation حجن ، تحجن

من الكلمة الآتية . فنقول مثلاً : معقد أو مركب تحجني  
( - Complex ou composé de ) لما ينتج عن معالجة المادة الهيولية بحلول  
معدني ما فتتحجن الشاردة المعدنية بها .

(١) القائف الذي ينتج الآثار ويعرفها ويرف شبه الرجل بأخيه والولد بأبيه وقيل للذي  
ينظر الى شبه الولد بأبيه قائم كما في لسان العرب . ( لجنة المجلة )

٨ Crosse ( Clubes ) مِيجَار<sup>(١)</sup>

وهو شبه صولجان تضرب به الكرة ، كما في القاموس ( وهو غير المِطْشَة<sup>(٢)</sup> التي تضرب بها كرة التنس ) وهو الذي تضرب به كرة ( الجولف Golfe ) .

## ٩ Couvents أَرْكَاح

وهي بيوت الرهبان ، كما في القاموس .

## ١٠ Démarche en draguant ; en fauchant تَعَثَلَة

هي أن يمشي مُفاجئاً ويقلب قدميه كأنه يغريف ، كما في القاموس ، وهي خير من ( مشية الجارف ، زَيْغان ) اللتين يستعملها بعض الزملاء .

## ١١ Démembrer مَزَع

من ( المَزْعَة ، بالضم والكسر : القطعة من اللحم أو النشفة منه .

## ١٢ Dénaturation مَسْنَح

من ( مَسْنَحَه ، حوّل صورته الى أخرى أقبح . والمَسْنَح ، المشوّه الخلق . فنقول : ( آحين مسنح ) أي تحولت طبيعته الأصلية الى أخرى ببعض العوامل الفيزيائية كالحرارة ؛ أو الكيماوية بحمض ما أو قلوي . وقول ( غَوّل مسنح ) أي مشوّه بما أضيف اليه من صبغ ازرق ونحوه لئلا يصلح إلا للخرق .

## ١٣ Désioniser خَسَرَدَ

نَحْتاً من ( خسف - مَرَد ) للعمل الذي يتم به خسف الشوارد من محلول ما .

(١) جاء في معجم دوزي أن كلمة Crosse هي الجوكان .

(٢) المِطْشَة Raquette الفرنسية والانكليزية مأخوذة من كلمة الراحة العربية .

( لجنة المجلة )



١٤ Eau - de - vie ماءٌ لَاعِيج

من ( لَعَجَ في الصدر : خَلَجَ ، والجلدَ أحرَقه ، والبدنَ آله .  
وألعج النارَ أوقدها كما في القاموس ) . وفي ضرب الأثرية الغولية ما يؤجج  
النار في البدن عامةً ويؤلمه . وليس هو ( ماء الحياة ) البتة كما يسميه  
بعضهم ترجمةً حرفيةً وكان الأجدر بهم أن يسموه ( ماء الموت ) إذ لم يبق  
ريب - بعد الدراسات والتجارب الحديثة - في سمية الأثرية الروحية  
ومسخها الخلايا الحية والقضاء عليها .

١٥ Ebriété légère قَتَار

وهو ابتداء النشوة ، كما في القاموس ، بدلاً من ( نشوة خفيفة ) .

١٦ Echantillonneuse مُنَمِّذِجَة

للآلة التي تقوم بعمل النمذجة ، اشتقاقاً من ( النموذج ) .

١٧ Elégance يِكَلَّة (١)

وهي : الزيُّ والحال ، كما في القاموس ، وهي الأناقة والتنوّق .

١٨ Elégant يَكِيل

من الكلمة الأنفة . فيقال ( جميلٌ بَكِيل ) أي متنوّق في لبسه ومشيه  
كما في القاموس . يرادفها : Chic ببعض معانيها ( وبالانكليزية : Dandy ) .

١٩ Fœtus جَنِين

كما وضعت لجنة المصطلحات العلمية في كلية الطب . وقد ورد ذكر  
( الأجنة ) في القرآن الكريم . والجنين هو الولد في البطن ، جمعه :  
أجنّة وأجنّس كما في القاموس ، لأنه مستور أي جنين وزان فعيل الدالّ  
على مفعول كالجريح أي المجرّح . والعجيب أن يوضع للكلمة الافرنجية :

( حَمِيل ) . وهذه لها معان شتى . . . الدَّعيّ - الغريب - الشُّراك - الكفيل - الولد في بطن أمه إذا أخذت من أرض الشُّرك - ومن السيل الغشاء - والمنبوذ يحمله قومه فيرمونه . فأَي الكلمتين أولى بالتخصيص ؟ ( الجنين ) ذو المعنى الخاص بما في البطن أي الولد ؟ أم ( الحَمِيل ) ذو المعاني المديدة أي المحمول والمنبوذ والدَّعيّ . . . الخ بما سردنا من معاني ؟ ولا يصح استعماله للجنين إلا إذا كان في بطن أمه وأخذت من أرض شريكٍ بحسب النص الوارد في المعاجم . فما الذي حملهم على اتخاذ ( الحَمِيل ) بدلاً من ( الجنين ) إذن ؟ لم أمتدِ بعدُ إلى الأسباب الوجيهة .

#### ٢٠ Frémissement cataire رَعَس

وزان فَعَلَ الدال على داء أو علة أو حال غير طبيعية . من ( الرعس ) ، بالسین ، وهو الإرتعاش والإنتفاض ( كما يشاهد في السنانير ) . بدلاً من ( ارتعاش ستوري ) ترجمة حرفية .

#### ٢١ Hémolyser (s') تحلِّدَم

نَحْتًا من ( حل - دم ) على المطاوعة ، للتحلل الذي يعانيه الدم بعوامل شتى .

#### ٢٢ Hydroxy - acide حمضَسَيْل

نَحْتًا من ( حمض - مائيل ) ويرادف كلمة Acide - alcool الجسم الذي يحتوي على وظيفة حمض ووظيفة غول متزامنتين .

#### ٢٣ Inféconde أَرِيط

وهو العاقر أي لا يولد له ولد ، كما في القاموس ، وذلك لعدم إلقائه وهو المقيم Stérile كذلك .

#### ٢٤ Lyophilisation لَيْفَلَة ، تَدَوْبُج

الأولى ، تعريباً وهي حادثة انحلال أو ذوبان مع تهلُّمٍ ترادفها كلمة Hydrophile . والثانية : نَحْتًا من ( قدوب - اقتباج ) وهو ذوبان القَرَوِيد وانتباجه في غير الماء كالبنزين مثلاً ( يقابله الذوبان للبلوريات ) .

٢٥ . Pellicule تَبْرِيَّة

وهي كالنخالة في أصول الشعر كما في القاموس . وهي أكثر علامة من ( قشرة الرأس ) ومن ( هَبْرِيَّة ، التي لها معان شتى ، ما طار من زغب القطن - ما طار من الريش - ما تعلق بأصل الشعر مثل النخالة من رشح الرأس ) . فالتبرية كالنخالة في أصول الشعر ، لا عن إتساع في الرأس . فتخصص لما هو ذاتي طبيعي في الشخص .

٢٦ Phosphorylé مُفَعَّرَل

تعريباً من ( الفعرة Phosphorylation ) : للعمل الكيمياوي الذي يتم معه ادخال الفسفوريل ، مادة عضوية - مثال : فعرة الغلوكوز أي جعله ( غلوكوز - فصقات ) ، فالغلوكوز مفصرك .

٢٧ Photo - chimique ضَوْ كِيمِي

ما ينتج من التفاعلات الكيميائية بتأثير أشعة الشمس الماثورة سببية .

٢٨ Pic شَعْفَة

وهي رأس الجبل ، ومن القلب رأسه عن معلق النياط كما في القاموس . والكلمة الافرنجية كثيرة الاستعمال في الخطوط البيانية الإستشرادية ويقصد بها الذروة . فالشعفة اذن تلائم المعنى المطلوب - اصطلاحاً - من الكلمة الافرنجية تماماً .

٢٩ Raffinerie مَرْفَنَة

وزان مَفْعَلَة للمكان ، من ( الترفين raffinage ) التي وضعتها لما يراد به الحصول على المادة بأجود صورة وأنقاها بتكرار تصفيته كترفين السكر مثلاً أي تصفيته مراراً للحصول عليه بأجود حال . فالمرفنة إذن هي المكان أو العمل الذي يتم فيه هذا العمل .

٣٠ Raffineur مَرْفَنَة

من الترفين أيضاً ، للآلة التي يحصل بها على المادة بأجود حال .

## ٣١ Regression رَكْس

وهو الرجوع إلى الحالة الأولى . من Regressio اللاتينية أي العودة .  
( retour ) لما يرجع عوداً إلى بدء .

## ٣٢ Rouleau du pâtissier مِرْقَاق

وهو ما يُرَقَّ به الخبز ( وهو الذي يُجعل به الرِّقَاق ، بالضم ، أي الخبز الرقيق واحدته رُقَاقَة بالضم ، ولا يقال رِقَاقَة ، بالكسر ، فإذا أُجمع قيل رِقَاق بالكسر ) . أما الشُّوبِق - وهو خشبة الخُبَّاز - فهو معرَّب . وكذا ( المحور كمنبر وهو خشبة يُنْسَط بها المعين . وحور الحبرة هيتاًها ) .  
والمرقاق أخص .

## ٣٣ Sautoire مُرْسَلَة

وهي قلادة طويلة تقع على الصدر ، كما في القاموس أُطلقتها على ما قضعه النساء ، حديثاً ، من القلائد الطويلة حتى لتكاد تبلغ البطن بله الصدر .

## ٣٤ Serre صِرَة ، مَصَرَة

مصرة ، وزان مَفْطَلَة ، من ( الصَّرَ وهو شدة البرد أو البرد كما في القاموس ) ولعل الكلمة الافرنجية مأخوذة من العربية وخصصت للسكان الذي تحفظ فيه النباتات شتاءً انقضاء البرد .

## ٣٥ Suffixe وَصْمَة

من ( وَصَمَ ، يَصِمُه ) وهي أثر الكي أي ما يلحق منه في الموضع الموسوم . ومنه ( سمة الجوازات ) وهي علامة لاحقة للإذن بدخول البلدة المقصودة . أريد بها ما يزداد في آخر الكلمة . يقابلها ( خَزْمَة préfixe ) (\*)

(\*) الخَزْمَة ، من الخَزَم وهو زيادة تكون في أول البيت في الشعر . واصطلاحاً حرف يزداد في أول الكلمة كما هو المقصود من النقطة الافرنجية أيضاً . مثال : poly - tri - bi - sesqui - ortho - proto . الخ . وهي خير من كلمة ( الصَّدْر ) التي يستعملها بعضهم ، لوفرة معانيها ، ولأنها لا تفيد الإلحاق والزيادة .

وكلمتنا خير من (الكاسعة) التي يستعملها بعضهم ولا تقي بالفرض لاختلاف معناها عن معنى اللفظة الافرنجية. اختلافاً يبتنا . و (الكُسعة) بالضم هي النكتة البيضاء في جبهة كل شيء ، ولعلها أرى بأن تجعل لما يقابل (préfixe) التي فيها معنى (قبل وأول) وذلك للزوم النكتة في جبهة كل شيء .

#### ٣٦ Télévision مِيسَار

من (بَصُرَ به ككرم وفرح ، بَصَرًا وبَصَارَةً ، صار مُبْصِرًا . وقوله تعالى في سورة القصص : ( فَبَصَّرْتَهُ عَنْ جَنْبِ أَيِّ مَنْ يُعَدِّ ) . والمُبْصِر : الأمد يُبْصِرُ الفريسة من بُعْدٍ فيقصدُها ) وهو المقصود من الكلمة الافرنجية . فالْمِرَآة : للرؤية عن قرب ، والمنْظَار : لرؤية النجوم السماوية Telescope ، والمِيسَار : لرؤية الأجسام المعروضة من بُعْد .

#### ٣٧ Thixotrope نَكُوس

من (نَكَسَ أي انقلب) صفة هلامية تعود فتذوب بعد تهلثم . فيقال : هلامية نَكُوس أي قابلة للذوبان بعد التهلثم .

#### ٣٨ Thixotropie نَكُوسية

من الكلمة الآتية الذكر . صفة الجسم الهلامي الذي يتصف بها .

#### ٣٩ Timon خَدَف

وهو سَكَّان السفينة ، كما في القاموس ، اخترتها لإمكان الاشتقاق منها كما ترى في الكلمتين التاليتين .

#### ٤٠ Timonier خَدَّاف

وهو الذي يُدير السكَّان . وكلمة واحدة خير من (نوتي الإشارة) . ولا مانع من تخصيص (خَدَّاف) لما هو في الافرنجية (Homme de barre) .

#### ٤١ Timonerie مَخْدَفة

على اسم المكان . فإن أُريد بالكلمة الافرنجية ، الصناعة ، فهي (الخِيدَافة) بدلاً من (مصلحة الإشارات) وفعالة ، للصناعة كما هو معلوم .



## ٤٢ Toron قَلَس

وهو جبل ضخم من ليف أو خوص من ( قُلُوس سفن البحر ) .

## ٤٣ Tremblant ( de vieillesse ) كَهْد

وزان ( فَعِل ) نمتاً . كالكَوْهَد وهو المرتعش كَيْبَرَأ . أما الرُّعُوس فهو من يرجف رأسه نعلماً .

## ٤٤ Tremblement ( de vieillesse ) كَهْد

وزان فَعَلَ الدال على مرض أو حال غير طبيعية ( من الكَوْهَد ) وهو الإرتعاش كَيْبَرَأ . وكذا ( السَّعْسَعَة ) فهي اضطراب الجسم كَيْبَرَأ . أما الرُّعْسَان ، بالسین ، فهو تحريك الرأس ( خاصة ) كَيْبَرَأ .

## ٤٥ Verrat خَتَزَوَان

بفتح الحاء : وهو ذكر الخنازير .

الكواكبي



## أمثلة

من الأغلاط الواقعة في لسان العرب

- ٣ -

( ٢٥ )

مادة غ ر ب - متغرب

قال « وبين المغرب الأقصى ( في الحساب الفلكي ) والمغرب الأدنى مئة وثمانون مغرباً وكذلك بين المشرقين » . والصواب « من المغرب الأقصى إلى المغرب الأدنى مئة وثمانون مغرباً » أو « بين المغرب الأقصى والمغرب الأدنى مئة وثمانية وسبعون مغرباً » . فالخطأ وقع بسبب استعماله « بين » بدل « من » وهو يريد أن يشمل الأول والآخر في العدد . وإذا كانت « من » تصلح للشمول وعدم الشمول فالظرف « بين » لا يدل إلا على عدم الشمول .

\* \* \*

( ٢٦ )

مادة غ ر ب يغرب

هذه النبذة لا تبحث في خطأ بل تشير إلى تشبث غير نافع يذكر مضارع غَرَّب بضمّ الراء دائماً فيفهم الدارس أنه لا يجوز إلا الغمّ يَغْرِبُ . على أن كسر الراء جائز بناء على مبدأ شامل مفيد ينسب إلى الإمام عليّ وجميع المصنفين الكبار من أصحاب المعاجم وسواهم أثبتوه في كتبهم وهو ان الفعل المفتوح العين في الماضي إذا لم تكن عينه أو لامه

حرفاً حلقياً ، لك أن تغم عينه أو تكسرها في المضارع بشرط أن تحيد عن الأفعال المشهورة مثل يكتب وينصر وينزل ويضرب وينزل وهذا أمر طبيعي لأن المشهورة كثيرة الاستعمال لا يحتاج أحد في ضبطها إلى إجهاد ذاكرته .

غَرَبَ مفتوح العين في الماضي وعينه ولامه ليستا من أحرف الحلق . وهو ليس من رتبة كتب ونصر ونزل وضرب في الشهرة وله أكثر من معنى واحد ولكل معنى مرادف مثله في الشهرة أو أكثر مثل غربت الشمس وغابت وغرب عنا وغاب عنا أو ابتعد أو اغترب . لذلك جاز في عينه الكسر وجواز الكسر لا يمنع من الغم بمن يفضل الغم في التنطق . وجواز الكسر فيه فائدتان : الأولى : الميَّز بين مضارع مفتوح العين ومضارع مضمومها [ غَرَبَ كلامه ] فمضارع مضموم الراء في الماضي مضموم الراء حتماً لا اختيار فيه ولكن المفتوح العين في الماضي فيه اختيار منعاً لللبس إذا شاء المتكلم . وهذا توسيع من غير إخلال - الثانية : اسم المكان من غَرَبَ ( المفتوح ) مغَرِبَ ( بكسر الراء ) - قال صاحب اللسان وغيره القياس فتح الراء ولكنهم قالوا بالكسر أي على غير قياس - وعلى غير قياس تعني شذوذاً . ولكن الواقع أنها على القياس - فإن كان اسم المكان من غَرَبَ يغَرِبُ مَغَرِباً ( بالفتح ) فشابه اسم المكان من غَرِبَ يغَرِبُ مَغَرِباً ( بالفتح ) قالوا اسم المكان من غَرَبَ يغَرِبُ مَغَرِباً ( بالكسر ) فمغَرِبَ جاءت بموجب القياس من غَرَبَ يغَرِبُ ( بكسر الراء في المضارع ) ولم نجتمع بين اللبس والقول بالشذوذ وفي الإمكان تجنبها ؟ فلو قال غَرَبَ يغَرِبُ ويمحوز فيه الكسر لكان أجاد كل الإجابة .

## ( ٢٧ )

## مادة سلع - السلعة

قال : « السلعة بكسر السين الضوأة وهي زيادة تحدث في الجسد مثل الفدّة » فلو اكنفى لكان أحسن ولكنه شاء النقل عن الأزهري ...  
وقال الأزهري هي الجندرة تخرج بالرأس وسائر الجسد تمور بين الجلد واللحم إذا حرّكتها ( دَرَنَة ) وقد تكون لسائر البدن في العنق وغيره وقد تكون من حمصة إلى بطيخة ، اهـ .

فامعنى قوله « وقد تكون لسائر البدن في العنق وغيره » بعد أن قال « بالرأس وسائر الجسد » وفات الأزهري وابن منظور ( والفيروزبادي مثلها ) ان يحدثا حجم البطيخة أو وزنها فإن كانت يافوية كانت معقولة وأما خربوطية فلا .

في مادة س ل ع لا يذكر ابن منظور فعل أسلّع : كأن يقال أسلّع الأمر فلاناً بمعنى صيره صاحب سلّع ( أموال ) .

يقول المسلّع صاحب السلعة - فيكون قد ذكر اسم الفاعل من فعل لازم لم يذكره وهو أسلّع أي صار صاحب سلعة - على أنه ورد في الكامل ( وابن منظور يحترم المبرد ويأخذ عنه ) أسلّع ( المتعدّي ) أي صيره صاحب سلعة أي أغناه أو درّ عليه المال .

وقد يُسلّع المرء اللئيم اصطناعه ويعتل نقد المرء وهو كريم

يتبع : ( سنبلولو ) توفيق داود قربان



### في دائرة المعارف الإسلامية

في اجتماع اللجنة التنفيذية لدائرة المعارف الإسلامية المعقود في لندن في الحادي والثلاثين من آب (أغسطس) سنة ١٩٦٤ قررت اللجنة بالإجماع انتخاب سيادة الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق عضواً مشاركاً .

ومن المعروف أن اللجنة أخذت تصدر طبعة جديدة لدائرة المعارف الإسلامية بالانكليزية والفرنسية مستعينةً ببحوث صفوة من العلماء المستشرقين ومن العلماء المسلمين عرباً كانوا أو غير عرب .



### أغلاط مطبعية وتصويبات

( الجزء الأول والثاني من المجلد ٤٠ )

| صفحة | سطر           | الخطأ                                          | الصواب                   |
|------|---------------|------------------------------------------------|--------------------------|
| ٩٤   | ٧             | بالثرابشية                                     | بالثرايبشية              |
| ١٠٩  | حاشية رقم (١) | السيرة النبوية                                 | مقني اللبيب              |
| ٣٦٥  | ٧             | كُشِتِ الكتانُ                                 | كُشِثِ الكتانُ           |
|      |               | أصابه الكشوت                                   | أصابه الكشوث             |
| ٣٦٨  | ١٣            | سقط بعد «وهي أصلح» كلمتا : «والصحيح مَدَّجَةٌ» |                          |
| ٤٦٢  | ٤             | الخُفْشَراوات                                  | الخُفْشَراوات ( بالفتح ) |
| ٤٨٠  | ١٣            | خمس عشرة سنة                                   | خمس عشرة سنة             |

وجاء في الصفحة ٦٦٢ ص : ٥ ( الجزء الرابع من المجلد ٣٩ ) : كسب وصوابه : كُثِبَ .















Bibliotheca Alexandrina



0652735